

المملكة العربية السعودية وزارة التعليم العالي جامعة أم القري كلية الدعوة وأصول الدين قسم الكتاب والسنة الدراسات العليا

1..1952

التوكل على الله في القرآن الكريم

((دراسة في التفسير الموضوعي))

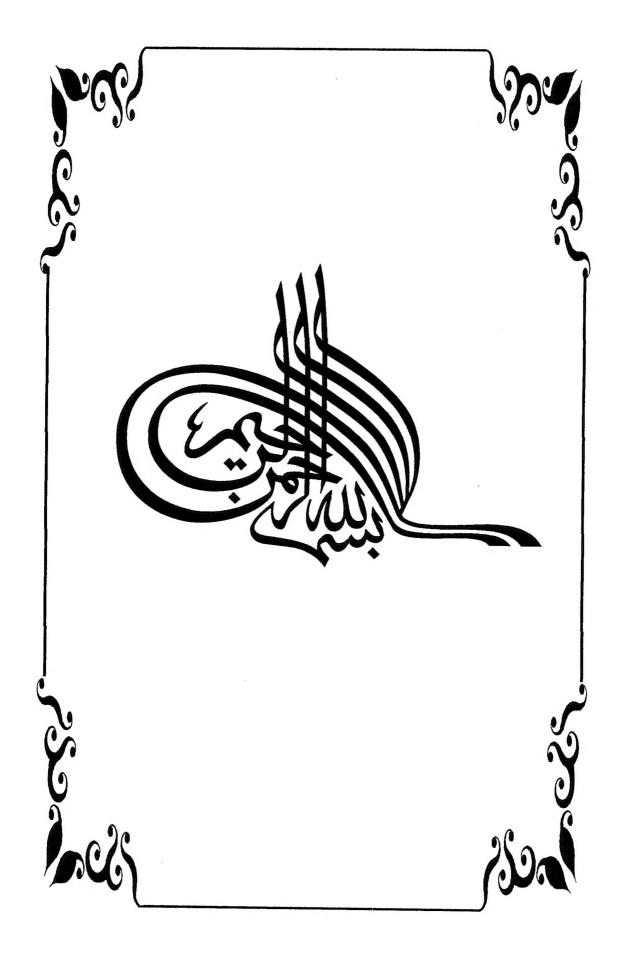
((رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير))

إعداد الطالبة

معتوقه بنت محمد حسن بن زيد بن حسان الحساني

إشراف فضيلة الدكتور/ عبد الحميد عمر الأمين

العام الدراسي ٢١٤١هـ/ ٢٠٠١م



محتويات الملخص

الحمد لله العظيم والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آلمه وصحبه أجمعين ومن سار على نهجهم إلى يوم الدين ، وبعد:

فهذا بحث مقدم لنيل درجة الماجستير، وهو بعنوان " التوكل على الله في القرآن الكريم دراسة في التفسير الموضوعي"، والهدف منه هو معرفة خلق من أخلاق القرآن الكريم ومدى أثره في العقيدة والنفس المؤمنة وارتباطه في كل عمل وعبادة دنيوية أو أخروية.

وتتكون الرسالة من مقدمة وتمهيد وفصول سبعة، وخاتمة، ففي المقدمة تحدثت عن أسباب اختيار الموضوع وأهميته وخطة البحث ومنهجية البحث.

وفي التمهيد ذكرت تعريف التوكل، والتواكل، وموارد التوكل في القرآن والسنة، وذكرت الفرق بين التوكل والتواكل، وذكرت أيضا فضل التوكل على الله وآثار التواكل السلبية على الفرد والمجتمع .

وبعد التمهيد تأتى الفصول السبعة، التي تضمنت:

الأول: تضمن الحديث عن التوكل على الله وعلاقته بالإيمان.

والثاني: تضمن الحديث عن التوكل على الله وعلاقته بالجانب الأخلاقي.

والثالث: تضمن الحديث عن التوكل على الله وعلاقته بالأسباب.

والرابع: تضمن الحديث عن بواعث التوكل على الله .

والخامس: تضمن الحديث عن موانع التوكل على الله.

والسادس: تضمن الحديث عن ثمرات التوكل على الله .

و السابع: تضمن الحديث عن التوكل على الله و أثره في تربية الفرد وبناء المجتمع، وفي جميع الفصول السابقة كانت هناك مباحث معنونة تقيد موضوع وعنوان الفصل.

أما الخاتمة فذكرت فيها النتائج التي توصلت إليها، ومنها:

- ان التوكل على الله خلق عظيم يجدر بنا الحفاظ عليه والتمسك به في كل مجال من مجالات حياتنا ويكون نبر اس طريقنا للمضى في هذه الحياة الدنيا.
 - ٢ يتضح لنا من خلال هذا البحث أن التوكل على الله عقيدة وخلق في نفس الوقت للمؤمن .
 - " التوكل على الله له فضل عظيم لمن التزم به وتأتي ثمر اته عاجلا أو آجلا. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الطالبة المشرف

د. عبد الحميد عمر الأمين

معتوقه محمد حسن زيد حسان الحساني

to the speciment of the state of

The grant of the second

عميد الكلية

الدراسات السابقة

الحمد الله رب العالمين والصلاة والسلام على اشرف المرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وبعد : فكما أن التوكل على الله من الموضوعات المهمة في حياة المؤمن ؛كذلك فان من يتصدى للبحث للمي بحاجة إلى من يعينه على مشاقه ، وقد تناول موضوع التوكل على الله جماعة من المتقدمين والمتأخرين ، من هؤلاء من جعله بابا في كتاب ، ومنهم من جعله مؤلفا خاصا ، ومن المتقدمين :

- ١ الحافظ ابن أبي الدنيا وكتابه (التوكل على الله)
- ٧ الحارث بن أسد المحاسبي وكتابه (المكاسب والرزق الحلال وحقيقة التوكل على الله)
 - ٣- الحافظ الإمام جمال الدين أبي الفرج ابن الجوزى في كتابه (تلبيس إبليس)
 - ٤ _ الحافظ المقدسي في كتابه (مختصر منهاج القاصدين)
 - ٥ ــ الإمام محمد أبو حامد الغزالي في كتابه (إحياء علوم الدين)

أميا المؤلفيات الحديثة التي تناولت الموضوع ، فمنها كتب و مقالات ، ودراسات علميه ومن هذه

خيرة :

- ١ رسالة دكتوراه للأستاذ سالم بن محمد القربي الأستاذ المشارك بقسم العقيدة والمذاهب المعاصرة
 كلية الشريعة وأصول الدين بالجنوب، هي بعنوان (التوكل على الله حقيقته مترلته فضله خصائصه غراته)
- ٢ رسالة ماجستير للأستاذة منيرة محمد المطلق المعيده بكلية التربية بالرياض قسم الدراسات الأسلاميه القرآنيه.
 القرآنيه.
 هي بعنوان (التوكل على الله وعلاقته بالأسباب وموقف الطوائف الإسلامية من ذلك)
 - ومن المؤلفات :
- ١ كتاب (التوكل على الله) للدكتور عبدا لله بن عمر الدميجي عميد كلية الدعوة وأصول الدين
 أم القرى
 - ٢ _ كتاب (التوكل على الله) للدكتور يوسف القرضاوي •
 - ٣ _ كتاب (التوكل على الله وأثره في حياة المسلم) للدكتور عبد الله بن الجار الله ٠

المتسبع لتسلك الدراسات العلميه يجدها تتجه للجانب العقدي منها وإيراد للأحاديث التى جاءت في معنى لستوكل أو عن التوكل ذاته. وأما بالنسبة للدراسةالتي قمت بما ، فقد اتجهت الى منحى آخر ألا وهو الاتجاه لتفسيري الجديد لموضوعات القرآن الكريم الذي احتوى على :

أولا _ لــون جديد من التفسير للقرآن حسب الموضوعات التى اشتمل عليها ، وهو ليس تفسيرا بالمعنى الاصــطلاحي المــألوف ، بــل هــو جمع للآيات الواردة في الموضوع من مختلف سور القرآن ،ثم تصنيفها ، والاســتنباط مــنها ، أو التعقيب عليها ، وقد عرفنا منها نموذجا في القديم يتمثل في كتاب (التبيان في أقسام

رآن)للإمام ابن القيم • وأرى والله أعلم أن هذا اللون من التفاسير القرآنية جد نافع ، وخاصة في عصونا ويغنى عنه وجود التفاسير الكاملة للقرآن كله للقرآن على النسق المألوف ، فيصبح على القارئ لموضوعات وان أن يجد الموضوع والآيات القرآنية كلها مجتمعة في مؤلف واحد ، مفسرة مبينة المعاني •

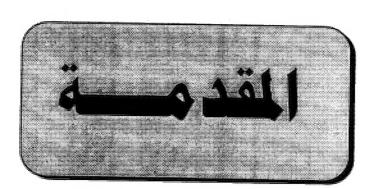
ثانيا _ إن هـذه الدراسة بهذا اللون الجديد تفسح المجال للدارسين في شتى التخصصات ؛ ليحاول كل هم تجلية ما يتعلق باختصاصه من القران ، بصورة أعمق مما لو تناوله غيره .

رابعا - في دراستي اعتماد كلى على كتب التفسير المعتمدة ، رواية ودراية ، بحيث يتم نقل كلام مسرين في كل آية وردت عن التوكل على الله ثم ربط تلك المعاني التفسيرية فيما بينها ليحصل التناسق وهذا انفردت به دراستي •

خامسا _ في دراستي ذكر لمفردات المعايي المرادفة للتوكل وهذا أيضا انفردت به الدراسة • سادسا _ انفردت دراستي بذكر الآثار السلبية للتواكل •

ِ سِــابعا ــ كذلــك انفــردت دراســـتي بذكر الآثار المترتبة على التوكل على الله في بناء الفرد والمجتمع الاحهما .





بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد شنحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لاإله إلا الله وحده لاشريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وجاهد في الله حق جهاده، اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فقد يسر الله تعالى لي الالتحاق بقسم الكتاب والسنة بكلية الدعوة وأصول الدين بمكة المكرمة در اسات عليا لمرحلة الماجستير، ولما كان لابد لكل طالبة بهذا القسم من اختيار موضوع معين للحصول على درجة الماجستير انشرح صدري لاختيار موضوع من موضوعات القرآن، فالقرآن الكريم هو أصل الدين ومنبع الصراط المستقيم، وهو أجل الكتب وخاتمها، فقد أودع فيه – سبحانه – علم كل شيء، فهو أصل العلوم، منه تستمد، وعليه فيها يعتمد.

لذا فقد اهتم علماء الإسلام وحمهم الله بالقرآن العظيم، واعتنوا به فمنهم من الف في تفسيره، ومنهم من الف في رسمه وقراءاته، ومنهم من الف في ناسخه ومنسوخه، ومنهم من الف في أسباب نزوله، ومنهم من الف في استنباط الأحكام منه، ومنهم من الف في أمثاله، ... إلى غير ذلك من العلوم الكثيرة، ولم يتركوا جانبا من علومه إلا تناولوه بالبحث والدراسة ففتح الله لهم من أسرار هذا الكتاب العظيم علوما جمة، ومن هذه العلوم اللون الجديد من تفسير القرآن الكريم موضوعيا، والذي ينتقل الآن في مدارج التكوين، ليأخذ طورا جديدا في وجهته، وطريقة عرضه وبحثه، وفي نوعية الموضوعات التي يثيرها ويستخرجها من القرآن الكريم، وفي الغاية التي يستهدفها، حتى يصبح فنا من فنون التفسير القرآني متميزا عن غيره ليجلي عظمة القرآن ويبرز وجه من وجوه إعجازه وعلى هذا الأساس اخترت موضوع " التوكل على الله في القرآن الكريم دراسة في التفسير الموضوعي" فقد سبق وأن تكلم فيه من المتأخرين والمتقدمين ومن الدراسات الموضوعي" فقد سبق وأن تكلم فيه من المتأخرين والمتقدمين ومن الدراسات الحديثة في هذا الموضوع كتاب عبدالله الدميجي (التوكل على الله وعلاقته



بالأسباب)، كذلك للدكتور سالم القرني في كتابه (التوكل على الله حقيقته ومنزلته وفضله وخصائصه وثمراته)، وكذلك الاستاذه منيره المطلق في رسالتها (التوكل على الله وعلاقته بالأسباب وموقف الطوائف الإسلامية من ذلك).

وقد قمت بعمل در اسة مقارنة للثلاث المواضيع وبين موضوعي (التوكل على الله في القرآن الكريم در اسة في التفسير الموضوعي) حيث أنني وضحت فيه طريقة منهجية المختلفة عنهم، فإن المتتبع للكتب الثلاثة يشعر بالناحية العقدية، أمّا عن در استي فقد أخذت الجانب التفسيري منها، وعلى هذا الأساس وافق عميد كلية الدعوة وأصول الدين على الموضوع.

ومما تجدر الإشارة إليه أن هناك أمورا عدة دفعتني الختيار هذا الموضوع وهي باختصار:

- 1- ما كان من حث وتحفيز من قبل أستاذ التفسير وعلوم القرآن بالقسم سابقا/ عبدالستار فتح الله سعيد.
 - ٢- إعجابي الشديد وحبي لمادة التفسير وعلوم القرآن منذ مرحلة البكالوريوس.
- ٣- افتقار المكتبات الإسلامية إلى موضوعات القرآن بالمقارنة لمواضيع السنة المطهرة.
 - ٤- وفرة مصادر ومراجع مادة التفسير.

أما خطة البحث فيمكن عرضها بإيجاز في الآتي:

قد اقتضى وضع البحث تقسيمه الى مقدمة وتمهيد وفصول سبعة رئيسة:

أولا: المقدمة وتتضمن:

- أ- أسباب اختيار الموضوع.
 - ب. خطة البحث.
 - ج- منهج البحث .

ثانيا: التمهيد ، وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: تعريف التوكل والتواكل لغة واصطلاحا.



المطلب الثاني: موارد التوكل في القرآن والسنة وبيان المراد والمقصود منه. المطلب الثالث: الفرق بين التوكل والتواكل.

المطلب الرابع: فضل التوكل على الله.

المطلب الخامس: آثار التواكل السلبية على الفرد والمجتمع.

ثالثاً: الفصل الأول: التوكل على الله وعلاقته بالإيمان بالله، وفيه: التمهيد وثلاثة مباحث:

المبحث الأول: التوكل على الله جزء من عقيدة المؤمن. المبحث الثاني: التوكل على الله من أعمال القلوب. المبحث الثالث: أحوال المتوكلين.

- الفصل الثاني: التوكل على الله وعلاقته بالجانب الأخلاقي، وفيه: تمهيد ومبحثان:

المبحث الأول: التوكل على الله من أخلاق الأنبياء. المبحث الثاني: التوكل على الله من أخلاق المؤمنين.

- الفصل الثالث: التوكل على الله وعلاقته بالأسباب، وفيه:

تمهيد وخمسة مباحث:

المبحث الأول: أركان التوكل على الله.

المبحث الثاني: التوكل على الله من أسباب النصر.

المبحث الثالث: القدرة والمشيئة والأسباب.

المبحث الرابع: الأعمال التي يعملها العباد في تحقيق التوكل. المبحث الخامس: مجال التوكل على الله.

- الفصل الرابع: بواعث التوكل على الله، وفيه:

تمهيد وأربعة مباحث:



المبحث الأول: رسوخ معاني أسماء الله الحسنى وصفاته في النفس.

المبحث الثاني: حسن ظن المؤمن بربه واعتماده عليه.

المبحث الثالث: استسلام العبد وافتقاره لله سبحانه وتعالى.

المبحث الرابع: حسن جزاء المتوكلين.

- الفصل الخامس: موانع التوكل على الله، وفيه:

تمهيد وخمسة مباحث:

المبحث الأول: الجهل بأسماء الله وصفاته سبحانه.

المبحث الثاني: ضعف اليقين بالله تعالى .

المبحث الثالث: التكبر على آيات الله.

المبحث الرابع: الغرور والعجب بالنفس.

المبحث الخامس: الهوى والشهوات.

- الفصل السادس: ثمرات التوكل على الله، وفيه:

تمهيد وسبعة مباحث:

المبحث الأول: تحقيق الإيمان.

المبحث الثاني: السكينة والثبات.

المبحث الثالث: الأمل والرجاء.

المبحث الرابع: محبة الله تعالى ودخول الجنة بلاحساب.

المبحث الخامس: الرضا والصبر.

المبحث السادس: العزة والقوة.

المبحث السابع: يقي من تسلط الشيطان والسحر والحسد والعين.

المبحث الثامن: كشف الهم والكرب.

المبحث التاسع: يورث الرزق ويجلب المنافع ويدفع المضار. المبحث العاشر: الدخول في كنف وكفاية الله.

المبحث الحادي عشر: الفوز والغلبة.

المبحث الثاني عشر: التسليم بالقضاء والقدر.

- الفصل السابع: التوكل على الله وأثره في تزكية الفرد والمجتمع، وفيه:

تمهيد ومبحثان:

المبحث الأول: أثر التوكل على الله في تزكية الفرد.

المبحث الثاني: أثر التوكل على الله في تزكية المجتمع.

أما منهج البحث فهو كالآتي:

- ١- قمت أو لا بجمع الآيات القرآنية التي فيها لفظ التوكل ومشتقاته، ثم صنفتها وقسمتها إلى عناصر.
 - ٢- وضعت كل آية في مواضعها من العناصر وإن تكررت.
- قمت بتفسير الآيات من كتب التفسير المعتمدة بـ لا تكلف، وضم المعاني المتصلة بالموضوع والعنصر اتصالا وثيقا.
- استشهدت بالأحاديث النبوية إن أمكن لكل عنصر من عناصر الرسالة وأحيانا قد يتكرر الحديث في أكثر من عنصر بحسب الحاجة للاستشهاد به.
 - ٥- قمت بعمل تمهيد لكل فصل من الفصول أبين فيه مجمل مباحث الفصل.
 - ٦- قمت بعزو الآيات إلى سورها مع ذكر رقم الآية .
- ٧- قمت بتخريج الأحاديث من الكتب الميسرة لدي، والمعتمدة فإن كان الحديث في الصحيحين أو في أحدهما اكتفيت بذلك في تخريجه، وإن كان من غير هما بحثت عنه وذكرت تعليقات العلماء عليه إن كان لهم عليه تعليق وإن تكرر الحديث أحلت على ما ذكرت أولا، ولم أشترط على نفسي تخريج ودر اسة الأسانيد للحديث فرحم الله امرأ عرف قدر نفسه.



- ٨- قمت بترجمة الأعلام الذين ورد ذكرهم في الرسالة واستثنيت من الصحابة
 الخلفاء الأربعة والمشاهير رضي الله عنهم-.
- 9- وبالنسبة للأعلام اكتفيت بذكر اسم العلم ولقبه أو كنيته وتاريخ و لادته ووفاته إن وجد في المصادر وبعض أعماله.
 - ١٠ ختمت البحث بخاتمة عرضت فيها نتائج البحث .
- 11- قمت بعمل فهارس للآيات القرآنية وبيان مواضعها مرتبة حسب ترتيبها في القرآن، وكذلك فهرست الأحاديث وبيان مواضعها بحسب ترتيبها الأبجدي، أما فهارس الأعلام فهي مرتبة حسب الترتيب الأبجدي للاسم الأول منها ثم فهرست للمصادر والمراجع مرتبة حسب الترتيب الأبجدي، وفهرست أخيرا الموضوعات التي تضمنتها الرسالة.

إن ديننا الإسلامي الحنيف دين عقيدة وأخلاق شريعة ومعاملة، فقد أمر الحق تبارك وتعالى عباده بالشكر حيث قال: ﴿ فَالَذْ كُرُونِي آَذُكُرُ وَنِي أَذَ كُرُ وَنِي أَذَ كُرُ وَنِي الشَّكُرُ وَاللَّهُ وَالشَّكُرُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ كُرُ وَاللَّهُ عَلَى وَلاَ تَكَفُرُون ﴾ (١).

وقال تعسالى: ﴿ آعْ مَلُواْ ءَالَ دَاوُردَ شُكُرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴾ (٢).

وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَانَ ٱلْحِكْمَةَ أَن ٱشْكُرْ لِلَّهِ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيُّ حَمِيدُ ﴾ (١). يَشْكُرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيُّ حَمِيدُ ﴾ (١). وعلمنا رسولنا الهادي أنه: (من لايشكر الناس لايشكر الله) (٤).

^{(&#}x27;) سورة البقرة، الآية ١٥٢ .

⁽١) سورة سبأ، الآية ١٣.

^{(&}quot;) سورة لقمان، الآية ١٢.

^(*) أخرجه أبوداود في سننه، كتاب الأدب، باب في شكر المعروف، ٢٥٥/٤؛ كما أخرجه الترمذي في كتاب البر والصلة، باب ماجاء في الشكر لمن أحسن إليك، وقال هذا حديث حسن صحيح، واللفظ له، ٣٣٩/٤؛ والإمام أحمد في مسنده من حديث أبي هريرة، ٢٥٨/٢٠.

واعترافا بفضل ذوي الفضل، أقدم جزيل شكري وامتناني اشيخي فضيلة الدكتور/ عبدالحميد الأمين الذي عاش معي البحث بسعة صدر ورحابة نفس، ورعاية أبوية حانية، فكان المربى والموجه، وأعطاني من وقته الثمين الكثير من غير ملل ولاضجر فجزاه الله كل خير ووهبه الصحة والعافية، ونفع بعلمه الإسلام والمسلمين.

و أقدم شكري إلى و الديّ اللذين غرسا فيّ حب العلم و الجد و الاجتهاد ولم يبخلا على بشيء من العطاء، فرحم الله و الدي رحمة و اسعة و أسكنه فسيح جناته مع الصديقين و الشهداء و الأخيار و الأبرار، و أطال الله بقاء و الدتي الحبيبة ومتعها بالصحة و العافية.

كما أتقدم بالشكر، والامتنان، وفائق الاحترام إلى زوجي الكريم، صاحب الفضل أيضاً في تكميل مسيرتي التعليمية فقد بث في العزيمة على مواصلة الطريق، حفظه الله تعالى -.

كما أتقدم بجزيل الشكر الاخوتي وأخواتي وأبناءهم الكرام الذين مدوايد العون والمساعدة لي فأحسن الله إليهم وجزاهم خير الجزاء.

كما أزجي شكري وتقديري لكل من مديد المساعدة من قريب أو بعيد سواءً كان بمشورة أو إعارة كتاب، أو دعا لي دعوة، أو بذل لي جهده في النصح والإرشاد وللقائمين على خدمة العلم وطلابه بجامعة أم القرى وفقهم الله وسدد خطاهم، سائلة المولى القدير أن يجعل عملي خالصاً لوجهه الكريم إنه سميع قريب، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم،

النهميد

المطلب الأول : تعريف التوكل والتواكل لغة واصطلاحا :

أ- التوكل في اللغة: إظهار العجز والاعتماد على الغير (١).

و الوكيل فعيل بمعنى مفعول: الذي يقوم بأمر موكله، وسُمِّيَ وكيلاً لأن موكله به قد وكل إليه القيام بأمره، فهو موكول إليه الأمر (٢).

"والوكيلُ" في أسماء الله هو القيم الكفيل بأرزاق العباد، وحقيقته أنه يستقل بأمر الموكولِ إليه (٦).

وربما فسر الوكيلُ بالكَفيِل، والوكيِلُ أعم لأن كُلَّ كَفِيلٍ وكِيلٌ، وليس كل وكِيلٍ كفيلاً (٤).

فالاسم من توكل: التكلان بضم التاء-: يقال اتكل على فلان في أمره إذا اعتمده (٥)، واتكلت على فلان في أمري إذا اعتمدته (١).

وَوَكُلُ بِاللهِ، وَتُوكُّلُ عليه، واتكل : استسلم إليه (٧).

⁽٢) أبي منصور محمد بن أحمد الأزهري، تهذيب اللغة، تحقيق: عبدالسلام هارون، (ط ١٣٨٤هـ، الدار المصرية للتأليف والنشر)، (٣٧١/١٠).

⁽٣) أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري ، النهاية في غريب الحديث والأثر ، تحقيق: طاهر الزاوي ، ومحمود الطناحي ، (تط ١٣٨٣هـ، المكتبة الإسلامية)، (٢٢١/٥) مادة وكل,

⁽٤) الراغب الأصفهاني، معجم مفردات ألفاظ القرآن، (دار الفكر بدون تط) ص٥٦٩.

⁽٥) محمد بن أبي بكر الرازي، المصدر السابق، ص٧٣٤.

⁽٦) أبي الفضل جمال الدين ابن منظور، لسان العرب، (تط الثالثة ١٤١٤هـ، بيروت، دار صادر)، (٧٣٦/١١).

⁽Y) المصدر نفسه، (١١/٢٣٤).

ووَكَلَ بِاللهَ يَكِلُ وتَوكَّلُ على الله وأَوْكُلُ واتَّكُلُ: استسلم إليه، ووَكُلُ إليه الأمر وكُلُ اليه الأمر وكُلُ وكُلُ، محزَّكة ، ووُكُلُة وتُكُلُة ، كَهُمَرُة (١). كَهُمَرُة (١).

و المتوكل على الله: الذي يعلم أن الله كافل رزقه وأمره، فيركن إليه وحده ولايتوكل على غيره (٢).

ب _ التوكل في الاصطلاح:

عرف التوكل على الله بتعاريف عديدة منها.

عرفه الإمام أحمد (٦) بقوله " التوكل: عمل القلب "(٤).

وعرفه الإمام ابن القيم^(٥) بأنه "تسليم الأمر إلى من هو بيده، والاعتماد على قيامه بالأمر والاستغناء بفعله عن فعلك"^(٦)، وعرفه كذلك بالاستعانة.

وعرفه سهل التستري(Y) بأنه "الاسترسال مع الله تعالى على مايريد"(A).

⁽١) الأصفهاني، المصدر السابق، ٥٦٩.

⁽٢) ابن منظور، المصدر السابق، (١١/٧٣٤).

⁽٣) هو الإمام أحمد أبو عبدالله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، ولد سلة ١٦٤هـ، توفي ١٤١هـ، توفي ١٢٤هـ، انظر: لابن كثير، البداية والنهاية (٢٠/٥/١٠)؛ ولابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب (٩٦/٢).

⁽٤) ابن القيم، مدارج السالكين من منازل إياك نعبد وإياك نستعين (بيروت، دار الكتب العلمية، تط ٨٠٤ هـ)، (٢ /١١٤).

⁽٥) هو شمس الدين محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية، ولد سنة ١٩٦ه، توفي سنة ٧٥١ه... انظر: لابن رجب الحنبلي، ذيل طبقات الحنابلة، (٤٤٧/٢) ترجمة ٤٥٢.

⁽٦) المصدر السابق، (٢ /١٢٦).

 ⁽٧) هو سهل بن عبدالله بن يونس النستري، أحد أئمة الصوفية وعلمائها ومتكلميها، ولـــد عــام
 ٢٠٠هــ وتوفي ٢٨٣هــ.

انظر: محمد السلمي، طبقات الصوفية، (مصر: مطبعة دار التاليف بدون ت) ص٢٠٦. وانظر: الزركلي، الأعلام، (بيروت، دار العلم للملايين)، (١٤٣/٣).

⁽٨) صحيح مسلم بشرح النووي (القاهرة: دار الريان للتراث، تط ٤٠٧هـ) (٩٢/٣).

وقال الغز الي(1) "التوكل عبارة عن اعتماد القلب على الوكيل وحده "(7). وقيل التوكل "الاكتفاء بالله تعالى مع الاعتماد عليه "(7).

وقيل التوكل "وثوقك بالمضمون واستبدالك الحركة بالسكون"(٤).

وقيل هو طرح البدن في العبودية، وتعلق القلب بالربوبية، والطمأنينة إلى الكفاية فإن أعطى شكر، وإن منع صبر.

وقال أبو سعيد الخراز (°): هو اضطراب بـ لا سكون ، وسكون بـ لا اضطراب "(¹).

وبهذا يكون التعريف فيما اطلعت عليه هو ما قالمه ابن رجب الحنبلي ($^{(\vee)}$: "هو صدق اعتماد القلب على الله عز وجل في استجلاب المصالح ودفع المضار من أمور الدنيا و الآخرة، وكلت الأمور كلها إليه، وتحقيق الإيمان بأنه لا يعطي و لا يمنع و لا يضر و لا ينفع سو اه"($^{(\wedge)}$.

(۱) هو: محمد أبوحامد الطوسي الغزالي، ولد سنة ٢٥٠هـ، توفي سنة ٥٠٥هـ، مــن كبـار فقهاء الشافعية.

انظر: لابن كثير، البداية والنهاية (١٧٣/١٢)؛ ولابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، (٢٥٣/٣).

- (٢) إحياء علوم الدين (القاهرة: دار الشعب، كتاب الشعب)، (٤٠/٤).
 - (٣) صحيح مسلم بشرح النووي، (٩٢/٣).
- (٤) محمد بن علان الأشعري المالكي، دليل الفالحين شرح رياض الصالحين (مصر: مطابع مكتبة الحلبي)، (٢٥٦/١).
 - (°) هو: أحمد بن عيسى البغدادي، توفي سنة ٢٨٦هـ. انظر: للسلمي، طبقات الصوفية، ص٢٢٨، ٢٣٢.
 - (٦) ابن القيم، مدارج السالكين، (١١٥/٢).
- (٧) هو: زين الدين أبي الفرج عبدالرحمن الحنبلي، توفي سنة ٧٩٥هـ. انظر: ذيل طبقات الحنابلة، (١/١).
- (٨) ابن رجب الحنبلي ، جامع العلوم والحكم ، (عمان : مكتبة الرسالة الحديثة) ، ص ٤٠٩.



وهناك تعريف آخر جامع هو: "الثقة بما عند الله واليأس بما في أيدي الناس"(١).

ولعل أصح التعاريف هو أنه "معنى يلتئم من علم العبد بكفاية الله وحسن اختياره لعبده وثقته به ورضاه بما يفعله ويختاره له"(٢). أو: "هو حال للقلوب ينشأ عن معرفته بالله، و الإيمان بتفرده بالخلق و التدبير، و الضر و النفع، و العطاء و المنع، و أنه ماشاء كان ومالم يشأ لم يكن، فيوجب له اعتمادا عليه وتفويضا إليه وطمأنينة به و ثقة به، ويقينا بكفايته لما توكل عليه فيه"(٢).

وهكذا نرى أن التعريفات في ظاهرها الاختلاف وذلك لأن:

- أحوال وأعمال القلوب يصعب إنضباطها بحد وحصرها بألفاظ لذلك قال الغز الي (٤) عن التوكل "... غامض من حيث المعنى. شاق من حيث العمل "(٥).
- أنهم لم يقصدوا بهذه التعريفات حقيقة التعريف الإصطلاحية وإنما قصدوا بيان أهمية هذه الخصلة أو مراعاة ظروف القائل أو المستمع.
- ولذلك جاءت تفسير اتهم وكأن في ظاهرها شيئا من التغاير والإختلاف وهي في حقيقتها أجزاء من المعنى الكلي للتوكل أو من لوازمه و آثاره.

ج _ تعريف التواكل لغة:

يقال رجل وَكُلُ بالتحريك ووكله مثل همزه وتكلة على البدل، ومواكلُ عاجز كثير الاتكال على غيره.

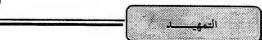
⁽١) الجرجاني، التعريفات، (بيروت: دار الكتب العلمية، تط ٤٠٣ هـ)، ص٧٤ .

⁽۲) ابن القیم، الفوائد، تخریج وحواشی أحمد راتب عرموش، (تط ۲۰۶ هـ، بیروت، دار النفائس)، ص ۹۲.

⁽٣) ابن القيم، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تحقيق: محمد الفقي، (تط الثانية ١٣٩٣هـ)، (٨٢/١) بتصرف؛ وانظر لأحمد المقريزي، تجريد التوحيد (مكتبة السلام العالمية) ص٨٢٠.

⁽٤) سبقت ترجمته، ص ۱۰.

⁽٥) الإمام الغزالي، كتاب التوحيد والتوكل، تهذيب وتعليق زهير الكبي، دار الفكر العربي، (تـط ١٩٩١م)، ص ١٠.



يقال وَكُلُهُ أي عاجز بكل أمره إلى غيره ويتكل عليه.

ووكل فلان فلانا إذا استكفاه أمره ثقة بكفايته أو عجزا عن القيام بأمر نفسه.

والوَكُلُ والوُكلُ : البليد الجبان، وقيل العاجز الذي يكمل أمره إلى غيره، ويقال اتكل عليك فلان وأوكل عليك فلان بمعنى واحد.

ورجل و كُله إذا كان يكل أمره إلى الناس.

و واكلت فلانا مواكله إذا اتكلت عليه واتكل هو عليك، وتواكل القوم مواكله ووكالا: اتكل بعضهم على بعض .

ويقال رجل وُكُلُهُ إذا كثر منه الاتكال على غيره منهي عنه لما فيه من التنافر والتقاطع^(۱).

وبهذا فإن التواكل لايقره الإسلام ولايرضاه لما فيه من الإهمال وعدم البذل والاتكال على الغير.

د _ وتعريف التواكل اصطلاحا:

هو ترك الأسباب وعدم بذلها والعجز عنها، وهذا المعنى مأخوذ من حديث رسول الله لمعاذ بن جبل حقيد - حين قال له " بامعاذ، أتدري ماحق الله على العباد وماحق العباد على الله؟" قال معاذ قلت: الله ورسوله أعلم. قال: "فإن حق الله على العباد أن يعبدوه ولايشركوا به شيئا، وحق العباد على الله عز وجل ألا يعذب من لايشركبه شيئا"، قال: قلت يارسول الله أفلا أبشر الناس؟ قال "لاتبشرهم فيتكلوا" (٢)، وهنا يضع الرسول الله أصلا ثابتا هو أن كل مايؤدي إلى ترك العمل أو مايكون مظنة للاتكال أو التواكل ليس من التوكل في شيء.

⁽١) ابن منظور، لسان العرب، (١١/٧٣٤، ٧٣٥، ٧٣٦).

⁽٢) مسلم، (٩/١) (٣٠)، كتاب الإيمان.

المطلب الثاني : موارد التوكل في القرآن والسنة وبيان المراد والمقصود منه:

إن القرآن الكريم فيه من علم الوجوه والنظائر الكثير فهو علم يبحث في بعض الفاظ القرآن الكريم ويوضح ماورد في اكثر من آية، وكانت دلالته على معناه في واحد منها غير معناه في الآية الأخرى التي ورد فيها(١).

فلقد ورد لفظ التوكل على الله تعالى في القرآن الكريم في مواضع كثيرة وبأساليب مختلفة من أمر به وثناء على أهله وحسن عاقبتهم ومعونة الله للمؤمنين، وغير ذلك من أساليب.

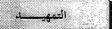
لهذا العلم أهميته في التفسير والتعبير عن المعنى الواحد بأساليب متعددة و الفاظ مختلفة حسب مايقتضيه الحال، والقرآن هو النواة الأولى للعلوم الشرعية فهو فسيح المجال للنظر والفكر الواسع في رياضه الفسيحة وماهذا إلا من بلاغة القرآن وفصاحته وبيانه المعجز.

قال تعالى: ﴿ فَهِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمُّ وَلَوْ كُنتَ فَظًا عَلِيظً الْقَلْبِ لِٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعَفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرَهُمْ فَالْقَلْبِ لِآنفَضُواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعَفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرَهُمْ فِي ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ فِي اللَّهِ إِنَّ ٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُتَوكِلِينَ فِي اللَّهِ أِنَّ ٱللَّهُ فَا لَمَ وَكُلِينَ فَي اللهِ إِنَّ اللهِ فَالْمَتُوكِلِينَ فَي اللهِ فَالْمَتَوَكِلِينَ فَي اللهِ فَالْمَتُوكِلِينَ فَي مَنْ بَعْدِهِ وَعَلَى ٱللهِ فَلْيَتَوَكَّلُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿ اللهِ اللهِ فَلْيَتَوَكَّلُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿ اللهِ فَالْمَتَوَكُلُ اللهُ فَمِنُونَ اللهِ اللهِ فَالْمَتَوَكُلُ اللهِ فَالْمَوْمِنُونَ اللهِ اللهِ اللهُ فَاللهِ فَالْمَتَوَكُلُ اللهُ فَاللهِ فَالْمَتُونَ اللهِ اللهِ اللهُ فَاللهِ فَاللّهُ فَالَمُ فَاللّهُ فَ

ففي الآيتين الأمر محمول على الوجوب في التوكل على الله وحده وجعله شرطا للإيمان، فالآيتين وإن كانت أمر في التوكل على الله تعالى فقد تضمنت كذلك معنى الثناء على المتوكلين وحسن عاقبتهم من وعد الله تعالى بنصر هم ورضا الله

⁽۱) انظر: السيوطي بتصرف، الاتقان في علوم القرآن، قدم له وعلق عليه محمد شريف سكر وراجعه مصطفي القصاص (بيروت:دارإحياءالعلوم،تبط الثالثة ١٤١٦هـــ) (٣٨١/١)؛ انظر للزركشي بتصرف، البرهان في علوم القرآن، (بيروت: دار الفكر، تبط الثالثة)، (١٠٢/١).

⁽٢) سورة آل عمران، آية ١٥٩-١٦٠.



تعالى عليهم بمحبته سبحانه ومن أحبه الله عصمه الله(١).

كذلك ورد التوكل بألفاظ أخرى منها على سبيل الاقتصار:

قال تعالى: ﴿ قَالَ رَجُلُانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱلْجُكُمُ عَلَيْهِمَا ٱلْبُونَ وَعَلَى ٱللَّهِ ٱلْجَابُ وَعَلَى ٱللَّهِ فَا إِنَّكُمْ غَلِبُونَ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُواْ إِنَ كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ (٢).

وقال تعالى: ﴿ ٱلَّذَينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَاخْ شَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴾ (٢).

وقال تعالى: ﴿ وَيَقُولُونَ طَاعَةُ فَاذَا بَرَزُواْ مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَآمِنَ مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَآمِنَ مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَآمِنَ مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَآمِنَ مُ مَنْ مُ مَنْ مُ مَا يُبَيِّدُونَ فَأَعْرِضَ عَنْهُمْ وَلَا مُ كَنْهُمْ وَكَنْهُمْ وَكَنْهُمْ وَكَيْلًا ﴾ ('').

وقال تعالى: ﴿ قَدْ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّلْنَا ٱللّهُ مِنْهَا ۚ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَاۤ إِلَّاۤ أَن يَشَآءَ ٱللّهُ رَبُّنَا ۗ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى ٱللّهِ تَوَكَّلُنَا رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَاتِحِينَ ﴾ (٥).

ففي معرض الحديث عن التوكل نجد أنه لفظ قرآني له الفاظ ترادفه منها:

⁽۱) انظر: لمحمد بن أحمد الكلبي بتصرف، التسهيل في علوم التنزيل، (بيروت، دار الكتاب العربي، تط الرابعة ۱۶۰۳هـ) ص۱۲۲ وانظر: لمحمد رشيد رضا بتصرف، تفسير المنار (بيروت: دار الفكر، الطبعة الثانية)، (۲۰۰/٤).

⁽٢) سورة المائدة، آية ٢٣.

⁽٣) سورة آل عمران، آية ١٧٣.

⁽٤) سورة النساء، آية ٨١.

⁽٥) سورة الأعراف، آية ٨٩.



١- الاستعانة بالله:

وهي طلب العون(١).

يقول ابن تيمية (۱): "والتوكل والاستعانة للعبد هي الوسيلة والطريق الذي ينال به مقصوده ومطلوبه من العبادة، فإن العبد يحب ويريد مايراه ملائما له، والله تعالى يحب ويرضى ماهو الغاية من المقصودة في رضاه، ويحب الوسيلة تبعا لذلك، وإلا فكل مأمور به، فمنفعته عائدة على العبد، وكل ذلك يحبه الله ويرضاه"(۱).

فالمؤمن يقصد الأمر ويستعين بشيء، ويعتمد عليه في تحصيل مراده والمستعان هذا قسمان:

القسم الأول: مايستعين به المرء لنفسه فيكون هو الغاية التي يعتمد عليها العبد ويتوكل عليها .

القسم الثاني: هو أن المرء يثق ويعتمد على المستعين في نيل مراده سواء كان ذلك هو الله أم غيره، فإذا كان المستعان به هو الله فمن هنا يأتي صلاح العبد والاستعانة بغيره هو الهلاك والفساد.

وقد سوى ابن القيم بين التوكل والاستعانة فقال "التوكل نصف الدين، والنصف الثاني الإنابة، فإن الدين استعانة وعبادة، فالتوكل هو الاستعانة والإنابة هي العبادة"(٤).

قال تعالى: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينَ ﴾ (٥).

فالله تعالى يأمر بإخلاص العبادة له وأن نستعين به على الأمور كلها لأن العبادة له هي المقصودة والاستعانة وسيلة إليها^(٦).

⁽۱) ابن منظور، لسان العرب، ٥/٣١٧٩.

⁽٢) أحمد بن عبدالحليم بن تيمية، تقي الدين، أبو العباس، لقب بشيخ الإسلام لوافر وواسع علمه، توفي سنة ٧٢٨هـ؛ انظر: وفات الوفيات، (٦٢/١).

⁽٣) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، (طبعة الرئاسة العامة للحرمين) (٢٠/١).

⁽٤) ابن القيم، مدارج السالكين، ج٢، ص١١٨.

⁽٥) سورة الفاتحة، آية ٥.

⁽٦) انظر: ابن كثير بتصرف، تفسير القرآن العظيم، (بيروت: دار الفكر، تط ٢٠٨هـ)، (٢/١).

فالآية الكريمة فيها " اعترافا بالعجز والفقر وأنا لانستعين إلا بالله وحده أي نطلب العون منك على العبادة وعلى جميع أمورنا"(١).

فالآية الكريمة في ظاهرها لاتحمل معنى التوكل على الله تعالى ولكن إذا نظرنا لمعنى (نعبد) فالعبادة: "هي اسم جامع لكل مايحبه الله ويرضاه منه الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة، فالصلاة، والزكاة، والصيام والحج... وكذلك حب الله ورسوله، وخشيته والإنابة إليه، وإخلاص الدين له، ... والرضى بقضائه، والتوكل عليه، والرجاء لرحمته، والخوف من عذابه، وأمثال ذلك: هي من العبادة لله"(٢).

فعلى الخلق أن يعبدوه فيطيعوا أمره، ويستعينوا به، فيجتهدون في إقامة الدينن مستعينين به، فهذا حال المؤمنين بالله ورسوله العابدين لله وكل ذلك من العبادة.

وقوله تعالى: ﴿ وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوْةَ وَإِنَّهَا لَكَبِيرةً إِلَّا عَلَى ٱلْخَلشِعِينَ ﴾ (٢).

وقول عسالى: ﴿ يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلوٰةِ إِنَّ اللَّهُ مَعَ ٱلصَّبِرِينَ ﴾(1).

وقول تع الى: ﴿ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصۡبِرُوٓا ۗ إِنَّ اللَّهِ وَٱصۡبِرُوٓا ۗ إِنَّ اللَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَ ادِهِ - وَٱلْعَلْقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (٥).

فالله تعالى أمر المؤمنين بالاستعانة على أمورهم الدنيوية ... فالصبر هو المعونة العظيمة على كل أمر، فلاسبيل لغير الصابر، أن يدرك مطلوبه، وخصوصا

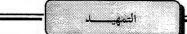
⁽١) الكلبي، التسهيل لعلوم التنزيل، ص٣٣.

⁽٢) ابن تيمية، العبودية، (بيروت: المكتب الإسلامي، تط الخامسة ١٣٩٩هـ)، ص٣٨.

⁽٣) سورة البقرة، آية ٤٥.

⁽٤) سورة البقرة، آية ١٥٣.

⁽٥) سورة الأعراف، آية ١٢٨.



الطاعات الشاقة ... والبلاء إن استمر فهذا تصفق معه القوى النفسانية والجسدية، ويوجد مقتضاها، وهو التسخط إن لم يقاومها صاحبها بالصبر الله، والتوكل عليه،

فالعبد المؤمن يفعل من الأسباب مايستطيع عند العجز، ويصبر ويستعين بالله تعالى ويتوكل عليه.

فالآيات القر آنية كلها فيها معنى "مسألتهم الله المعونة على العبادة"(٢).

وفي التوكل معنى المعونة بعد بذل السعى والعمل في تحقيق أمر العبادة.

وفي الحديث عن أبي هريرة - الله عن النبي - الله الدين أحد إلا غلبه فسددوا وقاربوا وأبشروا، واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة "(").

إن الأعمال الصالحة من الإيمان فالمرء يجتهد فيها حسب استطاعته فما من عمل يقوم به المؤمن إلا وطلب الله المعونة فيه حتى لايجهد نفسه بحيث يعجز وينقطع بل يعمل بتلطف وتدريج ليدوم العمل ولاينقطع.

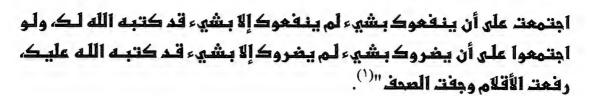
ففي الحديث معنى السعي والعمل مع طلب المعونة من الله تعالى في جميع الأوقات والأحوال.

وعن عبدالله بن عباس - رضي الله عنهما - قال: كنت خلف رسول الله - على الله عنهما - قال: "باغلام إنى أعلمك كلمات: احفظ الله بحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو

⁽۱) انظر: لعبدالرحمن السعدي بتصرف، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، حققه محمد النجار، (بيروت: عالم الكتب، تط الثانية ١٤١٤هـ)، (١٣١/٣١-١٣٢).

⁽٢) ابن جرير الطبري، جامع البيان في تفسير آي القرآن، هذبه وحققه وضبطه وعلق عليه بشار معروف - عصام الحرستاني، (بيروت: مؤسسة الرسالة، تط الأولى ١٤١٥هـ)، (٧٠/١).

⁽٣) الفتح لابن حجر العسقلاني، حققه ابن باز، رتبه ورقم أحاديثه: محمد فواد عبدالباقي، (بيروت: دار الكتب، تط الأولى ١٤١٠هـ)، (١٢٧/١) .



وعن أبي هريرة حقه - قال: قال رسول الله - المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير، احرص على ماينفعك واستعن بالله ولا تعجز وإن أصابك شيء فلا تقل لو أنى فعلت كان كذا وكذا ولكن قل: قدر الله وماشاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان "(٢).

فحفظ الله الوقوف عند أو امره بالإمتثال وعند نو اهيه بالإجتناب فمن فعل ذلك فهو من الحافظين لحدود الله فحفظ الجوارح عن المعاصىي وتركها في الطاعات أمر محبوب ومأمور به فيجد المؤمن بذلك الله في كل أحو اله حيث توجه و انطلق يحوطه بعلمه وينصره ويسدد خطاه، فالحرص على ماينفع من الأعمال هو الأولى وهو طاعة شه ولرسوله

فأحاديث الرسول تؤيد معنى التوكل على الله ألا وهو الاستعانة به سبحانه فالمؤمن يحتاج الى الله وهو فقير إليه، وهذا هو المقصود.

والاستعانة بالله والتوكل عليه سبحانه وسيلة إلى الاحتياج وعبادة الله فالشعور بالقوة وثقة الصلة بالله تعالى هي نتائج الاستعانة والتوكل على الله.

٢- الاعتصام:

إن الاعتصام بالشيء هو الاستمساك به، والاعتصام بالله تعالى هو الاستمساك بحبله المتين (٣).

فإن الاستمساك بحبل الله يمنع المرء المؤمن من الضياع ومن الوقوع في السوء والبدعة والآفات في العمل.

⁽۱) الترمذي (۲۵۱٦) واللفظ له، وقال هذا حديث حسن صحيح، أحمد فيي المسند، ۲۹۳/، ۳۰۳، وقال الشيخ أحمد شاكر: إسناده صحيح، ۲۹۲/، ۲۰۷، ح (۲۷۲۳).

⁽۲) مسلم (۲/۲۰۰۲)، ح(۲۲۲۲) كتاب القدر .

⁽٣) أحمد بن فارس، مقاييس اللغة، تحقيق عبدالسلام هارون، (القاهرة، تط ١٩٦٩م)، ص ٣٣١.

"الاعتصام بالله هو التوكل عليه و الامتناع به و الاحتماء به وسؤاله أن يحمي العبد ويمنعه، ويعصمه ويدفع عنه"(١).

قال تعالى: ﴿ وَكَيْفَ تَكَفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتَلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَاتُ ٱللهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللهِ فَقَدْ هُدِى إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ (٢).

وقوله تعالى: ﴿ وَآعْتَصِمُواْ بَحَبْلِ ٱللّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ وَآذَكُرُواْ نِعْمَتِهِ وَقَلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ نِعْمَتِهِ وَقَلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْهَا اللّهُ عَلَيْ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَالِكَ يُبَيّنُ النّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَالِكَ يُبَيّنُ النّادِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَالِكَ يُبَيّنُ اللّهُ لَكُمْ ءَاينتِهِ لَعَلّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ (٣).

ففي الآيتين حض على الاستمساك بالدين الحق الذي بينه سبحانه بآياته على لسان رسوله على وهو الإسلام والتوحيد (٤).

وقد قال ابن الجوزي^(°) في تفسيره للآية أن سبب نزولها أن الأوس والخزرج كان بينهما حرب في الجاهلية، فلما جاء النبي في أطفأ تلك الحرب بالإسلام ... فالاعتصام الاستمساك بحبل الله وفي الحبل: ستة أقوال هي:

٢- الجماعة. ٣- دين الله.

١ - كتاب الله.

٥- الإخلاص. ٦- أمر الله وطاعته

٤ - عهد الله .

فيظهر أن الأقوال كلها متقاربة المعنى لأن كتاب الله فيه الحث على الترك

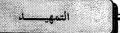
ابن القيم، مدارج السالكين، (١/٥٩٥ - ٤٩٧).

⁽٢) سورة آل عمران، آية ١٠١.

⁽٣) سورة آل عمران، آية ١٠٣.

⁽٤) أبوالسعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، (بيروت: دار الفكر)، (٣٩٣/١).

⁽٥) ابن الجوزي: أبو الفرج ابن أبي الحسن بن علي بن محمد بن علي بن عبدالله الجوزي الفقيه الحنبلي، ولد سنة ١١٥ أو ١١٦، توفي سنة ١٩٥هه؛ انظر: لابن كثير، البداية والنهايه، (٣٢١/٢)؛ ولابن خلكان، وفيات الأعيان، (٣٢١/٢).



بالجماعة وبدين الله وبعهده وبالإخلاص وبأمر الله وطاعته... (١).

ومع هذا فالاعتصام بالله والتوكل عليه هو العمدة في الهداية، والعدة في مباعدة الغواية، والوسيلة إلى الرشاد، وطريق السداد وحصول المراد^(٢).

وقول تعسالى: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَٱعْتَصَمُواْ بِٱللَّهِ وَٱخْتَصَمُواْ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُواْ دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُوْلَتَ بِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (٣).

فالآية السابقة فيها أن العبد المؤمن عليه أن يتجرد عن الشوائب قليلها وكثيرها لأن الشيطان قد يحاصر العبد ويحبط له عمله و لايكاد يخلص له عمل فدلت الاية على ان تبديل الرياء بالإخلاص يدخل صاحبه في الصلاح.

وقوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَآعْتَصَمُواْ بِهِ عَصَمُواْ بِهِ عَسَدَ خِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنَهُ وَفَضْلِ وَيَهَدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴾('').

فالاعتصام التمسك بما يعصم ويحفظ ... وهو القرآن الموصل إلى سعادة الدنيا والآخرة (٥).

قال ابن كثير في تفسيره للآية "أي جمعوا بين مقامي العبادة والتوكل على الله في جميع أمورهم، وقال ابن جريج: آمنوا بالله واعتصموا بالقرآن ... وهذه صفة

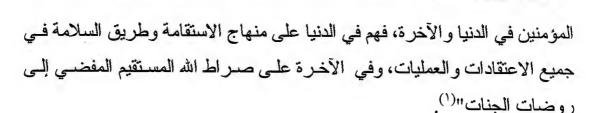
⁽۱) ابن الجوزي بتصرف، زاد المسير في علم التفسير، (بيروت: المكتب الإسلامي، تط الثالثة ٤٠٤هـ)، (٢١/١١).

⁽٢) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (بيروت: دار الفكر – تط ٤٠٨هــ)، (١٩٧١).

⁽٣) سورة النساء، آية ١٤٦.

 ⁽٤) سورة النساء، آية ١٧٥.

⁽٥) انظر: المراغي، تفسير المراغي، (بيروت: دار الفكر)، (٢٧/٢).



فالآيات جميعها فيها معنى التوكل على الله، وذلك بالاحتماء به وسواله سبحانه بدفع الأفات والعقبات عن الطريق للوصول إلى الغاية والمراد.

وفي الحديث عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: إن رسول الله مكث تسع سنين لم يحج، ثم أذن في الناس في العاشرة: أن رسول الله عنه - حاج ... الحديث وفيه "وقد تركت فيكم مالن تضلوا بعده إن اعتصمتم به كتاب الله ... "(۲).

وعن سفيان بن عبدالله الثقفي - الله على: قلت: يارسول الله: حدثني بأمر اعتصم به، قال: " قل ربب الله ثم استقم" قلت: يارسول الله ما أخوف ما تخاف علي؟ فأخذ بلسان نفسه ثم قال: "هذا "(").

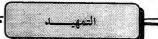
وهنا يرد سؤال هل الاعتصام بكتاب الله فيه توكل على الله أو فيه معنى التوكل؟ نعم إن القرآن الكريم شامل للعقيدة والعبادة، والمعاملة، فآيات الله تتلى فتطرق القلب حتى يسلم ويستسلم قلبه ونفسه لأو امر الله تعالى ونهيه، فكما أشرنا سابقا أن القرآن هو حبل الله المتين، وبذلك يستقيم حال المؤمن فيمسك أو امر الله تعالى ويمتثل لها ويجتنب نو اهيه وعلى ذلك فالتمسك بكتاب الله من الاعتقادات والأعمال والأقوال هو الأساس وجميعهم يحتاج إلى التوكل.

فالاعتصام يوجب القيام بطاعة الله والمحافظة على طاعته ورسوله - على -.

⁽۱) ابن کثیر، المصدر السابق، (۹۰۲/۱).

⁽٢) مسلم، (٢/ ٨٩٠)، (١٢١٨) كتاب الحج .

⁽٣) الترمذي (٢٥٢٢) وقال: حديث حسن صحيح، وابن ماجه (٣٩٧٢) وصحصه الألباني، صحيح سنن ابن ماجه، (٣٠٠٨).



٣- الرجاء:

" تعلق القلب بحصول محبوب في المستقبل"(١)، وهذا التعلق يحتاج إلى عمل والعمل يحتاج إلى توكل على الله.

فالرجاء يسلك بصاحبه لطريق الجد وإمكان الوقوع للمتأمل فيه ولولا الرجاء لما تحركت الجوارح للعمل بالطاعة .

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِيرِ . وَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَهْدُواْ فِي سَبِيلِ اللهِ أُوْلَةِ مُ وَاللهُ عَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (٢).

وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَهِنُواْ فِي آبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ إِن تَكُونُواْ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمُ اللَّهُ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَيمًا حَكِيمًا ﴾ (الله عَلَيمًا حَكِيمًا ﴾ (الله عَليمًا حَكيمًا الله الله عَليمًا حَكيمًا الله الله عَليمًا حَكيمًا الله الله عَليمًا حَكيمًا الله الله عَليمًا عَلَيمًا الله الله الله عَليمًا عَلَيْهُ اللهُ عَلَيمًا اللهُ اللهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ اللهُ عَلَيْهُ اللهُ عَلَيْهُ عَالْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ

وقَالَ تعالى: ﴿ أُوْلَلَكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ اللهِ عَذَابَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ وَإِلَىٰ رَبِّهِمُ اللهِ عَذَابَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ وَيَعَالَبُهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ وَيَعَالَمُ عَنْ عَذَابَهُ وَيَعَالَى عَنْ اللهُ وَيَعْمَلُونَ اللهِ اللهِ عَنْ اللهُ عَلَيْهُ وَيَا اللهُ عَلَيْهُ وَيَعْمَالُهُ وَيَعْمَلُونَ اللهُ وَيَعْمَلُونَ عَنْ اللهُ عَلَيْهُ وَلَا اللهُ عَلَيْهُ وَلَا اللهُ عَلَيْهُ وَلَا اللهُ وَاللّهُ وَاللّهُ عَلَيْهُ وَلَا اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ عَلَيْهُ اللّهُ اللللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الل

فالآيات القرآنية السابقة دلت على أن القيام بأعمال الهجرة والجهاد وغيرها من الأعمال وبذل الأسباب لتقربهم إلى الله، ومع هذا فلايعتمد على تلك الأعمال والأسباب ويعول عليها بل رجاء رحمة الله ورجاء قبول الأعمال فيها إظهار لمعنى العبودية بالتوكل على الله وبالفاقة والحاجة إلى مايرجوه العبد من ربه وفيها أيضا معنى الترقب والتوقع لفضل اله بعد العمل ودوام الالتفات إليه (٥).

⁽١) الجرجاني، التعريفات، ص١٠٩.

⁽٢) سورة البقرة، آية ٢١٨.

⁽٣) سورة النساء، آية ١٠٤.

⁽٤) سورة الإسراء، آية ٥٧.

⁽٥) انظر: لعبدالرحمن السعدي بتصرف، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كالم المنان، (١٩٦/١ - ٨٩/٢).

وفي الحديث عن أبي هريرة - أن النبي قال لبلال عند صلاة الفجر: "يابلال حدثني بأرجى عمل عملته في الإسلام فإني سمعت دف نعليك بين يدي في الجنة" قال: ما عملت عملا أرجى عند من أني لم أتطمر طمورا في ساعة ليل أو نمار إلا طيت بذلك الطمور ماكتب لي أن أطلي "(').

إن الصلاة من الأعمال الصالحة التي يرجو بها العبد دخول الجنة إن أحسنها وقام بأركانها وشروطها ويرجو الله بها حصول المراد والمحبوب.

وعن أنس - الله على أن النبي الله الله الله الله والله والله

فالرجاء عمل قلبي و التوكل كذلك فكلاهما من القلب وبذلك يتصلان إتصالا و ثيقا و لاينفكان أبدا.

فالحديثان يظهر ان معنى من معاني التوكل، وهو الرجاء الذي يطيب العمل ويزيد معرفة العبد بالله ويزيد التعلق به سبحانه.

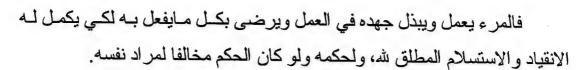
٤- الرضا:

إن الرضا هو أن لايكره العبد مايجريه القضاء عليه ويرفع الجزع عن نفسه عند نزول مر القضاء (٢).

⁽١) البخاري، الفتح ، ج٣ (١١٤٩).

⁽٢) الترمذي (٩٨٣) وقال: هذا حديث حسن غريب، وقال النووي إسناده جيد.

⁽٣) انظر: الراغب الأصفهاني بتصرف، مفسردات ألفاظ القرآن، ص٢٠٢؛ وللجرجاني، التعريفات، ص١٤٨.



قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفُ بِٱلْعِبَادِ ﴾ (١).

إن الآية الكريمة " نزلت في صهيب بن سنان الرومي وذلك أنه لما أسلم بمكة وأراد الهجرة، منعه الناس أن يهاجر بماله، وإن أحب أن يتجرد منه ويهاجر فعل فتخلص منه وأعطاهم ماله، فأنزل الله هذه الآية، فتلقاه عمر بن الخطاب وجماعة إلى الحرة، فقالوا له: ربح البيع، فقال وأنتم فلا أخسر الله تجارتكم وماذاك؟ فأخبروه أن الله أنزل فيه هذه الآية"(٢).

فهذا الصحابي الجليل تجرد من ماله وهاجر إلى رسوله الكريم خانفا على دينه وقد فعل مافعل وهو في رضا تام لأنه يعلم أن الله تعالى لايضيع ذلك أبدا فشرى نفسه ابتغاء مرضاة ربه وتوكل عليه ليعينه على كفار قريش.

وقال تعالى: ﴿ لاَّ خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجُولِهُمْ إلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدُقَة أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصَلَاحٍ بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَالِكَ ٱبْتَعْاءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفُ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (7).

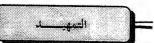
وقَالُ تعالَى: ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَاجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَا لِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضَلَا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضُوانَا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ وَأُولَيِكَ هُمُ ٱلصَّلِقُونَ ﴾ (أ).

سورة البقرة، آية ۲۰۷.

⁽٢) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (١/٣٧٠).

⁽٣) سورة النساء، آية ١١٤.

⁽٤) سورة الحشر، آية ٨.



وقال تعالى: ﴿ تُرْجِى مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُكُوىَ الَيْكَ مَن تَشَآءُ وَمَنِ اللَّهُ وَمَنِ اللَّهُ مَنْ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلاَ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ فَكَانَ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ﴾ (١).

إن الأعمال ينبغي أن يقصد بها وجه الله تعالى، وإخلاص النية له فيها ليحصل الأجر العظيم ويتعود المؤمن الإخلاص في كل جزء من أجزاء الأعمال صغيرها وكبيرها وإذا لم يتم المقصود فالنية قد اقترن بها الإخلاص واقترن معها مايمكن من العمل.

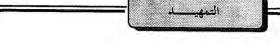
فعن ابن عمر — رضي الله عنهما- أن رسول الله — الله النه النه الستوى على بعيره خارجا الى سفر كبر ثلاثا، ثم قال "سبحان الذي سفر لنا هذا وماكنا له مقرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبون، اللهم إنا نسألك في سفرنا هذا البر والتقوى ومن العمل ماترضى، اللهم هون علينا سفرنا هذا واطو عنا بعده، اللهم أنت الصاحب في السفر، والخليفة في الأهل، اللهم إنبي أعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة المنظر وسوء المنقلب في المال والأهل، وإذا رجع قالمن وزاد فيمن "آيبون تائبون عابدون لربنا حامدون".

فقوله على: (ومن العمل ما ترضى) أي عمل ممكن أن يكون في السفر من جهاد لايتخلله رياء – من تجارة يرجوا بها الربح، طلب علم يرجو به الأجر والثواب ... الخ، وغير ذلك من الأعمال وجميعها ينبغي أن تكون على منهاج لله تعالى وعلى طريقة رسوله على فيرضى الله عنها إذا انعقد التوكل فيها على الله تعالى.

قال عبدالله بن المبارك: قال داود لابنه سليمان عليهما السلام: "يابني، إنما تستدل على تقوى الرجل بثلاثة أشياء: لحسن توكله على الله فيما نابه، [ولحسن]

⁽١) سورة الأحزاب، آية ٥١.

⁽٢) مسلم، (٢/٩٧٨)، (١٣٤٢) كتاب الحج.



رضاه فيما أتاه [ولحسن] زهده فيما فاته"(١).

فالرضا معنى من معاني التوكل على الله ومورد من موارده ومظانه فهو دليل ومظهر من مظاهر صلاح وكمال الإيمان.

٤ - اليقين:

إن اليقين قرين التوكل على الله لذلك قرن الله تعالى بينه وبين التوكل.

وفسر التوكل بقوة اليقين، ومتى وصل اليقين الى القلب امتلأ نورا وامتلأ محبة لله وتوكلا عليه (٢).

واليقين يأمر دائما بالاستمرار على ركوب الأخطار والصعاب(٣).

قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكُوٰةَ وَهُم بِٱلْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ (٤).

وقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُوْتُونَ ٱلزَّكُوةَ وَهُم وَهُمُ الرَّكُوةَ وَهُم اللهِ عَلَى اللهُ اللهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلّمُ عَلَى اللّهُ عَ

أي بلغ الإيمان بهم إلى أن وصل إلى درجة اليقين الداعي للعمل وكمال السعي(٦).

⁽۱) السيوطي، الدر المنثور في التفسير المأثور عن ابن أبي الدنيا، (بيروت: دار الفكر، تط الأولى، ١٤٠٣هــ)، (١٢/١).

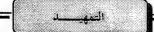
⁽٢) انظر: لابن القيم بتصرف، مدارج السالكين، (٢/٤١٤).

⁽٣) الفيروز آبادي، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، (بيروت: المكتبـة العلميـة) مصورة من طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القلهرة ١٣٨٣هـ، (٥/٠٠٤)؛ ابن القيم، مدارج السالكين، (٤١٣/٢).

⁽٤) سورة النمل، آية ٣.

⁽٥) سورة لقمان، آية ٤.

⁽٦) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، (٣/٤٦٤).



وعن عبدالله بن عمر بن العاص – رضي الله عنهما- أن رسول الله قال:
"القلوب أوعية وبعضها أوعى من بعض فإذا سألتم الله عز وجل أيها الناس
فاسألوه وأنتم موقنون بالإجابة فإن الله لا يستجيب لعبد دعاه عن ظهر
قلب غافل"(۱).

وعن أنس -رها قال: كان أخوان على عمد النبي - الها أحدهما يأتي النبي - الها والآخر يحترف فشكا المحترف أخاه إلى النبي - الها وقال "لعلك ترزق به"(۲).

ففي الحديثين تظهر درجة من درجات اليقين وهي ("الدرجة الأولى: علم اليقين، وهو قبول ماظهر من الحق، وقبول ماغاب للحق، والوقوف على ماقام بالحق". فالصحابة رضوان الله عليهم تيقنوا خبر رسول اله في وانقادوا وأذعنوا له إيمانا وتصديقا وإيقانا، بحيث لايخالج القلب فيه شبهة، فحديث الرسول لهم يلزمهم بصدقه وأن ذلك حاصل منه إجابة دعائهم ورزق الأخر لأنهم سكنوا إلى خير المخبر وتوثقه به)(").

فهذا اليقين يمثل لنا معنى من معاني التوكل وموردا من موارده في الكتاب والسنة فهو نواة الدين وبه كمال الإيمان والعزة، والمباعدة عن مواطن الذلة والضعف بمعرفة العبد ويقينه بالله تعالى.

٥ التفويض:

إن التفويض من معاني التوكل، فالتوكل شعبة منه ومعنى له، فالتوكل و التفويض كلاهما تبرءا من الحول والقوة لصاحب الأمر سبحانه.

⁽۱) أحمد، ٢/٧٧/ واللفظ له، ذكره المنذري في الترغيب والترهيب، ٢/ ٤٩١ وقال: رواه أحمد بإسناد حسن.

⁽۲) الترمذي (۲۳٤٥) واللفظ له وقال: هذا حديث حسن صحيح، وقال الحاكم، ۹۳/۱، ۹۶ هذا حديث صحيح على شرط مسلم ورواته عن آخرهم ثقات: ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

⁽٣) انظر: لابن القيم بتصرف، مدارج السالكين، (٢/٢١٤-٤١٨).



والتفويض " هو روح التوكل ولبه وحقيقته "(١).

قال تعالى حكاية عن مؤمن آل فرعون: ﴿ فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمُ مَا أَقُولُ لَكُمُ وَ وَأُفَوضُ أَمْرَى إِلَى ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌ أَبِٱلْعِبَادِ ﴾ (٢).

ومعنى قوله: ﴿ وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ (أي: ألجأ إليه وأعتصم، والقي أموري كلها لديه واتوكل عليه في مصالحي...) (٣).

وجاء في الحديث عن البراء بن عازب — رضي الله عنهما — أنه قال: قال النبي هنا: "إذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة، ثم اضطجع على شقك الأيمن ثم قل: "اللهم أسلمت وجهي إليك وفوضت أمري إليك، وألجأت ظهري إليك رغبة ورهبة إليك لاملجأ ولامنجى منكإلا إليك، اللهم أمنت بكتابك الذي أنزلت، وبنبيك الذي أرسلت، فإن مت من ليلتك فأنت على الفطرة، واجعلهن آذر ما تتكلم به "(٤)...الحديث.

فقوله على (وفوضت أمري إليك) أي أتبرأ من حولي وقوتي إلى حولك وقوتك وتسليم الأمر كله إلى مالك الأمر سبحانه.

⁽١) المصدر السابق، (١/٢٧).

⁽٢) سورة غافر، آية ٤٤.

⁽٣) انظر: للسعدي، المصدر السابق، (٢/٢٤٣).

⁽٤) صحيح البخاري، (٨٣/١)، (٢٤٧)، كتاب الوضوء واللفظ له، ومسلم، (١٠٨١/٤)، (٢٧١٠)، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار.

المطلب الثالث : الفرق بين التوكل والتواكل :

إن التواكل صفة من الصفات الخلقية المذمومة، التي نهى عنها الشرع الحنيف، ويرفضه المؤمن اللبيب.

فالأخذ بالأسباب مع التسليم، وتفويض أمر التوفيق لله والثقة واليقين بأنه سبحانه لايضيع أجر من أحسن عملا هو من التوكل المأمور به شرعا.

أما القعود عن العمل والأسباب وعدم البذل والجهد فليس من التوكل وإنما هو اتكال وتواكل حذرنا منه المصطفى على الله المصطفى التكال وتواكل حذرنا منه المصطفى التكال وتواكل حذرانا منه المصطفى التكال وتواكل حذرانا منه المصطفى التكال وتواكل حذرانا منه المصطفى التحديد الت

وقد يظن بعض الجهال الغافلين أن ترك الكسب من التوكل، وهذا فهم سقيم مريض لأن ارتباط المسببات بالأسباب من سنن الله في خلقه.

فلايعقل أن يظهر النبات دون إلقاء الحب في الأرض والعمل على رعايته فينتج لنا الثمر والزهر.

فعن عمر بن الخطاب " أنه لقي ناسا من أهل اليمن فقال من أنتم؟ قالوا نحن المتوكلون، فقال بل أنتم المتكلون "(۱), إنما المتوكل الذي يلقي حبة في الأرض ويتوكل على الله.

وفي ذلك رد بليغ على من يتركون الأسباب تقاعسا بدعوة التوكل على الله، ولو صدقوا لأحسنوا العمل.

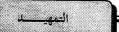
كذلك من يمرض ويظن أنه يشفى بدون تداوي فهو تارك لأسباب الشفاء فقد حض الإسلام على التداوي وأمر به النبي - على النبي من أبي هريرة - النبي عن النبي قال: " ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء "(٢).

" إن إثبات الدواء من الأسباب التي لاتنافي التوكل على الله لمن اعتقد أنها بإذن الله و تقديره، وأنها لاتنجح بذواتها بل بما قدره الله تعالى فيها (٢)".

⁽١) خرجه ابن أبي الدنيا، التوكل على الله، تحقيق: مجدي إبراهيم، (القاهرة: مكتبة القرآن، بدون تط)، ص٢٦.

⁽٢) البخاري، الفتح، كتاب الطب، ص١٦٦، (٥٦٧٨).

⁽۳) ابن حجر، فتح الباري، (۱۲۷/۱۰). .



فإهمال الأخذ بالأسباب وترك العمل يسمى تواكلا وليس ذلك من الإيمان والتوكل على الله هو الأخذ بالأسباب مع العمل؛ لأن العمل بما أمر الله وبذل الأسباب أمر لازم لصحة التوكل على الله ، وهذا ما يفهم من قوله تعالى:

﴿ لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِي أَهْلِ ٱلْحِتَابُ مَن يَعْمَلُ سُوٓءًا يُجُن بِهِ وَلَا يَجِدُ لَهُ مَن دُون ٱللهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿ وَمَن يَعْمَلُ مِنَ ٱلصَّالِحَاتِ مِن ذَكِر أَوْ أَنشَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَتِ لِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةُ وَلَا يُظُلَمُونَ مِن نَقِيرًا ﴿ وَهُو مُؤْمِنُ فَأُولَتِ لِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةُ وَلَا يُظُلَمُونَ نَقِيرًا ﴿ اللّهِ اللَّهُ اللَّالَةُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللّهُ اللّهُ اللللّهُ اللللّهُ اللّهُ الللّهُ اللللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللللّهُ الللّهُ الل

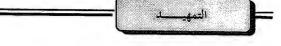
وقد أمر تعالى عباده بالسعي والعمل وطلب الرزق، قال تعالى: ﴿ فَإِذَا قُصْرِيَتَ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَٱبتَعُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذَّكُرُواْ ٱللَّهَ كَثيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (٢).

وقول الله تعالى: ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّة وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرُهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ ٱللهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لاَ اللهِ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءِ فِي سَبِيلِ ٱللهِ يُوَقَ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لاَ تُنظِلُمُونَ ﴾ (الله يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءِ فِي سَبِيلِ ٱللهِ يُوقَ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ ﴾ (الله يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءِ فِي سَبِيلِ ٱللهِ يُوقَ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ ﴾ (الله وَالله وَلّه وَالله وَلّه وَالله وَالله وَالله وَاللّه وَاللّه وَالله وَالله وَالله وَله وَالله وَاللّه وَالله وَالله وَالله وَالله وَالله وَالله وَالله

⁽١) سورة النساء، آية ١٢٣–١٢٤.

⁽٢) سورة الجمعة، آية ١٠.

۳) سورة الأنفال، آية ٦٠.



المطلب الرابع : فضل التوكل على الله :

إن التوكل على الله تعالى له مقام عظيم، وهو من أقوى الأسباب التي تدفع المرء المؤمن إلى تحمل أقدار الله.

و لاتظهر هذه المنزلة والمقام إلا عند شدة المصاب وهوله، وبهذا فإن المؤمن إذا أصابه أمر من الأمور فزع إلى الله، وتوكل عليه وأناب فالتوكل في كل خطوة من خطوات المؤمن هو حق واجب وعقيدة وخلق، فالتوكل من لوازم الإيمان.

قال تعالى: ﴿ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱلْخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُواْ اللَّهِ مُ ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُواْ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلُتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَلِبُونَ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُواْ إِنَّ كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ (١).

وقول تعالى: ﴿إِذْ هَمَّت طَّآبِ فَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى ٱللَّهِ فَلَيْتُوكَ لِيَّا اللَّهُ فَلَا غَالِبَ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتُوكَ لِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿ إِن يَنصُرُكُم مِّنَ بَعْدِهِ وَعَلَى ٱللَّهِ لَكُمْ وَإِن يَخَذُلُكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِي يَنصُرُكُم مِّنَ بَعْدِهِ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلَيْتَوَكُّلُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ (٢).

والتوكل على الله هو أساس من أسس التوحيد وركن من أركانه الأن أكثر العبادات تتفرع عنه .

والمرء يطمئن إلى تلك العقيدة وهذا الخلق؛ لأنه يعرف أن ما وراءه هو لصاحب الأمر والتدبير سبحانه.

" والتوكل جامع لمقام التفويض والاستعانة والرضا لايتصور وجوده بدونها"(").

⁽١) سورة المائدة، آية ٢٣.

⁽٢) سورة آل عمران، آية ١٦٢، ١٦٠.

⁽٣) ابن القيم، مدارج السالكين، (١/٣٦١) .



وهو " الأصل الجامع الذي تتفرع عنه الأفعال والعبادات وهو خلاصة التقرير ونهاية تحقيق التوحيد الذي يثمر كل مقام شريف من المحبة والخوف والرجاء والرضا به ربا وإلها، والرضا بقضائه بل ربما أوصل العبد إلى التلذذ بالبلاء وعده من النعماء"(١).

ومن فضل التوكل أنه سبحانه سمى نفسه الوكيل.

قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَاوَاتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضُ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ الللَّا اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ الللللَّهُ اللَّهُ اللّه وَكِيلًا ﴾^(٢).

وقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَآخْ شَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴾(").

وقال تعالى: ﴿ يَا أَهْلَ ٱلْكِتَابِ لَا تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهُ إِلَّا ٱلْحَقُّ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى آبُنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَىٰ لِهَآ إِلَّىٰ مَرْيَهُم وَرُوحٌ مِّنَّهُ فَعَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِ ۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَاثَةً أَنتَهُ وا خُيرًا لَّكُمْ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَا وُاحِدُّ سُبْحَانَهُ وَأَن يَكُونَ لَهُ وَلَا أُلَّهُ وَاحِدً سُبْحَانَهُ وَأَن يَكُونَ لَهُ وَلَا أُلَّهُ مَا فِي ٱلسَّمَاوَات وَمَا فِي ٱلْأَرْضَ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴾(1).

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلَّطُنُّ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴾(٥).

ومن فضل التوكل أنه تعالى أمر به في أكثر من موطن في كتابه العزيز:

سليمان بن عبدالله بن عبدالوهاب، تيسير العزيز الحميد، شرح كتاب التوحيد (المكتب (1) الإسلامي، الطبعة ٤) ص١١٠.

سورة النساء، آية ١٣٢. (٢)

سورة آل عمران، آية ١٧٣. (٣)

سورة النساء، آية ١٧١ . (٤)

سورة الإسراء، آية ٦٥. (0)



قَالَ تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمُّ وَلَوْ كُنتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لِاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكُ فَاعَفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي اللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ (١). اللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ (١).

وقال تعالى: ﴿ وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُواْ مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَآمِفَةٌ مِّ مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَآمِفَةٌ مِّ مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَآمِفَةٌ مِّ مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَآمِفَةٌ مِنْ عِنْهُمْ وَتَوكَّلُ مِّ مِنْهُمْ وَتَوكَّلُ مَا يُبَيِّتُونَ فَأَعْرِضَ عَنْهُمْ وَتَوكَّلُ مِنْ عَنْهُمْ وَتَوكَّلُ مَا يُبَيِّتُونَ فَأَعْرِضَ عَنْهُمْ وَتَوكَّلُ مَا يَبَيِّتُونَ فَأَعْرِضَ عَنْهُمْ وَتَوكَّلُ مَا يَبُيِّتُونَ فَاعْرِضَ عَنْهُمْ وَتَوكَّلُ عَلَى اللهِ وَكِيلًا ﴾ (٢).

وقال تعالى: ﴿ يَ اَيُّهُا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذَّ هُمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيهُمْ عَنكُمُ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهُ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ (٣).

وغيرها من الآيات الكثيرة التي حثت وأمرت بالتوكل عليه سبحانه.

ومن فضل التوكل أنه من صفة الأنبياء والمؤمنين الصادقين:

قال تعالى: ﴿ إِذْ هَمَّت طَّآبِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَالْيَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ (١).

وقال تعالى: ﴿ إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخُذُلُكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَنصُرُكُم مِّن بَعْدِهِ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ (٥).

وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتَ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتَ عَلَيْهِمْ ءَايَلَتُهُ وَادَتُهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ (1).

⁽١) سورة آل عمران، آية ١٥٩.

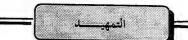
 ⁽۲) سورة النساء، آية ۸۱.

⁽٣) سورة المائدة، آية ١١.

⁽٤) سورة آل عمران، آية ١٢٢.

⁽٥) سورة آل عمران، آية ١٦٠ .

⁽٦) سورة الأنفال، آية Y .



وقال تعالى: ﴿ كَذَالِكَ أَرْسَلْنَكَ فِي أُمَّة قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَا أُمَمُ لِتَتَلُواْ عَلَيْهِمُ ٱلَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكُفُرُونَ بِٱلرَّحْمَانِ قُلُ هُوَ رَبِّي لاَ لِتَتَلُواْ عَلَيْهِمُ ٱلَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكِ وَهُمْ يَكُفُرُونَ بِٱلرَّحْمَانِ قُلُ هُوَ رَبِّي لاَ إِلَا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴾ (١).

ومن فضله كذلك أنه تعالى جعله في جميع الشرائع السابقة والخاتمة:

قال تعالى: ﴿ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱلْحَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱلْحُالُواْ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَالُتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَلِبُونَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُواْ إِنَّ كُنتُم عُلْبُونَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُواْ إِنْ كُنتُم مُثُولُمِنِينَ ﴾ (٢).

وقال تعالى: ﴿ قَالَ ٱلْمَلاَّ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكُبَرُواْ مِن قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعُودُنَّ فِي مِلَّتِناْ قَالَ أَوَلَوْ يَا شُعُودُنَّ فِي مِلَّتِناْ قَالَ أَوَلَوْ يَا شُعُودُنَّ فِي مِلَّتِناْ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَرِهِينَ ﴿ وَٱلَّذِينَ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدُنَا فِي مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذَ كُنَّا كَرِهِينَ فَي قَدْ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللّهِ كَذِبًا إِنْ عُدُنا فِي مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذَ نَجَّنَا ٱللّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَن نَعُودَ فِيهَا إِلّا أَن يَشَآءَ ٱللّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا اللّهُ مَنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَن نَعُودَ فِيهَا إِلّا أَن يَشَآءَ ٱللّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى ٱللّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنا بِٱلْحَقِ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَاتِحِينَ ﴿ ﴾ (٣).

وقال تعالى: ﴿ وَٱتَّلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحِ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَاقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى وَتَذْكِيرى بِعَايَاتِ ٱللهِ فَعَلَى ٱللهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُواْ أَمْرَكُمْ عَلَيْكُم مَّقَامِى وَتَذْكِيرى بِعَايَاتِ ٱللهِ فَعَلَى ٱللهِ تَوَكَّلُتُ فَأَجْمِعُواْ أَمْرَكُمْ عَلَيْكُم فَعَمَّةُ ثُمَّ ٱقْضُواْ إِلَى الْمَرْكُمْ عَلَيْكُم فَعُمَّةُ ثُمَّ ٱقْضُواْ إِلَى وَلا تُنظِرُون ﴾ (أ).

⁽١) سورة الرعد، آية ٣٠.

⁽٢) سورة المائدة، آية ٢٣.

⁽٣) سورة الأعراف، آية ٨٨-٨٩.

⁽٤) سورة يونس، آية ٧١.

وقال تعالى: ﴿ قَالُواْ يَاهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَة وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي ءَالِهَتَنَا عِن قَوْلِ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ عَن قَوْلِ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ عَن قَوْلِ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوّءٍ قَالَ إِنِّى أُشْهِدُ ٱللهَ وَٱشْهَدُوٓاْ أُنِّى بَرِيٓءُ مِمَّا تُشُرِكُونَ ﴿ وَاللهَ تِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِي أُشْهِدُ ٱللهَ وَٱشْهَدُوٓاْ أُنِي بَرِيٓءُ مِمَّا تُشُرِكُونَ ﴾ مِن دُونِهِ فَكِيدُونِ يَ جَمِيعًا ثُمَّ لا تُنظِرُونِ ﴿ إِنِي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللهِ مَن دُونِهِ فَكِيدُونِ يَ عَلَىٰ صِرَاطِ رَبِي وَرَبِّكُم مَا مِن دَآبَةٍ إِلَّا هُو ءَاخِذُ أَ بِنَاصِيَتِهَا آ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَاطِ مُسْتَقِيمٍ ﴾ (١).

وغيرها من الآيات الكثيرة التي تدل على فضل هذا الخلق فهو عدة المؤمنين في المعرفة والنصرة والتأييد .

ومن فضل التوكل أنه سبحانه قرن بينه وبين العبادة في مواضع عدة من كتابه:

قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ عَلَيْبُ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُ وَالْمَارِبُكُ بِغَافِلَ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ (٢).

وقال تعالى: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةً حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ وَالْهُ وَاللَّهُ عَلَيْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بِيَنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبُغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِاللَّهِ وَحَدَهُ وَإِلَّا وَبَيْنَا وَبَيْنَا وَبَيْنَا وَبَيْنَا فَإِلْيَا فَوَلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لِأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَالًا وَإِلَيْكَ أَنْبُنَا وَإِلَيْكَ آلْمَصِيرُ ﴾ (٣).

وقال تعالى: ﴿ رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذَهُ وَكِيلًا ﴾ ('').

⁽۱) سورة هود، آية ٥٣-٥٥-٥٥.

⁽٢) سورة هود، آية ١٢٣.

⁽٣) سورة الممتحنة، آية ٤.

⁽٤) سورة المزمل، آية ٩.

وقال تعالى: ﴿ كَذَالِكَ أَرْسَلْنَكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَا أُمَمُ لِتَتَلُواْ عَلَيْهِمُ ٱلَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكُفُرُونَ بِٱلرَّحْمَانِ قُلُ هُو رَبِّي لاَ لِتَتَلُواْ عَلَيْهِمُ ٱلَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكُفُرُونَ بِٱلرَّحْمَانِ قُلُ هُو رَبِّي لاَ إِلَا هُو عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابٍ ﴾ (١).

ومن فضل التوكل أنه سبحانه قرن بينه وبين الإيمان:

قال تعالى: ﴿ قُلُ هُو ٱلرَّحْمَانُ ءَامَنَا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبْبِينٍ ﴾ (٢).

وقال تعالى: ﴿ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا اللَّهِ عَلَيْهِمَا اللَّهِ فَتَوَكَّلُواْ عَلَيْهِمُ ٱلبَّابَ فَإِذَا دَخَلَتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَلِبُونَ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُواْ إِنْ كُنتُم مُؤْمِنِينَ ﴾ (٢).

وكذلك من فضله أن قرن بينه وبين الإسلام:

قال تعالى: ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَاقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُواْ إِن كُنتُم مُسلِمِينَ ﴾ (٥).

ومن فضله أن قرن بينه وبين التقوى والهداية:

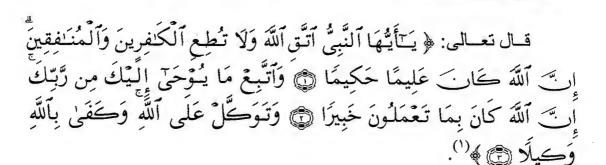
⁽١) سورة الرعد، آية ٣٠.

 ⁽۲) سورة الملك، آية ۲۹.

⁽٣) سورة المائدة، آية ٢٣.

⁽٤) سورة آل عمران، آية ١٢١-١٢٢.

 ⁽٥) سورة يونس، آية ٨٤.



وقال تعالى: ﴿ وَيَرِّزُقُهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلُ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسَبُهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهُ بَالِغُ أَمْرِهِ - قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴾ (٢).

وقُ ال تعالى: ﴿ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا وَلَنَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَ بَ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ (٣).

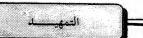
فمن خلال الآيات القرآنية يتضح لنا أن التوكل على الله فضله عظيم و هو زاد المتقين العابدين المؤمنين، والغاية القصوى لكل مؤمن هي: معرفة الله تعالى وعبادته ويدخل في ذلك التوكل، فمن عرف الله تعالى توكل عليه. قال تعالى: ﴿ أَلَيْسَ ٱللّهُ بِكَافَ عَبْدَهُ وَيُحُوفُونَكَ بِٱلّذِيرِ : مِن دُونِهِ وَمَن يُضَلِل اللّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾ ﴿ أَلَيْسَ اللّهُ فَمَا لَهُ مَنْ هَادٍ ﴾ ﴿ أَلَيْ اللّهُ فَمَا لَهُ وَلَهُ مِنْ هَادٍ ﴾ ﴿ أَلَيْ اللّهُ فَمَا لَهُ وَاللّهُ اللّهُ فَمَا لَهُ اللّهُ اللّهُ فَمَا لَهُ وَالْمَا لَهُ اللّهُ اللّهُ فَمَا لَهُ وَاللّهُ اللّهُ اللللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ

سورة الأحزاب، آية ١ -٣.

⁽٢) سورة الطلاق، آية ٣.

⁽٣) سورة إبراهيم، آية ١٢.

⁽٤) سورة الزمر، آية ٣٦.



المطلب الخامس : التواكل وآثاره السلبية على الفرد والمجتمع :

إن الإسلام دين ينظم الحياة البشرية في مختلف ميادينها، كما يرسم الطريق للحياة على أساس العقيدة والشريعة والأخلاق.

والإسلام يدعو إلى العمل ويبيح ويرغب في المكسب الحلال الذي لا استغلال فيه وبهذا فهو دين عمل وحياة يريد من المسلم أن يعيش حياة هنيئة في ظل الإسلام وبهذا فقد وهب الله الإنسان قوة التفكير والتدبير بواسطة العقل والعلم، وبواسطة العلم تعددت مصادر الرزق وأصبح للإنسان القوة للعمل.

ومن شرف العمل أن يكون وفق ماجاء به الإسلام، فالعمل بجد ونشاط إيمان بما ينوط بالإنسان من مسئولية.

قـــال تعـــالى: ﴿ وَقُلِ آعْمَلُواْ فَسَيَرَى آللَّهُ عَمَلُكُمْ وَرَسُولُهُ وَ وَاللَّهُ عَمَلُكُمْ وَرَسُولُهُ وَ وَاللَّهَ عَلَمُ وَاللَّهُ عَمَلُكُمْ وَاللَّهُ عَلَمُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ عَلَمُ وَاللَّهُ عَلَمُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ عَلَمُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ عَلَمُ وَاللَّهُ وَا اللَّهُ وَاللَّهُ وَا اللَّهُ وَاللَّهُ وَا الللْمُوالَّ وَاللَّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ

وقال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ عَنْبُ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ اللَّهُ وَكُلُهُ وَلَكُ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَلْفِلَ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ (٢).

وقال تعالى: ﴿ يَتَأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَاتِ وَٱعْمَلُواْ صَالِحًا ۗ إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾ (٢).

أً فالعمل الصالح هو المعيار الحقيقي للجزاء الحسن، وهو يهيأ المؤمن للدرجات العلى في الجنة.

فالعمل فريضة على كل مسلم ومسلمة بقول ه تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَـٰلِحًا مِّن ذَكِرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنُ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم

⁽١) سورة التوبة، آية ١٠٥.

⁽۲) سورة هود، آیة ۱۲۳.

⁽٣) سورة المؤمنون، آية ٥١.

بِأُحْسَن مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾(١).

وقوله تعالى: ﴿ ٱلْحَمَّدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلَ لَهُ وَعَبَدَهِ ٱلْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلَ لَلَهُ عَبْدِهِ ٱلْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلَ لَلَهُ وَيَبَشِرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ لَهُ وَيَبَشِرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ لَهُ وَيَبَشِرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ لَهُ مَ أَجْرًا حَسَنَا ﴿ وَلَا مَا اللَّهُ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الل

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّلِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ الْجَرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴾ (أ).

فالمسلم هذا يطمح ويعمل دائما ليصل للأمل المنشود في الدنيا والآخرة، فبدون العمل يصبح الإنسان عاجزا لنيل أدنى مراداته.

لذلك أمرنا الإسلام بالعمل حسب شروطه حتى يكون العمل موفقا متقنا، ومن ضمن هذه الشروط هي أن يكون المؤمن متوكلا على الله في عمله أيا كان صغيرا أو كبيرا يريد به الدنيا أم الآخرة.

" فالتوكل على الله في العمل موقف ينشأ عما يقوم بنفس المؤمن من أن الله حق وماخلاه باطل، وأن هدى الله هو الهدى ليس بعده إلا الضلال، فإذا استقر هذا العلم بالنفس وصار اعتقادا جازما ويقينا حاسما أورث المؤمن حالة من الثقة المطلقة بصحة الطريق الذي يسلكه مقبلا على ربه وعاملا في سبيله، وذلك يدعوه للإقدام بثبات نحو الغاية المنصوبة أمامه على صراطها المستقيم "(1).

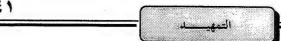
فالتوكل شعبة من شعب الإيمان تهيء المؤمن في واقع الدنيا لحياة عامرة بضروب العمل الصالح مفعمة بوجوه الخير.

⁽١) سورة النحل، آية ٩٧.

 ⁽۲) سورة الكهف، آية ١ - ٢.

⁽٣) سورة الكهف، آية ٣٠.

⁽٤) د.حسن الترابي، الإيمان وأثره في حياة الإنسان، (بيروت: دار القلم، تط الأولى ١٣٩٤هـ)، ص٤٠٠.



والتواكل على ذلك نقيضه تماما فقد أخذ بعض الناس معتقدات، وتصورات واهية لمعنى التوكل، فقد أخذوا من التوكل معنى التعطل، ومن القضاء والقدر معنى الجبر المحتوم، فانتهوا إلى القعود والتواكل عن العمل في الحياة اعتذار ا بأن القدر محتوم، ومكتوب مهما فعلوا، واتكالا على أن الله سيدبر لهم الخير مهما تركوا.

وبهذا كان القعود عن العمل تواكلا لأنهم تركوا الأسباب وعجزوا عنها فو هنت وضعفت عقيدتهم في العمل بذلك .

فالاتكال على الله لن يخرق العوائد، ويجعل السماء من فوق تمطر الذهب والفضة، والأرض من تحت تخرج الخبز والعسل، بالجهد والسعي والتفكير والاعمل

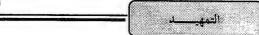
ولقد جاء الأعرابي الى رسول الله - على - فقال بارسول الله أعقلها وأتوكل أو أطلقما وأتوكل؟ فقال رسول الله: "اعقلما وتوكل"(١).

فالأعرابي سأل رسول الله على يطلق ناقته ويتوكل أم يعقلها ويتوكل؟ فأجابه الرسول على بالمنهج السديد الرشيد الذي يجمع بين الأخذ بالأسباب وبين التوكل على الله وذلك سمة من سمات المنهج النبوي في التربية والتوجيه للأمة، فقال النبي على قولته التي سرت مسرى الأمثال السائرة " أعقلها وتوكل".

وحديث عمر بن الخطاب قال: قال رسول الله - على -: " لو أنكم توكلت م على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروم بطانا"(٢).

الترمذي (٢٥١٧)، وهذا لفظه وقال: هذا حديث غريب من حديث أنس، والحاكم، ٦٢٣/٣، (1) وقال الذهبي في التلخيص: إسناده جيد، البيهقي في الشعب، ٣/٤١٤ من حديث عمرو بن أمية الضمري، وقال الحافظ العراقي في تخريج الإحياء بعد أن عزاه للترمذي: رواه ابــن خزيمة في التوكل والطبراني من حديث عمرو العمري وقال: إسناده جيد، وذكره الألباني في صحيح الجامع (٤٨٠٩) وقال: حسن.

الترمذي (٢٣٢٤) وقال: هذا حديث حسن صحيح، وابن ماجسه (٢٣٢٤) وهذا لفظه، (٢) وأحمد، ١/٣٠ وقال أحمد شاكر، ١/٣٤٣: إسناده صحيح، والبيهقي في شعب الإيمان، . TYA/T



فهذا الحديث هو في الواقع حجة فإنه سبحانه لم يضمن لها الرواح ملأى البطون، إلا بعد غدوها وسعيها لامع بقائها في أوكارها.

ولكن حين يصاب المؤمن بعلة في الاعتقاد والخلق يكون عرضه لأن تعتريه النوائب.

فالتواكل لايقره الإسلام لأنه يهدم أحكام الإسلام وله من الآثار السلبية على الفرد والمجتمع الكثير الكثير فمنها:

- ١- البطالة ، فيصير الفرد والمجتمع الى طريق الكسل والعجز والعيش بالهدف.
- ٢- تصاب عقيدة الإيمان بالقضاء والقدر، بالخلل، فيقعد الفرد مكتوف اليد، وهذا مالا يقبله الإسلام؛ لأنه قد حث على بذل الأسباب، ثم بعد ذلك يرضى بما قضى الله له، وماقدر عليه إيمانا بأن الله تعالى لايفعل شيئا عبثا، ولايقضى أمرا يريد به عسرا لعباده.
- ٣- لايكون الفرد والمجتمع قانعا بما وهب الله، فما جاء هو في حدود ماقدر له من نشاط وطموح وعمل، فيعيش الفرد والمجتمع متمنيا متطلعا إلى ماوهب لغيره.
- ٤- يصبح الفرد والمجتمع نتيجة للقعود عن العمل والاتكال رمزا للعجز والترزق بأفضال الناس وصدقاتهم.
- و_ يصبح الفرد و المجتمع مخالفا لسنن الله الكونية، ومخالفا لتعاليم دين الإسلام
 الذي يرغب في العمل و الكسب.
- ٦- يصبح الفرد والمجتمع في ذلة ومهانة ومسكنة وهذا ماتأباه النفوس العزيزة.
- ٧- يفتقد الفرد والمجتمع معنى العبادة لله، لأن الشمول والتكامل هو في أن يسلم المؤمن سعيه وحياته كلها لرب العالمين فيلتزم صراطه المستقيم الذي دل عليه، و لايحيد عنه بشيء من عمله مجردا وجوه سعيه جميعا نحو القبلة الواحدة التي تنتهي إلى الله.

" إن العمل للدنيا والآخرة كفتي ميزان لاترجح إحداهما إلا بمقدار ماتحمل الأخرى.



فالمطلوب من المؤمن أن يعمل ويجهد ويكافح، ويبني ويعمر ويشيد ويتلمس أسباب الرزق على أن تكون الآخرة نيته و غايته، وأمله.

فالمؤمن يتخذ الدنيا مزرعة للآخرة التي تحتاج الى عمل وسعي، ولكن الثمرة إنما تقطف كاملة في الآخرة، وإن أدرك بعضها في الدنيا.

قال تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللّهِ ٱلَّتِي أُخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَٱلطَّيِّبَاتِ مِنَ ٱلرِّزُقَ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱللَّذَينَ عَامَنُواْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱللَّذَينَ عَالَمَوْنَ ﴾ (١). خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقَيَامَةِ كَذَالِكَ نَفصَلُ ٱلْأَينتِ لِقَوْمِ يَعْلَمُونَ ﴾ (١). ذلكم هو المؤمن يسخر الدنيا لنفسه، والإيسخر نفسه للدنيا، والمؤمن الايتخذ الدنيا عبدا النبا عبدا عبدا عبدا (٢).

- ٨ قلة الانتاج بقلة الأيدي العاملة، فيقل الدخل ويترتب على ذلك قلة في
 الادخار والاستثمار، ثم أخيرا يحصل التضخم الاقتصادي.
 - ٩- انخفاض مستوى المعيشة، وإهمال الموارد الطبيعية لقلة العاملين.
 - ١٠ استير اد عمالة وبذلك يصبح المجتمع في نمو سالب الهدف له.

⁽١) سورة الأعراف، آية ٣٢.

⁽۲) انظر: يوسف القرضاوي بتصرف، الإيمان والحياة، (القاهرة: مكتبة وهبه، تــط الخامسة الطر: يوسف القرضاوي بتصرف، الإيمان والحياة، (القاهرة: مكتبة وهبه، تــط الخامسة الابعة، العدد ١٣٩٧هـ)، ص ٢٩٥؛ الأرقام (٨ – ٩ - ١٠)، مجلة الحرس الوطني، السنة الرابعة، العدد ١٢٢، ربيع الأول ١٤١٤هـ، "التوكل على الله ودعوى القعود عن الكسب" بقلم د.أحمد الجنيدل.

الفصل الأول التوكل على الله وعلاقته بالإيمان بالله

وفيه:

تهمید.

المبحث الأول: التوكل على الله جزء من عقيدة المؤمن.

المبحث الثاني : التوكل على الله من أعمال القلوب .

المبحث الثالث : أحوال المتوكلين .

الفصل الأول التوكل على الله وعلاقته بالإيمان

التمميد:

إن التوكل على الله خصلة من خصال الإيمان وثمرة من ثمار المعرفة بالله وهو نتيجة صدق التوحيد، الذي هو اعتقاد تفرد الله تعالى بالربوبية وإخلاص العبادة له، وإثبات ماله من الأسماء والصفات (۱)؛ لذلك فإن التوحيد هو الغاية المحبوبة والمرضية لله سبحانه وتعالى فلابد من التصديق والتسليم والاستسلام والانقياد والإذعان.

والعقيدة هي من العقد، والتوثيق، والإحكام، والربط بقوة (٢)؛ وعلى هذا فالتوكل على الله جازم الإيمان به والايتطرق إليه شك.

والعقيدة الصحيحة السليمة هي العقيدة التي بعث الله تعالى بها الرسل جميعا، وارتضاها الله تعالى لخلقه جميعا، وهي عقيدة واحدة لاتتجزأ؛ لأنها منزلة من عند العليم الخبير، وهي في أصليه - الكتاب والسنة- ندية طرية صافية تقنع العقل بالحجة والبرهان، وتملأ القلب إيمانا ويقينا وحياة.

ولقد خلق الخلق من أجل تحقيق هذه العقيدة، وهذا التوحيد، والايكون ذلك إلا بتوجيه العمل والنية والعبادة لمن يستحقها، والخضوع له عن رضا وتذلل ومحبة وإخلاص.

ومن الأعمال التي لا ينبغي توجيهها إلا له سبحانه وتعالى التوكل عليه فهو من لو ازم الإيمان به جل شأنه، بل هو من صميم الإيمان، فالتوكل عليه من الطاعات الواجبة فمن آمن عمل الطاعات واجتنب النواهي.

⁽۱) انظر: ابن أبي العز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية، تحقيق جماعة مــن العلمــاء، خــرج أحاديثها محمد ناصر الدين الألباني ومعه التوضيح، بقلم زهير الشاويش، (بيروت: المكتــب الإسلامي، نط ١٤٠٣هـــ-١٩٨٣م)، ص ٧٤-٧٠.

⁽٢) انظر: لابن منظور ، لسان العرب: عقد، (٢٩٦/٣) .

فا" "التوكل" نصف الدين، والنصف الثاني "الإنابة" فإن الدين استعانة وعبادة، فالتوكل هو الاستعانة، والإنابة هي العبادة"().

لذلك يجب صرف العبادة والاستعانة لله تعالى حتى يتم إيمان العبد ويخلو من شوائب الشرك وأدران الجاهلية إذ أن صرفه لغير الله شرك .

" والإيمان وراء ذلك كله، وهو حقيقة مركبة من معرفة ماجاء به الرسول على علما، والتصديق به عقدا، والإقرار به نطقا، والانقياد له محبة وخضوعا، والعمل به باطنا وظاهرا، وتنفيذه والدعوة إليه بحسب الإمكان" (٢).

إذ لابد في هذا التوكل أن يترجم إلى واقع عملي ملموس؛ مطبق بالقول والعمل، والسلوك، والمظهر، والقيم والمبادئ؛ لأنه عقيدة لابد أن تعبر وتعلن عنها الجوارح ويترجمها السلوك والمظهر.

فالتوكل ليس مجرد عمل قلبي بل هو مع ذلك قول باللسان، وعمل بالجوارح، إذا فالتوكل عمل القلب، والاينافي حركة الجوارح، لأن القلب قد سكن إلى من له الأمر والتفت إليه وانقادت لذلك الجوارح فالتوكل فروعه منتشرة في كل مجال.

وبما أن التوكل تصديق وعمل فقد قرن الله تعالى الإيمان بالتوكل في آيات كثيرة مباشرة منها قوله تعالى: ﴿ وَعَلَى ٱللّهِ فَلْيَتَوَكُّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾(١). وقوله تعالى: ﴿ وَعَلَى ٱللّهِ فَلْيَتَوَكُّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ وَعَلَى اللّهُ فَلْيَتَوَكُّلُ ٱللّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَلْنَا وَعَلَى ٱللّهُ فَلْيَتَوَكُّلُ ٱللّهُ فَلَا اللّهُ فَالْيَتَوَكُّلُ ٱللّهُ فَالْيَتَوَكُّلُ ٱلمُؤْمِنُونَ ﴾ (أ).

⁽١) ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين، (١١٨/٢).

⁽۲) ابن قيم الجوزية، الفوائد، تخريج وحواشي أحمد راتب عرموش، (بيروت: دار النفائس، تط ١٤٠٦ ملي ١٤٠٠م)، ص ١٤٠٠ .

⁽٣) سورة المائدة، آية: ١١.

⁽٤) سورة التوبة ، آية: ٥١ .

قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلنَّجْوَى مِنَ ٱلشَّيْطَانِ لِيَحْزُبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ شَيْعًا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ (١). وقوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ (١).

وقوله تعالى: ﴿ إِذْ هَمَّت طَّآبِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلِيُّهُمَا ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ (٢).

وقول تعالى: ﴿ إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخَذُلَّكُمْ فَالَّهِ فَالْبَوَكُمُ اللَّهُ فَالْمَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ (').

فالآية الكريمة التي في سورة آل عمران (١٢٢) نزلت في غزوة أحد (٥) ونحن نعلم مالهذه الغزوة في نفوس المؤمنين فقد كلفتهم الكثير الكثير من الجراحات والآلام، وكلفتهم أن يروا رسولهم الحبيب وقد وقع وحصل له ماحصل في تلك الغزوة إلا أن شحكما عظيمة في ماوقع للمؤمنين منها أنه أراد أن يمحص ويختبر صدق النفوس في القول والعمل والطاعة شه ولرسوله، ومدى تحملها التكاليف الإيمانية، والاستعداد لالتزام الطاعة والاتباع ورد الأمر كله شسبحانه.

لذلك جاءت الآية مناسبة للواقعة، وهي تستجيش وتربي النفس المؤمنة على الاعتماد على الله وحده (فالتوكل هذا تفويض الأمر إلى الله تعالى ثقة بحسن تدبيره فأمر الله عباده المؤمنين أن لايتوكلوا إلا عليه وأن لايفوضوا أمرهم إلا إليه)(٢).

⁽١) سورة المجادلة، آية: ١٠.

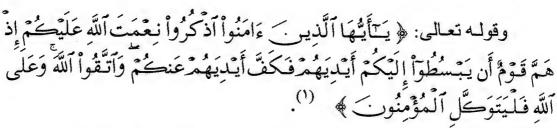
⁽٢) سورة التغابن، آية: ١٣.

⁽٣) سورة آل عمران، آية: ١٢٢

 ⁽٤) سورة آل عمران، آية: ١٦٠.

⁽٥) انظر لابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (١/٩٩٨).

⁽٦) علاء الدين علي بن محمد الشهير بالخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل وبهامشه تفسير البغوي، ٤ج، (بيروت: دار الفكر تط١٣٩٩هـــ-١٩٧٩م)، (٤١٣/١).



الجزء من الآية يتضمن حادثة المجموعة التى همت يوم الحديبية أن تغدر برسول الله على وبالمسلمين وتأخذهم على حين غفلة ولكن اطلع الله النبي على ماتمالئو اعليه (٢).

فالله تعالى " يحذر المؤمنين، أن يخالفوا أمره وميثاقه، فيستوجبوا بذلك العقاب، وعلى الله فلنلق أزمة أمورنا ونسلم لقضائه، ونثق بنصرته وعونه المقرون بوحدانيته ورسالة رسوله فذلك هو كمال الدين وتمام الإيمان"(").

وفي الآيتين السابقتين فائدة عظيمة حينما قرن التوكل بوحدانية الله سبحانه وتعالى في لفظ الجلالة (الله) المالوه المعبود، ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين؛ وذلك لتحفيز المؤمنين على التوكل عليه سبحانه، وفي كلمة التوحيد والإيمان استجاشة وتقوية على النهوض بتكاليف الشريعة، والتكاليف العليا، وحتى يكون هناك صلة عظيمة مع الله متجردة من كل النوازع المعوقة، وفي هذا الخطاب يظهر معنى التقوية للمؤمنين وطمأنينتهم، وأن الله راعيهم وكالنهم وناصرهم على عدوهم لامحال.

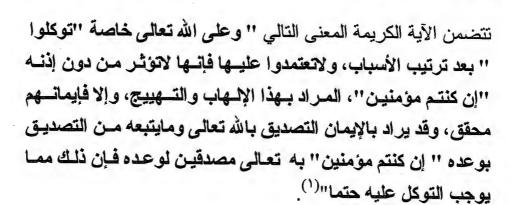
قال تعالى: ﴿ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنَّعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱلْحَافُونَ أَنَّعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱلْحَالُواْ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلَتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُواْ إِنَّ كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ (٤).

سورة المائدة، آية: ١١.

⁽٢) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (١/٢٥)؛ أحمد مصطفى المراغي، (٢٠/٢).

⁽٣) ابن جرير الطبري، تفسير الطبري من كتابه جامع البيان عن تأويل آي القرآن، (٤٧/٣).

⁽٤) سورة المائدة ، آية: ٢٣ .



" فإن في التوكل على الله _ وخصوصا في هذا الموطن _ تيسيرا للأمر، ونصر على الأعداء، ودل هذا على وجوب التوكل، وعلى أنه بحسب إيمان العبد؛ يكون توكله" (٢).

كما أن هذه الآية الكريمة خبر من الله عز وجل وترغيب منه سبحانه وتعالى في المضي لأمره ثقة به وطاعة لأمره، فشرط الإيمان التوكل، ومن هنا تبرز قيمة الإيمان بالله والخوف منه، وهذه قاعدة عظيمة ومهمة في علم القلوب ومنطق الإيمان ومقتضاه هو التوكل عليه سبحانه وهو خاصية الإيمان وعلامته.

وفي قولسه تعالى : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللّهُ وَجَلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلْيَتُ عَلَيْهِمْ ءَأَيَئَهُ وَرَادَتُهُمْ إِيمَاناً وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ (٢) دليل إخلاص الاعتقاد والعبادة لله عز وجل فلايمكن أن يجتمع في قلب واحد، توحيد الله، والتوكل على أحد غيره سبحانه؛ فالمؤمن الحق هو من يرجف قلبه عند ذكر ربه والقلب المؤمن يجد في آيات القرآن ما يزيده إيمانا وينتهي به إلى الاطمئنان، ثم إلي التوكل على الله وحده فنجد هذا الإيمان في صورة مشاعر وحركات فتجد الوجل، والخوف يمانن القلب، ويظهر الإيمان

⁽۱) العلامة الألوسي البغدادي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ٣٠ج (بيروت: دار إحياء التراث العربي تط الرابعة ١٤٠٥هـــــ١٩٨٥م) ح(٥-٦) (١٠٧/٦).

⁽٢) عبدالرحمن السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، (١٥/١).

⁽٣) سورة الأنفال، آية: ٢.

والاتكال على الله وحده سبحانه وتعالى ذلك أن الإيمان تصديق القلب وعمل الجوارح بمعنى هو كل ماوقر في القلب وصدقه العمل، فالعمل هو الدلالة الظاهرة للإيمان الذي لابد من ظهوره في المشاعر والجوارح، والمراد من الآية:

" أن حصول الخوف من الله والفزع منه عند ذكره هو شان المؤمنين الكاملي الإيمان، المخلصين لله فالحصر باعتبار كمال الإيمان لا بإعتبار أصل الإيمان"(١).

فالآية متضمنة التحريض والإلهاب على طاعة الله ورسوله وهذه مزية لمن كمل إيمانه، فالمعنى أن المؤمنين الكاملين هم الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم، وإذا تليت آياته زادتهم وجلا يفوضون أمورهم كلها إلى مالكهم ومدبرهم خاصة لا إلى أحد سواه.

فذلك الذكر بالقول والعمل يزيدهم علما مالم يكونوا قبل ذلك علموه، وتزيدهم الآيات عملا بذلك العلم، وتزيدهم تذكرا لما كانوا نسوه، وعملا بتلك التذكرة.

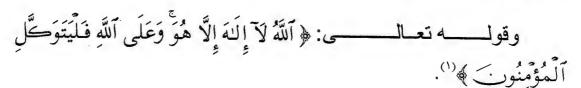
فهذه الصفات المذكورة في الآية القرآنية لايجدها في نفسه وعمله إلا المؤمن الحق، فمن لم يجدها جملة لم يجد صفة الإيمان.

وقول عنالى: ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَلْنَا وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّل ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ (٢).

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلنَّجْوَى مِنَ ٱلشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلَيْتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ (٣).

⁽۲) سورة التوبة، آية: ٥١.

⁽٣) سورة المجادلة، آية: ١٠.



ففي الآيات الكريمة السابقة أن التوحيد والتوكل على الله تعالى هو اختصاص المؤمنين الموحدين المتوكلين فهم يفعلون ماهو حقهم من اختصاصه جل شانه بالتوكل الكامل، وما هذا إلا نتاج الإيمان المتغلغل في قلوب المؤمنين (٢).

"إن الألوهية مقتضية للتبتل إليه تعالى بالكلية، وقطع التعلق بالمرة عما سواه من البرية، وذكر بعض الأجلة أن تخصيص المؤمنين بالأمر بالتوكل، لأن الإيمان بأن الكل منه تعالى يقتضي التوكل، ومن هنا قيل: ليس في الآيات لمن تأمل في الحث على التوكل أعظم من هذه الآية لإيمائها إلى أن من لايتوكل على الله تعالى ليس بمؤمن وهي على ماقال الطيبي كالخاتمه، والفذلكة لما تقدم، وكالمخلص إلى مشرع آخر "(").

فتوحيده سبحانه وإخلاص العمل له والتوكل عليه إيماء إلى أن المؤمن لايعتمد إلا عليه ولايتقوى إلا به في جميع أموره، فلا قادر إلا هو عز وجل فمن خلال الآيات القرآنية علم أن التوكل مقام من مقام المؤمنين الذين يعملون التحقيق معنى التوحيد لله، وإخلاصه له سبحانه؛ فعلم أن في ربط التوكل بالإيمان وقرنه به من المبالغة في الحث عليه؛ لأنه من توابعه ومقتضياته، فالتوكل على الله له منزاته، والتوكل على الله لابد أن يصفو به اليقين ويثبت بحقائق العمل، ويثبت في عقود الإيمان؛ لأن الإيمان الصادر من القلب لايساويه في القوة والتأثير أي باعث آخر.

فالإيمان المتعمق في القلب هو في ظاهره يدل على سلامة إيمان المرء الذي يؤمن أن هناك ربا لابد من توحيد ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته، ونعمل بهذا

⁽١) سورة التغابن، آية: ١٣

⁽٢) انظر: ناصر الدين أبي سعيد عبدالله الشيرازي البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التاويل، (دار الجيل بدون تط) ص ٢٥٦.

 ⁽٣) الألوسي - روح المعاني، ج (٢٧-٢٨)، (٢٨/١٦٥-١٢٦).



التوحيد لننال سعادة الدنيا والآخرة، ولايتحقق معنى التوكل الكامل إلا على وجه يوافق الشرع، وماجاء في الأخبار الصحيحة عن رسول الله في فهو القدوة والمثل الأعلى، وهو المبين والمفسر لما أجمل وخفي على أمته، ثم من أتى بعده واحتذى بسنته، فهم من رأوا وحضروا الوقائع والأحداث ومن جاء بعدهم من السلف الصالح الذي كان يتحرى الأخبار الصحيحة فعرف وعرف ماعلموه وأوضحوه لنا.

المبحث الأول

النوكل على الله جزء من عقيدة المؤمن

إن عقيدة المؤمن مليئة بقضايا الحق البدهية المسلمة بالعقل، وذلك كاعتقاد الإنسان بوجود خالقه.

قال تعالى: ﴿ ذَالِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُم ۗ لَآ اللَّهُ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءِ فَالْتَعَالَى: ﴿ ذَالِكُمُ ٱللَّهُ وَبُكُم ۗ لَآ اللَّهُ إِلَّا هُو خَالِقُ كُلِّ شَيْء وَكِيلٌ ﴾ (١).

فقضية الخلق من القصايا المسلمة بالعقل، فهو الرب العظيم الذي خلق وربى ودبر وهدانا إلى التقوى.

قال تعالى: ﴿ وَلَمِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَاوَات وَٱلْأَرْضَ وَسَخَرَ الشَّمْسَ وَٱلْقَامَرَ لَيَقُولُنَ اللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ (٢)، وبهذه الآية الكريمة نستدل على أنه سبحانه وتعالى الخالق لهذا الكون الفسيح ومنه:

" تقرر في العقول من وجوب انتهاء الممكنات إلى واحد واجب الوجود"(")، وكذلك من قضايا الحق علم الله وقدرته وغناه وإفتقار العبد إليه سبحانه وتعالى.

قـــال تعـــالى: ﴿ فَاعَلَمْ أَنَّهُ لِآ إِلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَاَسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُ وَمَثُنُونَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثُنُونِكُمْ وَمَثُنُونِكُمْ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَاللَّهُ يَعْلَمُ اللّهِ اللّهُ وَاللّهُ وَالّهُ وَاللّهُ وَلَّا لَا لَا لَا لَا اللللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ

⁽١) سورة الأنعام، آية ١٠٢.

⁽٢) سورة العنكبوت، آية: ٦١.

⁽٣) البيضاوي ، تفسيره، ص٥٣٣.

⁽٤) سورة محمد، آية: ١٩.

⁽٥) سورة طه، آية: ٧.

وقول تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَديرٌ ﴾ (١).

وقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴾ (٢).

فالآيات القرآنية السابقة دالة على أن الله هو المعبود ذو العلم والقدرة المحيطة بكل شيء، والغني عن خلقه، وخلقه في حاجة إليه فبالله وحده عليه توكله واعتماده وإنابته إليه.

قال تعالى: ﴿ فَتَوَكَّلْ عَلَى آللَّهِ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ﴾ (٣).

فالتوكل قضية مهمة في عقيدة المؤمن فلابد من عقد هذه القضية وتوثيقها وإحكامها وربطها بقوة في قلب المؤمن، فمنها يصلب ويشتد المؤمن ويقوى على امتثال أمر الله وسننه في الكون؛ لذا تقرر على الجماعة المسلمة في كل زمان ومكان أن تزن الأمور جميعها بميزان الإيمان والعقيدة، وأن تدرك الأمور ببصيرة المؤمن وقلبه وترى بنور الله، ولاتستهين بذلك لأنه في:

"ظل العقيدة الإسلامية الصحيحة يتحقق الأمن والحياة الكريمة، ذلك أنها تقوم على الإيمان بالله، ووجوب إفراده بالعبادة القلبية والعملية دون سواه،وذلك بلا شك سبب الأمن والخير والسعادة في الدارين. قسال تعسالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَنَهُم بِظُلْمٍ أُولَا مَن لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُهَتَدُونَ ﴾ (أ). فهذا مصير أهل الإيمان "(٥).

سورة آل عمران، آیة: ۱۸۹.

⁽٢) سورة فاطر، آية: ١٥.

⁽٣) سورة النمل، آية: ٧٩.

⁽٤) سورة الأنعام، آية: ٨٢.

⁽٥) انظر: لسماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز، في ظل الشريعة الإسلامية يتحقق الأمن والحياة الكريمة للمسلمين، (الرياض: دار إمام الدعوة تط الأولى ١٤١٢هـــ-١٩٩٢م)، ص٦٠-٠٠.

فمتى سلمت العقيدة يسلم معتنقها من الانحراف واتباع الهوى وينشرح صدره للنور المبين.

قال تعالى: ﴿ أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدَّرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورِ مِّن رَبِّهِ عَلَىٰ نُورِ مِّن رَبِّهِ عَلَىٰ لَكُورِ مِّن رَبِّهِ أَوْلَلْبِكُ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ (١).

وقال تعالى: ﴿ يَآأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرُّهَانُ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا ﴾ [النَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرُّهَانُ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا

فهذا النور يلمسه المؤمن ويشعر به، ويؤمن أن هناك قوة مدفونة في قلبه ألا وهي الثقة في الله والتوكل عليه في أموره كلها.

وقضية التوكل ثابتة بالكتاب والسنة المطهرة ولابد من اليقين الجازم، والرضى، وإعلان هذه القضية العقدية الأخلاقية بالقول والعمل بمعنى أن يكون الظاهر مطابقا للباطن.

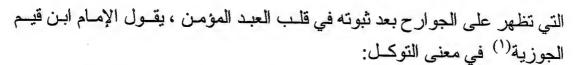
قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ (٦).

و التوكل من لوازمه أن يصدر من أعماق قلب الشخص، وتكون قوة اليقين بحسب تغلغله في القلب، وبمقدار مافيه من صدق خال من الشكوك، والعوارض المرضية فعمل المؤمن لايخرج عن اثنين: أحدهما: أعمال قلبية، وثانيهما: أعمال مختصة بالجوارح بينهما من الارتباط ماهو معلوم، فالتوكل من الأعمال والعبادات

سورة الزمر، آية: ۲۲.

⁽٢) سورة النساء، آية: ١٧٤.

⁽٣) سورة فصلت، آية: ٣٣.



قال أبو تراب النخشبي (٢): (هو طرح البدن في العبودية، وتعلق القلب بالربوبية، والطمأنينة إلى الكفاية. فإن أعطى شكر، وإن منع صبر)(٣).

فالإيمان بالله تعالى من أعمال القلوب، قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّالِحَاتِ أُوْلَتِهِكَ أَصْحَابُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (٤).

فالآية دليل على أن دخول الجنة منوط بما هو معقود من إيمان صحيح بالقلب يتبعه العمل الصالح معا، فالمؤمن برحمة ربه جدير بدخول الجنة جزاء وفاقا لإخباته، وإنابته، وتوكله، وإخلاصه لربه في السر والعلن، وفي هذا يكون (الإيمان له ظاهر وباطن، وظاهره قول النسان، وعمل الجوارح، وباطنه تصديق القلب، وانقياده، ومحبته فلاينفع ظاهر لاباطن له، وإن حقن به الدماء وعصم به المال والذرية، ولايجزئ باطن لاظاهر له إلا إذا تعذر بعجز أو إكراه وخوف وهلاك. فتخلف العمل ظاهرا مع عدم المائع دليل على فساد الباطن وخلوه من الإيمان، ونقصه دليل نقصه، وقوته دليل قوته، فالإيمان قلب الإسلام ولبه، واليقين قلب الإيمان ولبه، وكل علم وعمل لايزيد الإيمان واليقين قوة فمدخول، وكل إيمان لايبعث على العمل فمدخول)، وكل إيمان لايبعث على العمل فمدخول)، (وقد روي أن النبي القيان بين

⁽۱) هو شمس الدين، أبو عبدالله، محمد بن أبي بكر ابن أيوب الزرعي، ولد سنة ٢٩١هـ، وتوفي سنة ٧٥١هـ، من كتاب الفوائد ترجمة في المقدمة .

⁽٢) أبوتراب النخشبي أحد أعلام المتوكلين؛ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء للأصبهاني، مـج (٢) (١٠-٩)، (١٠-٩).

⁽٣) ابن القيم، مدارج السالكين، (١٢١/٢).

⁽٤) سورة البقرة، آية: ٨٢.

⁽٥) ابن القيم، الفوائد، ص ١١٢.



عبدالله(۱) الثقفي وقد قال له يارسول الله: "قل لي في الإسلام قولا لاأسأل عنه أحدا بعدك قال: قل آمنت بالله ثم استقم")(۲)، (فليس الإيمان بالتحلي و لابالتمني، ولكن ماوقر في القلب وصدقته الأعمال)($^{(7)}$.

وقد ظهر في خطاب القرآن الكريم للمؤمنين أن معظم التكاليف والأخلاق والآداب الشرعية السلوكية مبنية على تحقق القاعدة الإيمانية لدى المخاطبين بها، فأكثر هذه التكاليف نجدها مصدرة بنداء الله عز وجل المحبب للمؤمنين: ﴿ يَآأَيُّهَا اللّٰذِيرِ . كَ ءَامَنُواْ ﴾ .

فمنها قوله تعالى: ﴿ يَآأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوَاْ ... ﴾ (٤).

وقول تعالى: ﴿ يَآأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ (٥) وغيرها كثير.

فالعقيدة كما اتضح لنا لها تأثير على السلوك بوجه عام فهي حافز في عمق كل مؤمن والرسول - على المثل والقدوة في ذلك .

ومن وجهة نظري فإن الإيمان الحق هو الذي يشتمل على ركيزتين هامتين والله أعلم في ذلك:

⁽۱) سفيان بن عبدالله الثقفي ولد سنة ۹۷، توفي سنة ۱۲۱؛ من كتاب تهذيب التهذيب لابن حجر، (۳/ ۲۰۰۰).

⁽٢) شرح النووي لصحيح مسلم، (القاهرة: دار الريان للتراث ١٤٠٧هـ، وبيروت: دار الكتب العلمية ١٤٠٩هـ)، (٣٨).

⁽٣) انظر: الخطيب البغدادي، اقتضاء العلم العمل، تحقيق ناصر الدين الألباني، (الكويست" دار الأرقم بدون تط) ص٤٣٠.

 ⁽٤) سورة البقرة، آية: ۲۷۸.

⁽٥) سورة الأنفال، آية: ٢٤.



أو لاهما: العقيدة الثابتة التي لايخالطها شك.

وثانيهما: العمل الذي يصدق العقيدة وهو ثمرتها.

فالتوكل عمل قلبي إذا صدق ظهر على جوارح العبد المؤمن، وهذا مانراه في آيات كثيرة.

قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَا خَشُوهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴾ (١).

فتدل الآية على أن مقولة الناس لهم زادتهم إيمانا بالله وثقة به " فزادهم ذلك من تخويف من خوفهم يقينا إلى يقينهم، وتصديقا لله، ولوعده ووعد رسوله إلى تصديقهم فقالوا ثقة بالله وتوكلا عليه " حسبنا الله ونعم الوكيل" يعني يكفينا و "نعم الوكيل" ونعم المولى لمن وليه وكفله" (٢).

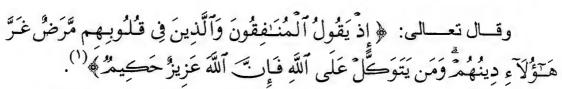
فالقلب المؤمن إذا انطوى على اليقين والوثوق به سبحانه وتعالى، تأكد من أن الله لن يضيعه، وما تلك المقولة إلا تعبير صادق عن إيمانهم. أي أن الله كافينا ما يهمنا من أمر الذين جمعوا لنا فما علينا إلا العمل بما أمر، والتوكل عليه، وتفويض جميع أمورنا إليه سبحانه عز وجل.

وقال تعالى: ﴿ وَيَقُولُونَ طَاعَةُ فَإِذَا بَرَزُواْ مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَآبِفَةُ مِّنَهُمْ عَنْهُمْ وَتَوَكُّلُ مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَآبِفَةُ مِّنَهُمْ عَنْهُمْ وَتَوَكُّلُ مِنْ عِندِكَ بَيْتَ طَآبِفَةُ وَتَوَكُّلُ مِنْ عَنْهُمْ وَتَوَكُّلُ مَا يُبَيِّتُونَ فَأَعْرِضَ عَنْهُمْ وَتَوَكُّلُ عَلَيْهُمْ وَتَوَكُّلُ عَلَيْهُمْ وَتَوَكُّلُ عَلَيْهُمْ وَتَوَكُّلُ عَلَى اللّهِ وَكَفِيلًا ﴾ (٣).

⁽١) سورة آل عمران، آية: ١٧٣.

⁽٢) ابن جرير الطبري، تفسيره، (٢/٤٣٦).

⁽٣) سورة النساء: آية: ٨١.



ففي الآيتين بيان أن مقام التوحيد لايتحقق إلا بفعل الطاعات، وطاعتنا لأمر رسول الله على هي من العبادات؛ لأنه مرسل من رب العباد، ومقام التوحيد العظيم هو طاعة الله الذي أمر به وهو من طاعة رسوله المبلغ عنه.

قـــال تعــالى: ﴿ وَمَآ ءَاتَلَكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَلَكُمْ عَنْهُ فَانَتَهُواً ... ﴾ (٢).

فطاعته قد تغلغلت في أعماق النفوس، وتجذرت في القلب، وبهذا يكون الإيمان و العقيدة مرتبطة ارتباطا وثيقا بالنفس، وهذا ما دلت عليه الآيتان.

والقرآن العظيم كله دعوة إلى التربية والأخلاق التي لايمكن الاستغناء عنها بل هي من الأمور الأساسية التي لابد منها لاستقامة الإنسان في الحياة لينال سعادة الآخرة.

قال تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِن ذَكِر أَوْ أُنثَىٰ وَهُو مُؤْمِنُ فَكَ فَا كَانُواْ فَلَنُحْدِينَا هُو حَيَوْةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ (٣).

فالله تعالى يرغب عباده في العمل الصالح المبني على الإيمان بالله السذي هو أساس في قبول الأعمال، ويترتب عليه سعادة الدارين، فالعمل إذا لم يكن مقرونا بالإيمان لاينفع صاحبه.

ومن هذه الأعمال والأخلاق والعبادات ماتدعو إلى صفاء النفس وتهذيبها أو إلى حسن السلوك مع الآخرين.

سورة الأنفال، آية: ٤٩.

⁽٢) سورة الحشر، آية: ٧.

⁽٣) سورة النحل، آية: ٩٧.

قال تعبالى: ﴿ يَكَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَى ٱلله وَرَسُولِهُ وَٱللَّهُ إِنَّ ٱللهَ سَمِيعُ عَلِيمُ ﴿ يَكَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُواْ وَرَسُولِهُ وَٱللَّهُ إِنَّ ٱللهِ سَمِيعُ عَلِيمُ ﴿ يَكَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُواْ أَصُواتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِي وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُ بِٱلْقَوْلَ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لَابَعْضِ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿ إِلَّهُ قُولُ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لَلْعَضَ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿ إِنَّ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقُوكِ لَا يَشْعُرُونَ اللهُ عَلَى اللهُ عَلَيْمُ اللهُ ا

"فهذه آیات أدب الله تعالی بها عباده المؤمنین، فیما یعاملون به الرسول علی من التوقیر والاحترام والتبجیل والإعظام...(۲)؛ فالسورة فیها إرشاد المؤمنین إلی مکارم الأخلاق، وهی إما مع الله تعالی، أو مع الرسول علی أو مع غیرهما من أبناء جنسهم..."(۲).

فهذه الآداب والأخلاق قواعد يتعامل بها المؤمنون مع أنفسهم أولا، ثم مع الآخرين ولاسيما إذا كان من يتعاملون معه هو الرسول النبي الأمي ذو المكان والمقام الرفيع عند الله تعالى.

والآداب القرآنية كما ذكرنا كثيرة وفي اتجاهات عديدة، ولهذا نرى الإسلام يأمر بالأدب في المأكل والمشرب والمشي وفي التواضع، وعند الكلام، وعند المقابلة، وتجميل الباطن وتحسينه، والسعي إلى معالي الأمور مثل الأعمال العلمية، وعمل الخيرات ومكارم الأخلاق التي يمدح فيها الناس.

قال تعالى: ﴿ وَفِي ذَا لِكَ فَلَيْتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَافِسُونَ ﴾ (1).

⁽١) سورة الحجرات، آية: (١-٣).

⁽٢) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (٢) ٣١٥).

⁽٣) انظر: الفخر الرازي، مفاتيح الغيب، (بيروت: دار الفكر، تط الثالثة ١٤٠٥هـــ)، (مـــج١٤) (مـــج١٤). (٣)

⁽٤) سورة المطففين، آية: ٢٦.

وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ عَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ عُمْتَالٍ فَخُورٍ ﴿ وَٱقْصِدُ فِي مَشْيِكَ ... ﴿ ﴾ (١).

وقال الرسول الكريم لأبي سلمة "ياغلام سم الله وكل بيمينك وكل مما يليك"(٢).

وعن الكلام، قال تعالى: ﴿ وَآغَضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصُواتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴾ (٣).

وعند المقابلة والنهي عن تصعير الخد، قال تعالى: ﴿ وَلَا تُصَعِّرُ خَدُّكَ لِنَّاسٍ ﴾ (٤).

فهذه الآداب إذا ركزت فهي قواعد، وإذا صلبت فلن تحيد ولن تضطرب وإذا لم يهتم الإنسان بتلك القواعد ولم يعرها اهتمامه فستحكم حياته الفوضى ويعمها اللامبالاه وذلك لأن الحافز والمؤثر الأساسي مفقود.

فالأخلاق السابقة عظيمة تدعو إلى الإيمان مع ربطها بخلق إسلامي عظيم فإن أخلاق الإسلام منتشرة في رحاب كتاب الله الخالد إلى يوم القيامة تدعو إلى أنبل قصد وأسمى غاية، ونخص بالذكر هنا خلق التوكل، فالقرآن يدعو إليه بشتى الأساليب.

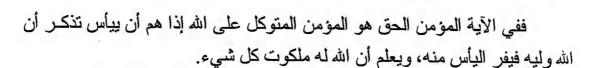
قال تعالى: ﴿ يَ مَا يُنْهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ آذَكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذَّ هُمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓ اللَّهُ وَٱللَّهُ اللَّهُ وَعَلَى اللَّهِ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلُ اللَّهُ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلُ اللَّهُ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلُ اللَّهُ وَمُنُونَ ﴾ (١).

⁽۱) سورة لقمان، آية: ۱۸–۱۹.

⁽٢) فتح الباري لابن حجر العسقلاني، (١١/١٥٤)، كتاب الأطعمة.

⁽٣) سورة لقمان، آية: ١٩.

⁽٤) سورة لقمان ، آية: ١٨ .



" فكفاية الله تجلت في الهدوء والطمأنينة فأصبح ضبط النفس وسماحة القلب، وإقامة العدل ميسورة، ويستحي المسلمون أن لايفوا بميثاقهم مع الله، وهو يرعاهم ويكلؤهم، ويكف الأيدي المبسوطة إليهم"(٢).

وهناك أساليب دعت إلى التوكل على الله مستوحاة من التربية القرآنية نذكر منها هنا مايفيد البحث على سبيل الإيجاز والقصر فمن أهمها:

- ١- الأمر الصريح بالتوكل على الله تعالى.
 - ٢- ثناء الله على المتوكلين.
 - ٣- أنه من صفات الأنبياء والمرسلين.
 - ٤- وعد الله بكفاية من توكل عليه.
 - ٥- كونه شرطا في تحقيق الإيمان.

أولا: الأمر الصربح بالتوكل على الله :

التوكل من خلق رسولنا الكريم في فقد رسخ عقيدة وخلقا، فأمر تعالى رسوله بالتوكل عليه، فسأذكر آيات فيها أسلوب الأمر على سبيل الإيجاز لا الحصر.

⁽١) سورة المائدة، آية: ١١.

قال تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمُّ وَلَوْ كُنتَ فَظًا عَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لِآنِفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعَفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ اللَّهَ إِنَّ ٱللَّهُ عَرَمْتَ فَتَوَكَّلِينَ ﴾ (١). فِي ٱلْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلِينَ ﴾ (١).

وقَالَ تعالى: ﴿ وَيَقُولُونَ طَّاعَةُ فَاذَا بَرَزُواْ مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَآمِفَةٌ مَا يَبَيِّتُونَ فَأَعْرِضَ عَنْهُمْ طَآمِفَةٌ مِّنْهُمْ عَنْهُمْ عَنْهُمْ مَا يُبَيِّتُونَ فَأَعْرِضَ عَنْهُمْ وَلَيْ هُوالَا هُوالَا اللهِ وَكَفَى بِٱللهِ وَكِيلًا ﴾ (٢).

وقال تعالى: ﴿ وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلَمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهَ إِنَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ (٣).

وقال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُ وَقَالَ تَعَلَّمُ وَكُلُّهُ مُ اللَّهُ مَا رَبُّكَ بِغَلْفِل عَمَّا تَعَمَّلُونَ ﴾ (٤).

والتوكل من خلق رسولنا الكريم الله فقد رسخ عقيدة وخلقا وربى الرعيل الأول رضوان الله عليهم على التوكل على الله فرسخ وتمكن من قلوبهم.

فالآيات الكريمة السابقة جميعها أمر من الله تعالى لنبيه بالتوكل عليه وللمؤمنين تبع له.

فالآية من سورة النساء أمر من الله سبحانه وتعالى لرسوله الكريم بالإعراض عن المنافقين.

" فاعرض عنهم قلل المبالاة بهم أو تجاف عنهم وتوكل على الله في الأمور كلها لاسيما في شأنهم وكفى بالله وكيلا يكفيك معرتهم وينتقم لك منهم"(١).

سورة آل عمران، آیة ۱۵۹.

⁽٢) سورة النساء، آية ٨١.

⁽٣) سورة الأنفال، آية ٦١.

⁽٤) سورة هود، آية ١٢٣.

والآية من سورة هود أمر بالتوكل فالله تعالى كافي رسوله كل مايكره ومعطيه كل مايحب، والفاء لترتيب الأمر بالعبادة، والتوكل على أن مرجع الأمور كلها إلى الله سبحانه (٢).

والرسول على من أكثر الناس توكلا على ربه العلي القدير وهذا مايدل عليه موقفه على يوم الخندق ومابلغهم من تآمر قريش وأحزابهم وحلفائهم، فوقف على موقف المتوكل على الله في اموره وأحواله.

قــــال تعــــالى: ﴿ يَا أَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَلْفِرِينَ وَٱلْمَنْ فَقِينَ إِنِّ ٱللهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ۞ وَٱتَّبِعُ مَا يُوْحَىٰ اللهَ عَن رَبِّكَ إِنَّ ٱللهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ۞ وَتَوَكَّلُ عَلَى اللهَ وَحَفَىٰ بِٱللهِ وَحَيلًا ۞ ﴿ وَتَوَكُلُ عَلَى اللهِ وَحَفَىٰ بِٱللهِ وَحَيلًا ۞ ﴿ وَنَ اللهِ وَحَيلًا ۞ ﴿ وَنَ اللهِ وَحَيلًا هَ ﴾ ﴿ وَاللهِ وَحَيلًا ۞ ﴾ ﴿ وَاللهُ وَاللهُ وَاللهُ وَاللهُ وَاللّهُ وَلّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَلَا اللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ وَاللّهُ وَلَا اللّهُ وَلّهُ وَلَا اللّهُ وَاللّهُ وَلَا اللّهُ وَاللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ وَلّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ

⁽۱) البيضاوي، تفسيره، ص ۱۱۹.

⁽٢) الشوكاني، فتح القدير، (٢/٥٣٥).

⁽٣) الفخر الرازي، التفسير الكبير، مفاتيح الغيب، (١٠١/١٠).

 ⁽٤) سورة الأحزاب، آية ١-٣.

" واكتف بالله وكيلا أي حافظا موكولا إليه كل أمر. أو المعنى: وكفى به وكيلا لمن توكل عليه وأناب إليه"(١).

⁽١) ابن عاشور، الأساس في التفسير، (دار السلام، تط الثانية، ١٤٠٩هـ)، (٢/٨٦/٨).

ثانيا: ثناء الله على المتوكلين :

إن القرآن تنزيل من رب العالمين، وفيه مايثير النفس ويدعو التتبع والتأمل ففي ثناء الله مايدعوا إلى الحث على فعل الشيء والقرآن حين يستخدم أسلوب الثناء فإنه يخبر بأن العاقبة حسنة في الدنيا والآخرة.

قال تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمُّ وَلَوْ كُنتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لِاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعَفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرُهُمْ اللَّهَ إِنَّ ٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلمُتَوَكِّلِينَ ﴾ (١). فِي ٱلْأُمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلِينَ ﴾ (١).

إن الله تعالى إذا أحب عبدا رزقه طاعته فيمتلئ قلب العبد معرفة بالله وخوفا ومهابة وإنابة وتوكلا ولايبقى في القلب إلا الله ولاتستطيع الجوارح إلا موافقة المحبوب.

فالله تعالى يحب الراضون بقضائه والمستسلمين لحكمه المتوكلين عليه في أمور هم جميعها(٢).

وقال تعالى: ﴿ فَتَوَكَّلْ عَلَى آللَّهِ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ﴾ (٣).

" يقول تعالى ذكره لنبيه محمد في ففوض أمرك إلى الله يامحمد، وثق به فيها، فإنه كافيك "إنك على الحق المبين" لمن تأمله، وفكر مافيه بعقل، وتدبره بفهم، أنه الحق "(٤).

فالآية فيها تعليل صريح للتوكل عليه بكونه عليه الصلاة والسلام على الحق المبين (°).

سورة آل عمران، آیة ۱۵۹.

⁽٢) ابن جرير الطبري، جامع البيان، (٢/٣٥٥).

⁽٣) سورة النمل، آية ٧٩.

⁽٤) المصدر السابق، (٥/١٨٥).

⁽٥) أبي السعود، إرشاد العقل السليم، مزايا الكتاب الكريم، (٢١٥/٤).

وبهذا فالقرآن يغرس الإيمان والتوكل ويربي ويعلم كيف يكون حسن الإيمان والتوكل، والآيات والشواهد القرآنية كثيرة لايسمح المجال لذكرها لذلك كان الاختصار على بعضها.

ثالثا : كونه من معات الأنبياء والمرسلين :

أمر تعالى الأنبياء السابقون بالتوكل عليه وجعلوه نبراس حياتهم ليمضوا في طريق الدعوة.

قال تعالى: ﴿ وَٱتَّلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَلَقُوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى وَتَذْكِيرى بِعَايَاتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوٓا عَلَيْكُم مَّقَامِى وَتَذْكِيرى بِعَايَاتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوٓا أَمْرُكُمْ عَلَيْكُم عَلَيْكُم عَلَيْكُم عَلَيْكُم أَقَ ضُوّا إِلَى اللَّهُ وَلَا تُنظِرُون ﴾ (١).

وقال تعالى على لسان موسى: ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَلْقُوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِاللّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُواْ إِن كُنتُم مُّسَلِمِينَ ﴿ فَقَالُواْ عَلَى ٱللهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فَتَنَهُ لِلْقَوْمِ ٱلظَّلِمِينَ ﴿ ﴾ (٢)، وفي الآية من قول نوح:

"خبره مع قومه إذ قال لقومه إن عظم عليكم وشق كوني إقامتي بينكم مدة مديدة أو قيامي على الدعوة وتذكيري إياكم بآيات الله (فَعَلَى ٱلله تَوَكَّلُتُ) وثقت به (فَأَجْمِعُوٓا أُمْرَكُمُ) فاعزموا عليه وشركاءكم أي مع شركائكم فاجمعوا من الجمع والمعنى أمرهم بالعزم أو الاجتماع على قصده والسعي في إهلاكه على أي وجه يمكنهم ثقة بالله وقلة مبالاة بهم، ثم لايكن أمركم في قصدي عليكم غمة ستورا، واجعلوه ظاهرا مكشوفا من غمة إذا ستره (ثُمَّ لا

⁽١) سورة يونس، آية: ٧١.

 ⁽۲) سورة يونس، آية: ۸۵-۸۵.



يَكُنَ عالكم عليكم غما إذا أهلكتموني وتخلصتم من ثقل مقامي وتذكيري ثم (اَقَصُواً) أدوا إلي ذلك الأمر الذي تريدون ثم انتهوا إلى بشركم أو ابرزوا إلي (وَلَا تُنظرُون) ولاتمهلوني فإن أعرضتم عن تذكيري فما سالتكم من أجر يوجب توليكم إن أجري وثوابي على الدعوة والتذكير إلا على الله وأمرت أن أكون من المسلمين المنقادين لحكمه لا أخالف أمره ولا أرجو غيره"(١).

وفي الآية الثانية من نفس السورة قول موسى: "ياقوم إن كنتم آمنتم بالله عليه توكلوا فثقوا به واعتمدوا عليه إن كنتم مسلمين مستسلمين لقضاء الله مخلصين له، ولأنهم كاثوا مؤمنين مخلصين قالوا توكلنا على الله، وفي تقديم التوكل على الدعاء تنبيه على أن الداعي ينبغي أن يتوكل أولا لتجاب دعوته"(٢).

وأمر هود عليه السلام، قال تعالى: ﴿ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى آللَّهِ رَبِّي وَكَلْتُ عَلَى آللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلاَّ هُوَ ءَاخِذُ الْبِنَاصِيَتِهَ آ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صَرَاطِ مُسْتَقِيمٍ ﴾ (٢).

وامر شعيب عليه السلام، قال تعالى: ﴿ قَالَ يَاقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ اللهِ وَاللَّهُ عَلَىٰ بَيِّنَةً مِّنِ رَّبِتِي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَآ أُريدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُريدُ اللَّهُ وَمَآ أُريدُ اللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلُتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلُتُ وَإِلَّا إِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ (١).

⁽۱) البيضاوي ، تفسيره ، ص ۲۸٤.

⁽٢) المصدر نفسه، ص٢٨٦.

⁽٣) سورة هود، آية ٥٦.

⁽٤) سورة هود، آية ٨٨.

وامر إبراهيم عليه السلام، قال تعالى: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسُوةً وَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ وَاذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَ وَالْ مَعَهُ وَاذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَ وَالْ مَن دُونِ اللهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَا مِن دُونِ اللهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَا وَبَيْنَا وَبَيْنَا بُكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبُدًا حَتَىٰ تُؤْمِنُواْ بِاللهِ وَحْدَهُ وَإِلَّا وَبَيْنَا عُلَيْكُ مُنَاللهِ وَحْدَهُ وَإِلَّا وَبَيْنَا وَإِلَيْكُ اللهِ مِن اللهِ مَن اللهِ مِن اللهِ مَن اللهِ مِن اللهِ مِن اللهِ مَن اللهِ مِن اللهِ مَن اللهِ مِن اللهِ مَن اللهِ مَن اللهِ مِن اللهِ مَن اللهِ مَن اللهِ مَن اللهِ مِن اللهِ مَن اللهُ مَن اللهُ مَن اللهِ مَن اللهِ مَن اللهُ مَن اللهِ مَن اللهُ مَن اللهُ مَن اللهِ مَن اللهِ مَن اللهِ مَن اللهِ مَن اللهُ مَن اللهُ مَن اللهِ مَن اللهُ مَن اللهِ مَن اللهِ مَن اللهُ مَن اللهِ مَن اللهُ مَن اللهِ مِن اللهِ مَن اللهِ مَن اللهِ مَن اللهِ مَن اللهُ مَن اللهُ مَن اللهِ مَن اللهِ مَن اللهِ مَن اللهُ مَن اللهِ مَن اللهِ مَن اللهُ مِن اللهُ مَن اللهِ مَن اللهِ مَن اللهُ مَنْ اللهُ مَن اللهُ مَن اللهُ مَن اللهُ مَن اللهُ

وامر يعقوب عليه السلام، قال تعالى: ﴿ وَقَالَ يَابَنِيَّ لَا تَدْخُلُواْ مِنْ بَابِ وَاحِدِ وَٱدْخُلُواْ مِنْ أَبُوابِ مُّتَفَرِّقَةً وَمَآ أُغْنِي عَنكُم مِنْ بَابِ وَاحِدِ وَٱدْخُلُواْ مِنْ أَبُوابِ مُّتَفَرِّقَةً وَمَآ أُغْنِي عَنكُم مِنْ اللَّهِ مِن شَيْءً إِن ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلُتُ وَعَلَيْهِ فَلَيْهِ مِن شَيْءً إِن ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلُتُ وَعَلَيْهِ فَلَيْتَوَكَّلُ ٱللَّهُ مِن شَيْءً إِن ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلُتُ وَعَلَيْهِ فَلَيْتَوَكَّلُ ٱللَّهُ مَن شَيْءً إِن ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلُتُ وَعَلَيْهِ فَلَيْتُوكَ كُلُونَ ﴾ (٢).

وأمر نبي الرحمة المهداة محمد في قال تعالى: ﴿ كَذَالِكَ أَرْسَلْنَكَ فِي أَمَّةُ لِتَتَلُواْ عَلَيْهِمُ ٱلَّذِي أَرْسَلْنَكَ فِي أُمَّةً قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَا أُمَمُ لِتَتَلُواْ عَلَيْهِمُ ٱلَّذِي أَرْسَلْنَكَ فِي أُمَّةً يَكُفُرُونَ بِٱلرَّحْمَانِ قُلْ هُوَ رَبِّي لا إِلَه إِلا هُو عَلَيْهِ تَوَكَّلُتُ وَإِلَيْهِ مَتَابٍ ﴾ (١).

فالآيات جميعها دالة على أمر الله تعالى لأنبيائه بالتوكل والاعتماد عليه سبحانه في سبيل نشر دعوتهم دعوة الحق وبذل الجهد والسعي لأجل إعلائها.

⁽١) سورة الممتحنة، آية ٤.

⁽٢) سورة يوسف، آية ٦٧.

⁽٣) سورة الرعد، آية ٣٠.

رابعا: وعد الله بكفاية من توكل عليه :

إن القرآن الكريم بهذا الاسلوب يدعوا إلى التمسك بالتوكل على الله، فمن أصاب التوكل في أعماله جاءته بعد ذلك كل الوعود التي وعد بها سبحانه عباده لمن تمسك بالتوكل وجعله صبغة أفعاله، فالمؤمن يتلقى أوامر ربه ويلقيها على جميع جوارحه، فإن أطاعته هذه الجوارح وخضعت نال مراده من رب العباد عاجلا أم آجلا.

قال تعالى: ﴿ وَيَقُولُونَ طَاعَةُ فَإِذَا بَرَزُواْ مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَآمِفَةُ مِّنَهُمْ عَنْهُمْ عَنْهُمْ مَا يُبَيِّتُونَ فَأَعْرِضَ عَنْهُمْ مِّنْهُمْ عَنْهُمْ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَكَاللًا ﴾ (١).

فالله تعالى في هذه الآية يكفل لحبيبه في أموره تجاه مخالفيه وأعدائه من أهل الكتاب والمنافقين .

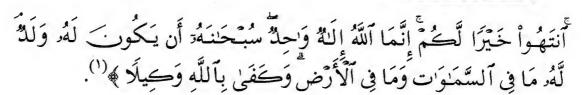
"(وتوكل) أنت يامحمد "على الله" يقول أو فوض أنت أمرك إلى الله، وثق به في أمورك، وولها إياه، "وكفى بالله وكيلا" يقول وكفاك بالله. أي: وحسبك بالله. "وكيلا" أي فيما يأمرك، ووليا لها، ودافعا عنك وناصر ا"(٢).

وقال تعالى: ﴿ يَا أَهُ لَ ٱلْكِتَابِ لَا تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ وَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ إِنَّمَا ٱلْمُسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُ وَ أَلْقَلَهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَكَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِ ۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَنْهُ أَلَيْ

⁽١) سورة النساء، آية ٨١.

⁽۲) ابن جریر، جامع البیان، (۲/۲۰۰).

⁽٣) سورة النساء، آية ١٣٢.



ففي الآيتين معنى اتخاذه سبحانه وكيلا و لانتوكل على غيره (٢).

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلُطُنُ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴾ (٣).

وقال تعالى: ﴿ وَتَوَكَّلُ عَلَى ٱللَّهِ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴾ (٤).

وفي الآيتين معنى أنه سبحانه متصرف بكيفية كفايته تعالى للمؤمنين في سلب قدرة الأعداء من الإنس والجن على الإغواء (٥).

"أن الوكيل: من يتوكل عليه، فتفوض الأمور إليه، ليأتي بالخير ويدفع الشر، وهذا لايصح إلا لله وحده جل وعلا، ولهذا حذر من اتخان وكيل دونه، لأنه لانافع و لاضار، و لاكافي إلا هو وحده جل وعلا، عليه توكلنا، وهو حسبنا ونعم الوكيل"(1).

فاقول وبالله التوفيق: إن التوكل على الله هو أن يعلم المؤمن أن الله قد ضمن وكفي له الرزق وغيره فيصدق الله فيما ضمنه وكفاه إياه ويثق بقلبه ويحقق الاعتماد عليه سبحانه فيما ضمنه وكفاه.

⁽١) سورة النساء، آية ١٧١.

⁽٢) انظر: ابن جرير، المصدر السابق، (٢/١٧٠).

⁽٣) سورة الإسراء، آية ٢٥.

⁽٤) سورة الأحزاب، آية ٣.

⁽٥) أبو السعود، إرشاد العقل، (٣٤١/٣)؛ ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، (المكتب الإسلامي، تط الثالثة ٣٤١هـ)، (٥/٠٠).

⁽٦) الشنقيطي، أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن، (بيروت: عالم الكتب)، (٣/٤٠٤).



خامسا: كونه شرطا في تحقيق الإيمان وشعبه:

إن المتتبع لآيات القرآن الخاصة بالتوكل يلحظ أن الله تعالى كثيرا ماربط التوكل بالإيمان وبالإسلام.

ففي قوله تعالى: : ﴿ إِذْ هَمَّت طَّآبِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلِيُّهُمَا ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ (١).

وقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ الْدُهُمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓ الْمَالُوّ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْكُمْ أَيْدِيهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيهُمْ عَنكُمْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهُ اللَّهُ وَعَلَى فَلْيَتَوَكَّلُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ (٢).

وقوله تعسالى: ﴿ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱلْجُكُمْ عَلَيْهِمَا ٱلْجُكُمْ عَلَيْهِمُ ٱلْبُابَ فَإِذَا دَخَلَتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَلِبُونَ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا اللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا وَكُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ (٢).

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتَ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتُ عَلَيْهِمْ عَايَنَهُمْ وَادَتُهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ (1).

وقوله تعالى: ﴿ اذْ يَقُولُ ٱلْمُنَافِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضَّ عَرَّ هَوَ اللهِ عَرَيْ وَلَا اللهِ عَرَيْ حَكِيمُ ﴾ (٥).

وقوله تعالى: ﴿ وَٱتَّـلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ، يَاقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِي وَتَذَكِيرِي بِغَايَاتِ ٱللهِ فَعَلَى ٱللهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوٓاْ

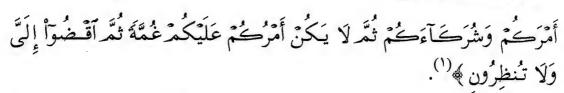
سورة آل عمران، آیة: ۱۲۲.

⁽٢) سورة المائدة، آية: ١١.

⁽٣) سورة المائدة، آية: ٢٣.

⁽٤) سورة الأنفال، آية: ٢.

 ⁽٥) سورة الأنفال، آية: ٤٩.



وقول تعسالى: ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَلْقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا وَكَلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِي اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِي اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِي اللَّهِ مِنْ اللَّهِ مَا اللَّهُ عَلَى اللَّهِ مَا اللَّهُ مِنَا لَا تَجْعَلْنَا فَي اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ الللَّهُ اللَّا اللَّهُ اللَّلْمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُو

فمن خلال هذه الآيات التي استعرضناها نجد أن الله تعالى قد قرن بين التوكل ومراتب الدين: الإيمان، والإسلام، والإحسان، فعلى ذلك نقول إن التوكل هو جماع الإيمان، وماهذا إلا إشارة إلى علو منزلة التوكل على الله، والتوكل كما أشرنا عمل قلبي، والقلب موضع الإيمان الأصلي.

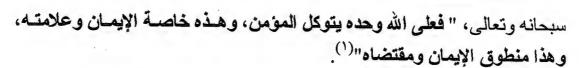
" فأصل الدين في الحقيقة هو الأمور الباطنة من العلوم والأعمال، وأن الأعمال الظاهرة لاتنفع بدونها؛ والدين القائم بالقلب من الإيمان علما وحالا هو الأصل، والأعمال الظاهرة هي الفروع، وهي كمال الإيمان، فالدين أول مايبتديء بأصوله ويكمل بفروعه"(").

وكذلك الآيات دالة على أن المؤمن الحق هو من يتذكر أن الله تعالى وليه ووكيله، فينصره بما يستفيد من الإيمان والذكر والتقوى، ولاتحصل حقيقة التوكل إلا بالسير على سنن الله في نظام الأسباب والمسببات؛ لأن من يوكل الأمر إلى الله يجب أن يطاع، ومن تتكب سنن الله سبحانه وتعالى في العالم خالف شرعه فيما أمر به من عمل نافع ونهى عنه من عمل ضار لايصح أن يسمى متوكلا عليه واثقا به فكل من تابع وأطاع أمر الرسول في وافقه فسيكون الظفر والنصر وكلما دخل الكم الهائل من طاقة لطاعة الرسول في القلوب فسوف يصل إلى الكسب؛ لأن الأمر منه وإليه

سورة يونس، آية: ٧١.

⁽٢) سورة يونس، آية: ٨٤-٥٥.

⁽٣) أحمد بن تيميه شيخ الإسلام، مجموع الفتاوى، جمع وترتيب: عبدالرحمن بن قاسم وابنه محمد (تط الأولى ١٣٩٨هـ)، (١٥/١٠).



قال تعالى: ﴿ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُ وَاعْبُدُهُ وَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ ﴾ (٢)، إن خلق التوكل لايكون إلا بعد بذل الوسع في مراعاة السنة وامتثال الأمر، والله تعالى هو الموكول إليه كل شيء ولايكون ذلك إلا بالإيمان والإذعان والاستسلام والاطمئنان، قال تعالى: ﴿ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ (٣)، والتوكل هنا بالتفويض وترك الاختيار.

كذلك ربط الله سبحانه وتعالى آيات الوحدانية والعبادة له وإخلاص الأمر والتقوى بالتوكل.

قال تعالى: ﴿ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذًا بِنَاصِيَتِهَا ۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾(١).

والمعنى في جملة "إني توكلت" تعليل المضمون "فكيدوني" وهو التعجيز والاحتقار بمعنى أنه واثق بعجزهم عن كيده؛ لأنه متوكل على الله، فهذا معنى ديني قديم، وأجرى على اسم الجلالة صفة الربوبية استدلالا على صحة التوكل عليه في دفع ضرهم عنه، لأنه مالكهم جميعا يدفع ظلم بعضهم بعضا وجملة إمن دَآبَّة إلا هُو ءَاخِذُ إِنَاصِيَتِهَآ في محل صفة لإسم الجلالة أو حال منه، والغرض منها مثل الغرض من صفة الربوبية ... وجملة إنَّ رَبِّى عَلَىٰ صرَاط مُستقيم تعليل لجملة إنِّي تَوكلت عليه لأنه أهل لتوكلي عليه، لأنه متصف بإجراء أفعاله على طريق العدل والتأبيد لرسله (٥).

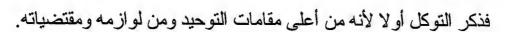
⁽١) سيد قطب، في ظلال القرآن، (٢/٨٧٠).

⁽٢) سورة هود، آية: ١٢٣.

⁽٣) سورة هود، آية: ٨٨.

⁽٤) سورة هود، آية: ٥٦.

⁽٥) انظر لمحمد طاهر ابن عاشور، التحرير والتتوير، (١٠١/١٠١).



قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ عَلَيْبُ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُ وَالْمَارُ اللَّهُ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلَ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ (١).

وقال تعالى ﴿ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ (١). وقال تعالى ﴿ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ وَقَالَ مُو رَبِّى لا إِلَهُ إِلاَّ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابٍ ﴾ (١).

وقال تعالى: ﴿ ذَا لِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ (1).

فهذه المواضع جمعت العبادة والتوكل والاستعانة، فالله تعالى لم يأمر بالتوكل فقط، بل أمر بالتوكل وبعبادته التي تتضمن فعل ماأمر وترك مانهى فالعابد لله عبودية تامة متوكل عليه فهذا هو من عرف الطريق ولزم الجادة (٥)، فالتوكل لن يكون صحيحا إلا إذا وجدت العبادة الحقة لله سبحانه، وقام العبد بخصائصها على أكمل وجه.

قال تعالى: ﴿ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرُّ مِّ لَكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عَبَادِهِ - وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَأْتَيَكُم بِسُلُطَانِ إِلَّا اللَّهَ يَمُنُ عَلَى مَن يَشَآءُ مِنْ عَبَادِهَ - وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَأْتَيكُم بِسُلُطَانِ إِلَّا بِاذِن اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلَيْتَوكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلَيْتَوكَّلَ عَلَى مَآ ءَاذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلَيْتَوكَّلَ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلَيْتَوكَّلُ اللَّهُ عَدَلْنَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَتَ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلَيْتَوكَلُونَ عَلَى اللَّهِ فَلَيْتَوكَلُونَ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ عَلَى مَآ ءَاذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلَيْتُوكَلُ اللَّهُ وَقَلَى اللَّهُ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلَيْتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهُ فَلَيْتُوكَ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللَّهُ مُلْكُونَا فَعَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ مِنْ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ عَلَى الْمُعَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَيْ عَلَى الْمُعَلَى اللَّهُ عَلَى الْعَلَالَ عَلَى الْعُلَالَ عَلَيْ عَلَى اللَّهُ عَلَى الْعَلَالَةُ عَلَى الْعَلَالَةُ

⁽١) سورة هود، آية: ١٢٣.

⁽٢) سورة الممتحنة ، آية: ٤ .

⁽٣) سورة الرعد، آية: ٣٠.

⁽٤) سورة الشورى، آية: ١٠.

⁽٥) انظر: لشيخ الإسلام ابن تيمية، مجموع الفتاوي، (٥٢٧/٨).

⁽٦) سورة إبراهيم، آية: ١١–١٢.



ومفهوم الآية أن المؤمن لن يبلغ ماله من خلافة إلا باذن ربه الأن ربه الأن جماع الأمر كله بيده سبحانه. وقد قرن التوكل بالمؤمنين تأكيدا على اقتران التوكل بالإيمان وبه تخلص الأعمال من وساوس الشيطان.

وليس للشيطان سبيل على المؤمنين المتوكلين وهذا مادلت عليه الآية الكريمة في قوله تعسالى: ﴿ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلُطُنُ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمَ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ (١).

" إنه لا تسلط للشيطان على الذين يصدقون بلقاء الله ويفوضون أمورهم إليه، وبه يعوذون وإليه يلتجنون، فلا يقبلون مايوسوس به ولايطيعونه فيما يريد منهم من اتباع خطواته"(٢).

إن الاعتراف بالعبودية لله تعالى وتوحيده عز وجل لهو مخرج لكل إنسان من الابتلاء، ولاسيما إذا كان هذا العبد هو المؤمن، فما من سراء أو ضراء إلا ويعلم المؤمن أنها من الله ويحسبها على الله تعالى وهذا هو خلق المتوكلين، وهذا مادلت عليه الآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿ وَلَبِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَاوَات وَالْأَرْضَ لَيَقُولُ أَنَّ اللَّهُ قُلُ أَفْرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللهِ إِنْ أَرَادَنِي ٱللهُ بِضُرِّ هَلَ هُنَّ كُشَفَاتُ ضُرِّه قَلُ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَة هَلَ هُنَ مُمْسِكَتُ رَحْمَته قُلْ حَسْبِي ٱللَّهُ عَلَيْه يَتَوَكَّلُ ٱلمُتَوَكِّلُونَ هُنَ مُمْسِكَتُ رَحْمَته قُلْ حَسْبِي ٱللَّهُ عَلَيْه يَتَوَكَّلُ ٱلمُتَوَكِّلُونَ هُنَّ اللهُ عَلَى الله عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى الله عَلَى الله عَلَى الله عَلَى الله عَلَى الله عَلَى الله عَلَى اللهُ عَلَى الله عَلَى

وقوله تعالى: ﴿ فَمَآ أُوتِيتُم مِن شَيْءٍ فَمَتَكُ ٱلْحَيَوْةِ ٱلدُّنْيَا ۗ وَمَا عِندَ اللهِ خَيْرُ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ (١).

⁽١) سورة النحل، آية: ٩٩.

 ⁽۲) المراغي، تفسيره، (٥/١٤٠).

⁽٣) سورة الزمر، آية: ٣٨.

⁽٤) سورة الشوري، آية: ٣٦.

فجميع المواضع التي ذكرت التوكل مقرونا بالوحدانية والعبودية في القرآن فيها معنى عظيم؛ أنه بعد إقرار الوحدانية والعبودية له سبحانه وتعالى، لاتمنع التوكل عليه، بعد أن أرانا الهدى والطريق القويم وعلى ذلك فليس للشيطان ولاية ولاطاعة على العبد المؤمن لأنه قد آمن وأقر بالوهية الله سبحانه وتعالى وأخلص له الجناب، وهذا كله من أحوال القلب وأعماله ومايكون من لوازم الإيمان الثابتة فيه لذلك فإن التوكل محض العقيدة الصحيحة؛ لأنه فريضة على العباد.

قال تعالى: ﴿ وَتَوَكَّلُ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ ﴾ (٢) ، وفي هذا أمر لرسول ﷺ والأمته من بعده إلى يوم القيامة.

" فالعبادة هي مايراد به وجه الله من كل عمل لايكمل إلا بالتوكل الذي يكمل به التوحيد"(7).

والناس تتفاضل في التوكل، وكذلك في الإيمان، ويكون ذلك على قدر اليقين الذي عندهم.

قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتَ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيتَ عَلَيْهِمْ ءَايَنَتُهُ وَادَتُهُمْ إِيمَانَا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ (٤).

⁽۱) أبوداود (٥٠٩٥) واللفظ له؛ الترمذي (٢٤٢٦)، وقال: هذا حديث حسن صحيـــح غريــب، وقال محقق " جامع الأصول" ٢٧٤/٤: وهو حديث صحيح .

⁽٢) سورة الفرقان، آية: ٥٨.

⁽۳) محمد رشید رضا،تفسیر المنار ۱۲۰مج (بـــیروت: دار الفکـر، تـط الثانیـة بـدون)، (۲/۷۲).

⁽٤) سورة الأنفال، آية: ٢.



فعلى قدر الإيمان واليقين يزيد التوكل رسوخا وثباتا في القلب " والله تعالى يجمع بين التوكل والعبادة، وبين التوكل والإيمان، وبين التوكل والإسلام، وبين التوكل والتقوى، وبين التوكل والهداية "(۱) وصية منه لعباده المؤمنين بالتوكل الذي هو ذروة الإيمان، ومن أعلى درجاته، فعلينا أن نقيم العهد على رسوخه والعمل به في أمورنا كلها دينية ودنيوية، فهو يهيئ صاحبه للفوز بصحبة الأخيار في الفردوس الأعلى " فاللهم لك الحمد وإليك المشتكى، وأنت المستعان، وبك المستغاث، وعليك التكلان، ولاحول ولاقوة إلا بك"(٢).

فالتوكل عقيدة لابد من الحرص على سلامتها ونبذ كل شبهة؛ لأن العقيدة لاتسلم إلا بإخلاص العبودية لله تعالى ويكون المرء بعد ذلك محققا مضمون تلك العبودية إرادة ومحبة وتوكلا، وإنابة وإخباتا وخشية ورجاء، كما حققها سلفنا الصالح رضوان الله تعالى عليهم علما وعملا.

⁽۱) ابن قيم الجوزية، طريق الهجرتين وباب السعادتين، مجلد (الرياض: المطابع الإسلامية العربية، تط ١٤١٣هـ)، ص٢٥٥٠.

⁽٢) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، (١١٣/١).



المبحث الثاني التوكل على الله من أعمال القلوب

لما كان القلب للأعضاء كالملك المتصرف في الجنود، كانت جميع الأعمال صادرة منه يستعملها فيما شاء فكلها تحت عبوديته وقهره، وتكتسب منه الاستقامة والزيغ، وتتبعه فيما يعقده من العزم (۱)، "وسمي القلب قلبا لتقلبه في الأمور، أو لأنه خالص مافي البدن، وخالص كل شيء قلبه، أو لأنه وضع في الجسد مقلوبا وفي الحديث "عن النعمان بن بشير يقول سمعت رسول الله على يقول الاول في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب "(۱).

"فالقلب خص في الحديث لأنه أمير البدن، وبصلاح الأمير تصلح الرعية وبفساده تفسد، وفيه تنبيه على تعظيم قدر القلب، والحث على إصلاحه"(").

فالأصل في الاتقاء والوقوع هو ما كان بالقلب، لأنسه عماد ذروة البدن؛ قال تعالى: ﴿ قَالَتَ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَا قَالُ لَمْ تُؤْمِنُواْ وَلَاكِن قُولُواْ أَسْلَمْنَا وَلَكَ تَعْلَى: ﴿ قَالَتِ ٱلْإَيْمَانُ فِي قَلُوبِكُمْ وَإِن تُطِيعُواْ ٱللهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتَكُم مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ ٱللهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (أ).

⁽۱) انظر: لابن رجب الحنبلي، وابن القيم، أبي حامد الغزالي، تزكية النفوس وتربيتها كما يقرره علماء السلف، جمع أحمد فريد، تحقيق ماجد بن أبي الليل (بيروت: دار القلم تط الأولى، ١٤٠٥هـ)، ص٢٤.

⁽٢) انظر: لصحيح البخاري مع فتح الباري، (١٦٨/١) كتاب الإيمان ، ومسلم في المساقاة من حديث النعمان بن بشير.

⁽٣) انظر: لابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، (١٧١/١).

⁽٤) سورة الحجرات، آية: ١٤.



فالآية: دليل على أن الإيمان من عمل القلب والإسلام من عمل اللسان، وإذا كان عمل القلب لم يدخل ويستقر فليس ذلك إيمان لأنه سبحانه وتعالى قد عبر بكلمة "في "وهي دالة على أن الإيمان لابد أن يغشي القلوب ويأسرها(١).

فالقلب ملك، منفذ يأمر النفس، وهو المسئول عنها؛ لأن كل راع مسئول عن رعيته ويستدل من قوله تعالى: ﴿ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبُ يَعْقِلُونَ بِهَآ ﴾ (٢)، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكَرَ عَلَى لَمَن كَانَ لَهُ وَلَلَبُ ﴾ (٣)، العلى أن العقل في القلب، وعبر عنه بالقلب لأنه محل استقراره، وعلى تعلق جميع الأعمال بالقلب، فمن هنا يمكن أن ترد جميع الأحكام إليه "(٤)؛ لأن القلب يوصف بالحياة وضدها، وهو بذلك ثلاثة أقسام:

(الأول: القلب الصحيح السليم، قال تعالى: ﴿ يَـوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿ الْأُولَ: القلب الذي خلص الله في الله مَن أَتَى ٱلله بِقَلْبِ سَليمِ ﴿ اللهِ اللهِ عَلَيْ اللهُ اللهُ عَلَيْ اللهُ اللهُ عَلَيْ عَلَيْ اللهُ عَلَيْ عَلَيْ اللهُ عَلَيْ اللهُ عَلَيْ اللهُ عَلَيْ اللهُ عَلَيْ اللهُ عَلَيْ اللهُ عَلَيْ عَلَيْ عَلَيْ اللهُ عَلَيْ عَلَيْ عَلَيْ اللهُ عَلَيْ اللهُ عَلَيْ اللهُ عَلَيْ اللهُ عَلَيْ اللهُ عَلَيْ عَلَيْ عَلَيْ عَلَيْ اللهُ عَلَيْ عَلَيْ عَلَيْ اللهُ عَلَيْ اللهُ عَلَيْ اللهُ عَلَيْ اللهُ عَلَيْ اللهُ عَلَيْ اللهُ عَلَيْ عَلَيْ عَلَيْ اللهُ عَلَيْ عَلَيْ اللهُ عَلَيْ اللهُ عَلَيْ اللهُ عَلَيْ اللهُ عَلَيْ عَلَيْ عَلَيْ عَلَيْ اللهُ عَلَيْ عَلَيْ اللهِ عَلَيْ اللهُ عَلَيْ اللهُ عَلَيْ اللهُ عَلَيْ عَلَيْ عَلَيْ اللهِ عَلَيْ اللهِ عَلَيْ اللهُ عَلَيْ عَلَيْ عَلَيْ عَلَيْكُمِ اللهُ عَلَيْ عَلَيْ عَلَيْ عَلَيْ اللّهُ عَلَيْ عَلَيْ عَلَيْ عَلَيْ اللّهُ عَلَيْكِ عَلَيْكُمِ اللّهُ عَلَيْ

الثاني: القلب الميت و هو القلب الذي لايعرف ربه، و لا يأتمر بأمر الله، لايستجيب إلا لشيطانه و هو اه .

الثالث: القلب المريض وهو القلب الذي به حياة وبه علة تمده هذه مرة وهذه أخرى. وهو لما غلب عليه منهما وفيه ماهو مادة حياته من محبة الله، والإيمان به، والاخلاص له والتوكل عليه، وفيه ماهو مادة هلاكه وفساده من محبة الشهوات، وإيثارها، والحرص على تحصيلها) (1).

⁽١) انظر: للإمام الرازي، مفاتيح الغيب، مج٤١، (٢٨/٢٨).

⁽٢) سورة الحج ، آية: ٢٦ .

⁽٣) سورة ق ، آية: ٣٧ .

⁽٤) انظر: لابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، (١٧٢/١).

⁽٥) سورة الشعراء، آية: ٨٨-٨٩.

⁽٦) انظر: لجماعة من العلماء، تزكية النفوس، ص ٢٥.



فالقلب الأول: حي مخبت، لين واع، والثاني: يابس ميت، والثالث: مريض؛ فإما إلى الفلاح أدنى، وإما إلى الهلاك أدنى فمن أراد صفاء قلبه وإخباته وسلامته فليؤثر الله على شهوته وشيطانه فالقلوب آنية الله في بدن المؤمن فإذا غذي ونضح هذا الإناء بالتذكر، وسقي بالتفكر ونقي من الفساد، رأي العجائب وألهم الحكمة (١).

فالقلب يمرض ويهاك من الغفلة، ويعمر ويحيا من الخشية والذكر فالقلوب تمرض وشفاؤها في الرجوع إلى الله، وتعرى ولباسها التقوى وتجوع وطعامها المحبة والإنابة والتوكل على الله، وتكسل ونشاطها في العمل، وعمل القلب المقصود منه هو النية، والإخلاص والانقياد، والإذعان، والإقبال، والإنابة، والاعتصام والتوكل على الله سبحانه ولوازم ذلك وتوابعه.

قال تعالى: ﴿ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلَّخَالِصُ ﴾ (٢).

وقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓا إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ (١). وقوله تعالى: ﴿ قُل ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُ دِينِي ﴾ (١).

وماهذا الإخلاص إلا القصد بالعبادة إلى أن يعبد الله وحده دون سواه، ويكون هذا الإخلاص والقصد بالقلب، والعمل، والتبري عن كل مادون الله تعالى، فإذا اجتمع في المرء المؤمن قول القلب، وعمله، وقول اللسان، وعمل الجوارح تكون النتيجة الحتمية التصديق المطلق.

قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِي جَآءَ بِٱلصِّدُقِ وَصَدَّقَ بِهِ ۚ أُوْلَتِهِكَ هُمُ اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ عَلَمُ اللهِ عَلَى اللهِ عَلَمُ اللهِ عَلَى اللهِ عَلَمُ اللهُ عَلَمُ عَلَّ عَلَمُ عَ

⁽١) انظر: لابن القيم في الفوائد، ص١٢٨.

⁽۲) سورة الزمر، آية: ٣.

⁽٣) سورة البينة، آية: ٥.

⁽٤) سورة الزمر، آية: ١٤.

⁽٥) سورة الزمر، آية: ٣٣.



هذا كله نابع من محبة العبد المؤمن لربه عز وجل فمتى تمكنت المحبة القلب فهي لاتنبعث إلا على طاعة الرب سبحانه " إن أعمال الجوارح لاتستقيم إلا باستقامة القلب، ومعنى استقامة القلب أن يكون ممتلئا من محبة الله تعالى، ومحبة طاعته وكراهة معصيته ... فحركات الجسد تابعة لحركة القلب وإرادته، فإن كانت حركته، وإرادته لله وحده فقد صلح وصلحت حركات الجسد كله لحركة القلب وإذا كانت حركته، وإرادته لغير الله فسد وفسدت حركات الجسد بحسب فساد حركته، وإرادته لغير الله فسد وفسدت حركات الجسد بحسب فساد القلب "(۱).

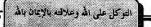
وهذا مايدل عليه الحديث "عن أبي هريرة - قال: قال رسول الله قال: الله قال: من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب، وماتقرب إلي عبدى بشيء أحب إلي مما افترضته عليه، ومايزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي عليها، وإن سألني الأعطينه، ولئن استعاذ بي الأعيذنه، وماترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن، يكره الموت، وأنا أكره مساءته" "(٢).

فالتوكل على الله عمل قلبي يستقر أو لا في القلب حتى يستولي على جوارح العبد المؤمن وهذا ثانيا.

فسر التوكل على الله هو اعتماد القلب على الله وحده، ولاينفع قول العبد اتوكلت على الله" مع اعتماده على غيره سبحانه وتعالى وركونه إليه وثقته به، فتوكل اللسان شيء، وتوكل القلب شيء، وهذا كمن تاب عن المعصية ويصر عليها،

⁽۱) انظر: لابن رجب الحنبلي، جامع العلوم والحكم (المدينة المنورة: مكتبة طيبة، تط الأولى، ما ٤٠٨هـ)، ص٧٤.

⁽٢) ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، (١١/٢٥١).



ويرتكبها، قال تعالى: ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقّ ﴾ (١).

والتوكل على الله عمل قلبي مستور، عن أعين العباد، لأن العبد يتوكل على الله قائما، وقاعدا، ومضطجعا، وهذا لايكون إلا لأولي الألباب، الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم، فهم أهل إنكار الإعلان عن أعمالهم الذين عبدوا الله عبادة لم تظهر منهم.

فالله تعالى أمر بالعمل الصالح النافع لأنه الترجمة العملية للإيمان بالله، وصورة من أفضل صور عبادته ودائرته تتسع لتشمل الحياة كلها، ولايكفى أن يؤدي المؤمن عمله، بل عليه أن يتقنه، ويحسنه، ويتفوق فيه، ويتوكل به على الله؛ فالله مطلع عليه ويحاسبه ويجازيه؛ وعلى ذلك فإن المسلمين إن أهملوا العمل، وتجويده، وتحسينه، وإتقانه فقد خالفوا أمر دينهم، وتخلفوا عن غيرهم فيتسلط عليهم من لايؤمن بالله ولا بدينه فتضيع دنياهم وآخراهم، والعمل الواجب على كل مسلم يختلف من شخص لآخر تبعا لقدرته، ومايتقنه فلنعزم على العمل المأمور به من الله تعالى بشروطه، وأركانه، وواجباته؛ حتى نصل إلى سعادة الدنيا والآخرة.

والتوكل على الله تعالى يجمع في ذاته أصلين هما: " (علم القلب)، وعمله، أما علم القلب: فيقينه بكفاية: وكيله وكمال قيامه بما وكله إليه، وأن غيره لايقوم مقامه في ذلك، وأما عمل القلب، فسكونه إلى وكيله وطمأنينته إليه، وتفويضه، وتسليمه أمره إليه، ورضاه بتصرفه له فوق رضاه بتصرفه هو لنفسه، فبهذين الأصلين يتحقق التوكل، وهما جماعه الأله المناسلة المناسلة

فكلما كان القلب على الحق، وعلى طريقه كان واثقا بالله منيبا إليه متوكلا عليه، ساكنا إليه سبحانه وإذا كان على الباطل لم يكن مطمئنا ولامتوكلا ولا ساكنا إليه.

⁽١) سورة الحديد، آية: ١٦.

⁽٢) ابن قيم الجوزية، طريق الهجرتين وباب السعادتين (الرياض: المطابع الإسلامية العربيـــة، بدون تط)، ص٢٥٧.

قال تعالى: ﴿ قُلُ هُوَ ٱلرَّحْمَانُ ءَامَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلُنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالِ مُبْبِينٍ ﴾ (١).

قَالَ تُعَالَى: ﴿ قُلُ هُوَ رَبِّى لا ٓ إِلَهُ إِلاَّ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴾ (٢).

فالآيتان دليل على استسلم القلب والخضوع والإخلاص الله تعالى، والإخبات إليه، والتوكل عليه، واليقين بما عنده.

فالعبد كلما كان أكثر معرفة واستحضارا لمعاني أسماء الله وصفاته كان أشد استسلاما، وإنابة له عز وجل وقد أفردت مبحثا بهذا الشان في معرفة أسماء الله وصفاته سيأتي ذكرها بإذن الله " قال بعض الحكماء صفة أولياء الله تعالى: ثلاث خصال " الثقة بالله في كل شيء، والمقر إلى الله في كل شيء، والرجوع إلى الله في كل شيء" والرجوع إلى سبقت هنا هذه الثلاث بحسب المقام المذكور.

فالثقة بالله في كل شيء هو الإيمان؛ قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ اللَّهُ النَّاسُ قَدَ جَمَعُواْ لَكُمْ فَاَخْ شَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُواْ حَسَبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴾ ('').

فالآية: دلالة واضحة على الثقة بالله "أي فزادهم قول الناس لهم إيمانا بالله وثقة به من حيث خشوه ولم يخشوا الناس الذين خوفوا منهم بأنهم جمعوا لهم الجموع واعتمدوا على نصره ومعونته، وإن قل عددهم، وضعف جلدهم فإنه هو العزيز القوي وذلك من شأن المؤمنين.... وكان من قوة إيمانهم وزيادته أن أقدموا وهم عدد

سورة الملك ، آية: ٢٩ .

⁽۲) سورة الرعد، آية: ۳۰.

⁽٣) انظر: للشيخ نصر بن محمد السمرقندي، تنبيه الغافلين وبهامشه بستان العارفين (بيروت: دار المعرفة للطباعة بدون تط)، ص١٦٩.

 ⁽٤) سورة آل عمران، آية: ١٧٣.



قليل قد أتخنوا بالجراح على محاربة الجيش الكبير، فالزيادة كانت في الإذعان النفسي، والشعور القلبي، وتبعتها الزيادة في العمل، بعد ذلك القول الدال على ماانطوت عليه النفس من اليقين بوعد الله ووعيده، والشعور بعزته وسلطانه"(١).

والله العلي القدير لايضيع من وثق، وحسن ظنه به، ففقر العبد المؤمن إلى ربه، أمر نابع من عجز الإنسان، وضعفه الفطري فلاحول و لاقوة إلا بالله.

قال تعـــالى: ﴿ يَآأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَميدُ ﴾ (٢).

"فالله سبحانه يخبر بغنانه عما سواه، وبافتقار المخلوقات كلها اليه، وتذللها بين يديه ... فهم محتاجون إليه في جميع الحركات والسكنات، وهو تعالى الغني عنهم بالذات ... فهو المتفرد بالغنى وحده لاشريك له، وهو الحميد في جميع مايفعله ويقوله، ويقدره، ويشرعه"(").

أما الرجوع إلى الله في كل شيء فما من عبد إلا ويعلم أنه إلى ربه راجع محتاج إليه في كل لحظة كيف لا؟! ووجودهم به، وبقاؤهم به.

قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَاوَاتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴾('').

فإلى الله مصير أمر جميع خلقه، الصالح منهم والطالح، والمحسن، والمسيء، فيجازي كلا على قدر استحقاقهم منه الجزاء بغير ظلم منه الأحد، فهو

⁽۱) انظر: لمحمد رشید رضا، تفسیر المنار، (۲٤٠/٤).

⁽٢) سورة فاطر، آية: ١٥.

⁽٣) لابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (٨٧٧/٣).

⁽٤) سورة آل عمران، آية: ١٠٩.



المالك للعباد المتصرف في شؤونهم فالحكمة كل الحكمة أن ترجع الأمور جميعها اليه، فهذه من سننه التي لها غاية: تتنهي إليها لاتبديل لها ولاتحويل^(١).

إن أولياء الله تعالى لهم من الخصال التي لايسع المجال لذكرها وماذكر كان في معرض التمثيل.

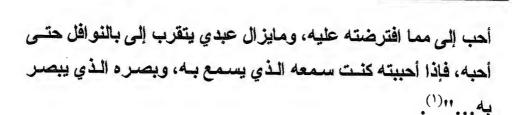
فنعود ونقول إن العبد المؤمن يستوجب الثواب إذا كان عمله خالصا، ويكون ذلك في المقصود والنية؛ ولذا يأتي العمل على قدر النية: إما مخلصا، وغير مخلص، فمن كان قصده من عمله الرياء أو شابته شائبة دنيوية خرج العمل عن الإخلاص، ومن قصد التقرب إلى الله تعالى فهو مخلص عابد.

فكل عمل استراح إلى حظ الدنيا زال بذلك إخلاص عمل المرء ومن انتهز لحظة من عمره خالصة لوجه الله، نجا؛ لأن تنقية القلب أمر عسير إلا لمن يسره الله تعالى له.

فالآيات التي وردت في قضية وموضوع التوكل تدل دلالة أكيدة على أن التوكل على الله لابد أن يكون صادر ا من القلب.

"فالتوحيد قول القلب، والتوكل عمل القلب، فلابد فيه من قول القلب وعمله، ثم قول البدن وعمله، ولابد فيه من عمل القلب، مثل حب الله ورسوله، وخشية الله، وحب مايحبه الله ورسوله، وبغض مايبغض الله ورسوله، وإخلاص العمل لله وحده، وتوكل القلب على الله وحده، وغير ذلك من أعمال القلوب التي أوجبها الله ورسوله وجعلها من الإيمان، ثم القلب هو الأصل، فإذا كان فيه معرفة وإرادة سرى ذلك الله ولبدن بالضرورة، ولايمكن أن يتخلف البدن عما يريده القلب، ولهذا قال النبي على الحديث الصحيح – السابق الذكر —" إن الله قال لى من عاد لى وليا فقد آذنته بالحرب، وماتقرب إلى عبدي بشيء قال لى من عاد لى وليا فقد آذنته بالحرب، وماتقرب إلى عبدي بشيء

⁽١) انظر: لابن جرير ، جامع البيان، (٣٠٣/٢)؛ ولمحمد رشيد رضا، تفسير المنار، (٥٠/٤).



وقال تعالى: ﴿ وَمَا تَوْفِيقِتِ إِلَّا بِٱللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ (٢). وقال تعالى: ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّوْمِنِينَ ﴾ (٣).

وبهذا فإن التوكل على الله إيمان مرتبط ارتباطا وثيقا بالقلب، والإيمان قول وعمل لاينفكان عن بعضهما ، فالإيمان بالله وسيلة لطلب معرفته، ولحبه، وتعظيمه، وطاعته، وخشيته، والإنابة إليه والتوكل عليه بعزم وإرادة قوية متينة.

⁽١) انظر: للإمام أبي حامد الغزالي سلسلة إحياء علوم الدين، (٢٦٨/٤).

 ⁽۲) سورة هود، آیة: ۸۸.

 ⁽٣) سورة المائدة، آية: ٢٣.

المبحث الثالث أحوال المتوكلين

قال الغزالي: أن التوكل هو اعتماد القلب على الموكل(١).

فالتوكل عند المؤمن تتفاوت أحواله في قوة الطمأنينة والثقة بالله تفاوتا لاينحصر إلى أن ينتهي إلى الأمر والعلم اليقيني.

قال تعالى: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ (٢).

ففي الآية إشارة إلى أنه لاينبغي أن يتوكل إلا على من يستحق العبادة لأن غيره ليس بيده الأمر^(۱)، وعلى هذا فإن النفس تسكن إلى الله عز وجل وتطمئن بذكره وتتيب إليه وتشتاق إلى لقائه وتأنس بقربه فتطمئن.

قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَيِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَيِنُ ٱلْقُلُوبُ ﴾ (٤).

والمؤمن يطمئن إلى قدر الله فيسلم له ويرضى، فلايسخط، ولايشكو، ولايضطرب إيمانه، وتلك الطمأنينة هي طمأنينة كذلك إلى امتثال أمره إخلاصا ونصحا، فإذا اطمأن المؤمن من الشك إلى اليقين ومن الجهل إلى العلم، كانت نفسه مطمئنة.

قال تعالى: ﴿ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِٱللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ (٥).

⁽١) الغزالي، كتاب التوحيد والتوكل، ص٤٢.

 ⁽۲) سورة الفاتحة، آية: ٥.

⁽٣) انظر: لمحمد الأمين الجكني الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، (بيروت: عالم الكتب بدون تط) (٣٥/١).

⁽٤) سورة الرعد، آية: ٢٨.

⁽٥) سورة هود، آية: ٨٨.



و لايأتي التوكل الحق و الإخلاص فيه و العمل بمضامينه إلا بعد المحبة التامة التي تستلزم الإرادة و القوة في حصول الأوامر.

قال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ آللَّهُ فَآتَّبِعُونِي يُحْبِبُكُمُ ٱللَّهُ ﴾ (١).

فالرسول في لايأمر إلا بما يحب الله ولاينهى إلا عما يبغضه الله ولايفعل إلا مايحبه، ولايخبر إلا بما يحب الله التصديق به؛ لذلك فإن القلب المؤمن لايطمئن إلا بعبادة ربه وحبه وتوكله وإنابته لربه عز وجل، ولو حصل له كل مايلتذ به أو لم يحصل لم يطمئن ولم يكن إذ فيه فقر ذاتي إلى ربه من جهة العبادة، ومن جهة التوكل والاستعانة.

فالأمة أحوالهم في التوكل مختلفة:

- ١ منهم من لايتوكل إلا على الله وحده. وهؤلاء هم المؤمنون الخلص. قال تعلم الله و ا
 - ٢ ومنهم من لايتوكل على الله البته وهؤلاء هم الملحدون الخلص.
- ٣ ومنهم من يتوكل على الله وعلى غيره فهؤلاء هم المخلصون فمنهم المشرك ومنهم دون ذلك.

ففي هذه الأقسام نرى أن الحالة الأولى هي لمن لزم الحق والصواب ولم يبقى في القلب تشويش أو إضطراب.

قال تعالى: ﴿ إِذْ هَمَّت طَّآبِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا ۗ وَعَلَى اللهِ فَلْيَتُوكَ لِيَّهُمَا ۗ وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤَمِّنُونَ ﴾ (٣).

⁽١) سورة آل عمران، آية: ٣١.

⁽٢) سورة الأنفال، آية ٢.

⁽٣) سورة آل عمران، آية: ١٢٢.

وقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَا خَشُوهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُواْ حَسَبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴾ (١).

فموافقة المؤمنين وامتثالهم الأمر الله ورسوله واستجابتهم الله وارسوله والمعلم في حالة يقينية بحتة إلى درجة أن جعلوا الله حسبهم وكفيلهم وكانوا على كلمة التوحيد، والإخلاص، والتوكل "حسبنا الله ونعم الوكيل" والمؤمن الحق من يخشى الله ويتقيه حق التقوى والخشية فيكون تبعا اذلك الأثر في سكون، وقوة الاعتماد، وحسن الظن بالله تعالى، أنه ناصرهم المحالة إن عاجلا أو آجلا، وهذا مجمل معنى الآية الكريمة التي يرد في نصها قوله تعالى: ﴿ قَالَ رَجُلُانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ وَعَلَى اللهُ فَتَوَكُلُواْ عَلَيْهِمُ ٱلبَابَ فَإِذَا دَخَلَتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ عَلِلْبُونَ وَعَلَى اللهِ فَتَوَكَّلُواْ إِن كُنتُم مُوَّمِنِينَ ﴾ (٢).

وقال تعالى: ﴿ فَأِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِي ٱللَّهُ لَآ إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَ فَكُلْ حَسْبِي ٱللَّهُ لَآ إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ (٣).

فحال المؤمن أن يأوى ويلجأ إلى ربه لأنه عالم بقوته وخزائنه ملأى فسبحان الله العلى العظيم.

فلا يدفع الشر و لا ينصر إلا الله ومن أظهر العجز لله وقام بما عليه ضمن الله له ماوعده إياه (٤).

فالمؤمن إذا اعتقد أنه لايضر ولاينفع إلا الله اعتمد قلبه واتكل عليه، فإذا لم يكن به ذلك فهذا سبب لضعف اليقين الذي يمازج القلب، ويشوب النفس؛ وماهذا إلا لجهل العبد، وعدم معرفته لله سبحانه؛ ومن هنا يأتي الاضطراب والفوضى والتخبط في العبادة، وفي الاستعانة والإنابة، والتوكل، فلابد من معرفة وعلم بالله نابعة من الطريق الصحيح حيث تنزل المعرفة والعلم في سويداء القلب فيوقن بصدقها العبد؛

سورة آل عمران، آیة: ۱۷۳.

⁽٢) سورة المائدة، آية: ٢٣.

⁽٣) سورة التوبة، آية: ١٢٩.

⁽٤) انظر للإمام أبي الفرج جمال الدين الجوزي البغدادي، زاد المسير في علم التفسير، (٤) (٤/٤ ٤٥٠/١) .

لذلك فكلما ارتقى علم الإنسان ومعرفته بالله از داد بصيرة ويقينا يغنيه عن غير الله وينزع من قلبه الإنابة والتوكل على من سواه.

قال تعالى: ﴿ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُ وَاعَبُدُهُ وَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ ﴾ (١).

" فأول ما أراد الله تعالى من العباد أن يعرفوه عن الوجوه التي تعرف اليهم منها، فإنه قد تعرف إليهم من خلقه للخلق، وتدبيره في الخلق، ومن قدرته على الخلق، وتكلفه بأرزاق الخلق، وإماتته الخلق، وإحيائه للخلق ألا له الخلق والأمر تبارك الله أحسن الخالقين "(٢).

لذلك فإن المعرفة هي أساس وأصل كل شيء، ويأتي بعدها الإرادة وهي لازمة لاتنفك عن المعرفة. والإرادة: هي تحقيق العمل والأخذ والعطاء، والحب، والكره في الأعمال كلها، ولنعلم أنه سبحانه جعل نجاة العبد أو لا في المعرفة، ثم في الإرادة.

قال تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهُ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَى عِ عَلِيمٌ ﴾ (٣). وقال تعالى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُ لَآ إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَا يِكَةُ وَأُولُواْ ٱلْعِلْمِ وَاللَّهُ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَا يِكَةُ وَأُولُواْ ٱلْعِلْمِ قَآبِمَا بِٱلْقِسْطَ لَآ إِلَهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ (٤).

" فالمراد أنه سبحانه دل على وحدانيته وسائر كمالاته بأفعاله الخاصة التي لايقدر عليها غيره" ()،

وقال تعالى: ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْحَلَّقُ وَٱلْأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَلَمِينَ ﴾ (١).

⁽١) سورة هود، آية: ١٢٣.

⁽۲) عبدالله الحارث المحاسبي، آداب النفوس، در اسة وتحقيق عبدالقادر عطا، (بسيروت: دار الجيل تط، ۱۹۸٤م)، ص۱۹۲.

⁽٣) سورة البقرة، آية: ٢٨٢.

⁽٤) سورة آل عمران، آية: ١٨.

⁽٥) الألوسي، روح المعاني، (٢/٤).

⁽٦) سورة الأعراف، آية: ٥٤.



فالله سبحانه وتعالى تفرد بالوحدانية والألوهية وتعظم بتفرده الربوبية.

وقال تعالى: ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ۚ إِذْ قَالُواْ مَاۤ أَنزَلَ ٱللّهُ عَلَىٰ بَشَرِ مِن شَيْء قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكَتَابَ ٱلَّذِي جَآءَ بِهِ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسُ مِن شَيْء قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكَتَاب ٱلَّذِي جَآءَ بِهِ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدَى لِلنَّاسُ عَنْ شَيْء قُلُ وَعُلِّمْتُ مَا لَمْ تَعْلَمُ وَاْ أَنتُمْ وَلاَ عَمْلُونَهُ وَلَا مَا اللّهُ ثُمَ ذَره مُ فِي خَوْضِهم يَلْعَبُونَ ﴾ (١).

" فالاختلاف في تفسير هذه الآية كله محتمل، فقيل: المعنى ماعرفوا الله تعالى حق معرفته؛ وقيل: ماعظموا الله تعالى حق تعظيمه، وقيل:ماوصفوه حق صفته"(٢).

فالعباد جميعهم مختلفون ومتفاضلون في الإيمان والاعتقادات والأخلاق والمعاملات؛ لذلك هم يختلفون كذلك في التوكل، وتتفاوت أحوالهم فيه من ناحية قوة الطمأنينة والثقة وتتفاوت في القوة والضعف.

والتوكل في ذلك ثلاث محطات: التوكل، ثم التسليم، ثم التفويض، فالمتوكل يسكن إلى وعده سبحانه، والمسلم يكتفي بعلمه، وصاحب التفويض يرضى بحكمه، وهذا إشارة إلى تفاوت درجاته ومحطاته، فإن العلم هو الأصل، والوعد يتبعه، والحكم يتبع الوعد، ولايبعد أن يكون الغالب على قلب المتوكل ملاحظة شيء من ذلك.

⁽١) سورة الأنعام، آية: ٩١.

⁽٢) المصدر السابق، (٢/٤٠١).

الفصل الثاني التوكل على الله وعلاقته بالجانب الأخلاقي

وفيه:

نهميد .

المبحث الأول: التوكل على الله من أخلاق الأنبياء. المبحث الثاني: التوكل على الله من أخلاق المؤمنين.



الفصل الثاني التوكل على الله وعلاقته بالجانب الأخلاقي

التمميد:

إن التوكل على الله خلق من أعظم أخلاق الإيمان وهو خلق رباني، فقد أمر الله به سبحانه وتعالى وحث عليه.

قال تعالى: ﴿ وَعَلَى آللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾(١).

فالخلق: السجية والطبع، والمروءة والدين، والخلق الطبيعة وجمعها أخلاق وحقيقته أنه وصيف لصورة الإنسان الباطنة، وهي نفسه، وأوصافها، ومعانيها، ولهما أوصاف حسنة وقبيحة (٢).

وفي ضوء ذلك يمكن تحديد مفهوم الأخلاق بأنه: "عبارة عن هيئة للنفس راسخة تصدر عنها الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية، فإن كانت الهيئة بحيث يصدر عنها الأفعال الجميلة عقلا وشرعا بسهولة، سميت الهيئة: خلقا حسنا، وإن كان الصادر منها الأفعال القبيحة، سميت الهيئة: خلقا سيئا" (")، فالقرآن يوضح تكاليف الإيمان ويدعونا للقيام بتكاليفه والتزام الطاعة في كل خطوة من الخطوات، وفي كل أمر، وفي كل اتجاه حتى تكون هناك نتيجة عظيمة تستقر في قلوب الجماعة المسلمة من خلال تلك التوجيهات القرآنية، وقد كانت لنا عبر ودروس مستفادة من قصص الأنبياء، وما كانوا يتحلون به من أخلاق عظيمة بها اختيروا ليكونوا قدوة لجماعتهم، وأقوامهم، وأممهم، فكان رسولنا على من أعظم الناس خلقا، كان قرأنا يمشى على الأرض.

سورة آل عمران، آیة: ١٦٠.

⁽٢) انظر: للفيروز آبادي، القاموس المحيط، (بيروت: مؤسسة الرسالة، تـط ١٤١٣هـ)، ص١٤١٣ انظر لابن منظور، لسان العرب، كلمة الخلق فيه.

⁽٣) الجرجاني علي بن محمد بن علي، التعريفات، حققه إبراهيم الابياري، (بيروت: دار الكتلب العربي، تط الرابعة ١٤١٨هـ)، ص١٣٦ مادة رقم ٦٦٧.



قال تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةً حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ ﴾(١).

" عن عائشة أم المؤمنين – رضي الله عنما – أن سعم بـن هشام سألما فقال: يباأم المؤمنين: أنبئيني عن خلق رسول الله هم، قالت: أليس تقرأ القرآن؟ قال: بلـى، قالت: " فإن خلق نبـي الله هم كان القرآن" (١)، فمنه هم ناخذ ونتعلم وندرس.

ومن أخلاق المؤمنين الاتباع والاقتداء بالأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين في سلوكهم، وعاداتهم فعلم أن التوكل عمل قلبي متعلق ومرتبط بالجوارح، فاستقامة هذه الجوارح مرهون بسلامة القلب واستقامته؛ وعلى هذا فإن هناك تلازماً عميقاً بين أعمال القلوب؛ وأعمال الجوارح؛ فالجوارح ترجمان لما في قلب العبد المؤمن.

" فما من عمل أو خلق إلا وارتبط بالإيمان لأنه الأصل، ثم يذكر العمل الصالح، فإنه أيضاً من تمام الدين فلابد منه، فلا يظن الظان اكتفاءه بمجرد إيمان ليس معه العمل الصالح"(").

والجانب الأخلاقي من قضية التوكل أمر بالغ الأهمية، وقد أخذ حقه من العناية: في القرآن الكريم، ومن هنا تكمن عظمة الإسلام وشريعته في تكامل كل التعاليم و الأخلاق الإنسانية الشاملة التي تسمو بالمؤمن إلى آفاق العلا، وقد تجسدت هذه الأخلاق في شخص رسولنا الكريم الحبيب على، ومن سبقه من الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وعموم القول أن القرآن الكريم يامر

سورة الأحزاب، آية: ٢١.

⁽۲) أبوداود (٤٨٠٠) واللفظ له، قال النووي (٣٣٣) حديث صحيح بإسناد صحيح، وقال محقق رياض الصالحين (٣٣٣): سنده قوي وله شاهد من حديث معاذ بن جبل عند الطبراني في الصغير (١٦٦).

⁽٣) شيخ الإسلام ابن تيميه، الإيمان، تحقيق محمد الزبيدي، (بيروت: دار الكتاب العربي تط الأولى، ١٤١٤هـ)، ص١٨٦.



بكل خلق فاضل، وينهى عن كل خلق ذميم، وخلق التوكل الذي نحن بصدد الكلام عنه هو خلق إسلامي أمر الله به رسله الكرام، وأمر به المؤمنين عامة، وجعله من الأوصاف الأساسية للمؤمنين الصادقين، فهو الركن والحصن الذي يلوذ به المؤمن في مواجهة الصعاب وتذليلها.

فالتوكل هو سجية العبد المؤمن وسلوك ينغرس في قلبه ويتعمق بقدر إيمانه فهو عقيدة عظيمة، والتوكل على الله من الأخلاق العقدية التعبدية؛ التى تربط العبد المؤمن بربه فهو يتصف بذلك الخلق لأنه تعالى قد أمر بالتوكل: ﴿ وَتَوَكَّلُ عَلَى اللَّهِ مَا لَكُ الْمُونُ وَسَبّح بِحَمّده عَ وَكَفَىٰ بِه عِبْدُهُ عِبَادِه عَلَى اللَّهِ عَلَى الْمُونُ وَسَبّح بِحَمّده عَ وَكَفَىٰ بِه عِبْدُهُ عَبَادِه عَبَادِه عَلَى اللَّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّلْمُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى

فلزم علينا الطاعة، والحرص، والاستمرار على العمل وتعظيم هذا الخلق العقدي التعبدي، والتسليم، والرضا بالقدر، ونوطن أنفسنا عليه قدر المستطاع حتى نظفر بما وعدنا به الله عز وجل من ثواب وجزاء.

⁽١) سورة الفرقان، آية: ٥٨.

⁽۲) سبق تخریجه، ص ۳۲.



إن التوكل على الله سبحانه وتعالى لايتحقق إلا بالفعل، والعمل، والسعي والحركة حتى يعتاد المؤمن على ذلك الخلق الرباني، ويمارسه باستمرار في جميع جوانب حياته حتى يكون خلقا، وعقيدة دائمة لاتنفك عنه، وسمة واضحة عليه، ولاسيما إذا كان هذا العبد المؤمن هو من صفوة خلقه نبي أو رسول، ولقد ذكر القرآن الكريم صفات، وأخلاق الأنبياء السابقين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

وضمن هذه الأخلاق خلق التوكل عليه سبحانه وتعالى، فقد حثوا عليه أقوامهم تبعا لأمر خالقهم جل وعلا، من نوح أول المرسلين إلى محمد خاتم الأنبياء والمرسلين على .

يقول تعالى على لسان نوح عليه الصلاة والسلام: ﴿ وَٱتَّلُ عَلَيْهِمْ نَلْبَأُ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَنقُومِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى وَتَذْكِيرى بِغَايَاتِ اللّهِ فَعَلَى ٱللّهَ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُواْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنَ أَلَا يَكُنَ أَمُرُكُمْ عَلَيْكُم عَلَيْكُم فَمَّةُ ثُمَّ لَا يَكُنَ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُم عَلَيْكُم فَمَّةُ ثُمَّ اللّهِ فَلَا تُنظِرُون ﴾ (١).

فالمعنى "إن كان عظم عليكم مقامي بين أظهركم وشق عليكم، اتذكيري بآيات الله" يقول: ووعظي إياكم بحجج الله، وتنبيهي إياكم على ذلك. "فعلى الله توكلت" يقول: إن كان شق عليكم مقامي بين أظهركم، وتذكيري بآيات الله فعزمتم على قتلى أو طردي من بين أظهركم فعلى الله اتكالي وبه ثقتي وهو سندي، وظهري "فأجمعوا أمركم"، يقول: فأعدوا أمركم، واعزموا على ما تنوون عليه في أمري "().

⁽١) سورة يونس، آية: ٧١.

⁽۲) ابن جرير الطبري، تفسيره، (۲۲۸/٤).



فنوح عليه السلام كان يقابل بغضهم وتجمعهم عليه بالتوكل على الله تعالى، يقول صاحب كتاب مفاتيح الغيب في قوله: ﴿ فَعَلَى ٱللَّهَ تَوَكَّلْتُ ﴾:-

"يعني إن شدة بغضكم لي تحملكم على الإقدام على إيذاني، وأنا لاأقابل ذلك الشر إلا بالتوكل على الله، واعلم أنه عليه السلام كان أبدا متوكلا على الله تعالى، وهذا اللفظيوهم أنه توكل على الله في هذه الساعة، لكن المعنى أنه إنما توكل على الله في دفع هذا الشر في هذه الساعة "(1).

فالحلقة التي تعرض هنا من قصة نوح هي الحلقة الأخيرة حلقة التحدي الأخير، بعد الإنذار الطويل، والتذكير الطويل، والتكذيب الطويل ولايذكر في هذه الحلقة موضوع السفينة، ولا من ركب فيها، ولا الطوفان ولا التفصيلات في تلك الحلقة؛ لأن الهدف هو إبراز هذا التحدي، والاستعانة بالله وحده فعليه وحده هو حسبه دون النصراء والأولياء، فنجى الله نوحا ومن معه من جميع الأخطار، والله موف وعده لرسوله وللمؤمنين (٢).

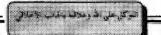
فنوح صلوات الله وسلامه عليه قد بلغ الغاية في التوكل، قاطعا بأنه لايصل اليه من مكر هم شيء، ولن ينفذ بإذن الله فكان مستسلما لكل مايصل إليه من الله استسلام المؤمن لله لأجل الدعوة مع أنه في قلة، وضعف، وقومه في كثرة ومنعة، وكان بينهم وحيدا فريدا، ولكن وحدته ماكان يوهنها، ويكسرها إلا توكله على العزيز المقتدر، ومن هنا أخذ نوح عليه الصلاة والسلام خلق التوكل ومارسه في دعوته لله عز وجل إلى أن وافاه الأجل ولقى ربه.

وهذا أبو الأنبياء إبر اهيم عليه الصلة والسلام يقول: ﴿ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلُنَا وَإِلَيْكَ أَنْبُنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ (٣).

⁽۱) الإمام محمد الرازي ، مج ۹ ، (۱٤٣/٧).

⁽٢) انظر: السيد قطب، في ظلال القرآن، (٣/١٨١-١٨١).

⁽٣) الممتحنة، آية: ٤.



" فالله تعالى يخبرنا أن إبراهيم عليه السلام ومن معه فارقوا قومهم وتبرعوا منهم، فلجأوا إلى الله، وتضرعوا إليه فقالوا: ﴿ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبَّنَا وَإِلَيْكَ أَلْمَصِيرُ ﴾ ، أي توكلنا عليك في جميع الأمور وسلمنا أمورنًا إليك وفوضناها إليك، وإليك المصير أي المعاد في الآخرة"(١).

وهناك معنى آخر تضمنته الآية: الكريمة: "يقول جل ثناؤه: مخبرا عن قول إبراهيم وأنبيائه صلوات الله عليهم: ﴿ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلُنَا وَإِلَيْكَ أَنَبُنَا ﴾ يعني: وإليك رجعنا بالتوبة مما تكره إلى ماتحب وترضى ﴿ وَإِلْيَكَ ٱلْمَصِيرُ ﴾، يقول: إليك مصيرنا، ومرجعنا يوم تبعثنا من قبورنا، وتحشرنا في القيامة إلى موقف العرض"(٢).

ومن هذا المعنى نفهم، ونستدل على استسلام إبر اهيم عليه السلام لخالقه، ومنجيه سبحانه.

"ففي إبراهيم عليه السلام لنا الأسوة والقدوة في كل شيء فعله، قوله، خلقه... وقد كان من دعائه {ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك البنا وإليك البنا المؤمنة وتتميم لما واليك المصير } وفي هذا القول تعليم للأجيال المؤمنة وتتميم لما وصاهم به، واتساء بإبراهيم عليه السلام"(").

"فها هو الماضي الطويل الذي لنا فيه أسوة ممتدة على آماد الزمان راجع إلى إبراهيم عليه الصلاة والسلام في عقيدته، وتجاربه فهي إذا قافلة ممتدة في شعاب الزمان من المؤمنين بدين الله الواقعين تحت راية الله، ومالهم غير التسليم المطلق لله، وهنا يثبت أن إبراهيم فوض الأمر كله لله، وتوجه إليه بالتوكل والإنابة والرجوع إليه على

⁽١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (٤٣/٤).

⁽٢) ابن جرير الطبري، تفسيره، (٢٧٥/٧).

⁽٣) الإمام الرازي، تفسيره، مج١٥ (٢٩/٣٠٠-٣٠٢).



كل حال، وهي السمة الإيمانية الواضحة في إبراهيم يبرزها هنا؛ ليوجه إليها قلوب أبنائه المسلمين كطقة من حلقات التربية الخلقية، والتوجيه بالقصص والتعقيب عليه بإبراز مافي ثناياه من ملامح، وسمات، وتوجيهات على طريقة القرآن الكريم"(١).

فما علينا إلا الاقتداء بهذه الأسوة ليتحقق لنا وعد الله، فالتوكل من المقومات الكبرى في العقيدة والأخلاق.

وقال تعالى على لسان هود عليه السلام: ﴿ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلّا هُوَ ءَاخِذُ ابِنَاصِيَتِهَأَ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ (٢).

و المعنى أنه سبحانه بيده الملك و التصرف قاهر حاكم، عادل قيم على جميع خلقه فسبحانه، فمن كانت هذه صفاته فعليه توكلت (٦).

فقد دعا هود عليه الصلاة والسلام قومه أو لا إلى التوحيد، ودعاهم إلى الاستغفار في هذا المقام، ولكن اشتغلوا بغير ذلك من تكذيب، وكيد له فقد بين سبحانه وتعالى أن تصريف الأمور كلها بيده فما من أحد إلا وهو تحت قدرته ومنقاد له، فهنا ترغيب في التوكل على الله على لسان نبي الله هود عليه السلام، وقد ظهر من خطابه لقومه مدى ثبات إيمانه، وتوحيده فهو لايقول ذلك: " " فكيدوني جميعا ثم لاتنظرون" إلا إذا كان واثقا بأن الله يحفظه ويصونه من كيد الأعداء"(٤).

" إن الثقة بالله والاعتصام به هو ما واجه به هود عليه السلام قومه فعقب التوكل عليهما تقريرا لهما، والمعنى أنكم وإن بذلتم غاية: وسعكم لم تضروني فإني متوكل على الله واثق بكلاته"(°).

⁽۱) انظر: لسيد قطب، في ظلال القرآن، (٢/٢٥٣).

⁽٢) سورة هود، آية: ٥٦.

⁽٣) انظر: لابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (٢/٦٩٦)؛ ولابن جرير، جامع البيان عن تفسير (٣) آي القرآن، (٢٨٦/٤).

⁽٤) انظر الإمام الرازي، مفاتيح الغيب، مج ٩، (١٤/١٨).

⁽٥) الإمام البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ص٢٩٩.



هذا المقام نستشعر منه قوة إيمان هود عليه السلام، وعزته، واستعلائه مع ثقة الإيمان، واطمئنانه "وحقيقة ربوبية الله، وصورة القهر، والقدرة، وسر الاستعلاء، وسر التحدي؛ فهو رب الخلائق قوي قاهر "(۱)، وفي هذا بيان أنه قادر على كل شيء، ولايعامل إلا بالإحسان، والعدل فمن اعتمد عليه فقد اعتمد على الصراط المستقيم، ومن سلكه سيكون له السطوة، والغلبة، فكل من اعتمد وتوكل على الله الخالق القاهر سينال ماوعد به من الله تعالى.

وهذا نبي الله يعقوب عليه السلام آمن وصدق و لاعجب من ذلك فهو ابن أبي الأنبياء، إن دعوة جميع الرسل هي الإيمان بالله تعالى وتوحيده، وكذلك الإيمان باقدار الله خيره وشره؛ لأن ذلك من أصول الإيمان، فمن آمن بقدر الله لاياسى صاحبه و لايصيبه الحزن؛ لأنه يلجأ إلى خالقه لمعرفته بعجزه، وحاجته لخالقه، وتراه صادقا في توكله على ربه يطلب العون من ربه على ماأعجز من تنفيذه، يردد في يقين قوله تعالى: ﴿ قُلُ لَّن يُصِيبَنَاۤ إلا مَا كَتَب الله لنا هُو مَوْلَناً وَعَلَى الله فَلَي مَوْله نا الله وهو على علمه أن الدكم، و الاعتماد كله لله، وعلى الله، وهو على علم أن إرادة الله الفادة، فقد أوصى آبناء مقوله: ﴿ وَقَالَ يَلْبَنِي لا تَدْخُلُواْ مِنْ بَابٍ وَاحِدِ وَالْحَدُم وَالْعَتماد كله لله، وعلى الله عن الله مِن شَيْء إن الده الله وادخُلُواْ مِنْ بَابٍ وَاحِدِ الله وَادْخُلُواْ مِنْ أَبُوابٍ مُتَفَرِّقَةٌ وَمَا أَغْمَني عَنكُم مِّر الله مِن شَيْء إن الدُحُكُمُ إِلاَ للله عَلَيه تَوَكَلُه فَلْيَتَوَكُلُ الْمُتُوكِلُونَ ﴾ (٢).

"صرح يعقوب عليه السلام بأنه لاحكم إلا لله سبحانه لالغيره ولايشاركه فيه مشارك في ذلك فعليه التوكل في كل إيراد وإصدار لاعلى غيره "(٤).

⁽١) سيد قطب، في ظلال القرآن، (١٨٩٩/٤).

⁽٢) سورة التوبة، آية: ٥١.

⁽٣) سورة يوسف، آية: ٦٧.

⁽٤) محمد بن علي الشوكاني، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير، (٤) . (٤١/٣)



"إن هذا التدبير إنما هو تشبث بالأسباب العادية التي لاتوثر إلا بإذن الله تعالى، وأن ذلك ليس بدافع للقدر بل هو إستعانة بالله تعالى وهرب منه إليه (عليه توكلت) أي عليه دون غيره، ودون حولي وقوتي اعتمدت في كل ماأتى وأذر وفي هذا إيماء إلى أن الأخذ بالأسباب ومراعاة اتباعها لاينافي التوكل"(١).

لقد تضمنت الآية: معاني جمة، فجميع الممكنات معتمدة على قضاء الله، وقدره ومشيئته، وحكمه إما بواسطة أو بغير واسطة، فثبت من الآية: أن الإصابة بالعين كلام حق لايمكن رده (٢).

وعلى ذلك نقول إن بالتوكل، يحصل المطلوب، ويندفع المكروه كما حصل لنبي الله يعقوب عليه السلام الذي خفي عليه، - وهو أهل علم -، من الحكمة فقد أبنائه، فجمع الفرقة بعد سنين، وما أتمه الله ليوسف من تمكين، فحصل المطلوب، واندفع المكروه.

وقال تعالى على لسان شعيب عليه الصلاة والسلام: ﴿ قَالَ يَلْقَوْمِ أَرَءَيْتُكُمْ اللهِ وَالسَلَامِ: ﴿ قَالَ يَلْقَوْمِ أَرَءَيْتُكُمْ اللهِ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَرَزَقَنِى مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَلْا لَكُمْ اللَّهُ مَا ٱسْتَطَعْتُ وَمَا أَخَالِفَكُمْ اللَّي مَآ أَنَهُ هَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَاحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِٱللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَّيْهِ أُنِيبٌ ﴾ (اللَّه عَلَيْه تَوَكَّلْتُ وَإِلَّيْهِ أُنِيبٌ ﴾ (اللّه عَلَيْه تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبٌ ﴾ (اللّه عَلَيْه تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبٌ ﴾ (اللّه عَلَيْه تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبٌ ﴾ (اللّه عَلَيْه عَلَيْه تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبٌ ﴾

إن قصة شعيب عليه السلام تضمنت الدعوة إلى الله، ومناقشة قومه، ورده عليهم، وإنذاره بالعذاب، ووقوعه، ونجاة المؤمنين، فشعيب عليه السلام طلب من الله تعالى التوفيق الإصابة الحق، والاستعانة، والإقبال عليه سبحانه، فها هو يقول لقومه: أرأيتم ياقوم { إن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رّبِّي} أي على بصيرة فيما أدعو

⁽١) المراغي، تفسيره، مج٥، (١٧/١٣).

⁽۲) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (۲/۶۹)؛ وانظر: للإمام الرازي، مفاتيح الغيب، (۱۸/۱۸–۱۷۹)؛ وانظر: لعبدالرحمن السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كالم المنان، (۲/۴۶).

 ⁽٣) سورة هود، آية: ٨٨.



إليه "ورزقني منه رزقا حسنا" قيل أراد النبوة، وقيل أراد الرزق الحلال، ويحتمل الأمرين، { مَا أُريدُ أَنَّ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنَّ هَلَكُمْ عَنْهُ } أي المانهاكم عن الأمرين، { مَا أُريدُ إِلَّ أُريدُ إِلَّ الْإِصْلَاحَ مَا شَيء وأخالف أنا في السر فافعله خفية عنكم، {إِنَّ أُريدُ إِلَّ الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ } أي فيما آمركم وأنهاكم إنما أريد إصلاحكم جهدي وطاقتي { وَمَا تَوْفِيقِي } في إصابة الحق فيما أريده {إِلَّا بِاللهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ } في جميع أموري { وَإِلَيْهِ أُنِيبُ } أي أرجع (١).

فهذا بيان أن إصابة الحق و الإصلاح هو بتوفيق الله، فهو المعين على ذلك فعليه وبه نثق، ونفوض، ونعتمد عليه في أمورنا كلها صغيرها، وكبيرها.

إن شعيبا عليه السلام "بين بهذا أن توكله، واعتماده في تنفيذ كل الأعمال الصالحة على توفيق الله تعالى وهدايته، واعلم أن قوله عليه الصلاة والسلام "توكلت" إشارة إلى محض التوحيد، لأن قوله عليه السلام توكلت يفيد الحصر، وهو أنه لاينبغي للإنسان أن يتوكل على أحد إلا على الله تعالى، وكيف وكل ماسوى الحق سبحانه ممكن لذاته، فان بذاته، ولايحصل إلا بإيجاده وتكوينه، وإذا كان كذلك لم يجز التوكل إلا على الله تعالى".

فقد تضمنت الآية: معاني عظيمة، وهي أن كل ماآتاه الله تعالى لنبيه شعيب عليه الصلاة والسلام من العلم والهدآية:، والدين والنبوة، والمال من الله القادر المعطي لامن غيره فلايسع شعيبا عليه السلام وغيره من البشر إلا أن يطيع الله عز وجل في أمره لتبليغ الرسالة لقومه، وقد أقر قومه له بالحلم والرشد، وقد كان مشهورا به في قومه فكان من اللازم لهم أن يتبعوه فهو لن يترك الرسالة، والدعوة العظيمة، وهذا ماأفاده قوله {وَمَآ أُريدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَاكُمْ عَنْهُ}، لأنه سيواظب، ويداوم على دعوته غير تارك لها في شيء من الأحوال، وبين أن

⁽۱) انظر: ابن جریر الطبري، جامع البیان، (۳۰۳/٤) ؛ وانظر: لابن کثیر، تفسیر القرآن العظیم، (۲/۲/۷) .

⁽٢) الإمام الرازي، مفاتيح الغيب، مج٩، (٨/١٨).



عمله كله هو بتوفيق الله عز وجل، وفي الآية: نوع من تزكية النفس، وهذا في قوله {وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِٱللَّهِ } أي مايحصل من التوفيق لفعل الخير بحول الله وقوته لابحولي ولا قوتي.

كذلك التوكل والإنابة من أنواع العبادة التي بها تستقيم أحوال العباد.

لقد كان شعيب عليه السلام يدعو قومه إلى المعاملة العادلة، والأمانة، وشرف البيع والشراء، والأخلاق العظيمة الاجتماعية، وحين اختاره الله تعالى لتبليغ رسالته زاده ذلك إلى أن يسند تلك المعاملات والأخلاق إلى أصل ثابت يحكم بها تلك المعاملات والأخلاق، فصار عليه الصلاة والسلام يتلطف مع قومه ويشعرهم أنه على حق و لاينهاهم عن شيء، ثم يفعله إنما هي دعوة للإصلاح.

"فالإصلاح العام للحياة، والمجتمع الذي يعود صلاحه بالخير على كل فرد وكل جماعة فيه، وإن خيل إلى بعضهم أن اتباع العقيدة والخلق يفوت بعض الكسب الشخصي، ويضيع بعض الفرص القذرة، ويعوض عنها كسبا طيبا، ورزقا حلالا، ومجتمعا متضامنا، متعاونا لاحقد فيه، ولاغدر، ولاخصام، وماتوفيقي إلا بالله، فهو القادر على نجاح مسعاي في الإصلاح بما يعلم من نيتي، وبما يجزي على جهدي العلم توكية توكيلتُ "عليه وحده لا أعتمد على غيره "وَالَيْه أنيبُ" إليه وحده أرجع فيما يجزيني من الأمور، وإليه وحده أتوجه بنيتي، وعملي، ومسعاي "(1).

ومضى عليه السلام في دعوته ومارس جميع أساليبها، وأخيرا تنصل من الإعتزاز برهطه، وقومه لسوء خلقهم، وعدم أدبهم مع الله تعالى فأنذرهم بالعذاب الذي ينتظر أمثالهم وطويت صفحتهم بصاعقة من الله تعالى، نعم! لقد قام عليه الصلاة والسلام بكل مافي طاقاته من الأعمال الكسبية مع التوكل على الله فقال

⁽١) انظر: لسيد قطب، في ظلال القرآن، (١٩٢١/٤).



أخيرا ﴿... وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَا وَبَيْنَا الْفَتْحِ بَيْنَنَا وَبَيْنَا الْفَتْحِ بَيْنَانَا وَبَيْنَا الْفَتْحِ بِينَ ﴾ (١).

" فإلى الله وحده وكلنا أمورنا مع قيامنا بكل ماأوجبه علينا من الحفاظ على شرعه ودينه، فهو الذي يكفينا تهديدكم، وماليس في استطاعتنا من جهادكم: ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلُ عَلَى الله فَهُوَ حَسّبُهُ ﴿ ﴾ ، المتوكل الصحيح القيام بالأحكام الشرعية، ومراعاة السنن الكونية والاجتماعية، فمن يترك العمل بالأسباب فهو الجاهل المغرور لا المتوكل المأجور "(٢).

وقال تعالى حكاية: عن موسى وقومه ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَاقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُواْ إِن كُنتُم مُسْلِمِينَ ﴿ فَقَالُواْ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلُواْ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلُوا عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلُوا فِتَانَة لِلْقَوْمِ ٱلظَّلِمِينَ ﴿ وَاللَّا اللَّهُ اللِّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللِّهُ اللَّهُ ال

إن وعد الله ماض لرسله وأقوامهم، وهذا موسى عليه السلام، وقومه يخبر الله تعالى عنهم وقال موسى لقومه قوموا بوظيفة الإيمان بالله واعتمدوا عليه، والجأوا إليه واستنصروه فقالوا ممتثلين لذلك {عَلَى الله تَوكل عليه(٤).

وهذه الأمور موقوفة على امتثال أمر الله، والثقة، وحسن الظن بالله تعالى، ولن يخلف الله وعده أبدا " إن كنتم آمنتم بالله حق الإيمان فعليه توكلوا وبوعده فثقوا إن كنتم مستسلمين مذعنين؛ إذ لايكون الإيمان يقينا إلا إذا صدقه العمل وهو الإسلام، ... ذاك أن التوكل على الله وهو أعظم علامات الإيمان لايكمل إلا بالصبر على الشدائد، والدعاء

سورة الأعراف، آية: ٨٩.

⁽٢) المراغي، تفسيره، مج٣، (٦/٩).

⁽٣) سورة يونس، آية: ٨٤-٨٥.

⁽٤) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (٦٦٣،٢)؛ وانظر: للسعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، (٣٥٤/٢).



لايستجاب إلا إذا كان مقرونا باتضاذ الأسباب بأن تعمل ماتستطيع عمله، وتطلب إلى الله أن يسخر لك مالاتستطيع (١)، ويصرف الشيطان حتى لايكون له حظ لأن التوكل لايكون مع التخليط (٢).

فموسى عليه السلام يعلم قومه ويريد من قومه التحمل والصدق بالله وترك الأمور بيد الله تعالى، وبذل الجهد على التحمل والصبر، والرضا بقضائه وقدره، وحثهم على التوكل، وكرر الشرط تأكيدا لينالوا المقصود.

فهؤ لاء الأنبياء جميعهم من أولهم إلى آخر هم اتفقوا على عقيدة التوكل لأنها لازمة ويستشعر بها العارف ربه المقرب إليه يعلم علم اليقين أن التوكل بعد الإيمان به، فإنه يتحكم بكل مايحدث لهم، فوجب التوكل لأنه يعد أمرا يقينيا له مسوغاته الواقعة وقد فعلوا عليهم صلوات الله وسلامه أجمعين.

فهؤلاء هم صفوة الخلق، وهاهي أخلاقهم، وهاهو توكلهم على ربهم العلي العزيز، التي ترى من خلال تلك الآيات التى وصفت خلق التوكل في أنبياء الله السابقين، وربطه بالعقيدة، وماهذا إلا من منطق ومقتضى الإيمان أن يكون المؤمن متوكلا على ربه لا على غيره فالمؤمن دائما يسعى إلى التحلي بالأخلاق القرآنية، ومحاسن السجايا حتى يكتمل إيمانه.

" فكأنه تعالى يقول للمسلم حال إسلامه إن كنت من المؤمنين بالله فعلى الله توكل....، لأن الإسلام عبارة عن الاستسلام، وهو إشارة إلى الانقياد للتكاليف الصادرة عن الله تعالى، وإظهار الخضوع وترك التمرد، وأما الإيمان عبارة عن صيرورة القلب عارفا بأن واجب الوجود لذاته واحد...، وإذا حصلت هاتان الحالتان فعند ذلك يفوض العبد جميع أموره إلى الله تعالى، ويحصل في القلب نور التوكل على الله....، والتوكل على الله عبارة عن تفويض الأمور بالكلية إلى الله تعالى، والاعتماد في كل الأحوال على الله تعالى،

⁽١) المراغى، تفسير المراغى، (٤٤/٤ ١-١٤٥).

⁽٢) انظر للشوكاني، فتح القدير، (٢/٤٦٦).



واعلم أن من توكل على الله في كل المهمات كفاه الله تعالى كل الملمات لقوله ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلُ عَلَى آلله فَهُو حَسَبُهُ ۚ ﴾ (١) ... إن هذا الذي أمر موسى قومه به، وهو التوكل على الله هو الذي حكاه الله تعالى عن نوح عليه السلام حيث قال { فعلى الله توكلت} وعند هذا يظهر التفاوت ... بين التوكل عند نوح عليه السلام أنه قال { فعلى الله توكلت} وعوسى إفعلى الله توكلت} وعند موسى فنوح عليه السلام كان تاما، وموسى عليه السلام فوق التمام (١)، وهذه من لطائف القرآن الكريم في معان التوكل عند الرسل الكرام.

وقد عشنا مع أنبياء الله من خلل بعض الآيات القرآنية نهانا من تجاربهم وتعلمنا من أخلاقهم، فهم القدوة، وتاريخهم تاريخ حافل بالعظمة، وحياتهم مليئة بالكفاح، وفي عقيدتهم رسالة الهدى والخير فكانوا بحق مفخرة الأزمان، وأهلا لقيادة الأمم.

فمن خلال قصصهم نستلهم الصبر والعظات، ونستضيء ونسير على منهجهم خاصة في مقام الدعوة إلى الله ، وفي الدعوة إلى الأخلاق ، قال تعالى : ﴿ فَا قَصُصُ القَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (٢) ، وفي قصصهم ذكر عاطر يصفهم به الله تعالى بأسمى الصفات، والمواهب العقلية، والخلقية كل ذلك ليدل على أنهم الصفوة المختارة من خلق الله، والمثل الأعلى الكامل للبشرية فالقرآن الكريم حين يتحدث عن الأنبياء الكرام ينعتهم بأكمل الأوصاف فيصفهم تارة بالطاعة، وتارة بالإنابة، وتارة بالإنابة، وتارة بالتوكل، فكل ذلك يشير إلى علو شأنهم، ورفعة مكانتهم، فكانوا هداة العالم، وقادة البشرية.

قال تعالى: ﴿ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴾('').

⁽١) سورة الطلاق، آية: ٣.

⁽٢) الإمام الرازي، مفاتيح الغيب، مج٩، (١٥٢/١٨).

⁽٣) سورة الأعراف، آية: ١٧٦.

⁽٤) سورة ص، آية: ٤٧.



هذا هو توكل الأنبياء والرسل حكاه عنهم القرآن الكريم، فتحدوا أقوامهم وملوكهم، فواجهوهم بقوة التوكل، ثابتين واثقين.

قسال تعسالى: ﴿ وَمَا لَنِهَا أَلاَّ نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا ۗ وَلَنَصْبِرَتَ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ (١).

إن موقفهم عليهم السلام من عدم التراجع، وعدم الياس من روح الله جعلهم يمضون في طريقهم موقنين أن الله ولي المؤمنين كافيهم مايهمهم، فرسل الله صلوات الله وسلامه عليهم قدوتنا في الحياة فما بالنا بخاتمهم نبي الرحمة نموذج الكمال البشري، عنوان الفضل، حامل مشعل النور والضياء، قائد سفينة البشرية المؤمنة على مدى الدهر، أفضل الرسل وخاتمهم محمد على ، ختم الله به النبوة والرسالة، فكان ختام مسك، إذ هو آخر المرسلين، وأولهم رتبة، سيد ولد آدم.

قال تعالى: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدُ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ ٱللهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيَّنَ ﴾ (٢).

اقتضت الحكمة الإلهية أن يكون أكمل البشر خلقا وخلقا، أفضلهم علما، أشرفهم نسبا، فكان القدوة، والأثر الحسن، فكان المربى، والموجه والمرشد لكل خلق جميل "عن أبي هريرة علي قال: قال رسول الله على "إنما بعثت لأنهم طالم الأخلاق "").

⁽١) سورة إبراهيم، آية: ١٢.

⁽٢) سورة الأحزاب، آية: ٤٠.

⁽٣) رواه أحمد (٣/١/٣)، واللفظ له، والحاكم (٣/١٣) وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه؛ ووافقه الذهبي؛ وقال محقق جامع الأصول (٤/٤): قال الزرقاني: رواه أحمد وقاسم بن أصبغ والحاكم والخرائطي برجال الصحيح عن محمد بن عجالن... عن أبي هريرة، وقال ابن عبدالبر: هو حديث مدني متصل من وجوه صحاح عن أبي هريرة.



فقد حرص عليه الصلاة والسلام على توكيد وترسيخ الأخلاق، خاصة الأخلاق التعبدية في قلب أمته، فهو عليه الصلاة والسلام من خير المتوكلين وأفضلهم، وقد أمر الله تعالى رسوله على بالتوكل في آيات كثيرة منها:

قال تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمُّ وَلَوْ كُنتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَالَبِ لِاَ نَفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكُ فَاعَفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْقَالْمِ لَا نَفَضُواْ مِنْ حَوْلِكُ فَاعَفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي اللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ (١).

وقال تعالى: ﴿ وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُواْ مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَآبِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ ٱلَّذِى تَقُولُ وَٱللَّهُ يَكُتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ فَأَعْرِضَ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلُ مِّنَهُمْ عَيْرَ ٱلَّذِى تَقُولُ وَٱللَّهُ يَكُتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ فَأَعْرِضَ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلُ مِّنَهُمْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلُ عَلَى ٱللَّهِ وَكِيلًا ﴾ (٢).

وقال تعالى: ﴿ وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَ اوَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُ مُو ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ (٢).

وقال تعالى لخليله محمد - الله - : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَيْبُ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَّهِ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا وَإِلَيْهِ عَمَّا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ (٤).

وقال تعالى: ﴿ وَتَوَكَّلُ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحَ بِحَمْدُوْ وَ وَكَفَىٰ بِهِ عِبَادِهِ عَبَادِهِ عَبِيرًا ﴾ (٥).

⁽١) سورة آل عمران، آية: ١٥٩.

⁽٢) سورة النساء، آية: ٨١.

⁽٣) سورة الأنفال، آية: ٦١.

⁽٤) سورة هود، آية: ١٢٣.

 ⁽٥) سورة الفرقان، آية: ٥٨.



وقال تعالى: ﴿ وَتَوَكَّلُ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ (''. وقال تعالى: ﴿ فَتَوَكَّلُ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّكَ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّكَ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّكَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَفَى إِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴾ (''). وقال تعالى: ﴿ وَتَوَكَّلُ عَلَى ٱللَّهِ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴾ (").

وقال تعالى: ﴿ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَافِرِينَ وَٱلْمُنَافِقِينَ وَدَعَ أَذَاهُمْ وَتَوَكُّلُ عَلَى ٱللَّهِ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴾ (١).

فهذه تسع آيات بينات أمر الله تعالى فيها حبيبه، وخليله، وصفيه رسول الله بالتوكل في كتابه العزيز؛ ذلك أنه بي أكبر قدوة للبشرية في تاريخها الطويل، وكان مربيا، وهاديا بسلوكه الشخصي قبل أن يكون بالكلام الذي ينطبق عليه فقد أحسن سبحانه وتعالى تأديبه وتربيته فكان المثل الأعلى في الكمال البشري، وفي كل خلق وسلوك فقد كان قرآنا يمشى على الأرض وكان تطبيقا حيا، ومشاهدا، فالآيات الكريمة هي حسب رسولنا الكريم ويكفيه ولآية:، ونصر، وإعانة الله تعالى لله بعد توكله، وإنابته له سبحانه وتعالى ().

فكان في كل أمر قصده، وأمضاه توكل على الله، ورسولنا الكريم يعلم أنه لاناصر له إلا الله، وأن من نصره الله فلاغالب له، ومن خذله لاناصر له، لذلك فوض أمره إليه وتوكل عليه، ولم يشتغل بغيره (١).

فالآيات المشيرة إلى التوكل ماهي إلا توجيه وتطمين، وعزم، وحسم في التوكل على الله، وفي كلاءة الله وحفظه، فقد كان على ياخذ توجيهاته من لدن حكيم عليم، وخلق التوكل استمده على من تلك

⁽١) سورة الشعراء، آية: ٢١٧.

⁽۲) سورة النمل، آية: ۲۹.

⁽٣) سورة الأحزاب، آية: ٣.

⁽٤) سورة الأحزاب، آية: ٤٨.

⁽٥) انظر لابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (١/ ٨٠١).

⁽٦) انظر للشوكاني، فتح القدير، (١/٣٩٤).



التوجيهات والأوامر الرباثية، فالتوكل على الله هو الأصل في استشعار القلب لجلل الله، والاستسلام المطلق لإرادته، واتباع المنهج الذي اختاره فإن رد الأمر إلى الله في النهاية:، والتوكل عليه وحده هو القاعدة الثابتة المطمئنة التي يفيء إليها القلب، فيعرف عندها حدوده، وينتهي إليها ويدع ماوراءها لصاحب الأمر والتدبير، في ثقة، وفي طمأنينة وفي يقين (۱).

فرسولنا الكريم وقدوتنا ومعلمنا وأسوتنا من خلال سلوكه على الحاكم أن في المشاورة خير يليه العزم فالتوكل على الله.

ويتعلم الداعي إلى الله أن في التوكل على الله الكفاية: والنصير. ويتعلم المحارب والمقاتل أن في التوكل على الله النصرة والغلبة، ويتعلم العبد المؤمن أن في التوكل على الله الخير الكثير لأنه عبادة لرب العالمين، وفي التوكل يجد المؤمن الركن الركين، والحصن الحصين يلوذ به في مواجهة الصعاب وتذليلها، وعلى هذا فإن الرسول على يعلم أصحابه وأمته من بعده، وهو إمامنا ونبينا مثلا أعلى للخلق الذي يدعو إليه فيغرس الخلق السامي من خلال سيرته العطرة، عطره بحكمه، وعظاته، ونصائحه.

وقد أمر الله تعالى رسوله - الله على المسلوب الإعلى المراه المراه المراه المراه المراه المراه المراه والدعاء، قال تعالى: ﴿ كَذَالِكَ أَرْسَلْنَكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَا أُمَهُ لِللهَ اللهُ وَالدَعاء، قال تعالى: ﴿ كَذَالِكَ أَرْسَلْنَكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَا أُمّ أُمّ لِتَتُلُوا عَلَيْهِمُ ٱلّذِي أَوْحَيْنَ إِلَيْكَ وَهُمْ يَكُفُرُونَ بِٱلرَّحْمَانِ قُلُ هُو رَبِي لا لِينَا اللهُ إِلا هُو عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابٍ ﴾ (٢).

إن الله تعالى هذا أمر نبيه ورسوله محمد - الله على الله على مضى في رسالته ولقي الصد و الإعراض و الكفر من قومه أن يتوكل عليه لما لقيه منهم من المواقف، و الحوادث، و القوارع فصمد لها نبي الأمة لاعتماده و ارتكازه على ربه مطمئنا إلى حماه معتمدا على الله وحده، و المعنى:

⁽۱) انظر: لسيد قطب، في ظلال القرآن، (١/٤٩٦)، (٢/٧٤٠)، (٢٨٣٢/٥).

⁽٢) سورة الرعد، آية: ٣٠.



فهو خالقي، وأنا مؤمن به معترف له مقر له بالربوبية والألوهية عليه لا على غيره، توكلت في جميع أموري وإليه أرجع، وأثيب، وأتوب فإنه لايستحق العبادة والإيمان سواه وهو متولى أمري ومبلغي مراتب الكمال(١).

قال تعالى: ﴿ وَلَمِن سَا أَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُ ﴾ اللَّهُ قُلُ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِي ٱللَّهُ بِضُرِّ هَلْ هُنَّ كَاشُونَ وَلَا أَرَادَنِي بَرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحَّمَتِهِ - قُلْ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ اللَّهُ عَلَيْهُ يَتَوَكُّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ (٢).

فدعاء الحسبلة دعاء رسولنا الكريم أن ودعاء كل عبد مؤمن استقرت في قلبه الحقيقة حقيقة لاكاشف للضر، ولامانع للرحمة إلا هو العلي القدير، فدعاء رسولنا هذا جاء بعد ذكر السموات والأرض وخلقهن، فالله تعالى خلق السموات والأرض وهي أعظم وأكبر من خلق الإنسان، قال تعالى : ﴿ لَخَلْقُ ٱلسَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾ (أ)، ان وَالْإنسان لصعيف أن يلجأ إلى الله تعالى ويكل أموره، ويصرفها لله العلي بلي! ان الإنسان مأمور بتصريف أموره كلها لخالقه، ورازقه فهذا رسولنا الكريم - أن يدعو ربه، ولابد أن يكون هذا حال العبد المؤمن يدعو الله، ويلجأ إليه متى استقر في قلبه الإيمان وحقيقته، فهو سبحانه الحامي وكاشف الضر، ومنزل رحمته على عبده، والمعتمد عليه والمعتصم به هو الله، والمتوكل عليه هو الله في ألله حسور الله والمعتمد عليه والمعتصم به هو الله، والمتوكل عليه هو الله في ألله حسور الله عليه هو الله والمتوكل عليه هو الله والمتوكل عليه هو الله والمتوكل عليه هو الله والمورد عليه والله والمورد كله المؤمن بن الله والمعتمد عليه والمعتمد عليه والمعتمد عليه والمعتمد عليه والمعتمد عليه والمورد الله والمتوكل عليه هو الله والمتوكل عليه هو الله والمتوكل عليه هو الله والمورد كله المؤمن بدعو الله والمتوكل عليه هو الله والمورد كله المؤمن بن والمورد كله المؤمن بن والمورد كله المؤمن بن والمتوكل عليه هو الله والمتوكل عليه هو الله والمؤمن بن والمؤمن

⁽۱) انظر لابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (۲/۲۷)؛ وللشــوكاني، فتـح القديـر، (۸۲/۳)؛ وللمراغي، تفسيره، (٥/٤/٠).

⁽٢) سورة الزمر، آية: ٣٨.

⁽٣) سورة غافر، آية: ٥٧.

⁽٤) سورة الزمر، آية: ٣٨.



"إنه متى استقرت هذه الحقيقة في قلب مؤمن، فقد انتهى الأمر بالنسبة إليه، وقد انقطع الجدل، وانقطع الخوف، وانقطع الأمل، إلا في جناب الله سبحانه، فهو كاف عبده، وعليه يتوكل وحده، ثم إنها الطمأنينة بعد هذا والثقة، واليقين، والطمأنينة التي لاتخاف، والثقة التي لاتقلق، واليقين الذي لايتزعزع، والمضى في الطريق على ثقة بنهاية: الطريق "(۱).

وفي قوله تعالى: ﴿ وَمَا آخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكُمُهُ وَ إِلَى اللَّهِ ذَا لِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ (٢).

ومااختلفتم أيها الناس فيه من شيء فتنازعتم بينكم فإن الله هو الذي يقضي بينكم، ويفصل فيه الحكم قل لهؤلاء المشركين بالله هذا الذي هذه الصفات صفاته ربي لا آلهتكم التي تدعون من دونه، التي لاتقدر على شيء 'ا عليه توكلت'' في أموري، وإليه فوضت أسبابي، وبه وثقت'اوإليه أنيب'وإليه أرجع في أموري وأتوب من ذنوبي (").

" فالقرآن يحكي قول الرسول في ، مسلما أمره كله لله منيبا إلى ربه بكليته فتجيء هذه الإنابة، وذاك التوكل، وذلك الإقرار بلسان رسول الله في موضعها النفسي المناسب، للتعقيب على تلك الحقيقة في أن المرجع إلى كل اختلاف هو الحكم الإلهي، فها هو رسول الله، ونبيه يشهد أن الله هو ربه، وأنه يتوكل عليه وحده، وأنه ينيب إليه دون سواه"(؛).

فالمؤمن يجب أن تستقر هذه الحقيقة في قلبه حتى يضاء الطريق أمامه وتتحدد معالمه فرسلنا الكرام من أولهم إلى آخرهم هم القدوة والمثل والأسوة الحسنة الصالحة للبشرية؛ أمرنا الله عز وجل بالاقتداء والسير على منهاجهم، وجعلهم نماذج

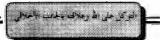
⁽١) سيد قطب، في ظلال القرآن، (٥/٥٠٥).

⁽٢) سورة الشورى، آية: ١٠.

⁽٣) انظر لابن جرير، جامع البيان عن تفسير آي القرآن، (٢/٦٨-٤٨٣).

⁽٤) سيد قطب، في ظلال القرآن، (٥/٢١٤٦).





للكمال، وعنوانا للفضل؛ لأنهم أكمل الناس عقلا وخلقا، وأطهرهم سلوكا، وأشرفهم رتبة ومنزلة.

قَالَ تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةً حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾(١).

وقال تعالى: ﴿ أُوْلَتِيكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ فَيِهُدَنهُمُ ٱقْتَدِهُ ... ﴾ (٢).

إن رسولنا الكريم مأمور بالاقتداء بمن سبقه من رسل؛ قد هداهم الله هداية: كاملة في الأخلاق والصفات، فكان على مهتديا بهداهم كلهم، فكانت مناقبه، وفضائله الكسبية أعلى من مناقبهم، وفضائلهم؛ لأنه اقتدى بها كلها فاجتمع له من الكمال ماكان متفرقا فيهم، وشهد ربه بذلك فقال ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُق عَظِيمٍ ﴾ (٣).

فهذا رسولنا الكريم يقتدي، ويهتدي بمن سبقه، فما بالنا نحن، فلزم علينا الاقتداء والامتثال لأمر الله تعالى، والسير على نهج الأنبياء، والعلماء من الكسب، والعمل، والأخلاق لنكون على طريق الحق، والاستقامة ونمضي ونسير عليه (٤).

فالمؤمن تزيد قيمته عند ربه بقدر عمله بالعبادات ومدى إخلاصه فيها؛ لأن العبادات من أهم مايميز المؤمن عن غيره.

قال تعالى: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقُويم ﴿ ثُمَّرَدَدْنَلَهُ أَمْرُ وَدُنْلَهُ أَمْنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّلِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرُ عَلَرُ أَسْفَلَ سَلْفِلِينَ ﴾ إلا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّلِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرُ عَلَرُ مَمْنُونِ ﴾ (٥).

فكل من احترم إنسانيته وكرامته وأعطاها حقها من اتباع الأمر واجتناب النهي، وأعطى الله حقه، ويتبعون طريق الخير فإن الله بهذا يرفع كل ذي فضل على قدر فضله ويؤتى أجره بقدر مايعمل من الأعمال والعبادات.

سورة الأحزاب، آية: ٢١.

⁽٢) سورة الأنعام، آية: ٩٠.

⁽٣) سورة القلم، آية: ٤.

 ⁽٤) انظر للمراغي ، تفسيره، (٣/١٨٤-١٨٥).

 ⁽٥) سورة التين، آية: ٤ – ٦.



قال تعالى: ﴿ وَلِكُلِّ دَرَجَاتُ مِّمَّا عَمِلُواْ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُواْ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾ (١).

فهذا التوكل من الأعمال والعبادات التي يأخذ المؤمن أجره فيه من الله تعالى في الآخرة وفي الدنيا فإن للتوكل قيمة عملية، فهو يدعو الإنسان أن يكون نشيطا مجدا يكسب رزقه بشرف، ويدعو إلي الجلد، والصبر، والثقة بالنفس وقوة الإرادة، والسعي لمزيد من الإنتاج لمزيد من الانفاق والخير، وكل ذلك يؤدي إلى الصبر والشجاعة دون تبرم أو ضجر.

فمما سبق أشرنا إلى هدي الرسل الكرام في توكلهم على الله تعالى، فكتاب الله تعالى يطالعنا بصور ونماذج لم يخلق الله أجمل منها في هذا الكون... ونرى أسلوب القرآن في الحديث عن الرسل الكرام، الصفوة المختارة من البشر يتدفق بالحياة، ويفيض بالبشر، وينم عن الحب والإيثار فيذكر بالثناء العاطر، ويصفهم بأسمى الصفات، والمواهب العقلية والخلقية، والتعبدية؛ كل ذلك ليدل على أنهم الصفوة، من خلق الله ... ولنقرأ ماقال تعالى في حقهم: ﴿ وَجَعَلْنَاهُمُ أَبِهُمُ اللَّكُونَ وَإِقَامَ ٱلصَّلُوةِ وَإِيتَاءً يَهُدُونَ بِأُمْرِنَا وَأُوحَيْنَآ إِلَيْهُمْ فِعُلَ ٱلْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلُوةِ وَإِيتَاءً الزَّكُوةِ وَكَانُواْ لَنَا عَلِيدِينَ ﴾ (١).

هكذا نجد القرآن العظيم حين يتحدث عن الأنبياء والرسل الكرام، يصفهم بأسمى الصفات العالية، وتظهر من خلال سطوره معالم الحب والتكريم والاصطفاء والاجتباء، فيصفهم تارة بالطاعة والإنابة، وأخرى بالتوكل والإيمان، ويذكرهم في بعض المواطن بالصدق والنزاهة والصبر والتحمل؛ فكل ذلك ليشير إلى علو شأنهم، ورفعة مكانتهم، وسمو الرسالة التي بعثوا من أجلها، فكانوا هداة وقادة البشرية؛ لأنهم كما أسلفنا الذكر هم أكمل البشر خلقا، وأفضلهم علما، واقتضت حكمته أن يحفظهم بعنايته، ويكلأهم برعايته، ويربيهم على عينه تبارك وتعالى، كما قال جل

⁽١) سورة الأنعام، آية: ١٣٢.

 ⁽٢) سورة الأنبياء، آية: ٧٣.



ثناؤه مخاطبا سيد الرسل الكرام ﴿ وَاصْبِرُ لِحُكُم رَبِّكَ فَانَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾ (١)، وكما قال لموسى عليه السلام ﴿ وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيَّنِيٓ ﴾ (٢)، هؤلاء هم الرسل الكرام سادة البشر، استحقوا أن يحملوا اللواء في سبيل عزة الإنسانية، وانتشالها من براثن الشرك، والضلال، إلى نور التوحيد والإيمان.

⁽١) سورة الطور، آية: ٤٨.

⁽٢) سورة طه، آية: ٣٩.



المبحث الثائي التوكل على الله من أخلاق المؤمنين

إن مقتضى الإيمان بالله تعالى أن يكون المؤمن ذا خلق، ولقد وجدنا أن الإسلام ربط بين الإيمان والأخلاق والسلوك بوجه عام، والسلوك والأخلاق بوجه خاص ربطا لا انفصام فيه، ونجد ذلك في نصوص كثيرة يصعب حصرها.

فلفظ الإيمان إذا أطلق في القرآن والسنة يراد به مايراد بلفظ البر، وبلفظ البر، وبلفظ التقوى، وبلفظ الدين، فكل مايحبه الله يدخل في اسم الإيمان، وأصل الإيمان هو تصديق بالقلب وعمل القلب، وإذا كان هذا حال القلب تصديق وعمل سرى ذلك إلى البدن بالضرورة؛ لأن الظاهر تابع للباطن لازم له فمتى صلح الباطن صلح الظاهر وإذا فسد فسد(١).

والإيمان شعب كثيره، فلفظ الإيمان يطلق على سلوك، وأخلاق ...الخ.

(فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "الإِيمان بضع وستون شعبة والحياء شعبة من الإِيمان") (٢).

وقال تعالى: ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلتَّزكُوٰةَ وَٱرْكَعُواْ مَعَ ٱلرَّكِعِينَ هَ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَابَ أَفَالَا تَعْقِلُونَ هَ ﴾ (').

⁽١) انظر لشيخ الإسلام ابن تيمية، مجموع الفتاوى، (١٧٩/٧ - ١٨٦).

⁽٢) البخاري مع فتح الباري لابن حجر، ح(٩)؛ مسلم (٣٥) (١٣/١) كتاب الإيمان، وعند مسلم بلفظ آخر هو (الإيمان بضع وسبعون شعبة).

⁽٣) البخاري مع فتح الباري لابن حجر، ح(١٣) (١٣/١) (١٣/١)؛ ومسلم (٤٥)، (١٧/١) كتاب الإيمان.

 ⁽٤) سورة البقرة، آية: ٤٣-٤٤.



ولهذا كان المسلمون الأوائل إذا سمعوا بنزول أمر أو واجب سارعوا إليه وإذا نزل تحريم أمر انتهوا عنه فمن هنا نستطيع أن نعرف مدى إيمان المرء بمقدار مايتحلى به من مكارم الأخلاق، فعندما يطالب القرآن أتباعه بالتوكل، بذكر وصف الإيمان؛ فهو إشارة إلى أن الإيمان يقتضي التوكل، إلى أن من يؤمن هو من يتوكل على غيره.

و الإيمان في القرآن الكريم يقترن كذلك بالعمل الصالح لفظا أو معنى ويراد به الإذعان والتصديق.

قال تعالى: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّلِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَارُ ﴾ (٢).

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّالِحَاتِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلرَّحَاوَةُ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَخْزُنُونَ ﴾ (٢)، وقوله تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَهَمِلُواْ ٱلصَّلِحَاتِ لَهُم مَّغُهُرَةُ وَأَجْرً عَظيمُ ﴾ (١).

⁽١) سورة البقرة، آية: ١٧٧ .

⁽٢) سورة البقرة، آية: ٢٥.

⁽٣) سورة البقرة، آية: ٢٧٧ .

⁽٤) سورة المائدة، آية: ٩.



فإيثار صيغة أمر الغائب وإسنادها إلى المؤمنين؛ لإيجاب التوكل على المخاطبين بالطريق البرهاني؛ للإيذان بأن ماوصقوا به عند الخطاب من وصف الإيمان داع إلي ما أمروا به من التوكل والتقوى والخير وازع عن الإخلال بهما(۱).

فالتوكل على الله خلق تعبدي يصل بين المرء وربه فهذه العبادة الخلقية هدفها وغايتها السمو الخلقي بالمؤمن، قال تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهُ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلَيتَوَكِّلِ وَاتَّقُواْ ٱللَّهُ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلَيتَوَكُّلِ وَاللَّهُ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلَيتَوَكُّلِ وَاللَّهُ وَعَلَى اللَّهِ فَلَيتَوَكُّلِ وَاللَّهُ وَعَلَى اللَّهِ فَلَيتَوَكُّلِ وَاللَّهُ وَعَلَى اللَّهِ فَلَيتَوكُّ اللَّهُ وَعَلَى اللَّهِ فَلَيتَوكُّ اللَّهُ وَعَلَى اللَّهِ فَلَيتَوكُّ اللَّهُ وَعَلَى اللَّهِ فَلَيتَوكُّ اللَّهُ وَعَلَى اللَّهِ فَلَيتَوكُ اللَّهُ وَعَلَى اللَّهِ فَلَيتَوكُ اللَّهُ وَعَلَى اللَّهُ فَلَيتَوكُ اللَّهُ وَعَلَى اللَّهُ فَلَّهُ وَعَلَى اللّهِ فَلَيتَوكُ اللَّهُ وَعَلَى اللَّهُ فَلَيتَوكُ اللَّهُ وَعَلَى اللَّهُ فَلَيتُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَعَلَى اللّهُ وَعَلَى اللّهُ فَلَي اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللللّهُ ا

ومما أشرنا إليه في المبحث الأول نرى أن الله تعالى قد ربى في أنبيائه جميعهم بخاتمهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين على الخلق الحسن، والعبادة الحقة له سبحانه، وأعطاهم على ذلك الجزاء وأوفاهم بالمثوبة وأخبرهم بها، وهكذا كان على المؤمن أن يتحلى ويقتدي بأفعالهم حتى ينال الثواب، فقد حث سبحانه وتعالى في كثير من آياته الكريمة إلى التوكل بأسلوب المثوبة المادية، والمعنوية لتحقيق منهج لغرس هذا الخلق العظيم، فالتوكل على الله يسطع شعاعه على جوارح العبد المؤمن، وقلبه أشد مايكون تألقا في الشدائد المحرجة، فالإنسان عندها ينسلخ من أهوائه، ويتبرأ من أخطائه، ويقف في ساحة الله أوابا، يرجو رحمته ونصرته.

قال تعالى: ﴿ إِذْ هَمَّت طَّآبِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلَيُّهُمَا وَعَلَى اللَّهُ فَلَيْتُوكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُواْ اللَّهُ فَلَيْتُوكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرِ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُواْ اللَّهُ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَقُواْ اللَّهُ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿ وَأَنتُمْ أَذِلَّةً فَاتَقُواْ اللَّهُ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿ وَأَنتُهُ اللَّهُ عَلَيْكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿ وَأَنتُهُ اللَّهُ عَلَيْكُمْ عَنْدُ عَلَيْكُمْ عَنْدُ اللَّهُ عَلَيْكُمْ عَنْدُ اللَّهُ عَلَيْكُمْ عَنْدُ عَلَيْكُمْ عَنْدُ اللَّهُ عَلَيْكُمْ عَنْدُ اللَّهُ عَلَيْكُمُ عَنْ اللَّهُ عَلَيْكُمْ عَنْ عَنْ اللَّهُ عَلَيْكُمْ عَنْهُ عَلَيْكُمْ عَنْ عَلَيْكُمْ عَنْ عَلَيْكُمْ عَنْ عَلَيْكُمْ عَنْ اللَّهُ عَلَيْكُمْ عَنْ عَلَيْكُمْ عَنْ اللَّهُ عَلَيْكُمْ عَنْدُ عَلَيْكُمْ عَنْ عَلَيْكُمُ عَلَيْكُمْ عَنْ عَلَيْكُمْ عَلَيْكُمْ عَنْ عَلَيْكُمْ عَلَيْكُمْ عَنْ عَلَيْكُمْ عَنْكُمُ عَنْ عَلَيْكُمْ عَلَيْكُمُ عَلَيْكُمْ عَنْ عَلَيْكُمْ عَنْ عَلَيْكُمْ عَنْ عَلَيْكُمُ عَلَيْكُمْ عَلَيْكُمُ عَلَيْكُمْ عَلَيْكُمُ عَلَيْكُمْ عَلَيْكُمْ عَلَيْكُمُ عَلَيْكُمُ عَلَيْكُمْ عَلَيْكُمُ عَلَيْكُمُ عَلَيْكُمْ عَلَيْكُمْ عَلَيْكُمْ عَلَيْكُمْ عَلَيْكُمْ عَلَيْكُمْ عَلَيْكُمُ عَلَيْكُمْ عَلَيْكُ عَلَيْكُمْ عَلَيْكُمْ عَلَيْكُمْ عَلَيْكُمْ عَلَيْكُمُ عَلَيْكُ عَلَيْكُمْ عَلَيْكُمْ عَلَيْكُمُ عَلَيْكُمُ عَلَيْكُمْ عَلَيْكُوا عَلَيْكُمُ عَلَيْكُمُ عَلَيْكُمُ عَلَيْكُمُ عَلَيْكُمْ عَلَيْك

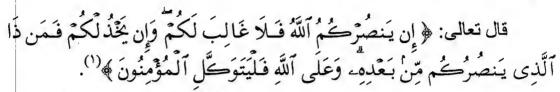
إن الأمر بالتوكل جعل شرطا لكمال الإيمان، وجعله سبحانه وتعالى من السمات الأساسية للمؤمنين الصادقين لذلك فإن وصف الإيمان من دواعي التوكل وموجباته (٤).

⁽١) انظر لأبي السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، (١٥/٢).

⁽٢) سورة المأئدة، آية: ١١.

⁽٣) سورة آل عمران، آية: ١٢٢-١٢٣.

⁽٤) انظر: للألوسي ، روح المعاني، مج (7-3) (٤7/2)؛ انظر لأبي السعود، المصدر السابق، (٤) .



وقال تعالى: ﴿ يَكَأَيُّهَا ٱلَّذِيرِ نَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ اِذَّ هُمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓاْ اللَّهُ مَا يُدِيهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيهُمْ عَنكُمْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهُ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ (٢).

إن التوكل على الله تعالى متعلقه واسع جدا، وشامل لكل مايطلبه الخلق من أمور دينية، ودنيوية، فالتوكل على الله تعالى داخل في أمور الحرب والقتال، وهذا مادلت عليه آيتا آل عمران فعلى كل محارب ومقاتل أن يلزم نفسه بالتوكل على الله والرضى بمقدوره إن خيرا فخير، وإن شرا فشر، ويطمئن بوعد الله تعالى ويثق به فالمؤمن يتوكل على ربه أن ينصره على ظالمه وعدوه وهذا من مكارم أخلاق المؤمنين؛ لأن مواطن التوكل كثيرة؛ والتوكل مطلوب في كل شوون الحياة، فطلب النصر والفرج من الله والتوكل عليه هذا موطن، وموطن آخر في الإعراض عن الأعداء، وليكن التوكل رفيقا وصاحب درب، وإذا تكالب الأعداء ونصبوا شباكهم فالتوكل له هنا مكان، فليكن التوكل أيها المؤمن لك، وعليك ليكون الله لك في شؤونك كلها صغيرها وكبيرها.

وفي آية المائدة يأتي التوكل بعد ذكر التقوى، فهي آية الإيمان الصحيح والعقل السليم الذي يدفع إلى كل خلق كريم؛ لأن التقوي "عند أهل الحقيقة هي الاحتراز بطاعة الله عن عقوبته وهي صيانة للنفس عما تستحق به العقوبة من فعل أو ترك"(").

فمن هذا فالتقى هو من يتوكل على ربه، ويعرف المؤمن من ذلك أن من كان تقيا متوكل هو الأقوى إيمانا وحباشه، وهو الأحرى بمزيد فضله، وعظيم أجره

⁽١) سورة آل عمران، آية: ١٦٠ .

⁽۲) سورة المائدة، آية: ۱۱.

⁽٣) الجرجاني، التعريفات، ص ٩٠.



سبحانه وتعالى، وبهذا كان التقي ملازما للآداب والأخلاق الشرعية وبجانب كل مايبعده عن الله تعالى .

ومن المهم هنا أن نشير إلى ارتباط التوكل مرة بالإيمان ومرة بالتقوى فلا يعتقد أحد أن الإيمان غير التقوى، فالإيمان فعل وعمل وإقرار (١)، والتقوى هلي الإخلاص في العمل (٢)، فكل مؤمن على هذا تقي وكل تقي مؤمن.

فالمتوكل مؤمن تقي، لأن في عمله يقر ويصدق ويخلص في توكله على ربه سبحانه وتعالى.

إن إقبال الأنبياء والرسل الكرام والمؤمنين على التوكل ديدنهم، وكذلك الدعاء الذي هو من مضامين التوكل سمتهم فالفتح والنصر كله بيد الله تعالى، فالدعاء منهجهم عليهم الصلاة والسلام بعد أن شعروا من أقوامهم الكبر والعصيان لعبودية الله وحده والخضوع لرب العالمين.

فبدون التوكل على الله لا تستطيع أمة ولا جماعة ولا فرد أن تحقق هدفًا يفرضه الإسلام أو تتخلص من أوضاع ظالمة (٣) مثل الإغترار بالرضاء، والاستهزاء بالإنذار واستعجال العذاب، والطغيان والتهديد، وإيذاء المؤمنين.

فإن جميع رسل الله يعرفون مصدر قوتهم، وملجأ الأمان ويعلمون أن الله سبحانه وتعالى هو الذي يفصل بالحق بين الإيمان والكفر، ويتوكلون على ربهم وحده في خوض معركة لهم لامفر منها مع أقوامهم إلا بدعاء وفتح من الله، فكل مؤمن داعيا إلى الله تعالى في حاجة ماسة إلى التوكل واللجوء لله سبحانه وتعالى، فقد أطلق كل الدعاة المؤمنين الحقيقة الدائمة، وهي على الله وحده دون سواه يكون التوكل ولا لجوء، و لاعون، و لاإنابة إلا له العزيز الحكيم، فعلى كل داعية أن يواجه

⁽۱) انظر للكفوي، الكليات، معجم في المصطلحات والفروق الفردية، قابله على نسخة خطية عدنان درويش ومحمد المصري، (بيروت: مؤسسة الرسالة، تط الأولى ١٤١٢هـ)، ٥ مج، (٣/٣/٣).

⁽٢) الجرجاني، التعريفات، ص ٩٠.

⁽٣) سعيد حوى، الأساس في التفسير، ١٢ مج (القاهرة: دار السلام تط الثانية، ١٤٠٩هـ)، (٩/٩/٥).



الكبرياء بالإيمان، والأذى بالإعراض فالتوكل هي كلمة المؤمنين الذين ملنوا قلوبهم بالثقة من نصر الله تعالى وتاييده، والمؤمنون هم الذين يشعرون ويحسون أن يد الله تعالى تقودهم وتهديهم إلى الصراط المستقيم.

"وهذه الحقيقة - حقيقة الارتباط في قلب المؤمن بين شعوره بهداية: الله وبين بديهية التوكل عليه لا تستشعرها إلا القلوب التى تزاول الحركة فعلا في مواجهة طاغوت الجاهلية، التي تستشعر في أعماقها يد الله سبحانه وتعالى وهي تفتح كوى النور فتبصر الآفاق مشرقة، وتستروح أنسام الإيمان والمعرفة، وتحس الانس والقربى وحينئذ لاتحفل بما يتوعدها به طواغيت الأرض، ولاتملك أن تستجيب للإغراء ولا للتهديد، وهي تحتقر طواغيت الأرض، ومافي أيديهم من وسائل البطش والتنكيل، وماذا يخاف القلب الموصول بالله على هذا النحو؟ وماذا يخيفه من أولئك العبيد؟! (۱).

هـذا مـا دلـت عليـه الآيـة الكريمـة فـي سـورة إبراهيـم: ﴿ قَالَتَ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرُ مِّثَلُكُمْ وَلَكِنَّ ٱللّهَ يَمُنُ عَلَيٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَأْتِيكُم بِسُلُطَن إِلَّا بِإِذْنِ ٱللّهِ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَأْتِيكُم بِسُلُطَن إِلَّا بِإِذْنِ ٱللّهِ وَعَلَى اللّهِ فَلَيْتَوكَّلُ عَلَى ٱللّهِ وَقَلْدُ وَعَلَى ٱللّهِ فَلَيْتَوكَّلُ عَلَى ٱللّهِ فَلَيْتَوكَّلُ عَلَى ٱللّهِ فَلَيْتَوكَّلِ هَذَيْنَا سُبُلُنَا وَلَنَصْبِرَتَ عَلَى مَآ ءَاذَيْتُمُونَا وَعَلَى ٱللّهِ فَلْيَتَوكَّلِ هَدَيْنَا سُبُلُنَا وَلَنَصْبِرَتَ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا وَعَلَى ٱللّهِ فَلْيَتَوكَلُ اللّهِ فَلْيَتَوكَلُ اللّهُ فَلْيَتَوكَلُ اللّهُ فَلْيَتَوكَلُ اللّهِ فَلْيَتَوكَلُ اللّهُ فَلْيَتَوكَلُ اللّهُ فَلْيَتَوكَلُ اللّهُ فَلَيْتَوكَلُ اللّهُ فَلَيْتَوكَالُونَ اللّهُ فَلْيَتَوكَالُونَ اللّهُ فَلَيْتَوكَالُ اللّهُ فَلْهُ اللّهُ فَلْهُ اللّهُ فَلَيْتُونَ اللّهُ فَلَيْتَوكَالُونَ اللّهُ فَلَيْتُونَ اللّهُ فَلَيْتُونَ اللّهُ فَاللّهُ فَلَيْتُونَ اللّهُ فَلَيْتُونَ اللّهُ فَلْهُ اللّهُ فَلَيْتُونَ اللّهُ فَلَيْتُونَ اللّهُ فَلَيْتُونَ اللّهُ فَلَيْتُونَ اللّهُ فَلَيْتُونَ اللّهُ فَلَيْتُونَ اللّهُ فَلَيْ اللّهُ فَلَيْ اللّهُ فَلَيْتُونَ اللّهُ فَلَيْتُونَ اللّهُ فَلَيْتُونَ اللّهُ فَلَيْتُونَ اللّهُ فَلَيْتُونَ اللّهُ فَلَيْتُونَ اللّهُ فَلَيْتُ وَلَيْ اللّهُ فَيْتُمُونَا وَعَلَى اللّهُ فَلْيَتُونَ اللّهُ فَلَيْتُونَ اللّهُ فَلَيْتُونَ اللّهُ فَاللّهُ فَلَيْتُونَ اللّهُ فَلَيْ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ فَلَيْ اللّهُ فَلَيْتُ اللّهُ الللهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ اللللهُ اللللهُ اللللهُ الللهُ اللهُ الللللّهُ الللللّهُ الله

إن نبوة ورسالة جميع الرسل وأنبياء الله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين كانت منة من الله، أذن لهم بها وأيدهم بالحجة وتوكلوا على الله وقصدوه فإنه سبحانه لم يضيرهم وهو أعلم بما ينفع أولياءه، فكل شيء متعلق بأمر ومشيئة الله وإذنه، فالطاعات أذن بها الله تعالى وأمرنا بالسعي والتوكل عليه فيها حتى تكون على أكمل وجه لنرضى بها خالقنا.

⁽١) سيد قطب، في ظلال القرآن، (٢/٤).

⁽۲) سورة إبراهيم، آية: ۱۱–۱۲.



فرسل وأنبياء الله توكلوا في جميع أمورهم على الله تعالى، فكيف بنا إذن ؟! فالأولى والأحرى أن نكون نحن أيضا من المتوكلين على الله؛ ليهدينا إلى أقوم الطرق وأوضحها وأبينها (١) وقد أمر الرسل المؤمنين كافة بالتوكل وقصدوا به أنفسهم قصدا أوليا.

هكذا كان الإسلام وسيظل بعقائده وحقائقه وأخلاقه وأعماله يحث على كل ماهو نافع مزك للقلوب مطهر للأخلاق والسلوك نافع للدين والدنيا، والقرآن الكريم يربي في النفوس ويعدها لأدوار عظيمة ضخمة لبناء مجتمع إسلامي ذي أخلاق وعادات ترفع من لواء المؤمنين جميعا، فهو يخاطب المؤمنين بنداء حبيب إلى نفوسهم {يَا أَيُّهَا ٱلَّذِيرِ وَ المَنْوُا } لينهاهم أو ليامر هم بامر ما، فما على المؤمن إلا اتباع تعاليم ومنهجية الشارع سبحانه وتعالى فيما أمر ونهى، وتقرير موقفه من ربه وثقته به وتوكله عليه.

قال تعالى: ﴿ قُلُ هُوَ ٱلرَّحْمَانُ ءَامَنَّا بِهِ ء وَعَلَيْهِ تَوَكَّلُنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَال مُبينِ ﴾ (٢).

عليه لا على غيره أصلا لعلمنا بأن ماعداه كائنا ماكان بمعزل من النفع والضر وعليه توكلنا في جميع أمورنا(٣).

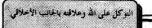
والتوكل على الله أساسا أمر مبني على أسس أخلاقية، وهذا ماكان في قول حاتم الأصم (٤) "عندما سأله رجل على بنيت أمرك في التوكل على الله؟ قال: على خصال أربع: علمت أن رزقي لايأكله غيري فاطمأنت به نفسي، وعلمت أن

⁽١) انظر لابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (٨١٣/٢).

⁽٢) سورة الملك، آية: ٢٩.

⁽٣) انظر لابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (٢٤/٤)؛ ولأبي السعود، إرشاد العقل السايم، (٣). (٧٥١/٥).

⁽٤) حاتم الأصم، أبو عبد الرحمن، النقى بالإمام أحمد، وقال عنه الإمام أحمد بعد أن سمع كلامه "وما أعقله من رجل"؛ وفيات الأعيان، (٢٧/٢)؛ حلية الأولياء، مجلد (٧-٨)، (٧٣/٨) رقم ٣٦٩.



عملي لا يعمله غيري فأنا مشغول به، وعلمت أن الموت يأتيني بغتة فأنا أبادره، وعلمت أني لا أخلو من عين الله حيث كنت فأنا مستحي منه "(').

فالأساس الأول: الرزق، فالمؤمن لابد أن يوقن أن الله تعالى قد كتب لكل مخلوق رزقه، ولاتموت نفس حتى تستوفي رزقها الذي كتبه الله عليها، ولايمكن لمخلوق أن ياخذ رزقا قد كتبه الله لمخلوق آخر، والإنسان يعيش ويمارس هذه الحقائق الكبرى فتطمئن بذلك نفسه، ولايقلق بكثرة الانشغال والخوف على رزقه.

الأساس الثاني: العمل، فالتوكل على الله في الأعمال الصالحة من أشرف أنواع التوكل إذ أن القائم فيها لايبتغى عرضا من أعراض الدنيا بل يريد وجه الله، قال تعالى: ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلّا مَا سَعَىٰ ﴾(٢).

الأساس الثالث: الموت، فهذا الأساس لـه صلـة بالأساس السابق، من حيث المؤمن حينما يستيقن ويستحضر دائما أن المـوت ياتي من غير ميعاد، فإنـه دوما سيكون مستعدا ويسابق الموت بالأعمال الصالحة، فإذا ماجاء المـوت، كان المؤمن قد أعد الزاد ليوم الرحيل.

الأساس الرابع: المراقبة، لايمكن للمؤمن أن يتوكل على الله حق توكله حتى يشعر رقابة الله عليه، مما يجعله يستحي أن يفوض أمره لغيره وهو يؤمن بقدرته على قضاء حوائجه، لهذا كان هذا الأساس من أهم الأسس الذي ينبني عليه أمر التوكل، والقرآن مليء بالآيات التي تؤصل مراقبة الله في نفس المؤمن، حتى لايتجه إلى غير الله تعالى.

قال تعالى: ﴿ مَا يَكُونَ مِن نَّجُوكَ ثَلَاثَةَ اللَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةَ اللَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِن ذَالِكَ وَلَا أَكَّتُمَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ ﴾ (٢).

⁽۱) أبو الفرج بن الجوزي ، صفة الصفوة، (حيدر آباد الدكن: دائرة المعارف العثمانية، تط (۱) 1۳۹۲هـ)، (۱۲۱/٤).

⁽٢) سورة النجم، آية: ٣٩.

⁽٣) سورة المجادلة، آية: ٧.

فالتوكل على الله من أخلاق المعاملة، معاملة المؤمن لربه عز وجل، فلابد أن ترتقي هذه المعاملة، ورقيها نابع من طاعة المرء لربه، ولرسوله على الله المعاملة،

قال تعالى: ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ ۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَغُ ٱلْمُبِين ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلَيْتَوَكَّلِ عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَغُ ٱلْمُبِين ﴾ [الله عَلَى الله عَلَى الله فَلَيْتَوَكِّلِ اللهُ وَمُنُونَ ﴾ [الله عَلَى الله فَلَيْتَوَكِّلِ اللهُ عَلَى الله فَلَيْتَوَكِّلِ اللهُ عَلَى اللهِ فَلَيْتَوَكِّلِ اللهُ عَلَىٰ وَمُؤْمِنُونَ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ فَلَيْتَوَكِّلُ اللهُ عَلَىٰ اللهُ فَلَيْتُونَ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ عَلَىٰ اللهُ عَلَىٰ اللهُ فَلَيْتُولَكُمْ اللهُ عَلَىٰ اللهُ اللهُ عَلَىٰ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ عَلَىٰ اللهُ عَلَى اللهُ عَلَىٰ اللهُ عَلَيْ اللهُ عَلَىٰ اللّهُ عَلَىٰ اللهُ عَلَىٰ اللهُ عَلَىٰ اللهُ عَلَىٰ اللّهُ عَلَىٰ اللّهُ عَلَىٰ اللّهُ عَلَىٰ اللهُ اللّهُ عَلَىٰ اللّهُ عَلَىٰ اللّهُ عَلَىٰ اللّهُ عَلَىٰ اللّهُ عَلَىٰ اللّهُولِ اللّهُ عَلَىٰ اللّهُ عَلَىٰ اللّهُ اللّهُ عَلَىٰ اللهُ عَلَىٰ اللّهُ عَلَىٰ اللهُ عَلَىٰ اللّهُ عَلَىٰ اللّهُ عَلَىٰ اللّهُ عَلَىٰ اللّهُ عَلَىٰ اللّهُ اللّهُ عَلَىٰ عَلَى اللهُ عَلَىٰ اللّهُ عَلَىٰ اللهُ عَلَىٰ اللّهُ

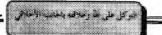
فأمر الله بطاعته ورسوله فيما شرع وفعل مابه أمر وترك ماعنه نهى وزجر ... فسبحانه يخبر أنه الأحد الصمد الذي لا إله غيره فقال " الله لا إله، فالأول خبر عن التوحيد ومعناه معنى الطلب أي وحدوا الإلهية له وأخلصوها لديه وتوكلوا عليه وحده فهذا هو أثر التصور الإيماني في القلوب، وفي هذا (إيماء) إلى أن المؤمن لايعتمد إلا عليه، ولايتقوى إلا به؛ لأنه يعتقد أنه لاقادر في الحقيقة إلا هو وفي الآية: دليل على أن من لايتوكل عليه ليس بمؤمن (١).

إن من يرزق وينعم بطاعة الله والتوفيق لما يحبه ويرضيه سبحانه فهو دائم التقوى والخوف من العزيز الحكيم، وتبرز من هنا قيمة الإيمان، والطاعة؛ لأن بعد هذا لاخوف ولامهابة إلا منه عز وجل، فالله لايجمع في قلب واحد بين مخافتين: مخافته جل جلاله، ومخافة الناس، فيرسخ بذلك الإيمان، ولايسع المؤمن إلا أن يتوكل على الله وحده؛ لأن ذلك منطق الإيمان، ومقتضاه وهذا مادلت عليه الآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿ قَالَ رَجُلَانٍ مِنَ ٱلّذِينَ يَخَافُونَ أَيْعَمَ ٱللّهُ عَلَيْهِمُ ٱلبّابُ فَاذَا دَخَلَتُمُوهُ فَإِنّكُمْ عَلِبُونَ وَعَلَى اللّهِ فَتَوَكَّلُواْ عَلَيْهِمُ ٱلبّابَ فَاذَا دَخَلَتُمُوهُ فَإِنّكُمْ عَلِبُونَ وَعَلَى اللّهِ فَتَوَكَّلُواْ إِن كُنتُم مُثُومِينَ ﴾ "ألله فَتَوَكَّلُواْ إِن كُنتُم مُثُومُينَ ﴾ "ألك فَاذَا دَخَلَتُمُوهُ فَإِنْكُمْ عَلِبُونَ وَعَلَى اللّهِ فَتَوَكُلُواْ إِن كُنتُم مُثُومِينَ ﴾ "ألكه فَاذَا دَخَلَتُمُوهُ فَإِنْكُمْ عَلِبُونَ وَعَلَى اللّهِ فَتَوَكَّلُواْ إِن كُنتُم مُثُومِينَ ﴾ "ألكه فَتَوَكَّلُواْ إِن كُنتُم مُثُومُينَ ﴾ "ألكه فَا ذَا دَخَلَتُ مُوهُ فَإِنْكُمْ عَلِهُ وَاللّهُ اللّهُ فَتَوَكَّلُواْ إِن كُنتُم مُثُومُ مِن اللّهُ عَلَيْهِمُ اللّهُ فَتَوَكَّلُواْ إِن كُنتُم مُثُومِينَ ﴾ "ألكه فَانَا دَخَلَتُ مُوهُ فَإِنْ كُنتُم عَلَيْهُ مُ اللّهُ فَتَوَكَّلُواْ إِن كُنتُم مُثُومً مِن اللّهُ فَتَوَكَّلُواْ إِن كُنتُهُم مُنْ أَوْلِينَ اللّهُ فَتَوَكَلُواْ إِن كُنتُ مُنْ اللّهُ فَا وَاللّهُ اللّهُ فَا وَاللّهُ اللّهُ فَا وَاللّهُ اللّهُ اللّهُ فَا وَاللّهُ اللّهُ اللّهُ فَا وَاللّهُ اللّهُ فَا وَاللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ فَا وَاللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ ال

سورة التغابن، آية: ١٢-١٣.

⁽٢) انظر: لابن كثيربتصرف، تفسير القرآن العظيم، (٤/٥٨٧)؛ ولسيد قطب بتصرف، في ظلال القرآن، (٣٥٨٩/٦)؛ وللمراغي بتصرف، في تفسيره، (١٢٧/١-١٢٨).

⁽٣) سورة المائدة، آية: ٢٣.



فالعبد يجد الإيمان في قلبه بعد طاعة ربه، ويزيد إيمانه بقدر فعله للطاعات، وقد عرض القرآن الكثير من الطاعات التي تزيد إيمان المرء بربه منها على سبيل الذكر لا الحصر، مخافته سبحانه والإنابة إليه، ذكره سبحانه، التوكل عليه.

قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللّهُ وَجِلَتَ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيتَ عَلَيْهِمْ عَايَئَهُ وَادَتُهُمْ إِيمَانَا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ (١). فالمؤمن هو الذي لايخالف الله ورسوله ولايترك اتباع ما أنزله إليه في كتابه من حدود وفرائض، وهو الذي إذا ذكر الله وجل قلبه، وانقاد لأمره، وخضع لذكره، خوفا منه، وهربا من عقابه، وإذا قرئت عليه آياته أيقن بها وازداد تصديقا لها، تصديق فضل عن تصديقه بما كان قد بلغه منه قبل ذلك، وذلك هو زيادة ماتلي عليه من آيات الله إياه إيمانيا الله وعلى ربهم يتوكلون الله يوقنون، في أن قضاءه فيهم ماض، فلايرجون غيره، ولايرهبون سواه (١).

وقال تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَاخَشُوهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴾ (").

وقوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُواْ هَاذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلاَّ إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ﴾ (٤).

فالإيمان يزيد في قلب وحياة صاحبه، يزيد ويزيد حتى يملاً قلب ووجود صاحبه، ويكون نور ايضيء له حياته، ويكون هو قد تمثل الإيمان عمليا في حياته، وتجسد الإيمان به وحل في كيانه، كلامه إيمان، ونظره إيمان، وسمعه إيمان، وذهنه

⁽١) سورة الأنفال، آية: ٢.

⁽٢) انظر: ابن جرير الطبري، تفسيره، (٩/٤).

⁽٣) سورة آل عمران، آية: ١٧٣.

 ⁽٤) سورة الأحزاب، آية: ٢٢.



إيمان، قيامه قعوده إيمان، نومه ويقظته إيمان، حركته سكونه إيمان، أنفاسه ودقات قلبه إيمان، أو لنقل: إنه هو الإيمان.

فسمة التوكل على الله من صفات من هم في إيمان. " لايرجون سواه، ولايقصدون إلا إياه، ولايلوذون إلا بجنابه سبحانه ولايطلبون الحوائج إلا منه، ولايرغبون إلا إليه، ويعلمون أنه ماشاء كان ومالم يشأ لم يكن، وأنه المتصرف في الملك وحده لاشريك له ولامعقب لحكمه و هو سريع الحساب"(١).

فالتوكل على الله مقتضى الإيمان والإسلام، وهذه حقيقة لايرتاب أحد فيها، فيتضح لنا أن القرآن الكريم قد عرض في آياته الكريمة من صفات أهل الإيمان أهمها وأشهرها، ودعت المؤمنين أن يتصفوا بها حتى يعيشوا حياة إيمانية، وينالوا جنة الله وثوابه، ونعيمه والمؤمن حريص على أن يكون مع ربه، وهذه الصفات تتفاوت قلة وكثرة قصرا وطولا، والتوكل على الله من أهم هذه الصفات؛ لأنه صفة متصلة برب العباد مباشرة، وقد أكد عليها القرآن في آياته، واستمرار عرضها في سور مكية ومدنية يدل على ألله حتى لاينسى ولايهمل.

فهذا خلق التوكل جلي أمامنا فما علينا إلا أن نقبل عليه، ونتحلى به لنكون من أهل الإيمان.

⁽١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (٢/٢٥٤).

الفصل الثالث التوكل على الله وعلاقته بالأسباب

وفيــه:

نهميد.

المبحث الأول: أركان التوكل على الله .

المبحث الثاني: التوكل على الله من أسباب النصر.

المبحث الثالث: القدرة والمشبئة والأسباب.

المبحث الرابع : الأعمال التي يعملما العباد في تحقيق التوكل.

المبحث الخامس: مجال التوكل على الله .



الفصل الثالث التوكل على الله وعلاقته بالأسباب

التمميد:

إن التوكل على الله تعالى من أقوى الأسباب في حصول المراد، وهو كجعل الإسلام والإيمان، والإحسان أسبابا مقتضية لسعادة الدنيا والآخرة، وهو كجعل سائر أعمال القلوب والجوارح أسبابا مؤدية، ومقتضية لما رتب عليها من الجزاء، والكمال كل الكمال في القيام بهذه الأسباب.

فتحقيق التوكل على الله لاينافي الأخذ بالأسباب التي قدر الله سبحانه وتعالى المقدر الله بها، وجرت سنته في خلقه، فالله سبحانه أمر بالأخذ بالأسباب، والتوكل عليه، فمن سعى بجوارحه كانت له طاعة مع إيمان القلب.

فالأسباب: هي الطريق للوصول إلى الحكم غير مؤثر فيه، وقيل مايكون طريقا إلى الشيء غير أن يضاف إليه وجود، وسمي سببا مهيئا نحو مايكون طريقا للوصول إلى الحكم من غير أن يضاف إليه وجوب الحكم أو وجوده؛ أي لايكون ثبوته به ولاوجوده عنده، بل يتخلل بينه وبين الحكم علة لاتصاف وجودها إلى ذلك الطريق، فهو بذلك كالحبل بين شيئين لننال به المطلوب(۱).

فالتوكل على الله قوة وطاقة روحية تدفع المؤمن إلى العمل والإنتاج، غير أنه يجب أن يكون في الاعتبار أن الاعتماد على الأسباب ليس معناه الثقة الكاملة المطلقة في أنها تؤدي إلى الخير، بل يجب الإيمان بأنها ومايراد منها مردهما إلى الله أو لا وأخيرا، فهو خالق الأسباب والمسببات.

" فالمؤمن يتخذ الأسباب من باب الإيمان بالله وطاعته فيما يأمر به من اتخاذها، ولكنه لايجعل الأسباب هي التي تنشيء النتائج فيتكل عليها،إن الذي ينشيء النتائج كما ينشيء الأسباب هو قدر الله"(۱)، ولاعلاقة بين السبب والنتيجة في شعور المؤمن فاتخاذ السبب عبادة.

⁽١) انظر: للفيروز آبادي، القاموس المحيط، ص١٢٣؛ ولابن منظور، لسان العرب؛ ولأبسى البقساء الكفوي، الكيات، (٢٠/٣).

⁽٢) سيد قطب "حديث الشهيد سيد قطب وعلى ربهم يتوكلون"، مجلة المختار الإسلامي، القاهرة، ٧٠٧.



فالتوكل على الله والمتوكلون يتخذون الأسباب ويستعدون كأكمل مايكون الاستعداد والأهبة، فقد أمر تعالى بالسعي في جميع الأمور صغيرها وكبيرها، فينبغي على الناس كلهم أن يتوكلوا على الله ويعودوا أنفسهم على ذلك.

ولابد من ربط الأسباب بالمسببات والأخذ بالأسباب المشروعة أو المباحة في مختلف شؤون الحياة، ونرضى بعدها بأقدار الله تعالى المنزلة علينا، فلايحدث شيء إلا بقدرة الله ومشيئته.

قَــال تعــالى: ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْتُ ءِ إِنِّي فَاعِلُ ذَا لِكَ غَدًا ﴿ إِلاَّ أَن يَشَاءَ ٱللَّهُ ... ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَانَهُ عِلْمَا لَمْ يَكُن .

فالمؤمن يؤمن ويصدق قدر الله في نتائج أعماله، فما عليه إلا أن يردد في يقين قول الله تعالى: ﴿ قُلُ لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا وَعَلَى ٱللَّهِ فَلَيْتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ (٢).

⁽١) سورة الكهف، آية: ٢٣-٢٤.

⁽٢) سورة التوبة، آية: ٥١.



المبحث الأول أركان التوكل على الله

إن لكل أمر وشأن أركانا ودعائم يقوم عليها بناؤه، فالإسلام له أركانه الخمسة، فلايقوم بناء إلا على هذه الدعائم حتى يسلم هذا البناء من الخلل.

والتوكل على الله له أركانه وركائزه التي يقوم عليها ليكون توكلا حقيقيا لاتشوبه شائبة.

فجميع الأمور التي تصدق بها النفوس وتطمئن إليها القلوب، وتكون يقينا فهي متمكنة من القلوب راسخة لاتتزلزل، وعلى هذا ربى رسول الله على الرعيل الأول، فاليقين الثابت هو محط الإيمان.

قِال تعالى: ﴿ لِيَسْتَيقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَابَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ إِلَيْكِتَابَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ إِلَيْكَابُ وَالْأَدِينَ ءَامَنُواْ إِلَيْكِتَابُ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ إِلَيْكَابُ وَالْأَرْدِينَ ءَامَنُواْ الْكِتَابُ وَيَرْدُادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ الْكِتَابُ وَالْكِتَابُ وَالْمَانَا الْمُنْتَالُ وَالْمَانَا اللَّهُ وَاللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَلَّهُ وَاللَّهُ وَلَّهُ وَاللَّهُ وَيَعْرُوا اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّالَةُ وَاللَّهُ وَاللّالِي اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللّالِمُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّالِمُ اللَّهُ وَاللَّالِمُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّالِمُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّالَّالِمُ اللَّهُ اللَّالِمُ لَّا لَا لَا لَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّاللَّالِمُ اللَّالِي اللّه

فأركان التوكل ودعائمه هي الأشياء التي يتقوى، ويتوقف الإيمان، والعمل عليها، والايقوم ذلك العمل، والإيمان إلا بها، وإذا فقد ركن أو لم يتحقق انهدم الإيمان والعمل معا.

فازم من ذلك تقوية هذه الأركان قدر المستطاع وبشتى الأساليب، وهذا قائم على اليقين و الإيمان بالله تعالى، فالمؤمن يزيده إيمانا طاعته لربه، فما من عمل الا وله ركائز يعمل بها، ويكون بها صائبا، ومنها ماهو قلبي، ومنها ماهو عملي، وترك أي منها يوجب الهدم أو النقصان، والتوكل له أركان خمسة هذا مااستخلصته. والله أعلم.

فالركن الأول: اليقين والثقة بما عند الله تعالى، إن اليقين والثقة هما الركن الأول في التوكل وهما بمثابة القاعدة الأساسية؛ لأن اليقين والثقة تزيد المرء المؤمن من ربه قربا وحبا، ومعرفة، ورضى، وخضوعا، واستكانة، وكلما ازداد اليقين

⁽١) سورة المدثر، آية: ٣١.



والثقة في قلب المرء المؤمن سلك بهما طريق السلامة إلى دار السلام، وبهما يكون التوكل على الله صحيحا سليما.

" فاليقين ملاك القلب، وبه كمال الإيمان، وباليقين عرف الله، وبالعقل عقل عن الله"(١).

قال تعالى: ﴿ إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَ لَا غَالِبَ لَكُمُّ وَإِن يَخَذُلُكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَنصُرُكُم مِّن بَعْدِهِ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ (٢).

وقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَا خَشُوهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴾ (٣).

وقول تعلم الى: ﴿ يَآأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسَّبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ اللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱللَّهُ وَمَنِ اللَّهُ وَمَنْ اللَّهُ وَمَنِ اللَّهُ وَمَنْ اللّهُ وَمِنْ اللّهُ وَمِنْ اللّهُ وَاللّهُ مِنْ اللّهُ وَمَنْ اللّهُ وَمَنْ اللّهُ وَمَنْ اللّهُ وَمَنْ اللّهُ وَمَنْ اللّهُ وَمُنْ اللّهُ مَا اللّهُ اللّهُ وَمِنْ اللّهُ وَمَنْ اللّهُ وَمِنْ اللّهُ وَمِنْ اللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ مِنْ اللّهُ وَاللّهُ مِنْ اللّهُ وَمِنْ اللّهُ وَمِنْ اللّهُ وَمِنْ اللّهُ وَمِنْ اللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَمِنْ اللّهُ وَمِنْ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ

وقول تعسالى: ﴿ وَلَين سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَاوَات وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُ نَ ٱللَّهُ إِنْ أَرَادَنِي ٱللَّهُ بِضُرَّ هَلَ لَيَقُولُ نَ ٱللَّهُ إِنْ أَرَادَنِي ٱللَّهُ بِضُرِّ هَلَ هُنَّ كَنْ شَفَاتُ ضُرِّهِ ۚ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَ كُمْ مَعْكَنْتُ رَحْمَتِهِ ۗ قُلْ هُنَ كَمْ مَعْكَنْتُ رَحْمَتِهِ ۗ قُلْ حَسْبِي ٱللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ (٥).

فمن خلال هذه الآيات نستشعر يقين المؤمن بالله تعالى وثقته بالله، فالمؤمن واثق أن الله تعالى وحده الكافي فلايحتاج معه إلى أحد، فعلى الله التوكل فهو المعين

⁽١) الفيروز آبادي، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، (٣٩٨/٥).

⁽٢) سورة آل عمران، آية: ١٦٠.

⁽٣) سورة آل عمران، آية: ١٧٣.

⁽٤) سورة الأنفال، آية: ٦٤.

⁽٥) سورة الزمر، آية: ٣٨.



والمانع من العدو ولن يغلب المؤمن بعد عون الله - فخشيته، ويقينه بالله زاده تصديقا، ويقينا في دينه وإقامة على نصرة عدوه (١).

فمتى نزل اليقين والثقة في نفس المؤمن كان من أكثر الناس توحيدا بربه من أصدق الناس طلبا وقوة في الإرادة، وكمال الانقياد، فيعكف القلب على محبة الله، وذكره بالإجلال والتعظيم، وتكون جوارحه على الطاعة، والإخلاص، فعلى قدر نزول اليقين واستقراره في النفس يظهر اللطف عند النوازل، فإن كمل العبد القيام بالأوامر ظاهرا وباطنا ناله اللطف ظاهرا وباطنا، وإن قام بصورها دون حقائقها ناله اللطف في الظاهر وقل نصيبه من اللطف في الباطن، فلنقو اليقين والثقة بذكرة ومعرفته والاتصال به، والتعلق به وحده سبحانه (٢).

الركن الثاني: فهو قطع كل مؤمل دون الله تعالى:

قال تعالى: ﴿ إِن يَنصُرُكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمُّ وَإِن يَخَدُلُكُمْ فَمَن ذَا اللهِ عَالِبَ لَكُمُّ وَإِن يَخَدُلُكُمْ فَمَن ذَا اللهِ عَالَيْتَوَكُّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ (٣).

المؤمن لايكمل إيمانه إلا بتوكله، فالآية دليل على ذلك، فليس بعد الله أحد فهو الناصر والمؤمل، والملاذ والملجأ. فالله تعالى شملت رحمته الوجود كله، ويعجز الإنسان عن إحصائها في ذات نفسه، وتكوينه، وماسخر له من حوله، ومن فوقه، وتحته، وماأنعم به عليه، مما يعلمه، ومما لايعلمه، فرحمته سبحانه شملت البر والفاجر، فكيف بمن هذه صفاته سبحانه لأنقطع المؤمل دونه، فقد قطع إبر اهيم عليه السلام الأمل في غير الله، ووجد الأمل في الله تعالى وسط النار، ووجدها يوسف عليه السلام في غياهب الجب، وفي غياهب السجن، ووجدها يونس عليه السلام في بطن الحوت ووجدتها أم موسى في قلبها حين قذفته في اليم، وهي لاتملك له حولا، ولا طولا، ووجدها موسى في قصر عدوه المتربص به فرعون كما وجدها أهل

⁽۱) انظر لأبي عبدالله القرطبي، الجامع لأحكام القرر آن، (دار النشر بدون ترط)، مج ۲، (۱) انظر لأبي عبدالله القرطبي، الجامع لأحكام القرائد (۱) النشر بدون ترط)، مج ۲،

⁽٢) انظر: لابن القيم، الفوائد، ص ٢٦٠.

⁽٣) سورة آل عمران، آية: ١٦٠.



الكهف في كهفهم، وأخيرا وجدها محمد رسول الله وصاحبه في الغار، ووجدها كل آمل في الله، لاجيء إلى الله وحده يائس ممن سواه سبحانه.

فالمرء المؤمن يأمل في الله، ويحسن الأمل، والرجاء في قبول طاعته، ولكن الإنسان أو المرء المؤمن العاقل البصير الذي يحب النجاة لنفسه لايسرف في الأمل، كما أن عليه أن لايياس من روح الله؛ ذلك أن الياس من روح الله كبيرة من الكبائر، قال تعالى: ﴿ إِنَّهُ لِلاَ يَا يُئُسُ مِن رَّوْح الله إِلا الله الْكَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴾ (١).

إن قطع كل مؤمل دون الله تعالى يورث في النفس اليقين في الله تعالى وزيادة في الإيمان، وبهذا يحصل الفرج والتنفيس؛ لأن من أمل في الله هو المؤمن الذي يرجو دائما فرج الله تعالى، فسبحان من كان قيما على خلقه مدبر الهم.

الركن الثالث: القيام بالأحكام الشرعية، ومراعاة السنن الكونية والاجتماعية:

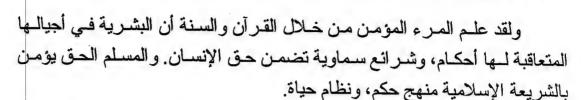
قال تعالى في محكم التنزيل: ﴿ قَدْ آفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلْتَا مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَ آ إِلا آَن يَشَآءَ مِلْتَكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّلْنَا ٱللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَ آ إِلا آَن يَشَآءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى ٱللّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَا وَبَيْنَا وَبِيعَ وَبُيْنَا وَبِيعَ وَبُيْنَا اللّهِ عَلَى اللّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَا وَبَيْنَ اللّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَا وَبَيْنَ اللّهِ تَوَكَّلُنَا رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَا اللّهِ تَوَمِنَا بِٱلْحَقّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفُلْتِحِينَ ﴾ (٢).

" فإلى الله وحده وكلنا أمورنا مع قيامنا بكل ماأوجبه علينا من الحفاظ على شرعه ودينه، فهو الذي يكفينا تهديدكم وماليس في استطاعتنا من جهادكم "ومن يتوكل على الله فهو حسبه" إذ من شروط التوكل الصحيح القيام بالأحكام الشرعية ومراعاة السنن الكونية والاجتماعية".

⁽١) سورة يوسف، آية: ٨٧.

⁽٢) سورة الأعراف، آية: ٨٩.

⁽٣) انظر: للمراغي، تفسيره، مج٣، (٩/٦).



قال تعالى: ﴿ فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَكُ ٱلْحَيَوْةِ ٱللَّانِيَا ۗ وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ (١).

فعلى المؤمن أن يأخذ من دنياه لآخرته، فهي الباقية الدائمة، يأخذ منها على حسب شرع الله، مراعيا بذلك السنن الكونية والاجتماعية الشرعية.

فالدنيا ومافيها من ثروات هي متاع، لكنه متاع لأيام قليلة معدودة، وماعند الله من الثواب خير للذين صدقوا بالله ووحدوه وتوكلوا على ربهم وفوضوا إليهم أمورهم (٢).

فالمؤمن يسارع في الخيرات، ويتسابق إليها، ويقدم لله تعالى عبادته وطاعته، وحسناته، ويخشى أن لايتقبلها الله منه.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿ وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِم لَا يُشْرِكُونَ ﴿ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِم لَا يُشْرِكُونَ ﴿ وَٱلَّذِينَ عُمُ اللّهِ مُ لَا يُشْرِكُونَ ﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتُواْ وَقَالُوبُهُم وَجِلَةً أَنَّهُم إِلَىٰ رَبِّهِم رَاجِعُونَ ﴾ أَوْلَلْإِلَى يُسُرعُونَ فِي ٱلْحَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴾ (٢).

فالمؤمن جاد في طلب مرضاة ربه مخلص في عبادته لايجعل فيها لغير الله شركا لوثن ، و لالصنم و لاير اني بها أحدا من الخلق ويجعل أعماله لوجه الله خالصة وإياه يقصد بالطاعة و العبادة دون كل شيء سواه، ويبادر في الأعمال الصالحة، ويطلب الزلفة عند الله بطاعته، فهذا هو من سبقت له من الله السعادة (٤).

⁽١) سورة الشورى، آية: ٣٦.

⁽٢) انظر: لابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (١٧٧٤) .

⁽٣) سورة المؤمنون، آية: ٥٧-٦١.

⁽٤) انظر: لابن جرير الطبري، جامع البيان، (٥/٣٧٠).



كذلك المؤمن يأخذ الأحكام ويتحرك ويعمل ويسعى بها لمواجهة الناس، ويتفاعل مع الأحداث ويتأثر ويؤثر، ولكن بالإيمان الذي رسخ ونمى فيه ومارسه، والمؤمن الحق لاينظر، ولاينطق، ولايبطش، ولاينهض حتى يرى على طاعة قدم أم على معصية فإن كانت الأولى تقدم وإن كانت الثانية تأخر، ولن تكون الطاعة إلا لقلب المؤمن الطاهر (١).

الركن الرابع: العمل والعزيمة مع الأخذ بالأسباب:

قال تعالى: ﴿ فَاعَفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلِينَ ﴾ (٢).

وقال تعالى: ﴿ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِي آللَّهُ لَآ إِلَنَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَكَّلْتُ وَقُلْ عَسْبِي آللَّهُ لَآ إِلَنَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ (٣).

فأمر الله نبيه - على المضي في الأمر والعزم عليه والمعنى " أي عزمت لك ووفقتك وأرشدتك ... للتوكل على الله - ... فقد امتثل رسول الله لأمر ربه فقال "لاينبغي لنبي يلبس لأمته أن يضعها حتى يحكم الله" أي ليس ينبغي له إذا عزم أن ينصرف؛ لأنه نقض للتوكل الذي شرطه الله عز وجل مع العزيمة"(أ).

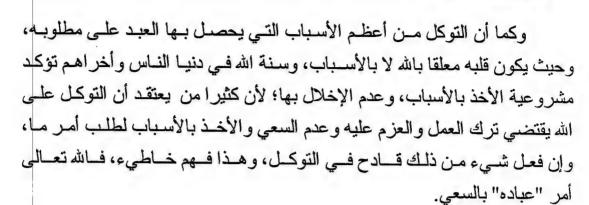
فهذا رسول الأمة وسيد ولد آدم أمره الله تعالى بالتوكل عليه وشرع له الأخذ في الأسباب بجوانب الحياة كلها، إن الأمر بالتوكل من صميم العقيدة، وخالص التوحيد، وجوهر العبودية لله؛ لأنه يعني إظهار العجز لجلاله، وعدم الركون إلى الأسباب من كل وجه، وإن لم ينقطع عنها.

⁽۱) انظر: لابن رجب الحنبلي، كتاب التوحيد، تحقيق صبري شاهين (الرياض: دار القاسم تط الأولى ١٤١٥هـ)، ص ٦٥.

⁽٢) سورة آل عمران، آية: ١٥٩.

⁽٣) سورة التوبة، آية: ١٢٩.

⁽٤) انظر: للقرطبي، الجامع الأحكام القرآن، مج٢، (٢٥٢/٤).



قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴾ (١).

وأمر حتى المجاهدين إذا صلوا صلاة الخوف أن ياخذوا حذرهم وأسلحتهم فقال تعالى: ﴿ وَلْيَأْخُذُواْ حِدْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ أَنَيْ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهُ وَلَيْ اللَّهُ اللَّاللَّهُ اللَّهُ اللَّالَّ اللَّهُ اللَّاللَّ اللَّهُ اللَّهُ اللَّا اللَّلْمُ اللَّا اللَّهُ اللَّهُ اللَّا اللّل

فالسعي في السبب لاينافي التوكل على الله في جميع الأقطار والأقاليم والأرجاء لأخذ المكاسب والتجارات(٢).

فالعمل والعزيمة والسبب أمور دعى الخالق بالأخذ بها مع الاعتماد عليه سبحانه، وهي أمور مطلوبة في الحياة، فالمؤمن الواعي اليقظ هو من يفطن لهذه الأمور، ويضعها أمام عينيه، ويستغل صحته، وماله، وقوته في العمل الصالح، الذي يحقق به الخير، والحياة الطيبة في الدنيا، " فعن أبيم هربوة وقد كال في رسول الله على: "إن خبر الكسب كسب بدي عامل إذا نصم" "(أ)، وقد كان يؤثر أن يقوم بنصيبه من العمل بنفسه كأي واحد من أصحابه - رضوان الله عليهم أجمعين – مع مكانته العظيمة الكريمة.

سورة الملك، آية: ١٥.

⁽٢) سورة النساء، آية: ١٠٢.

⁽٣) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (٢٢١/٤).

⁽٤) مسند أحمد (٢/٣٥٧، ٣٥٨)، وقال الشيخ أحمد شاكر: إسناده صحيح، وقد أورده السيوطي في الجامع الصغير (٤٥٢٧) وحسنه الشيخ الألباني (٣٢٧٨).



الركن الخامس: سكون القلب إلى ماقسم وقدر الله:

قال تعالى: ﴿ إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخَذُلُكُمْ فَمَن ذَا اللهِ عَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخَذُلُكُمْ فَمَن ذَا اللهِ عَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخَذُلُكُمْ فَمَن ذَا اللهِ عَالِبَ لَكُمْ وَأَمِنُونَ ﴾ (١).

وقال تعالى: ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكُوا ۗ وَمَا جَعَلْنَكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۗ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم جَفِيظًا ۗ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيل ﴾(٢).

إن مشيئة الله وقدر و ماضية لامحال " له المشيئة والحكمة فيما يشاؤه ويختاره لايسال عما يفعل وهم يسألون "(٢)؛ فهذا الركن بحسب اجتهادي والله أعلم أنه هو نهاية التوكل؛ لأن من سكن قلبه ورضي وسلم لله تعالى بتدبيره له كان حقا على الله تعالى أن يرضي عبده.

فسكون النفس إلى ماقسم وقدر الله سواء كان هذا القدر على مراد العبد أو على خلافه لازم مأمور به العبد؛ لأن السكون والرضى من الإيمان، فالمؤمن ساكن راض متلق أقدار ربه بالانشراح والتسليم وطيب النفس، كذلك فإن الرضى والسكون روح التوكل، وروح اليقين، والرضى والسكون يقوم مقام كثير من التعبدات التى تشق البدن؛ لأن السكون يفتح باب حسن الخلق مع الله تعالى ومع الناس، فكل من سكن قلبه إلى ماقسم وقدر الله فقد أقام الإيمان، وفرغ يديه ورجليه لكسب الخير.

وقول تعالى: ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَلْنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ (أ).

⁽١) سورة آل عمران، آية: ١٦٠ .

⁽٢) سورة الأنعام، آية: ١٠٧.

⁽٣) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (٢٦٢/٢).

⁽٤) سورة التوبة، آية: ٥١.



" فالجميع تحت مشيئته وقدره فهو سيدنا وملجونا ونحن متوكلون عليه وهو حسبنا ونعم الوكيل"(١).

وقوله تعالى: ﴿ وَلا تَقُولَنَّ لِشَانَى ءٍ إِنِّي فَاعِلُّ ذَا لِكَ غَدًا ﴾ (٢).

إن الله تعالى أوجد كل شيء على كيفية خاصة وفي وقت، وترتيب خاص بحسب علمه، وإرادته، وهذا هو قدر الله وقضاؤه، والله تعالى عدل في قضائه وقدره، حكيم في تصريفه وتدبيره، وأن ماشاء الله كان، ومالم يشأ لم يكن فعلى المسلم أن يسكن ويرضى قلبه بما قسم الله، وقدر من خير أو شرحلو أو مر، فهو في سكينة، وطمأنينة، ورضى، وقد أمرنا تعالى بالسعي في الأرض بجد واجتهاد، والأخذ بجميع الأسباب، وحسن التوكل على الله، فإن سكون القلب والاستسلام، والرضى بقدر الله من خير أو شر من جملة ثمرات المعرفة "فسبحان من ناط والرضى بقدر الله من خير أو شر من جملة ثمرات المعرفة "فسبحان من ناط والقدر شرط من شروط الإيمان وركن من أركان التوكل على الله، فهذه الدعائم الخمس لها أهمية عظمى في حياة المؤمن كفرد وفي حياة المؤمنين كمجتمع، وبها يكتمل التوكل وتحصل مرادات العبد النفسية، والاجتماعية والدينية، والدنيوية، فكل مايجرى على المرء من أقدار الله تعالى لايعلق عليها سواء بفوات محبوب أو مصول مكروه.

أخير ا فإن هذه الأركان والركائز متداخلة متلازمة عند أدائها، فينبغي الالتزام بها، و أخذها بقوة وفقا للأدلة النقلية، والعقلية، والواقعية .

⁽١) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (٢/٥٦٤).

⁽۲) سورة الكهف، آية: ۲۳.

⁽٣) ابن الجوزي، صيد الخاطر، راجعه وحققه على الطنطاوي، ناجي الطنطاوي، (سوريا: دار الفكر، تط٧٠٠هـ)، ص١٦٦، باب ١١٦ الرضى بالقدر.



قال تعالى: ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾(١)، الآية الكريمة وعد من الله للمؤمنين بالنصر، وهو وعد لايتخلف.

كان هذا الوعد مع ضعفهم وقوة أعدائهم، وفقر هم، وثروة أعدائهم، وقلتهم وكثرة أعدائهم بحيث يستحيل العادة نصرهم، فالتوكل على الله من أسباب النصر، وقد ربط تعالى التوكل بالنصر في آيات عدة من كتابه العزيز.

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالَّ وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿ وَاللَّهُ اللَّهُ وَلَيْهُمَا اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ اللَّهُ وَلِيُّهُمَا اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿ وَاللهُ اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ اللَّهُ وَلِيُّهُمَا اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ فَلْيَتَوَكَّلُ اللهُ اللّهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللّهُ اللهُ اللهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللهُ اللّهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللّهُ اللّهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللّهُ اللّهُ اللهُ اللهُ اللّهُ اللهُ اللّهُ اللهُ اللهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللهُ اللّهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللّهُ اللهُ اللهُ اللّهُ اللّهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللّهُ اللهُ اللهُ اللّهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللّهُ اللهُ اللّهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللّهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللهُ اللّهُ اللهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللّهُ اللهُ اللهُ اللّهُ اللهُ اللهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللهُ اللّهُ اللهُ اللّهُ اللهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللهُ اللهُ اللّهُ اللّهُو

فالآية نزلت في وقعة أحد، وقد أرصد كفار قريش أموالهم وجمعو الجموع والأحابيش وأقبلوا قريبا من أحد تلقاء المدينة فعلم بهم رسول الله وخرج في نحو ألف ورجع عبدالله بن أبي بثلث الجيش واستمر رسول الله في سائرا حتى نزل الشعب من أحد عدوة الوادي (٦)، وقد كان لهذه الغزوة عوامل وأسبابا ظاهرة بعد أن ظفر المسلمون بالنصر على أعدائهم في غزوة بدر الكبرى أرادت قريش الثأر لصناديدها الذين ألقوا في القليب قليب بدر، وسبب آخر هو أن الذين تخلفوا عن بدر من المهاجرين و الأنصار كانوا يسالون الله أن تتيح لهم فرصة لقتال المشركين، والفتك بهم ليعوضوا مافاتهم من الأجر، والغنيمة يوم بدر، وقد بدأت المعركة وانتهت بدروس قاسية للمسلمين في نهاية المعركة بعد أن كان في أولها نصر مؤزر.

" ولكن ماأصيب به المسلمون فيه من الدروس والفوائد والحكم الريانية أشياء عظيمة: منها تعريف المسلمين سوء عاقبة المعصية

⁽١) سورة الروم، آية: ٤٧.

⁽٢) سورة آل عمران، آية: ١٢١-١٢٢.

⁽٣) انظر: لابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (٩٨/١).



وشؤم ارتكاب النهى؛ لما وقع من ترك الرماة موقفهم الذي أمرهم الرسول أن لايبرحوا منه، ومنها أن عادة الرسل أن تبتلي وتكون لها العاقبة....، والحكمة في ذلك أنهم لو انتصروا دائما دخل في المؤمنين من ليس منهم، ولم يتميز الصادق من غيره، ولو أنكسروا دائما لم يحصل المقصود من البعثة، فاقتضت الحكمة الجمع بين الأمرين لتمييز الصادق من الكاذب، وذلك أن نفاق المنافقين كان مخفيا عن المسلمين، فلما جرت هذه القصة (غزوة أحد)، وأظهر أهل النفاق ماأظهروه من الفعل والقول عاد التلويح تصريحا، وعرف المسلمون أن لهم عدوا في دورهم فاستعدوا لهم وتحرزوا منهم، ومنها أن في تأخير النصر في بعض المواطن هضما للنفس وكسرا لشماختها، فلما ابتلى المؤمنون صبروا وجزع المنافقون، ومنها أن الله هيأ لعباده المؤمنين منازل في دار كرامته لاتبلغها أعمالهم، فقيض لهم أسباب الابتلاء والمحن ليصلوا إليها، ومنها أن الشهادة من أعنى مراتب الأولياء فساقها إليهم، ومنها أنه أراد إهلاك الأعداء فقيض لهم الأسباب التي يستوجبون بها ذلك من كفرهم وبغيهم وطغياتهم في أذى أولياته، فمحص بذلك ذنوب المؤمنين، ومحق بذلك الكافرين"(١)

فمنها نرى أن السبب الأول والرئيس في الهزيمة هو الرغبة في الدنيا وطلبها، بمعصية الله ورسوله فهذا سبب كل بلاء وهزيمة ومحنة تصيب المسلمين في كل زمان ومكان.

فالآية تتحدث عن اضطراب المؤمنين ومن معهم فكاد الفشل أن يكون حليفًا لهم، ولكن الله تعالى ثبتهم، ومكنهم بالنصر على أنفسهم.

(" وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا "ا أي ناصرهما وحافظهما ومتولي أمرهم بالتوفيق والعصمة، فإن قلت: " الهم" العزم على فعل الشيء، والآية تدل على أن الطائفتين قد عزمتا على الفشل وترك القتال وذلك معصية

⁽١) انظر: لابن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، (٧/٠٤٤).

فكيف مدحهما الله تعالى بقوله: "وَاللّهُ وَلِيّهُمَا"! بنو سلمة ، وبنو حارثة _ قلت " الهم " قد يراد به العزم، وقد يراد به حديث النفس، وإذا كان كذلك فحمل " الهم " على حديث النفس هنا أولى والله تعالى لايؤاخذ بحديث النفس، ويعضده قول ابن عباس (أنهم أضمروا أن يرجعوا فلما عزم الله لهم على الرشد ثبتوا مع رسول الله فمدحهم الله تعالى بقوله: {وَاللّهُ وَلِيّهُمَا }... وقوله تعالى: { وَعَلَى أَلّهُ فَلَيْتَوَكَلَ اللهُ فَا اللهُ فَي كفايته والقيام به، وقيل التوكل: هو العجز والاعتماد على الغير، وقيل: هو تفويض الأمر إلى الله تعالى ثقة بحسن تدبيره فأمر الله عباده المؤمنين أن لايتوكلوا إلا عليه، وأن لايفوضوا أمرهم إلا إلى الله تعالى الله الله عباده المؤمنين أن لايتوكلوا إلا عليه، وأن لايفوضوا أمرهم

فالله سبحانه نصر المؤمنين، وصدق وعده للمؤمنين بالنصر إذ ظهر ذلك في أول النهار.

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعَدَهُ وَ اذْ تَحُسُّونَهُم بِاذْنَهُ حَتَّلَى اذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنَ بَعْدِ مَآ أَرَّنَاكُم مَّا تُحبُّونَ ﴾ (٢).

فالآية دليل على أن وعد الله للمؤمنين بالنصر مشروط بقيام المؤمنين بأوامر الله في كل شؤونهم فمتى حققوا اللجوء الخالص لله تعالى – ومن مقتضياته التوكل عليه سبحانه وتعالى وحده دون سواه - تحقق لهم ماوعدهم الله تعالى من النصر (١)، "فالمعنى لقد حقق الله وعده لكم بالنصر، حتى إذا جبنتم، واختلفتم في تنفيذ الأمر، وعصيتم أمر رسولكم، بسبب خلل نيات بعضكم بإن لم تتمحض للأخرة منعكم الله نصره "(٤).

⁽۱) انظر: الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل وبهامشه تفسير البغوي، ٤مج (بيروت: دار الفكر نط ١٣٩٩هـ)، (٤١٣-٤١٢/١).

⁽٢) سورة آل عمران، آیة: ١٥٢.

⁽٣) انظر: لسعيد حوى، الأساس في التفسير، (٢/ ٩٠٠).

⁽٤) المصدر نفسه، (٢/ ٩٠١) .

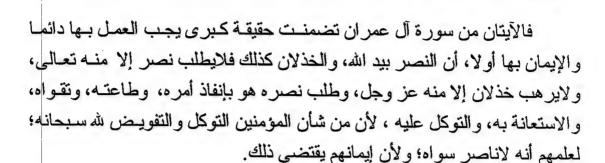
إن إرادة الدنيا وحدها غير معصية، ولكن ماترتب عليها من ترك لطاعة الله ورسوله في ماعقبه من آلام وجراحات، وقتل، وهزائم وفوات خير كبير، ومع ذلك فالله تعالى أراد حكمة عظيمة خفية في تلك الهزيمة التى ظاهرها النقمة وباطنها النعمة، والعبرة أن قوانين النصر المادية من تفوق بالعدة والعدد، وفن القتال، لاتعمل عملها إلا إذا بذل الجهد والدخول إلى المعركة بتوكل على الله صحيح ليظهر الله سنته من النصر، فمن هذه الوقعة علم المؤمنون أن النصر والهزيمة يتمان بحسب سنن إلهية فما أصبحوا بعد هذه الحادثة المؤلمة يغفلون تلك السنن أو يهملونها وإن فعلوا تر اجعوا سريعا عن ذلك.

قال تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمُّ وَلُو كُنتَ فَظًا غَلِيظً الْقَلْبِ لاَ نَفَضُواْ مِنْ حَوْلَكُ فَاعْفُ عَنْهُمُ وَٱسْتَغْفِرُ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي اللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ۚ إِن اللَّهُ يَحِبُ ٱلمُتَوَكِّلِينَ ۚ إِن اللَّهَ يَحِبُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخَذُ لَكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِي يَنصُرُكُم مِّن يَنصُرُكُم مِّن بَعْدِهِ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخَذُ لَكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِي يَنصُرُكُم مِّن بَعْدِهِ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلَيْتَوَكَّلَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ (١) .

والمعنى: "إن يعنكم الله بنصره ويمنعكم من عدوكم كما فعل يوم بدر ﴿ فَ الرّ غَالِبَ لَكُمْ ﴾ يعني من الناس؛ لأن الله تعالى هو المتولى نصركم " وإن يَخْذُ لَكُمْ " كما فعل يوم أحد فلم ينصركم، ووكلكم إلى أنفسكم لمخالفتكم أمره وأمر رسوله على ﴿ فَ مَن ذَا الّذِي يَنصُرُكُم مِن بَعْدَهُ ﴾ أي من بعد خذلاه "وعَلَى الله فلي ولاراد فلي يَنصُرُكُم مِن بعد خدلاه الله ولاراد فلي يَنصُرُكُم مِن بعد غيره لأن الأمر كله لله ولاراد فلي المناه، ولادافع لحكمه فيجب أن يتوكل العبد في كل الأمور على الله تعالى، لاعلى غيره وقيل التوكل أن لاتعصى الله من أجل رزقك، ولاتطلب لنفسك ناصرا، ولا لعملك شاهدا سواه"(٢).

⁽١) سورة آل عمران، آية: ١٥٩-١٦٠.

⁽٢) الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، (٢/ ٤٣٩) .



قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَاخَشُوهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُواْ حَسْبُنَا أَللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ فَانَقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلِ لَمْ يَمْسَسُهُمْ سُوَّةٌ وَٱتَّبَعُواْ رِضُوانَ ٱللهِ فَانَقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلِ لَمْ يَمْسَسُهُمْ سُوَّةٌ وَٱتَّبَعُواْ رِضُوانَ ٱللهِ وَٱللَّهُ ذُو فَضْل عَظِيمِ ﴿ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ اللّهُ الللللللّهُ اللللللّهُ اللّهُ اللللّهُ الللللّهُ اللللّهُ اللّهُ الللللللّهُ الللللّهُ اللّهُ

"﴿ وَقَالُواْ حَسَبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴾ معبرين عن إيمانهم، الحَسَبُنَا ٱللَّهُ "؛ أي: هو كافينا مايهمنا من أمر الذين جمعوا لنا، الحَسَبُنَا" بمعنى محسبنا فهو من أحسبه إذا كفاه كما قالوا ﴿ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴾ الذي توكل إليه الأمور فإنه لايعجزه أن ينصرنا عليهم، على قلتنا، وكثرتهم، أو يلقي الرعب في قلوبهم، ويكفينا شربغيهم، وكيدهم، وقد كان الأمر كذلك، فإن الله تعالى القى الرعب في قلب أبي سفيان وجيشه على كثرتهم فولوا مدبرين واعز الله بذلك رسوله والمؤمنين "(").

نعم! اد لهمت الأمور على المؤمنين فازدادوا توكلا على الله، وإيمانا به والله عند حسن ظن عباده به، فكفاهم الله شر المشركين، وسجل لهم النعمة من السلامة، وفرار الكافرين، وعودة الهيبة للمؤمنين، ورجوع الروح المعنوية العالية للمسلمين (٦).

⁽١) سورة آل عمران، آية: ١٧٣-١٧٤.

⁽٢) انظر: لمحمد رشيد رضا، تفسير المنار، (٢٤٣/٤).

⁽٣) انظر: لسعيد حوى، الأساس في التفسير، (٩٣٩/٢).



فالله تعالى يكفى المؤمنين شر المشركين والأعداء، ويكفيهم مايهمهم بعد التوكل عليه فهو حسبهم ونعم الوكيل.

قال تعالى: ﴿ وَيَقُولُونَ طَاعَةُ فَإِذَا بَرَزُواْ مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَآبِفَةٌ مِّ مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَآبِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ ٱلَّذِي تَقُولُ وَٱللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ فَأَعْرِضَ عَنْهُمْ وَتَوَكُّلُ عَلَى ٱللَّهِ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿ ﴾ (١).

فالآية الكريمة "إخبار من الله تعالى بشان المنافقين الذين يظهرون الموافقة والطاعة، والله تعالى عالم بما يضمرونه ويسرونه فيما بينهم ومايتفقون عليه ليلا، من مخالفة الرسول في فاصفح عنهم واحلم عليهم ولاتؤاخذهم ولاتكشف أمورهم ولاتخف منهم فكفى بالله وليا وناصرا ومعينا لمن توكل وأناب إليه"().

فجاء الأمر بالتوكل هنا مقرونا بالصفح والحلم والاعراض عن الأعداء، وعدم الاهتمام بهم، لأن في ذلك نصرا متينا على الأعداء، خاصة أن الله سبحانه قد تكفل بالمؤمنين، فأرشد الله تعالى رسوله الكريم وصحبه أن لايبالوا بشرذمة المنافقين؛ لأنه حسبهم وكافيهم لما يبيتونه من الشر.

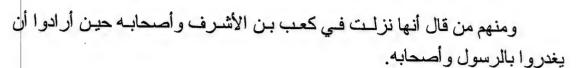
وقال تعالى ممتنا على رسوله الكريم - إلى والمؤمنين تبعا ﴿ يَآ أَيُّهَا اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓ الْ إِلَيْكُمْ أَلَّذِيرَ عَامَنُواْ آذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓ الْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيهُمْ فَكُنُ أَيْدِيهُمْ عَنكُمْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلَيْتَوَكّلِ اللَّهُ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلَيْتَوَكّلِ اللَّهُ مَنُونَ ﴾ (٢).

فالآية وإن اختلفت الأقوال في سبب نزولها فمنهم من قال أن قوما من اليهود وضعوا طعاما لرسول اله على وأصحابه فأوحى الله بشأنهم لرسوله الله الله المسلم

⁽١) سورة النساء، آية: ٨١.

⁽٢) انظر: لابن كثير بتصرف، تفسير القرآن العظيم، (١/١٠).

 ⁽٣) سورة المائدة، آية: ١١.



ومنهم من قال أنها نزلت في شأن بني النصير حين أرادوا أن يلقوا على رأس الرسول الرحى، لما جاءهم يستعينهم في دية العامريين، ووكلوا عمرو بن جحاش بن كعب بذلك، فأطلع الله النبي على ماتآمروا عليه(١).

فهي مشعره بأن التوكل من أسباب الكف والنصر على الأعداء، ودفعهم عن الرسول والمؤمنين وبين ماأر ادوا من كيد.

" فعن جابر أن النبي النبي النبي العضاه يستظلون تحتما، وعلق النبي السلامة بشجرة، فجاء أعرابي إلى سيف رسول الله الفائذه، فسله، ثم أقبل على النبي الفي فقال: من يمنعك منبي؟ قال: "الله "قال الأعرابي مرتين أو ثلاثا من يمنعك منبي؟، والنبي النبي الله "قال: "الله "قال: فشام الأعرابي السيف، فدعا النبي أصحابه، فأخبرهم خبر الأعرابي، وهو جالس إلى جنبه ولم يعاقبه)

فالرسول الكريم توكل على الله، فكفاه الله ماأهمه، وحفظه من شر الأعداء، وعصمه؛ لأنه على الله القائل: (اللهم أسلمت وجهي إليك وفوضت أمري إليك، وألجأت ظهري إليك رغبة ورهبة إليك، لاملجأ ولامنجى منك إلا إليك، اللهم أمنت بكتابك الذي أنزلت، وبنبيك الذي أرسلت)(").

ففي الآية قصر حقيقي، وهو أن التوكل لايكون إلا على الله إذ لاكافي إلا هو سبحانه وتعالى.

⁽١) انظر: المصدر السابق، (١/٥).

⁽٢) رواه البخاري في الجهاد، باب: من علق سيفه بالشجر، ح: ١٩١٠، والفتح (١٣٣/٦).

⁽٣) البخاري في الفتح (٢٤٧/١)، ومسلم (٢٧١٠).

وقال سبحانه في حق الرجلين اللذين أنعم الله عليهما من بني إسرائيل في الرجلين اللذين أنعم الله عليهما من بني إسرائيل في أَنَّابَ فَإِذَا رَجُلُان مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنَّعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُواْ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخُلُواْ مِنَ ٱللَّهِ مَا يَعْمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَلِبُونَ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُواْ إِن كُنتُم مُّؤُمِنِينَ ﴾ (١).

فقد أنعم الله تعالى عليهم بتنوير بصائرهم بمعرفة الله عز وجل وماله من حقوق واجبة، قاموا بها وحثوا قومهم عليها منها الحث على التوكل على الله واتباع أمره، وموافقة رسوله، وأرشدهم إلى الفعل الذي سيكون به النصر حليفهم والظفر والتأييد، ودخول البلاد التي كتبها الله لهم؛ وهو الإيمان الذي يقتضي التوكل على الله وقطع العلائق القلبية مع غير الله وترك التملق بالباطل للخلائق (٢)، فما كان هذا الحث والإرشاد إلا من الإيمان بالله والوثوق بوعد الله وبنصره وتأييده (٢).

قال تعالى في معرض الحديث عن غزوة بدر ﴿ إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَافِقُونَ وَالْمَنَافِقُونَ وَالْمَنَافِقُونَ وَالْمَنَافِقُونَ وَالْمَانِهِ مَّرَضُ عَرَّ هَا وَلَا إِنَّهُ مَا وَاللَّهُ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهُ عَزِيزُ حَكِيمٌ ﴾ (أ).

فالمؤمن المتوكل على الله الذي يعلم أنه مامن حول و لاقوة و لانصر إلا من الله وبالله، والمنافقون لايدركون القوة الكامنة في نفوس المؤمنين.

فكل من أسلم أمره إلى بارئه وخالقه، ووثق بفضله، وإحسانه فالله هو الحافظ والناصر عزيز لايغلبه شيء حكيم يوصل إلى أحبائه وأوليائه الرحمة والثواب وإلى أعدائه العذاب(٥).

وقال تعالى: ﴿ وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلَمِ فَٱجْنَحْ لَهِ اَ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۞ وَإِن يُريِدُوٓاْ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۞ وَإِن يُريِدُوٓاْ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُ ۚ

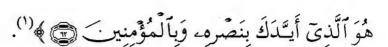
⁽١) سورة المائدة، آية: ٢٣.

⁽٢) انظر: لسعيد حوى، الأساس في التفسير، (٣/١٣٥٥).

⁽٣) انظر: لابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (٦٢/٢)؛ وللمراغي، في تفسيره، (٩٢/٢).

⁽٤) سورة الأنفال، آية: ٤٩.

⁽٥) انظر: للرازي، مفاتيح الغيب، مج٨، (١٨٣/١٥).

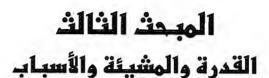


فالله تعالى يرشد أولياءه لأساليب الحرب، ومنها إن كان في السلم والمهادنية خير فيجب الإقبال عليه وهذا ماكان من رسول الله على يوم الحديبية فبأمر من الله تعالى صالحهم وتوكل في ذلك على الله؛ لأن الله كافي وناصر أحبائه حتى إن كان المشركون يريدون بهذا الصلح الخديعة ليتقوا ويستعدوا فالله تعالى حسب نبيه وكالئه وناصره عليهم (٢).

فالله تعالى وعد المؤمنين ورسولهم من قبل بالنصر والظفر مطلقا على جميع التقديرات وهذا بعد أن يعملوا مافي طاقتهم من طاعة ربهم، وهو سبحانه قادر على الوفاء، فلايضام من التجأ إليه، ويعتمد على جنابه، فهو عزيز منيع الجناب، عظيم السلطان في أفعاله، وأحكامه، فينصر من يستحق النصر، ويخذل من هو أهل لذلك.

سورة الأنفال، آية: ٢١-٢٢.

⁽٢) انظر: لابن كثير، المصدر السابق، (٢/٥٠٦).



شاء الله تعالى أن يخلق الخلائق، وقضى سبحانه أن تكون بأقدار معلومة فهو العليم بما هو كائن إلى يوم القيامة.

قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّ ذَالِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَالِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرُ ﴾ (١).

و المؤمن يعرف لربه الكمال فتراه مؤمنا بأن كل مايحدث له قدر بحكمة، والله سبحانه يعلم و لانعلم ويقدر و لانقدر و لابد أن نؤمن بأن ماأصابنا لم يكن ليخطئنا وماأخطأنا لم يكن ليصيبنا؛ لذلك فإن جميع المحصلات بمشيئته سبحانه وقدرته.

قال تعالى: ﴿ إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمُّ وَإِن يَخُذُلُكُمْ فَمَن ذَا اللهِ عَالَبَ لَكُمُّ وَإِن يَخُذُلُكُمْ فَمَن ذَا اللهِ عَالَمَ يَنصُرُكُم مِّنَ بَعْدِهِ وَعَلَى ٱللهِ فَلْيَتَوَكُّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ (٢).

لأنه سبحانه هو الذي يعين ويمنع، ويخذل، ويغلب^(٣)، فالنصر والخذلان بقدر الله، ومشيئته، وفي كل له حكمة يرتضيها.

فالله وحده هو صاحب الخلق والأمر، والملك والتدبير، فهو رب العالمين خالق كل شيء، ومالك كل شيء، ومدبر كل شيء؛ فهو رب جميع العوالم من مختلف الأجناس والألوان؛ فهو واحد لاشريك له لايظهر في الوجود شيء إلا

⁽١) سورة الحج، آية: ٧٠.

⁽٢) سروة آل عمران، آية: ١٦٠

⁽٣) انظر: لأبي محمد الحسين البغوي، معالم التنزيل في التفسير والتأويل، ٥مج (بروت: دار الفكر تط ١٤٠٥هـ) (٥٧٣/١).



بإرادته، وقدرته وخلقه، وعلمه، هو الأول، والآخر فعال لما يريد؛ هو الذي يرزق جميع خلقه فتقدير أرزاق خلقه، وآجالهم بيده وحده.

قال تعالى: ﴿ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّشْقَالَ ذَرَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَالِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَنبٍ مُّبِينٍ ﴾ (١).

فكل ماهو كائن، وماسيكون مسطر في ذلك الكتاب المبين، وبهذا فالمؤمن يندفع للعمل في سبيل مرضاة ربه، مجتهدا في ذلك، وهذا الإيمان بقدر الله ومشيئته دافعة إلى العمل المثمر في نشر الدين، والعمل بأحكامه وتشريعاته، والأخذ بسلوكه وأخلاقه.

فالآية دلالة إلى الإشارة بإحاطة علمه سبحانه بكل ماهو موجود صغير أو كبير، ولايتأمل ذلك إلا عالم مؤمن واسع العلم، ومن كان ممتلئا قلبه بعظمة الله تعالى، ويدرك أن جميع أعماله محصية عليه، سواء كانت صغيرة حقيرة أو كبيرة جليلة (٢).

قال تعالى: ﴿ وَعِندَهُ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُمَا فِي اللهِ عَلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَتِ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَهَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَتِ فِي ٱلْبَرِ وَٱلْبَرِ وَلَا يَابِسِ إِلَّا فِي كِتنبِ مُبِينٍ ﴾ (٣).

فالله تعالى جعل له سننا لاتتبدل والإنسان علمه سبحانه بعض السنن، وأدركه بعضها وجعله يتعامل معها في حدود طاقاته ومالم يكشفه له يعلم الإنسان أنها في طلاقة مشيئة الله وحدوث كل شيء بقدر الله وماذاك إلا اختيار من الله تعالى للمتوكلين ليعلموا أن من الإيمان ومن مقوماته الأساسية وقواعده الرئيسة "علم الغيب" الذي اختص به الله تعالى.

⁽١) سورة يونس، آية: ٦١.

⁽٢) انظر: للبيضاوي، أنور التنزيل وأسرار التأويل، ص ٢٨٢.

⁽٣) سورة الأنعام، آية: ٥٩.



والمعنى: أن الله عنده "علم ماغاب عنكم، أيها الناس، مما لاتعلمونه، ولن تعلموه مما استأثر بعلمه نفسه، ويعلم أيضا مع ذلك جميع ما يعلمه جميعكم، لايخفى عليه شيء؛ لأنه لاشيء إلا مايخفى عن الناس أو ما لايخفى عليهم، فأخبر تعالى ذكره أن عنده علم كل شيء كان ويكون، وماهو كائن مما لم يكن بعد الألل.

فينبغي للمؤمن أن يعرف أن القوة الفاعلة للأمور هي قوة الله، بعد اتخاذ جميع السبل و القيام ببذل الجهد، و التكاليف، ونفض الأيدي من العواقب، وتعليقها بقدر الله، ونقبل ونرضى، ونسلم بما يأتي به قدر ومشيئة الله تعالى .

قال تعالى: ﴿ مَا أَصَابَ مِن مُصيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي صَالِمِن شَصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي حَتَابِ مِن قَبْلِ أَن نَّبَرَأَهَا إِنَّ ذَالِكَ عَلَى ٱللهِ يَسِيرُ ﴾ (٢)، فما من شيء إلا ومثبت في علم الله تعالى فكل من علم أن الكل مقدر هان عليه الأمر، فيجب الرضي والتسليم لله تعالى فيه فإنه على وفق رضى الله تعالى، وبناء على مشيئته، وحكمته وواقع على أساس تدبيره لملكه وخلقه (٣).

وقال تعالى: ﴿ وَٱللّهُ خَلَقَكُم وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (٤)، فالله تعالى خلق العبد، وفعله قد قدره الله تعالى وكتبه عليه، وسبق به علمه قبل التقدير، والقضاء، والعبد فاعل لفعله أو تارك له يحاسب به، ويجازى عليه، فالله تعالى لما قدر ماالعد، وماعليه من خير أو شر قد قدره مربوطا باسبابه، فللخير أسبابه، وللشر أسبابه، كما قدر أن العبد يأتي تلك الأسباب، ويعمل بها بمحض إرادته التي قدرها له، وحرية الاختيار الذي قضى له به، فلايصل العبد إلى ماكتب له من خير أو شر إلا بواسطة تلك الأسباب التي يفعلها غير مجبور أو مكروه عليها وعلى فعلها، وفي الحديث عن عمر ابن الغطاب أن رسول الله - قل - قال: "إن الله - عز وجل - إذا فلق العبد المهند المهند المهند على عمل من أعمال أهل العبد المهند المن المهند المه

⁽١) انظر: لابن جرير، جامع البيان، (٢٧١/٣).

⁽٢) سورة الحديد، آية: ٢٢.

⁽٣) انظر: للبيضاوي، أنور التنزيل وأسرار التأويل، ص ٧١٨.

⁽٤) سورة الصافات، آية: ٩٦.



الجنة فيدخله به الجنة، وإذا خلق العبد للنار استعمله بعمل أهل النار حتى يموت على عمل من أعمال أهل النار فيدخله به النار "(۱)، فالحديث حجة ودلالة على أن الله تعالى إذا كتب على العبد أزلي السعادة أو الشقاء كتب له كذلك أنه يعمل بالأسباب التي تسعد أو تشقي لتتم السعادة أو الشقاء على أساس نظام الأسباب، فالمرء واصل بسعيه إلى السعادة أو الشقاء إلى الخير أو الشر.

وقال تعالى: ﴿ قُلُ لَّن يُصِيبَنَ آ إِلَّا مَا صَتَبَ آللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَئَا وَعَلَى آللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلَ آلْمُؤْمِنُونَ ﴾ (٢)، الآية مقتضية معاني عظيمة منها "يقول تعالى مؤدبا نبيه محمدا عظيمة منها "يقولاء المنافقين الذين تخلفوا عنك، " لّن يُصِيبَنَ آ " أيها المرتابون في دينهم " إلا مَا كَتَبَ آللهُ لَنَا " في اللوح المحفوظ، وقضاه علينا " هو مولانا" يقول: هو ناصرنا على أعدائه " وَعَلَى آلله فَلْيَتَوَكُلُ آلُمُؤْمِنُونَ " يقول: وعلى الله فليتوكل المؤمنون، فإنهم إن يتوكلوا عليه، ولم يرجوا النصر من عند غيره، ولم يخافوا شيئا غيره، يكفهم أمورهم وينصرهم على من بغاهم وكادهم").

فكل شيء بقضاء الله وقدره، والله تعالى يثبت لنا المصلحة الدنيوية والأخروية، فلاوجه للفزع، ورضانا بقضائه وقدره في المصائب لن يسؤنا بالحقيقة كيف؟ ولم يكتبها علينا ليضرنا بها، إذ هو "مولانا" أي يتولى أمورنا؛ فإنما كتبها علينا ليوفقنا للصبر عليها والرضا بها، فيعطينا من الأجر ماهو خير منها "وعلى الله فليتوكل المؤمنون" فلاناصر ولامتولى للأمر غيره سبحانه العلي الكبير (أ).

⁽۱) الحديث طويل رواه أبوداود في سننه (٤٧٠٣) واللفظ له، سنن الترمذي (٣٠٧٥/٥) وقال الترمذي: حديث حسن ؛ رواه البغوي في شرح السنة (١٣٩/١) وقال محققه: حديث صحيح.

 ⁽٢) سورة التوبة، آية: ٥١.

⁽٣) انظر: للطبري، جامع البيان، (١١٩/٤).

⁽٤) انظر: للقرطبي، الجامع الأحكام القرآن، مج٤، (٨/٨٥)؛ ولمحمد جمال الدين القاسمي، محاسن التأويل، مج٥، (٢٣٣/٨).

إن تفويض الأمور شه تعالى في مستقبل ما، والتصميم على فعله لا الجزم بشيء هي من اللوازم التي على المؤمن أن يتمسك بها عند توكله؛ لأن الأمور جميعها موكولة شه سبحانه، ولمشيئته، وقدرته. "والاعتقاد بقدر الله، والتوكل الكامل على الله، لاينفيان اتخاذ العدة بما في الطوق فذلك أمر الله الصريح في قول هو أعد وأعد والله ما آست طَعتم من قُوة وَم ر رباط الخيل قول ترهبون به عدو آلله وعدو كم من السيكل على الله حق الاتكال من لاينفذ أمر الله، ومن لايذذ بالأسباب، ومن لايدرك سنة الله الجارية التي لاتحابي أحدا، ولاتراعي خاطر إنسان "(٢)، فاليقين والرضا بما قسم وقدر لابد من إدراكه، ومالم يقسم ولم يقدر لن نصل إليه، إذا فالتوكل على الله لاينافي السعي بالأسباب التي شاءت إرادة المولى سبحانه تبارك وتعالى أن يحقق بها المسببات، وسبحانه أمر

بالأخذ بالأسباب، كما أمر بالتوكل، فالأخذ بالأسباب بالجوارح طاعة للمولى

سبحانه، والتوكل بالقلب على الله تعالى إيمان به، فكل مانقدر عليه من القوة العقلية،

والبدنية وأنواع القوى كلها هي أسباب انيل المقصود والمأمول بعد التوكل عليه

إن الأخذ بالأسباب والوسائل، والقوى التي رتب الله عليها المسببات والنتائج من المقررات الشرعية، وتحت مشيئته وقدره سبحانه، ولعلي هذا مايفهم من قوله تعسالى: ﴿ لَيْسَ بِأَمَانِيّكُمْ وَلا آمَانِيّ أَهْلِ ٱلْكَتَابُ مَن يَعْمَلُ سُوّءًا يُجُن به وَلا يَجِدُ لَهُ مَن دُون ٱلله وَليّا وَلا نصيرًا ﴾ (آ)؛ والآية فيها معنى "أن الجزاء ليس تابعا لأماني النّاس ومشتهاهم، بل هو أمر مقدر من الله تعالى تقديرا بحسب الأعمال "(أ)، فالعمل بما أمر الله لازم لصحة التوكل عليه وترقب الخير منه، والإيمان لايكون بمجرد تخيل الأماني، وتمني الحصول عليها بغير الأسباب

سيحانه

⁽١) سورة الأنفال، آية: ٦٠.

⁽٢) انظر: لسيد قطب، في ظلال القرآن، (٣/ ١٦٦٤-١٦٦٥).

⁽٣) سورة النساء، آية: ١٢٣.

⁽٤) انظر: لابن عاشور، التحرير والتنوير، مج (7-3-0)، (0/10.7).



الموصلة إليها، ولكن الإيمان الحقيقي هو مااستقر في نفس المؤمن أنه حق فاطمأن اليه، وحرص عليه، ثم كان عمله موافقا له، مصدقا لوجوده أو دعوة اعتقاده.

والتوكل على ذلك لايكون إلا بالثقة، والاعتماد على الله، ثم العمل بما أمر به، والأخذ بالوسائل ثم ترك مالله لله من أقدار وقضاء فلا يعزب عن الله و لايغيب عن علمه شيء، يفعل مايشاء، ويحكم مايريد له الملك والحمد فليس في أفعاله سبحانه و لاتقدير اته ومشيئته ظلم أو شر قط، قضى بذلك العقل والنقل، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلله لاَ يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةً ﴾(١)، ويقرر هذه الحقيقة رسول الأمة محمد - في قوله: "الخير كله في بديك والشر ليس إليك"(٢).

فَالله تعالى أثبت لنفسه المشيئة، قال تعالى: ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَ فَالْوَهُ فَالْوَهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴾ (٢).

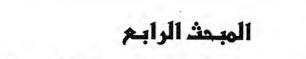
وقوله تعالى: ﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَلَمِينَ ﴾ (٤). والكل محكوم بالمشيئة الإلهية، فسبحان من له الإرادة والمشيئة.

⁽١) سورة النساء، آية: ٤٠ .

 ⁽۲) رواه مسلم، (۲/۱۸۵).

⁽٣) سورة الأنعام، آية: ١١٢.

⁽٤) سورة التكوير، آية: ٢٩.



الأعمال التي يعملما العباد في تحقيق التوكل

إن المرء المؤمن في حاجة مستمرة إلى هداية خالقه سبحانه عز وجل ورعايته. والتوكل على الله لايكون إلا بأمرين مجتمعين لاينفصل أحدهما عن الآخر هذا ماأراه والله أعلم بالصواب.

١- الإيمان بالحق سبحانه، والاعتماد عليه والثقة فيه .

٢- الأخذ بالأسباب والوسائل التي تربط بها النتائج المرجوة.

فالأول أمر لازم؛ لأنه الأساس في التصديق والثقة والطمأنينة بل إنه هو هذه الأمور، والإيمان كما تبين شامل للاعتقاد وللنطق والعمل.

و الإيمان أساس القبول عند الله، والثاني أمر به المولى عز وجل لأن فيه طاعته، و الإيمان حقيقته الحركة و العمل، وليس بمجرد نوايا طيبة و المتوكلون نواياهم الطيبة لاتخلو من عمل مثمر، و لاتخرج عن أعمال و أمور أربعة هي:

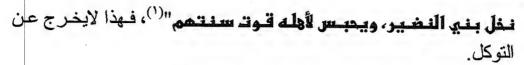
الأول: فعل أمر يجلب النفع كالطعام والشراب، وجنون أن ننتظر أن نشبع دون أن نأكل أو نروى دون أن نشرب، والتوكل في هذا المقام توكل بالعلم والحال. أما العلم فهو أن نعلم أن الله تعالى خلق الطعام، واليد والأسباب، وقوة الحركة، وأنه الذي يطعم ويسقى.

وأما الحال – فهو أن يكون اعتماد القلب على فضل الله تعالى لاعلى اليد والطعام.

قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهُدِينِ ﴿ ٱلَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَ اللَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴾ (١).

الثاني: التوكل على الله في حفظ الموجود كادخار المال، وحبسه للأهل، والولد وفي الصحيحين من حديث عمر ابن الخطاب عليه - أن النبي الله " كان بببع

⁽١) سورة الشعراء، آية: ٧٨، ٧٩.



قال تعالى: ﴿ وَيَرْزُقُهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلُ عَلَى ٱللهِ فَلُو حَسْبُهُ وَمَن يَتَوَكَّلُ عَلَى ٱللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ وَ إِنَّ ٱللَّهُ بَالِغُ أَمْرِهِ عَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴾(٢).

فالله تعالى يسبب أسباب الرزق من حيث لانشعر، ولانعلم فمن اتق الله في أموره ويفوضه إليه فهو كافيه، فالله تعالى بالغ أمره بكل حال توكل عليه العبد أو لم يتوكل عليه (٢).

فالله تعالى قد ألهم العبد الفكر في أن يدخر لعياله وأهله شيئا من ماله و إلا هلك العيال و الأهل، وقد كان المصطفى الله يؤثر أن يقوم بنصيبه من العمل بنفسه — كأي واحد مع مكانته العظيمة الكريمة.

الثالث: دفع الأسباب المباشرة للضرر:

فلايجوز النوم في الأرض المسبعة أو تحت جدار خرب، والاينقض التوكل لبس الدرع، وشد البعير.

قال تعالى: ﴿ وَلَيَأْخُذُواْ حِدْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ ﴾ (1).

وفي الحديث: " عن أنس بن مالك الله قال: قال رجل: يارسول الله أعقلما وأتوكل، أو أطلقها وأتوكل؟ قال "أعقلما وتوكل" "(°).

فالتوكل في ذلك كله على المسبب لاعلى السبب ويكون المرء مطمئنا وراضيا بكل مايقضي الله عليه من خير أو شر، فالمرء المؤمن عليه أن يقيم

⁽۱) صحيح البخاري، في النفقات، (٦٢٧/٩)، باب حبس الرجل قوت سنة على أهله، وكيف فنفقات العبال.

 ⁽۲) سورة الطلاق، آية: ٣.

⁽٣) انظر: لابن جرير، جامع البيان، (٣١٦/٧).

⁽٤) سورة النساء، آية: ١٠٢.

⁽٥) سبق تخریجه، ص ۳۲.



حياته بما أوجبه الله تعالى عليه فلايعطلها، بل إن فعله لها عبودية كذلك لاينبغى عليه الاعتماد عليها؛ بل يعتمد على مسببها ومقدرها.

الرابع: السعي في إزالة الضرر:

فمنها المريض قد نـزل بـه المرض فعليه دفعه بـالمداواة لا بالشكوى فهي مخرجة عن التوكل، وقد فعله النبي في وفي الحديث "عن أبيه هربوة في النبي النبي النبي المنه وفي الحديث "عن أبيه هربوة في النالسبي في قال: "ماأنزل الله من داء إلا أنزل له شفاء" "(۱)، "وعن عائشة: أنه في كان إذا اشتكى نفث على نفسه بـالمعوذات ومسم عنه بيده"(۱)، فهذه الأسباب التي يدفع بـها الضرر النازل أمور شرعية لاسحرية وعلى كل فالرقية والتداوي من الأسباب المشروعة التي أمر الله تعالى بإتخاذها من غير اعتماد عليها كليا في أنها هي الشافية، وعلى ذلك فإن تعالى الأسباب والعمل بـها قدر المستطاع هي أمور مباحة لاتنافي العقيدة وخلق التوكل على الله؛ لأن جميع الأسباب التي يتعاطاها المـرء المؤمن لاتخرج عن ثلاثة أقسام (۱):

الأول: " إلى مقطوع به، كالماء المزيل لضرر العطش، والخبز المزيل لضرر الجوع، فهذا القسم ليس تركه من التوكل في شيء.

الثاني: أن يكون مظنونا، كالفصد، والحجامة، وشرب المسهل، ونحو ذلك، فهذا لايناقض التوكل، فإن رسول الله عليه قد تداوى وأمر بالتداوي.

الثالث: أن يكون السبب موهوما، كالكي فيخرج عن كمال التوكل؛ لأن النبي الثالث: وصف المتوكلين بأنهم لايكتوون"(٤)، ولكن قد تداوي به كثير من المسلمين،

⁽۱) البخاري في الطب، باب: ماأنزل الله داء إلا أنــزل لــه شــفاء، ح(٥٦٧٨)؛ وفــي الفتــح (١/١٠).

⁽٢) البخاري في الطب، باب: النفث في الرقية، ح (٥٧٤٨)، وفي الفتح (٢١٩/١).

⁽٣) انظر: للمقدسي، مختصر منهاج القاصدين، ص ٣٣٤؛ والأحمد بن مصطفى الشهير بطاش كبرى زاده، مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، (بسيروت: دار الكتب العلمية تط الأولى ١٤٠٥هـ)، (٣/١٥-١١٥).

⁽٤) انظر: للمقدسي، المصدر نفسه، ٣٣٤.



و لا يعني هذا أنهم عصوا رسولهم في ولكن المراد من كلام رسول الله في أن يجعل آخر شيء في العلاج؛ إذ أن بعض الأحاديث قد أجازته ومنعته بعضها الآخر، فمن الأول:

"عن حديث جابر بن عبدالله: "أن النبي ﷺ بعث أبي بن كعب طبيبا، فقطم له عرقا وكواه عليه" "(١).

والثاني: " في المديث عن جابر أن النبي الله الله الما عن جابر أن النبي المديث عن المديث عن جابر أن النبي المديث عن المديث

فهذه الروايات لاتعارض بينها فالفعل يدل على جوازه وجعله كما أشرنا آخر العلاج، ونهيه عنه يدل على الكراهة له.

إذا الأعمال الصالحة جميعها من تمام التوحيد وكماله؛ لأنها تعني القيام بها مع عدم اعتماد القلب عليها، ووثوقه وركونه إليها، وأما تعطيلها فهو سوء فهم لأحكام الدين.

ولو طالعنا حياة رسولنا الكريم السنجدها قائمة على أعمال وأسباب، وإن ظهر فيها من الكرامة ماظهر، وهو إمام المتوكلين وسيدهم، فلم يخرج للجهاد بدون عدة، فقد تترس يوم أحد، ولم يواجه عدوه قط بدون خطة أو ترتيب أو مشاورة آخذا بمشورة سلمان الفارسي بحفر الخندق فحياته المائلة أمامنا نرى فيها التوكل، والأخذ بالأسباب شاكر اللمقدرات مقاوما الصعاب والشداد بالصبر والاسترجاع؛ ذلك أن التوكل من أعظم الأسباب التي يحصل بها العبد مطلوبه حيث يكون.

فالعبد المؤمن قلبه معلق بالله لا بالأسباب، وجوارحه آخذة في الأسباب قائمة بها، وسنة الله في دنيا الناس وآخر اهم تؤكد مشروعية الأسباب والأخذ بها وعدم الإخلال بها.

⁽۱) مسلم في السلام، باب: لكل داء دواء، ح(۲۲۰۷)، (٤/ ١٧٣٠).

⁽٢) البخاري في الطب، باب الحجامة، ح(٥٧٢١)، وفي الفتح(١٦٢/١).



المبحث الخامس مجال التوكل على الله

إن التوكل حقيقة من يعلم أن الله قد ضمن لعبده الرزق، والعمل، ... وكفاه، ووثق العبد بربه فيما ضمنه وكفاه، وللتوكل مجالات شاملة من أمور الدنيا ومطالب الدين.

ومن هذه المجالات نذكرها قصرا الحصرا:

التوكل على الله في حصول الرزق: إن الله تعالى قد كفل لعباده رزقهم، والرزق مقسوم لكل من البر والفاجر، قال تعالى: ﴿ وَمَا مِن دَآبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلّا عَلَى الله رزْقُها ﴾ (١)، فالآية شاملة لكل كائن حي فمن توكل على الله لطلب الرزق فقد جعل التوكل سببا، ومن توكل عليه لثقته بضمانه فقد توكل عليه ثقة به، وتصديقا بوعده؛ لذلك لاينبغي أن يهمل السعي بل على المرء المؤمن أن يكد وهو مطمئن أن الله تعالى سيفرغ له من خزائنه مايشاء لمن يريد.

قال تعالى: ﴿ وَيَرْزُقُهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلُ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴿ وَمَن يَتَوَكُّلُ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ۚ ﴿ وَمَن يَتَوَكُّلُ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ۚ ﴿ وَمَن يَتَوَكُّلُ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ

والمعنى: يخرجه الله تعالى من شبهات الدنيا والكرب، ويرزق الله المرء من حيث لايؤمل ولايرجو، وعن جابر قال نزلت هذه الآية ﴿ وَمَن يَتَق اللّهُ يَجْعَل لّهُ وَمَحَرَجًا ﴿ وَمَن يَتَق وَلَمُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسبُ ﴾ الآية في رجل من أشجع كان فقير اخفيف ذات اليد كثير العيال فأتى رسول الله في فسأله، فقال (اتق الله واصبر) فلم يلبث إلا يسيرا حتى جاء ابن له يقال له أبونعيم كان العدو أصابه فأتى رسول الله في، فسأله خبره وأخبره خبرها فنزلت (وَمَن يَتَق ٱلله) الآية وقيل معنى الآية يتق الله من كل شيء ضاق على

⁽١) سورة هود، آية: ٦.

 ⁽٢) سورة الطلاق، آية: ٣.

الناس^(۱). " وعن ابن مسعود الله قال في (وَمَن يَتَوَكَّلُ عَلَى الله فَهُوَ حَسَبُهُ أَنَّ الله فَهُوَ حَسَبُهُ أَنَ الله على الذي يقول تقضى حاجتي، وليس كل من توكل على الله كفاه ماأهمه، ودفع عنه مايكره" وقضى حاجته، ولكن الله جعل فضل من توكل على من لم يتوكل أن يكفر عنه سيئاته، ويعظم له أجرا"^(۲).

فأمر الله نافذ والآية دليل على " وجوب التوكل عليه تعالى وتفويض الأمر إليه، لأنه إذا علم العبد أن كل شيء من الرزق وغيره لايكون إلا بتقديره لايبقى إلا التسليم للقدر والتوكل على الله تعالى"(").

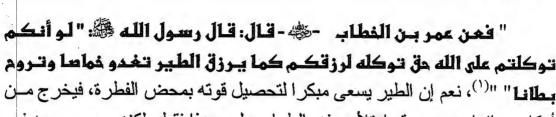
فصرف جميع القوى التي منحها الله تعالى في الجسد والعمل فبهذا الصنيع المذكور يصل المؤمن إلى كل مايبتغيه من خير هذه الدنيا إلى جانب خير الدين بحسن الثقة في الله، والاعتماد عليه فالأثر المترتب على التوكل الحق هو قضاء المصالح والوصول إلى الرزق كما تصنع الطير بفطرتها.

⁽۱) انظر: للإمام السيوطي، الدر المنثور في التفسير المأثور، (بيروت: دار الفكر، تط الثانية (۱) ۱۹۸-۱۹۸).

⁽٢) المصدر السابق، (٨/٢٠٠).

⁽٣) أبي السعود، إرشاد العقل السليم، (٥/٧٣٤).

⁽٤) سورة البقرة، آية: ٢١٢.



. أوكاره جائعا ويرجع وقد امتلأ جوفه بالطعام، وليس هذا فقط ولكنه يرجع ومعه في حدود إمكاناته قوت فراخه الصغار التي لاتستطيع أن تسعى .

فالمرء المؤمن يعمل لأجل رزقه ومعاشه ويتوكل على الله في ذلك فالله يرزق من يشاء بغير حساب، وإن رأى المؤمن أن الله لم يوسع عليه في الدنيا فهذا من باب زيادة الابتلاء والامتحان، وإن رأى الوسع على الكافر فهذا من باب الاستدراج، آلا نرى أن الله تعالى وسع الدنيا على قارون وضيقها على أيوب عليه السلام (۲).

كذلك المؤمن يتوكل على الله أن يرزقه الزوجة الصالحة وهو مطلب شرعي، قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبُ لَنَا مِنْ أَزْ وَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنِ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾ (٥).

⁽۱) سبق تخریجه، ص ۳۲.

⁽٢) انظر: للرازي، مفاتيح الغيب، مج ٣، (٥/٠١).

⁽٣) سورة التوبة، آية: ١٠٥.

 ⁽٤) سورة الأنفال، آية: ٢٦.

⁽٥) سورة الفرقان، آية: ٧٤.



فباب الدعاء من أبواب السعي والأخذ بالأسباب حتى يكون هناك توكل حقيقي ولجوء إلى الله تعالى، فالتوكل على الله في طلب أن يرزق الإنسان المؤمن زوجة صالحة، ويخرج الله من أصلابهم وبطون زوجاتهم ذرية تطيع، وتعبد الله وحده لاشريك له وتحسن العبادة وتطلب الهداية (۱).

فإصابة خير الدنيا من الزوجة الصالحة والذرية وغير هما، وطلبها بالدعاء والعمل على ذلك من إبتغاء وجه الله في الطاعات، وجعلها في المقدمة؛ لأن الإخلاص عنصر رئيس في قبول الأعمال، وكذلك في قبول الدعاء.

إن دعاء الله تعالى من أبرز الطرق الشحن القلب بالقوة والرقة، وهو جزء من اللجوء إلى الخالق سبحانه؛ والأنه هو مفتاح الخير والتوفيق بعد البذل والجد في العمل الصالح الموفي شروطه لضمان قبوله عند الله تعالى.

وقد أمر رسولنا الكريم أصحابه بالدعاء وحشهم على الحرص عليه والمتصفح لأبواب الدعوات في كتب الحديث يجد فيها كنوزا عظيمة، والقرآن كذلك ملىء منها.

قال تعالى: ﴿ رَبِّ هَبُ لِي مِنَ ٱلصَّالِحِينَ ﴾(٢).

وقال تعالى: ﴿ وَزَكَرِيّاۤ إِذْ نَادَكُ رَبَّهُ وَرَبِّ لَا تَذَرُّنِي فَرُدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَارِثِينَ ﴾ (٣).

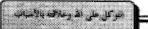
وقال تعالى: ﴿ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةٌ طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ اللهُ عَامِي اللهُ عَامِي اللهُ اللهُ عَامِي اللهُ اللهُ عَامِ اللهُ اللهُ عَامِهُ اللهُ عَلَيْهِ اللهُ عَلَيْهِ اللهُ عَلَيْهِ اللهُ عَلَيْهِ اللهُ عَلَيْهِ اللهُ اللهُ عَلَيْهِ اللهُ عَلَيْهِ اللهُ عَلَيْهِ اللهُ عَلَيْهُ اللهُ عَلَيْهُ اللهُ عَلَيْهِ اللهُ اللهُ عَلَيْهِ اللهُ عَلَيْهِ اللهُ عَلَيْهُ اللهُ عَلَيْهِ اللهُ عَلَيْهِ اللهُ عَلَيْهُ اللهُ عَلَيْهِ اللهُ عَلَيْهُ اللهُ عَلَيْهِ اللهُ عَلَيْهِ اللهُ عَلَيْهِ اللهُ عَلَيْهِ اللهُ عَلَيْهُ اللهُ عَلَيْهُ اللهُ عَلَيْهِ اللهُ عَلَيْهُ اللهُ عَلَيْهُ اللهُ عَلَيْهِ عَلَيْهُ اللهُ عَلَيْهِ اللهُ عَلَيْهُ اللّهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ اللّهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ اللّهُ عَلَيْهُ اللّهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهِ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهِ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهِ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهِ عَلَيْهُ عَلَيْهِ عَلَيْهُ عَلَيْهِ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهِ عَلَيْهُ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهُ عَلَيْهِ عَلَي

⁽۱) انظر: لابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (٣/ ٥٢٦)؛ ولابن الجوزي، زاد المسير، ١٠م ج (بيروت: المكتب الإسلامي، تط الثالثة، ١٤٠٤هـــ)، (١١١/١).

⁽٢) سورة الصافات، آية: ١٠٠٠.

⁽٣) سورة الأنبياء، آية: ٨٩.

 ⁽٤) سورة آل عمران، آية: ٣٨.



وقد تواصى به السلف الصالح، فمما يرويه مفتي مكة التابعي الجليل عطاء ابن أبي رباح^(۱) عن صاحبه طاوس^(۲) قوله "قال لي طاوس ياعطاء لاتنزلن حاجتك بمن أغلق دونك أبوابه، وجعل عليها حجابه، ولكن أنزلها بمن بابه مفتوح لك إلى يوم القيامة، أمرك أن تدعوه، وضمن لك أن يستجيب لك"^(۲).

فالكل يدعو الله أن يرزقه الولد والذرية الصالحة، فأبو الأنبياء طلبها من الله تعالى ليكون له أو لاد مطيعون يعينوه على الدعوة، ويؤنسوه في الغربة، ويكونون عوضا له، وكذلك زكريا عليه السلام طلب أن يهبه الله ولدا فرؤية الأولاد النجباء، مما تشوق نفوس الناظرين إليهم وتجعلهم يتمنون أن يكون لهم مثلهم (أ).

فهناك الكثير من مطالب الحياة الدنيا المشروعة، وهي من مجالات التوكل على الله، ولكن لايوجد أعظم من طلب الله تعالى في أن يعين على الهدى والثبات بعد توكله عليه سبحانه ليأخذ بيده في استقامة نفسه و إقامة دين الله في الأرض ودفع الفساد وقمع البدع وجهاد الكفار والمنافقين والاهتمام بمصالح المسلمين والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.

قال تعالى: ﴿ فَأَعْبُدُهُ وَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ (٥).

وقال تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَانُ ءَامَنَا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَلِ مُبِينٍ ﴾ (١).

⁽١) أبومحمد القرشي عطاء بن أبي رباح توفي سنة ١١٤هـ وقيل ١١٥هـ، تذكرة الحفاظ، للذهبي، (٩٨/١).

⁽٢) أبو عبد الرحمن اليماني الجندي طاوس، توفي سنة ١٠٦هـ بمكة، تهذيب التهذيب لابن حجر، (٢) ترجمة رقم ٣٠٨٩.

⁽٣) ابن الجوزي ، صفة الصفوة ، (٢٨٨/٢).

 ⁽٤) انظر: لمصطفى المراغي، تفسيره، (١/٤٧)، (٦٦/٦، (٧٢/٨).

⁽٥) سورة هود، آیة: ۱۲۳.

 ⁽٦) سورة الملك، آية: ٢٩.



فالآيتان إيماء إلى طلب الخلاص بالإيمان الخالص لله والإخبات إليه واتباع أمره بالحكمة، والموعظة الحسنة، وبذل المستطاع في سبيل الحصول على ذلك بالعبادة الحقة، والأخذ بالأسباب، والتوكل، وبدون ذلك فلن تكون الهداية، والإيمان، فلنداوم على الإخلاص، وعلى معرفة التوحيد، والامتثال لأوامر الله، وأو امر رسوله، والامتثال بها ومن خلال ذلك يحصل المؤمل من الهداية والسداد (۱). وكذلك طلب الله تعالى والإلحاح في الدعاء أن يبعد الشيطان عنه.

"عن أنس والله قال: قال رسول الله الله الله الله على الله والحول والقوة إلا بالله يقال: حينته فقال: بسم وفيت وكفيت ووقيت فتتنحى له الشياطين فيقول له شيطان آخر: كيف لكبرجل قد هدي وكفي ووقي؟""(٢).

فالكل يستطيع أن يتقوى على شيطانه بالتوكل على الله والتسليم لله بالقوة والحول، وبذلك يحصل المرء على الحفظ والمنعة من الشيطان الرجيم ومن كل وساوسه وخبثه؛ لأن إبليس عدو ظاهر العداوة لبني آدم، لم يلق سلاحه طرفة عين؛ ليتمتع برؤية أفواج بني آدم تلقى بنفسها في المهالك، ويمكن لمن توكل على الله حق توكله أن يتحرز من وسوسته، وسمه القاتل، بمخالفة الهوى، فإذا ماخالف الهوى المؤمن بعد التوكل على الله، عادت للعقل رجاحته، فيعرف مايضره مما ينفعه.

كذلك هناك من يطلب من الله العافية وفي الحديث "عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: لم يكن رسول الله - في - يدع هؤلاء الدعوات حين يمسى وحين يصبح: "اللهم إني أسألك العافية في الدنيا والآفرة، اللهم إني أسألك العفو والعافية في ديني ودنياي وأهلي ومالي، اللهم استر عوراتي، وأمن روعاتي، اللهم احفظني من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي، ومن فوقي وأعوذ بعظمتكأن أغتال من تحتي" "(").

⁽١) انظر: للمراغي، تفسير المراغي، (١٠١/٤)، و(١٠١/١).

⁽۲) سبق تخریجه، ص ۲۷.

⁽٣) أبوداود (٥٠٧٤)؛ وابن ماجه (٣٨٧١)؛ والحاكم (٥١٧/١) ووافقه الذهبي.



فعدم طلب العافية من المضعفات التي تصيب القلب بالمرض، ومايتبعها من حب الدنيا بكل ماتحمل من زينة وجاذبية.

ولن تأتي هذه العافية إلا بالصدق في العمل والخلوات، مما يؤدى ذلك إلى الامتناع عن اقتراف مايغضب الله تعالى فيتعرض العبد للعافية وعفو الله سبحانه، كذلك العافية لاتأتي إلا بعد اليقين بالله والتوكل عليه في الحفاظ على الصحة، فالعافية سلاح يتقوى بها العبد المؤمن على العمل والسعي في مرضاة الله.

كذلك من مجال التوكل، التوكل على الله في طلب النصر، وإقامة شرع الله و هذا ماكان من الأنبياء والصالحين، والدعاة إلى يوم الدين.

قال تعالى: ﴿ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللهِ وَقَدْ هَدَلنَا سُبُلَنَا وَلَنَّهِ وَقَدْ هَدَلنَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَ سَ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا وَعَلَى ٱللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ (١).

فالله تعالى قد نصر المسلمين يوم بدر وهم قلة، ونصر المسلمين يـوم الخندق وهم محاصرون، والله تعالى قادر على أن ينصر اليوم المسلمين وهم محاصرون من كل حدب وصوب، يـهاجمون ويضطهدون في فلسطين، وألبانيا، وكشمير، والفلبين، والشيشان وغيرهم كثير فليس أمامهم سـوى بـاب الله يقرع بالدعاء والقنوت.

قال الإمام الشافعي(٢):

أتهزأ بالدعاء وتزدريه وماتدري بما صنع الدعاء سهام الليل لاتخطئ ولكن لها أمد وللأمد القضاء (٣)

⁽١) سورة إبراهيم، آية: ١٢.

⁽٢) أبو عبدالله محمد بن إدريس الشافعي، ولد سنة ١٥٠هـ، وتوفي سنة ٢٠٤هـ. انظر: لعبدالغني الدقر، الإمام الشافعي فقيه السنة الأكبر، ص٢٥، ٣٨، ١٦٣.

⁽٣) الإمام الشافعي، ديوان الشافعي، صححه وعلق عليه محمد الزعبي (بيروت: دار الجيل تط الثالثة، ١٣٩٢هـ)، ص ١٧ .

فينبغي للمؤمن الاستقامة على الجادة ولزومها والسير عليها والاستمرار فيها دون اعوجاج أو انحراف حتى يكون لنا الفلاح بإذن الله، إن عملية الاستقامة لاتتم بحركة ميكانيكية، بل هي معارك، ومجاهدة، وتنقية، مع النفس، والهوى، والشيطان، وعلى مقدار الهمم والعزيمة والثبات يتم الفلاح، وتنجح عملية المجاهدة والتنقية، ولقد مدح الله تعالى نبيه بالاستقامة ومدح المؤمنين المستقيمين.

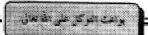
قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَامُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَانَبِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ (١).

وقال تعالى في حق نبيه ﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْأً إِنَّهُ وِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ (٢).

أخير ا فإن أفضل مجال للتوكل على الله هو في إقامة الدين ورفع الظلم عن الناس، والبشر متفاوتون في توكلهم حسب المقاصد والأماني، وبالله تعالى الكلاءة والتوفيق.

⁽١) سورة فصلت، آية: ٣٠.

⁽٢) سورة هود، آية: ١١٢.



الفصل الرابع

بواعث التوكل على الله تعالي

وفيه:

نهميد.

المبحث الأول: رسوخ معاني أسماء الله الحسنى وصفاته في النفس. المبحث الثاني: حسن ظن المؤمن بربه وإعتماده عليه. المبحث الثالث: استسلام العبد وافتقاره لله سبحانه وتعالى. المبحث الرابع: حسن جزاء المتوكلين.

الفصل الرابع بماعث التمكل على الله تعالى

التمميد:

إن لكل سلوك وخلق يقوم به الإنسان دو افعه وبو اعتبه، فمنها ماهو محمود، ومنها ماهو مذموم، ولكن مانحن بصدد الكلام عنه له دو افعه المحمودة، فالتوكل على الله من الأخلاق التي لاتكتسب إلا ببو اعث لها أساس في شخصية العبد المتوكل العابد.

والتوكل عبادة لله، إذ هو سبحانه وتعالى لايعبد إلا بمعونته، وعبادته لاتأتي الإ بالمعرفة الحقة، وذلك برسوخ معنى الألوهية والربوبية ورسوخ معاني أسمائه، وأفعاله في النفس المؤمنة، وكذلك استسلام العبد وافتقاره لله عز وجل وكمال إنقياده، وخضوعه لله سبخانه وتعالى، وحسن ظنه بربه وإنابته له، ولاننسى ماأعده الله تعالى من حسن ثواب وجزاء للمتوكلين.

والقرآن لم يترك لهذا الخلق العظيم جانباً إلا بحثه، وبهذا فإن أساس كل شيء الإيمان الصادق القوي، وهو الدافع إلى المكرمات، وصاحبه يكتسب الخلق القويم حتماً.

فسبحانه لايدعو إلى خير أو ينفر من شر إلا وجعل ذلك من مقتضى الإيمان المستقر في القلوب، فالتوكل على الله وغيره من الأخلاق التي شرعها الإسلام هي طاعات صادرة من الإسلام وشرعه، فهي مدارج الكمال وروافد تصون العبد المؤمن؛ لذلك أعطيت منزلة كبيرة في دين الله، والتوكل له منزلته ومقامه.

ومابواعثه التالية الذكر إلا وتدل على أنها لها قيمتها العالية، وقيمة العمل ترجع قبل كل شيء إلى طبيعة البواعث التي تمخضت عنه، وهذه البواعث ماهي إلا توجيه ومضي للأولياء والمؤمنين على السير وفق البواعث لينال المرء المنشود منها(۱).

⁽۱) انظر: للأصفهاني، معجم مفردات ألفاظ القرآن، باب الباء، ص٠٥-٥١ ولأحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي، عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، تحقيق، محمد باسل عيون السوط (بيروت: دار الكتب العلمية، تط الأولى ١٤١٧هــ) (١/٠٥٠).



رسوخ معاني أسماء الله المسنى وصفاته في النفس

إن لله تعالى أسماء وصفات كلها حسنى، وأوصافه، وأسماؤه كلها كمال فهو سبحانه منزه، عما يضاد صفات كماله، وأسمائه الحسنى.

ومنهج السلف الصالح في أسماء الله تعالى وصفاته: هو الإيمان بها كما أخبر الله، وكما أخبر بها رسوله في ، وذلك على مراد الله تعالى، وبالوجه الذي يليق بجلاله، وعظيم سلطانه، مع الإيمان بأن الله تعالى لايشابهه أحدا من خلقه تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.

فالإيمان بالأسماء والصفات من التوحيد القولي، والاعتقادي المتعلق بأعمال القلوب.

إن توحيد الأسماء والصفات هو روح الإيمان، وأصله وغايته، فكلما ازداد العبد معرفة بأسماء الله، وصفاته ازداد إيمانه ورسخ، وقوي يقينه، فينبغي للمؤمن أن يبذل مقدوره ومستطاعه في معرفة الله بأسمائه، وصفاته من غير تعطيل، ولاتمثيل، ولاتحريف ولاتكييف. بل تكون المعرفة والرسوخ لمعانيها ومحتوياتها متاقاة من الكتاب والسنة، وماروى عن الصحابة، والتابعين لهم بإحسان.

وبهذا فعندما يمرر المؤمن أسماء الله، وصفاته على وفق ماأشرنا إليه يحصل الرسوخ، وتحصل المعرفة النافعة التي لايزال صاحبها في زيادة إيمان، فمثلا: على

⁽۱) سورة الشورى، آية: ۱۱.

⁽٢) أبو السعود، إرشاد العقل السليم، (٥٢٢٥).



العبد أن يعلم أن لا إله إلا الله " فاسم "الله" دال على جميع الأسماء الحسنى والصفات العليا"(١).

واسم " الله " دال على كونه معبودا تألهه الخلائق تعظيما وخضوعا، وفزعا اليه في الحوائج، والنوائب، وهناك الكثير من الآيات القرآنية الكريمة ارتبط فيها اسم " الله " بخلق التوكل على الله؛ الذي يستلزم كمال ربوبيته، وألوهيته.

قال تعـــالى: ﴿ لا ٓ اللهَ الاّ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾ أَلْعَظِيمِ ﴾ أَلْعَظِيمِ ﴾ أَلْعَظِيم مالك (العرش العظيم) الجسم الأعظم المحيط الذي تنزل منه الأحكام والمقادير (٣).

والمعنى: "عليه توكلت يفيد الحصر أي لا أتوكل إلا عليه وهو رب العرش العظيم، والسبب في تخصيصه للعرش بالذكر؛ أنه كلما كانت الآثار أعظم، وأكرم، كان ظهور جلالة المؤثر في العقل والخاطر أعظم؛ ولما كان أعظم الأجسام هو العرش كان المقصود من ذكره تعظيم جلال الله سبحانه"(أ). فالعلة في التوكل على الله أنه منزل الأحكام والمقادير صاحب الملك العظيم والعرش العظيم.

وقد بين الرسول على عظم هذا العرش بالنسبة للسموات وبالنسبة للكرسي الما السموات السبع في الكرسي إلا كحلقة ملقاة في فلاة من الأرض، وفضل العرش على الكرسي كفضل تلك الفلاة على تلك الحلقة" (°).

وقال تعالى: ﴿ وَتَوَكَّلُ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿ ٱلَّذِي يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿ وَتَقَلَّبُكَ فِي ٱلسَّحِدِينَ ﴾ (٢).

⁽١) ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين، (١/١).

⁽۲) سورة التوبة، آية: ۱۲۹.

⁽٣) انظر: أبوالسعود، المصدر السابق، (٢/٢٠٤).

⁽٤) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب، مج ٨ (ج١٦، ص٢٤٣–٢٤٤).

⁽٥) رواه الإمام البيهقي في " الأسماء والصفات"؛ وابن أبي شيبة، قال الألباني في الصحيحة: حديث صحيح بطرقه .

⁽٦) سورة الشعراء، آية: ٢١٧-٢٠٠ .



فالله تعالى يأمر رسوله بالتوكل عليه وتوطين قلبه على التوكل وذلك لما وصف الله تعالى ذاته بعلمه بحاله على التي بها يستأهل ولايته بعد أن عبر عنه بما ينبيء عن قهر أعدائه ونصر أوليائه من وصفي العزيز الرحيم(١).

فا "التوكل عبارة عن تفويض الرجل أمره إلى من يملك أمره ويقدر على نفعه وضره، وقوله " العزيز الرحيم "؛ أي الذي يقهر أعداءك بعزته، وينصرك عليهم برحمته؛ لما أراك فيه من التقلب، والتهجد، وطلب النصر عليهم بإلحاحك في الدعاء" (").

وفي الآية "علق التوكل بالاسمين" العزيز، والرحيم" ماتبعهما من الوصف الموصول وماذيل به من الإيماء إلى أنه يلاحظ قوله، ويعلم نيته، إشارة إلى أن التوكل على الله يأتي بما أومأت إليه هذه الصفات ومستتبعاتها بوصف (العزيز الرحيم) للإشارة إلى أنه بعزته قادر على تغلبه على عدوه الذي هو أقوى منه، وأنه برحمته يعصمه منهم"(").

وقال تعالى : ﴿ وَتَوَكَّلُ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّهُ مُو ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ (١).

فهو سبحانه سميع لما يقوله العباد ويدبرونه، وعالم بما أضمروه إن خيرا فخير، وإن شرا فشر، فينبغي التوكل وتفويض الأمر إليه سبحانه؛ ليكون ذلك عونا لنا على السلامة (٥).

فمتى علم المؤمن أن له ربا يسمع، ويعلم، ويحيط بكل أموره، والايتركه طرفة عين، ومراقبته الدائمة، كان ذلك دافعا، ويقينا قويا وعزيمة فتية للإصرار

⁽١) انظر: أبوالسعود، المصدر نفسه، (١٨٢/٤).

⁽٢) انظر: للإمام الفخر الرازي، مفاتيح الغيب، مج١١، (ج٢٤، ص١٧٣).

⁽٣) محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، (١٨- ٢٠٤/١).

 ⁽٤) سورة الأنفال، آية: ٦١.

⁽٥) انظر لوهبه الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج ١٦مـــج (بــيروت: دار الفكر المعاصر؛ دمشق: دار الفكر تط الأولى ١٤١١هــ)، (٩-١٠/١٠) .

على المضي في التوكل، والثبات عليه والتمسك به، فلايخشى المؤمن بذلك ظلم ظالم، ولابطش باطش لأنه يستشعر نظر الله إليه في كل أمر له أو عليه، ومعيته سبحانه، وعلمه، وبهذا يتحول مايلقاه المؤمن من العقوبات والصعاب، والمشاق، والعنت إلى تلذذ واستعذاب. محتسب ذلك كله عند ربه.

وقال تعالى: ﴿ وَتَوَكَّلُ عَلَى ٱلْحَى ٓ ٱلَّذَى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحُ بِحَمْدَهُ وَ كَفَىٰ بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِه عَبَادِه عَبِيرًا ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَاوَاتِ فَاللَّهُ مَا فِي سِتَّةَ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱستَوَى عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱلرَّحْمَلُ فَاللَّهُ مَا فِي سِتَّةَ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱستَوَى عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱلرَّحْمَلُ فَاللَّهُ مَا فِي سِتَّةً أَيَّامٍ ثُمَّ ٱستَوَى عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱلرَّحْمَلُ فَاللَّهُ مَا فِي سِتَّةً أَيَّامٍ ثُمَّ ٱستَوَى عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱلرَّحْمَلُ فَاسْتَلُ بِهِ عَبِيرًا ﴿ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّ

الله تعالى "حقيق بأن يتوكل عليه دون الأحياء الذين من شأنهم الموت فإنهم إذا ماتوا ضاع من توكل عليهم وصف بالصفة الفعلية بعد وصف بالصفة الأبدية التي هي من الصفات الذاتية والإشارة إلى إتصافه بالعلم الشامل لتقرير وجوب التوكل عليه تعالى وتأكيده فإن من أنشأ هذه الأجرام العظام مع كمال قدرته على إبداعها دفعه لحكم جليلة وغايات جميلة أحق من يتوكل عليه وأولى من يفوض الأمر إليه"(٢).

" "فالحي الذي لايموت" هو الله تعالى، وعدل عن اسم الجلال إلى هذين الوصفين لما يؤذن به من تعليل الأمر بالتوكل عليه؛ لأنه الدائم، فيفيد ذلك معنى حصر التوكل في الكون عليه، فالتعريف في (الحي) أي الكامل حياته لأنها واجبة باقية ومستمرة، وحياة غير معرضة للزوال بالموت، ومعرضة لاختلال أثرها بالذهول كالنوم ونحوه فإنه من جنس الموت، فالتوكل على غيره معرض للاختلال وللانخرام، وفي ذكر الوصفين تعريض للمشركين إذ ناطو آمالهم بالأصنام وهي

⁽١) سورة الفرقان، آية: ٥٨-٥٩.

⁽٢) أبو السعود، المصدر السابق، (٤/٤).



أموات غير أحياء، وفي الآية إشارة إلى أن المرء الكامل لايثق إلا بالله؛ لأن التوكل على الأحياء المعرضين للموت، وإن كان قد يفيد أحيانا لكنه لايدوم (()).

فسبحانه حي كامل الحياة، فإيمان المؤمن بهاتين الصفتين خير معين على التصبر على مايتجرع من ألوان البطش والعذاب.

وقال تعالى: ﴿ قُلُ هُو الرَّحْمَانُ ءَامَنَا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا ﴾ (٢). ان " في ذكر الرحمن هنا إشارة إلى أن أهل الإيمان مرحومون، وأن فعل الله بالمؤمنين دائما محقوف بالرحمة "(٢)، وذكر اسم الرحمن هنا "أكد لهم حصول الرحمة في الدنيا والآخرة لإيمانهم، وتوكلهم عليه خاصة "(٤).

فالرحمن اسم يدل على اتصاف الرحمن بالرحمة، والبر، والجود، والكرم وعلى سعة رحمته ومواهبه التي عم بها جميع الوجود، وخص المؤمنين منها، بالنصيب الأوفر والأكمل.

قال تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمُّ وَلَوْ كُنتَ فَظًا عَلِيظَ الْقَلْبِ لِا لَهُمُّ وَلَوْ كُنتَ فَظًا عَلِيظَ الْقَلْبِ لِا لَهُ فَضُواْ مِنْ حَوْلِكُ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿ وَهُمُ اللَّهُ إِنَّ ٱللَّهُ يُحِبُ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿ وَهُمُ اللَّهُ إِنَّ ٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿ وَهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿ وَهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهُ يُحِبُ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿ وَاللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللّهُ اللَّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ ال

⁽١) انظر: الطاهر ابن عاشور، التحرير والتنوير، (١٨-٩/١٩).

⁽٢) سورة الملك، آية: ٢٩.

⁽٣) سعيد حوى، الأساس في التفسير، (١٠ ٦٠٣٨).

 ⁽٤) انظر: للألوسي، روح المعاني، (٢٩-٣٠/٢).

هورة آل عمران، آیة ۱۵۹.

وقال تعالى: ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَلَقُوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَوَكَّلُنَا رَبَّنَا لَا تَوَكَّلُنَا رَبَّنَا لَا تَوَكَّلُنَا وَتُنَا لَا تَوَكَّلُنَا وَتُنَا لَا تَوَكَّلُنَا وَتُنَا لَا يَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلُنَا رَبَّنَا لَا تَوَكَّلُنَا وَتُنَا لَا يَعَلَى اللهِ تَوَكَّلُنَا رَبَّنَا لَا تَوَكَّلُنَا وَتُنَا لَا يَعَلَى اللهِ تَوَكَّلُنَا وَتُنَا لَا يَعَلَى اللهِ عَلَى اللهُ عَلَى اللهِ عَلَى اللهُ عَلَيْهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهُ عَلَى اللهِ عَلَى اللهُ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهُ عَلَى اللهِ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهِ عَلَى اللهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللّهُ عَلَى ا

وقال تعالى: ﴿ قَالَ يَاقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَة مِّن رَّبِي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنَا وَمَآ أُريدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنَّهَاكُمُ عَنْهُ أِنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنَّهَاكُمُ عَنْهُ أِنْ أُريدُ إِلَّا إِلَّهِ عَلَيْهِ عَنْهُ أَنْ أُريدُ إِلَّا إِلَّهِ صَلَاحَ مَا آسَتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِآللَهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلُتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ (٢).

وقال تعالى: ﴿ وَقَالَ يَلْبَنِي لَا تَدْخُلُواْ مِنْ بَابِ وَاحِدِ وَٱدْخُلُواْ مِنْ بَابِ وَاحِدِ وَٱدْخُلُواْ مِنْ أَبُوبِ مُتَفَرِّقَةً وَمَآ أُغْنِي عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيْءً إِن ٱلْحُكُمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلُهُ وَكُلِّهُ وَكُلِّهِ فَلَيْتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ (٣).

وقال تعالى: ﴿ وَمَا لَنَآ أَلَا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللهِ وَقَدْ هَدَلنَا سُبُلَنَا وَلَنَّهِ وَقَدْ هَدَلنَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَتَ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا وَعَلَى ٱللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ (')

ففي الآيات السابقة سيق لفظ الجلالة (الله) لفظ (التوكل) لأن "الألوهية جامعة لصفات الكمال مستدع للتوكل عليه سبحانه أو الأمر به"(٥)، فالعلة في سورة آل عمر ان مثلا:

- نتوكل عليه سبحانه لننال محبته ورضاه .

⁽١) سورة يونس، آية ٨٤-٨٥.

⁽٢) سورة هود، آية ٨٨.

⁽٣) سورة يوسف، آية ٦٧.

⁽٤) سورة إبراهيم، آية ١٢.

⁽٥) أبوالسعود، إرشاد العقل السليم، (١/٤٣٩).

وفي سورة يونس:

- نتوكل عليه إن كنا قد حققنا مسمى الإيمان والإسلام في أنفسنا.

وفي سورة هود:

- علة التوكل ظاهرة حتى يلازمنا التوفيق والسداد.

وفي سورة يوسف:

- إن كان جميع الأحكام والتدابير منه سبحانه فلما لانتوكل عليه فهو الحاكم والمدبر لجميع الأمور.

وفي سورة إبراهيم:

- لننال الهدى ونمتطي الصبر فعلينا التوكل عليه سبحانه.

ففي كل الآيات السابقة فيها نتذوق اسم الله تعالى وتعليل التوكل عليه لأنه قد فعل بنا مايوجب ويستدعي التوكل عليه سبحانه (١).

وقال تعالى: ﴿ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى آللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلاَّ هُو ءَاخِذُ البَاصِيَتِهَ ۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسَتَقِيمٍ ﴾ (٢). وقال تعالى: ﴿ وَعَلَىٰ رَبِّهم يَتَوَكَّلُونَ ﴾ (٣).

وقال تعالى: ﴿ قُلُ هُوَ رَبِّى لا ٓ إِلَهُ إِلاَّ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مِنَابٍ ﴾ (١).

⁽۱) المصدر نفسه، (۱۸۳/۳).

⁽٢) سورة هود، آية ٥٦.

⁽٣) سورة الأنفال، آية: ٢.

⁽٤) سورة الرعد، آية: ٣٠.



وقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ ('). وقال تعالى: ﴿ ذَالِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّى عَلَيْهِ تَوَكَّلُتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ ('). وقال تعالى: ﴿ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ (").

وقال سبحانه: ﴿ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ (١).

ففي الآيات معاني وعلل التوكل عليه سبحانه، فالرب هو المربي جميع عباده، بالتدبير، وأصناف النعم، وأخص من هذا تربيته، بإصلاح قلوبهم، وأرواحهم، وأخلاقهم وفسي كلمه السرب معاني الإقبال على الله تعالى الذي يرجى منه الخير، ويترقب حصوله، وانتظاره، ممن يملكه ويقدر على تحقيقه، فهو وحده ربنا لامفزع لنا في الشدائد سواه، ولاملجأ لنا منه إلا إليه، ولايرجى سواه، ولايخضع لسواه، ولايتوكل إلا عليه؛ لأن من نرجوه، ونخافه، ونخضع له، ونتوكل عليه إما أن يكون مربيا وقيما بالأمور، ومتولي الشؤون، أو أن نكون له مملوكين وعبيدا، أو يكون معبودا لانستغني عنه طرفة عين فمن كان كذلك، فهو جدير أن لايستعاذ إلا به، ولايستنصر بسواه ولانلجا إلا إلى حماه فهو الكافى، والناصر، والولي، والمتولي لجميع الأمور بربوبيته، وملكه، وألو هيته، فكيف لايلتجيء العبد المؤمن عند النوازل إلى ربه، ومالكه، وإلهه (٥).

وقال تعالى ﴿ وَعَلَى آللَّهِ فَلَيْتَوَكُّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾(١).

⁽١) سورة النحل، آية: ٤٢.

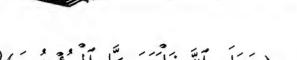
⁽٢) سورة الشوري، آية: ١٠.

⁽٣) سورة الشوري، آية: ٣٦.

⁽٤) سورة الممتحنة، آية: ٤.

⁽٥) ابن قيم الجوزيه، بدائع الفوائد، (بيروت، دار الكتاب العربي، بدون تط)، (٢٤٨/٢).

 ⁽٦) سورة آل عمران، آية: ١٢٢.



وقال تعالى في آية أخرى: ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلَيْتَوَكُّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ (١). وقال تعالى: ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكُّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ (١).

ففي الآيات ذكر اسم (الله) هذا، وهو المألوه المعبود، ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين، لما اتصف به من صفات الألوهية التي هي صفات الكمال، ففي آية آل عمران دليل صريح على أن التوكل على الله من الإيمان وفي نفس السورة من آية أخرى بيان خلق من أخلاق النبي - على أن يقصد به الاقتداء؛ لأنه الأسوة الحسنة، وهو القائد والهادي بالقول والفعل والصفات (٦)، وفي الآيات تقديم للجار والمجرور؛ ليفيد الحصر في معرض التذكير بالمتأخرين رغبة في التأسي بالسلف والقيام بما جاء به الدين، وأنه يحدث لكم كما حدث لأولئك الكملة المتوكلين مع سيد المرسلين أيام ضعفهم وقلتهم، وفقرهم، وتآلب الناس كلهم عليهم (٤).

فالآيات فيها حث وترغيب في التوكل على الله على فعل شيء مرغوب به شرعا، وينبغي على المؤمن أن لايياس، وعليه أن يتذكر أن الله، وليه فلا ناصر سواه، ويلزم من ذلك الاستمر ارية والديمومة على التوكل، ويؤمن، ويصدق أن الذي له من صفات الجلال والعظمة والكمال، يستحق أن يكون التوكل له، لأن كل شيء مرده إلى الله، له الخلق والأمر. فينبغي الإيمان بأنه الرب لا إله غيره؛ فالآيات حض "على ألا نتوكل إلا عليه وألا نقوض أمورنا إلا إليه" فمن الثابت للمؤمن وبيقينه، وعلمه، يتأكد له أن التوكل محقق لأمرين مهمين:

أحدهما : محبة الله للعبد المؤمن .

⁽١) سورة آل عمران، آية: ١٦٠.

⁽٢) سورة المائدة، آية: ١١.

⁽٣) انظر: لأبي حيان الأندلسي، البحر المحيط، ٨مــج (دارالفكـر تـط الثانيـة ١٣٩٨هـ)، (٣–٤/٣٤).

 ⁽٤) انظر: للمراغي، تفسير المراغي، (٢١/٢).

⁽٥) سعيد حوى، الأساس في التفسير، (٢/٩/٩).



ثانيهما: كفاية الرحمن للعبد المؤمن.

فالتوكل عليه سبحانه لايأتي إلا بمن وثق في أنه حق، ومن كان على الحق، يحق له أن يثق بالله، فإنه ينصره، و لايخذله. فحق العبد المؤمن أن يداوم على التوكل على الله، وتخصيصه لله لا لغيره؛ ففي كل سورة ذكرت التوكل، وفي كل آية خصت المؤمنين بالتوكل، كان لها رصيد من التجارب، والحقائق، والتوجيهات التي لاتقدر بثمن؛ وماذلك إلا لتقرير شريعة ومنهج الله سبحانه في صورة واقعية حية.

" فالتوكل على الله من أعلى مقامات التوحيد، فإن من كان موقنا بأن ربه هو المدبر لأموره، وأمور العالم كلها، لايمكن أن يكل شيئا منها إلى غيره"(١).

إذن التوكل على الله من لوازم الإيمان به. كما أشرنا سابقا. بل هو من الإيمان في الصميم؛ لأن مفهومه داخل فيه، لايخرج عنه، ولاينفك عنه؛ لذلك فإن رسوخ معانى أسماء الله وصفاته في قلب العبد المؤمن للزمه أن لايقدم إلا على مايرضي الرب عز وجل، فيأمر نفسه بالمعروف، وينهاها عن المنكر، ويلزم نفسه ألا يسمع، ويري ربه منه، إلا مايرضيه من قول أو عمل فيبصره حيث أمره، ويفتقده حيث نهاه.

⁽۱) انظر: لمحمد رشيد رضا، تفسير المنار، (۹۳/۹).



المبحث الثاني

حسن ظن المؤمن بربه واعتماده عليه

حسن الظن بالله والاعتماد والثقة به سبحانه تتحقق بامتلاء قلب المؤمن بالظنون الحسنة حتى يستولي ذلك على لسانه وجوارحه.

فالقلب المؤمن إذا قرب من الله، كان تلقيه من الله بحسب قربه منه، وبذاك يكون له قلب طاهر صاف منزه عن الأدناس، ويغلب على القلب النور، فيفيض على الأركان؛ لذلك على المؤمن أن يكون حسن ظنه بربه، وخالقه نابعا من مقدار معرفته به سبحانه جل جلاله، فالله تعالى هو معتمدنا، وثقتنا، وهو الحاكم فإذا حكم بحكم وقضى أمرا فلا مرد له.

" فمن كان مقبلا على شأنه متوكلا على خالقه يعلم أنه لايجلب الخير سواه، ولايصرف السوء إلا إياه، فليكن جليسك، وأنيسك وموضع توكك وشكواك، فإن ضعف بصرك فاستغث به، وإن قل يقينك فسله القوة "(۱).

فالمؤمن يحسن ظنه بربه، ويعتمد عليه في النصر، والرزق، والشفاء، وفي تسهيل الصعاب من أمور الدنيا والآخرة.

قال تعالى: ﴿ إِذْ هَمَّت طَّآبِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْسَلاً وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّل ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ (٢).

وقوله تعالى : ﴿ إِن يَنصُرُكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخَذُلَّكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِي يَنصُرُكُم مِّن بَعْدِهِ - وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ (١).

⁽۱) الإمام ابن الجوزي، صيد الخاطر، حققه وراجعه على الطنطاوي، وناجي الطنطاوي، (بيروت: دار الفكر تط ۱٤۰۷هـ)، ص ۳۷۱ باب رقم ۳۳۴.

⁽٢) سورة آل عمران، آية: ١٢٢.

 ⁽٣) سورة آل عمران، آية: ١٦٠.

وقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَاخْ شَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴾ (١).

فالآيات السابقة جميعها تحث على التوكل على الرب سبحانه مع حسن الظن به؛ لننال المنشود والمرغوب عاجلا أو آجلا، فرسولنا الكريم - على النا في غزواته ومعاركه دروس مستفادة، فهذه غزوة أحد "تعلمنا أن نسلم أمورنا لله، وأن نتوكل عليه، وألا نخالف أمره، ومن ثم أمرنا سبحانه ألا نتوكل إلا عليه، وألا نفوض أمورنا إلا إليه"(٢).

فالله سبحانه قد كفى المؤمنين، وأعانهم، وعصمهم من وقوع مايضرهم، في دينهم ودنياهم فمحسن الظن يسأل، ويطلب ربه، ويسأله من فضله، وأحب ما إلى الجواد: أن يرجى، ويؤمل، ويسأل، وهو متعلق ذلك السائل بأسمائه متعبد بها، داع بها؛ لذلك ينبغي لنا الاعتماد على حول الله وقوته متبرئون من حولنا وقوتنا لنضمن النصر، والغلبة، والفلاح.

قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهُ مُبْتَلِيكُم بِنَهُ وَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِي وَمَن لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِي إِلَّا مَنِ اللَّهُ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِي إِلَّا مَنِ اللَّهُ عِنْهُمْ فَأَنَّهُ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَأَلَمَّا جَاوَزَهُ هُو الْفَتَرَفُ عُرُفَةً بِيَدِهِ عَشَرَبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُو وَاللَّذِيرَ عَامَنُوا مَعَهُ قَالُوا لا طَاقَة لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ وَاللَّذِيرَ } وَاللَّهُ مَعَ الطَّاقِة لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ اللَّهُ عَلَيْهُ مَعَ الطَّاقِة لَنَا ٱلْيُومَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ اللَّهُ عَلَيْهُ مَعَ الطَّاقِة لَنَا ٱللَّهُ مَنِ فِئَهُ قِلِيلَةٍ عَلَيْتُ فِئَهُ وَاللَّهُ مَعَ الطَّابِرِينَ ﴾ وقال الله عَنْ فَلَا اللَّهُ عَلَيْهُ مَعَ الطَّابِرِينَ اللَّهُ مَا اللَّهُ مَعَ الطَّابِرِينَ ﴾ وقال الله مَنْ فِئَهُ قَالِيلًا عَلَيْهُ مَعَ الطَّابِرِينَ اللَّهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ مَا اللَّهُ مَعَ الطَّابِرِينَ اللَّهُ مَا اللَّهُ مَا اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ مَا اللَّهُ مِنْ فِئَهُ عَلَيْهُ عَلَهُ اللَّهُ مِنْ فِئِهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ مَا اللَّهُ مِنْ فَلَهُ اللَّهُ مَا اللَّهُ مَا اللَّهُ مِنْ فَلَهُ عَلَيْهُ مَا اللّهُ مَا اللَّهُ مَا اللَّهُ مِنْ فَلَا مِنْ فَلَا اللَّهُ مَا اللَّهُ مَا اللَّهُ مَا اللَّهُ مَا اللَّهُ مِنْ فَلَا مَا اللَّهُ مِنْ فَلَا اللَّهُ مَا اللَّهُ مِنْ فَلَا اللَّهُ مَا الْمُا اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مَا الْعُلُولُولُولُولُ مَا اللّهُ مَا اللّهُ مَا اللّهُ مَا اللّهُ مَا

والمعنى في الآية: أن حال المؤمنين المتيقنين لقاء الله تعالى ويتوقعون ثوابه هم الثابتون لمحاربة الأعداء ومقاومتهم، فمشيئة الله تعالى حكمت بالغلبة للمؤمنين

⁽١) سورة آل عمران، آية: ١٧٣.

⁽٢) انظر: لسعيد حوى ، الأساس في التفسير، (٢/٨٦٨).

⁽٣) سورة البقرة، آية: ٢٤٩.



فقد قالوا قولهم "قال الذين يظنون أنهم ملاقوا الله ... " تتميما لجوابهم، وتأييدا له بطريق الاعتراض التذييلي تشجيعا لأصحابهم، وتثبيتا لهم على الصبر المؤدي إلى الغلبة، وكذا الحال إذا جعل ذلك ابتداء كلام من جهة الله تعالى جيء به تقريرا لكلامهم ؛ والمعني : قال الذين يظنون أو يعلمون من جهة النبي أو من جهة التابوت والسكينة أنهم ملاقوا نصر الله العزيز كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله تعالى (١).

فظنهم هذا من باب يقينهم لاعيانا بل يقين تدبر، وهم بذلك وصفوا بالأعلون إيمانا(٢).

فالله قد كفل لعباده الرزق والمعيشة من ملك ورياسة، وأموال، وبنين، وصحة، وعافية بدنية، هذا لمن جمع بين الإيمان الصحيح، المستلزم لأعمال الإيمان الظاهرة، والباطنة وبين التوكل الذي هو الآلة لكل عمل، والوسيلة فكل عمل لايصحبه التوكل، فغير تام، فالله تعالى يسوق الرزق للمتقي، من وجه لايحتسبه، ولايشعر به، في أمر دينه، ودنياه، فعلى المؤمن أن يعتمد ويحسن الظن بالله في جلب ماينفعه، ودفع مايضره، ويثق به في تسهيل ذلك.

قال تعالى: ﴿ فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَكَعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱللَّهُ نَيَا ۗ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرُ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ (٣).

إن متاع الدنيا من مظاهر حكمة الله في خلقه، فلاينبغي التفاخر به وكل متاع في الدنيا أيام قليلة تنقضي، وتذهب. لايعلم ذلك إلا الموحدون المتوكلون على ربهم، فالإمداد بالرزق يخضع لحكمة ومشيئة يعلمها الخالق سبحانه (٤).

⁽١) انظر: لأبي السعود، إرشاد العقل السليم ...، (١/٢٨٣).

⁽٢) انظر: للألوسي، روح المعاني، (١-٢/١٧١).

⁽٣) سورة الشورى، آية: ٣٦.

 ⁽٤) وهبه الزحيلي، التفسير المنير، (٢٥-٢٦/ ٧٥-٧٧).



وقال تعالى: ﴿ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُواْ ذَوَى عَدْلِ مِنكُمْ وَأَقِيمُواْ ٱلشَّهَادَةَ لِلَّهِ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفِ وَأَشْهِدُواْ ذَوَى عَدْلِ مِنكُمْ وَأَقِيمُواْ ٱلشَّهَادَةَ لِلَّهِ فَالِيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَمَن يَتَقِ ٱللَّهَ يَجْعَل ذَالِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَمَن يَتَقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلُ عَلَى ٱللَّهِ فَهُو كَنْ اللهُ بَعْرَجًا ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلُ عَلَى ٱللهِ فَهُو حَسْبُهُ إِنَّ ٱللهُ بَلغُ أَمْرِهِ عَلَى ٱللهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿ اللهِ اللهِ اللهُ اللهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهُ اللهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ ال

والمعنى المراد من الآية: أن " الإيمان بالله واليوم الآخر يوجب لصاحبه أن يتعظ بمواعظ الله، وأن يقدم لآخرته مسن الأعمال الصالحة، مايتمكن منها، بخلاف من ترحل الإيمان من قلبه، فإته لايبالي بما أقدم عليه من الشر، ولايعظم مواعظ الله، لعدم الموجب لذلك، ولما كان الطلاق قد يوقع في الضيق والكرب والغم أمر تعالى بتقواه فإذا أراد العبد الطلاق وفعله على الوجه الشرعي فالله تعالى يجعل له فرجا ومخرجا من كل شدة ومشقة والآية وإن كانت في سياق الطلاق والرجعية، فإن العبرة بعموم اللفظ فكل من اتقى الله ولازم مرضاته في جميع أحواله، فإن الله يثيبه في الدنيا والآخرة ولازم مرضاته في جميع أحواله، فإن الله يثيبه في الدنيا والآخرة ويئه ودنياه بأن يعتمد على الله في جلب ماينفعه، ودفع مايضره، ويثق به في تسهيل ذلك فالله كافيه الأمر الذي توكل عليه فيه وإذا كان الأمر في كفالة الغني القوي، العزيز الرحيم، فهو أقرب إلى العبد من كل شيء، ولكن ربما أن الحكمة الإلهية، اقتضت تأخيره إلى من كل شيء، ولكن ربما أن الحكمة الإلهية، اقتضت تأخيره إلى الوقت المناسب له فلابد من نفوذ قضائه وقدره "(٢).

فالآية { وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجُعَل لَّهُ مَخْرَجًا} دليل على وجوب التوكل على الله على الله وتفويض الأمر إليه مع بيان السبب والحكمة، فكل من يتوكل على الله

⁽١) سورة الطلاق، آية: ٢ - ٣.

⁽۲) انظر: السعدي، التيسير، (٥/٩٥٩-٢٦).



ويفوض الأمر إليه كفاه ماأهمه لاسيما أن هم الطلاق هم عظيم، ومايتبعه من نفقة، وخلاف ذلك فسواء من توكل عليه ومن لم يتوكل لاينبغي عليه إهمال اتخاذ الأسباب.

وقال تعالى: ﴿ وَفِي آلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾ (١).

والمعنى: "رزقكم من الأمطار، وصنوف الأقدار، الرزق الديني والدنيوي، فإنه ينزل من عند الله كسائر الأقدار، فهذه السماء من شمس، وقمر، وكواكب، ومطالع، ومغارب التي تختلف بها الفصول، التي يكون تغيرها مناسبا لأنواع النباتات المختلفة التي تسقى بماء الأمطار، وتسوقها الرياح، وتغذيها الشمس بحرارتها - التمثيل الغذائي - ويمنحها نور القمر قوة ونموا ونضوجا"(٢)، فسبحان الرزاق الكريم الكبير.

إن محسن الظن بالله تعالى مطمئنة نفسه إلى خالقه، ومدبره إلى ماوعد الله فيسلم نفسه ويرضى و لايسخط وهو يرى، أن النملة رازقها، وكالنها، خالقها سبحانه حلت قدرته فكيف به وهو من فضله الله تعالى على جميع مخلوقاته، وبهذا يزداد المؤمن رضى وثقة بكلاءة الله عز وجل له.

"عن البراء قال: اشترى أبوبكر رضي الله عنه من عازب رحلا بثلاثة عشر درهما فقال أبوبكر لعازب: مر البراء فليحمل إلي رحلي، فقال عازب: لا حتى تحدثنا كيف صنعت أنت ورسول الله على حين خرجنا من مكة والمشركون يطلبونكم قال: أرتحلنا من مكة فأحيينا أو سرينا ليلتنا ويومنا حتى أظهرنا وقام قائم الظهيرة، فرميت ببصري هل أرى من ظل فآوي إليه، فإذا صخرة أتيتها، فنظرت بقية ظل لها فسويته، ثم فرشت للنبي على فيه، ثم قلت له: أضطجع ياتبي الله، فاضطجع النبي الطلب الظهيرة الطلب على أرى من الطلب

⁽١) سورة الذاريات، آية: ٢٢.

⁽٢) وهبه الزحيلي. التفسير المنير، ج٢٧-٢٨، ص١٩.



أحدا؟ فإذا أنا براعي غنم يسوق غنمه إلى الصخرة، يريد منها الذي أردنا، فسألته فقلت له، لمن أنت ياغلام؟ فقال لرجل من قريش سماه فعرفته، فقلت: هل في غنمك لبن؟ قال: نعم. قلت: فهل أنت حالب لنا؟ قال: نعم فأمرته فاعتقل شاة من غنمه، ثم أمرته أن ينفض ضرعها من الغبار، ثم أمرته أن ينفض كفيه فقال هكذا، ضرب إحدى كفيه بالأخرى فحلب لي كثبة من لبن، وقد جعلت لرسول اله الجها إداوة على فمها خرقة، فصببت على اللبن حتى برد أسفله، فانطلقت به إلى النبي فوافقته قد استيقظ، فقلت: اشرب يارسول الله، فشرب حتى رضيت، ثم قلت: قد آن الرحيل يارسول اله، قال: بلى فارتحلنا والقوم يطلبوننا فلم يدركنا أحد منهم غير سراقة بن مالك بن جعشم على فرش له، فقات: هذا الطلب قد لحقنا يارسول اله، فقال: لاتحزن، إن فرش له، فقات: هذا الطلب قد لحقنا يارسول اله، فقال: لاتحزن، إن

فهذا رسولنا الكريم - على - خرج هو وخليفة المسلمين، لا يملكان شيئا من الدنيا، لا يملكان سوى الإيمان والثقة بالله، وحسن الظن به وبوعده سبحانه، فكانا المثل التطبيقي الحي في الثقة وحسن الظن بالله تعالى والتوكل عليه.

ومن قبل مريم ابنة عمر ان والله وكيلها وكافلها في أمورها وشؤونها.

قال تعالى: ﴿ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكِرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقَا ۗ أَلَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ قَالَ يَامَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَاذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾(٢).

" إن هذا الرزق المبارك يفيض من حولها لبركتها حتى ليعجب كافلها _ وهو نبى من فيض الرزق، فيسالها: كيف ومن أين هذا كله؟

⁽۱) صحیح البخاري مع فتح الباري، لابن حجر، (۹/۷) ح(۳۲۰۲) کتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ .

⁽٢) سورة آل عمران، آية: ٣٧.

فلاتزيد على أن تقول في خشوع المؤمن، وتواضعه، واعترافه بنعمة الله، وفضله، وتفويض الأمر إليه كله: هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب، وهي كلمة تصور حال المؤمن مع ربه، واحتفاظه بالسر الذي بينه وبين الله، والتواضع في الحديث عن هذا السر، لا التنفج به والمباهاة! كما أن ذكره هذه الظاهرة غير المألوفة التي تثير عجب نبى الله زكريا"(۱) الذي سخره الله تعالى ليكفلها ويلزم

نفسه لتربيتها التربية الصالحة، قال تعالى: {وكفلها زكريا}.

فمريم عليها السلام، أحسنت الظن بربها ووثقت وأيقنت أن الله عز وجل كالنها، وحافظها، ورازقها؛ لأنها من بيت اتسم بالعبودية الخالصة لله تعالى والتوجه إليه بالكلية، وتجرد من كل مالايرضى الله به ويقبله، فهي بذلك كانت ممن شمله الحديث المروي "عن أبي هريرة حقله - قال: قال النبي - قل -: " يقول الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه، ذكرته في نفسه، وإن تقرب إلي شبرا تقربت إليه ذراعا، وإن تقرب إلي شبرا تقربت إليه باعا، وإن أتاني يمشي، أتيت هروله"(آ)، كيف لاتكون مشمولة في الحديث وهي العابدة الناسكة في المحراب، سليمة القلب، الطاهرة العفيفة، محسنة الظن بالله، وقد أتت بذلك لمعرفتها بقدر الله، ومدى رحمته، فيقينها أوصلها بربها، فزادها قربا، وحبا، وعزة، ورفعة وتوكلا عليه، " فالله تعالى يرزق من يريد رزقه بما لايعرف مقداره لأنه موكول إلى فضل عليه، " فالله تعالى يرزق من يريد رزقه بما لايعرف مقداره لأنه موكول إلى فضل "فحسن الظن نقاح الإيمان، فإذا اجتمع الإيمان وحسن الظن أثمرا العمل الصالح، وحسن الظن بالله لقاح الإيمان، فإذا اجتمع الإيمان وحسن الظن التمرا العمل الصالح، وحسن الظن بالله لقاح الافتقار والاضطرار إليه فإذا اجتمعا أثمرا إجابة الدعاء").

⁽١) انظر: لسيد قطب، في ظلال القرآن، (٣٨٧/١).

⁽۲) صحیح البخاري، (۸/۸۸) ح رقم (۷٤۰۰) کتاب التوحید واللفظ له؛ ومسلم ح(۲۲۷)، (۲)، کتاب الذکر والدعاء.

⁽٣) انظر: للطاهر بن عاشور، التنوير والتحرير، مج $(-3-6\sqrt{7})$.

⁽٤) انظر: لابن قيم الجوزيه، الفوائد، ص ٢٥٦.

نعم إن حسن الظن يزيد وينمي الإيمان، وينتج عنهما الثمار الطيبة العبقة، فلابد من اللقاح الجيد، وهو الافتقار إلى ذات الله تعالى ولنعلم أننا مضطرون للالتجاء إليه سبحانه، فحسن الظن بالله تعالى من حسن العبادة، فما من عبد مؤمن يحسن الظن بالله عز وجل إلا أعطاه الله عز وجل ظنه؛ ذلك لأن الخير منه وإليه سبحانه " فعلى قدر حسن ظنك بربك ورجائك له، يكون توكلك عليه، ولذلك فسر بعضهم التوكل بحسن الظن بالله "(۱).

"وحسن الظن كذلك إن حمل على العمل وحث عليه ساق إليه فهو صحيح، وحسن الظن: هو رجاء بالله تعالى فمن كان رجاؤه هاديا له إلى الطاعة وزاجرا له عن المعصية: فهو رجاء صحيح، والرجاء وحسن الظن إنما يكون مع الإتيان بالأسباب التي اقتضتها حكمة الله في شرعه، وقدره، وثوابه، وكرامته، فيأتي العبد بها، ثم يحسن ظنه بربه، ويرجوه أن لايكله إليها، وأن يجعلها موصلة إلى ماينفعه ويضرب عما يعارضها، ويبطل أثرها"().

فالله تعالى يعلم من النفس استيقانها، من نبل، وطهارة القصد فينفذ مشيئته الخيرة لعلمه بالنية الطيبة، والعزم على الطاعة، والتوجه إلى الله في خلوص، وماحسن الظن إلا برهان على سلامة القلب وطهارة النفس، فمن جمع وقرن بين التوكل وحسن الظن بالله فقد ينعم ويحظى صاحبه بمحبة الرحمن، ويتحقق له مزية مزيكمال الإيمان، وعلامة حسن الخاتمة للأعمال.

⁽١) ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين، (١٢٦/٢).

⁽٢) انظر: لابن القيم، الداء و الدواء، تقديم محمد غازي، (جده: دار المدني، تط ٤٠٣ ١هــ)، ص٥٥-٥٥.

المبحث الثالث

استسلام العبد وطمأنينته وافتقاره لله سبحانه وتعالى

الاستسلام تذلل وخضوع، وإظهار القبول لطاعة الله، والإذعان لأمره ولما أتى به محمد - الله - .

وما سمي المسلم مسلما إلا لخضوع جوارحه لطاعة ربه الخالق عز وجل، فمشهد الخضوع والافتقار، والتواضع لرب العزة والجلال ضرورة، فسبحانه بيده الصلاح، والفلاح، والهداية، والسعادة.

واستسلام العبد لايكون إلا باستسلام القلب، واللسان، والجوارح " فكل من سلم لله، واستسلم له وعلم أن ماأصابه لم يكن ليخطئه، وماأخطأه لم يكن ليصيبه، وعلم أن لن يصيبه إلا ماكتب الله له ... فإن نفسه التي يخاف عليها قد سلمها إلى وليها ومولاها"(۱).

فاصل الاستسلام إستقامة القلب على التوحيد، قال تعالى: ﴿ يَآ أَيُّهَا ٱلَّذِينَ وَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسلِمُونَ ﴾ (٢).

وقال تعالى: ﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ وَأَسْلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَاوَ تِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكُرُهًا وَإِلَيْهِ يُتُرْجَعُونَ ﴾ (٢).

فعلى العبد أن يقوم بو اجبه تجاه ربه الخالق فيتقيه حق تقواه حتى يتمكن من الثبات على الإسلام، وهو مخلص مفوض أموره إلى الله سبحانه (٤).

⁽١) ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين، (٣٢/٢).

⁽٢) سورة آل عمران، آية: ١٠٢.

⁽٣) سورة آل عمران، آية: ٨٣.

⁽٤) انظر: للخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، (١/١٣)؛ وللشوكاني، فتح القدير، (٤/٣٩).

قال تعالى: ﴿ فَ لَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْليمًا ﴾ (١).

"تسليما تاما بظاهرهم وباطنهم يقال سلم الأمر لله واسلم له بمعنى وحقيقته سلم نفسه له وأسلمها إذا جعلها سالمة له خالصة أي ينقادون لحكمك إنقياد الأشبهة فيه بظاهرهم وباطنهم"(٢).

وفي التسليم، والثقة، والتفويض: مافي التوكل من العلل؛ وهو من أعلى درجات سبل العامة، ولايكون الاستسلام إلا بانشراح الصدر، وطمأنينة النفس، والانقياد بالظاهر والباطن، والعمل على قدر القوة، والاشتغال بما ثبت لله تعالى من حكم، فالتحكيم في مقام الإسلام، وانتفاء الحرج، في مقام الإيمان، والتسليم في مقام الإحسان، فمن استكمل هذه المراتب وكملها فقد استكمل مراتب الدين كلها(٣).

" فلايكفى الإيمان، مالم يصحبه الرضى النفسي، والقبول القلبي، وإسلام القلب، والجنان في إطمئنان "(٤).

ففي قصة أم موسى عبر مستفادة ، قال تعالى: ﴿ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَا فَعِ اللَّهِ مَا لَهُ وَاللَّهُ عَلَيْهِ فَا لَيْكُ وَجَاعِلُوهُ مِنَ فَأَلْقِيهِ فِي ٱلْيُكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ اللَّهُ وَلَا تَحْزَنِي اللَّهِ إِنَّا رَآدُوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ اللَّهُ مُرْسَلِينَ ﴾ (٥).

سورة النساء، آية: ٦٥.

⁽٢) انظر: لأبي السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، (١/٥٤٥).

⁽٣) انظر: لابن القيم، مدارج السالكين، (٢/١٥٣)؛ وللسعدي، تيسير الكريم الرحمن ...، (٣) ١-٣٩٦/١).

⁽٤) سيد قطب، في ظلال القرآن، (٢/٢٩).

⁽٥) سورة القصص، آية: ٧.



لقد عرفت الله سبحانه فانقادت، واستسلمت وما ذاك إلا عين ثقتها بالله تعالى، إذ لو لا كمال ثقتها بربها لما ألقت بولدها في اليم تتلاعب به أمواجه.

" فالثقة بالله هو خلاصة التوكل ولبه.....والتفويض: ألطف إشارة، وأوسع معنى من التوكل، فإن التوكل بعد وقوع السبب، والتفويض قبل وقوعه وبعده، وهو عين الاستسلام والتوكل شعبة منه"(١).

قال تعالى ﴿ وَأُفَوِّضُ أُمْرِي إِلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌ إِلَّا لَعِبَادِ ﴾ (٢).

أتوكل علي الحي لا إله إلا هو واستعين به واسلم أمري إليه فلا مرد من الله إلا إليه سبحانه، فسبحان المتصرف بخلقه ليبلو صبرهم واستسلامهم، ويظهر معادنهم، وجواهرهم في الابتلاء.

قال تعالى: ﴿ بِلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجُهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَهُ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾(٣).

فإخلاص العبادة والدين لله والخضوع والتواضع له هي من أصل الإسلام؛ لأن إسلام النفس لطاعة الله لايكون إلا بالانقياد والخضوع وإذلال النفس في طاعته وتجنب معاصيه، وفي ذلك دلالة على أن المرء لاينتفع بعمله إلا إذا فعله على وجه العبادة والإخلاص والقربة⁽³⁾.

وظاهر الآية فيه معنى إسلام الوجه لله تعالى بتوحيده بالعبادة والإخلاص له في العمل، بأن لايجعل بينه وبين الله سبحانه وسطاء يقربونه إليه زلفى، فإنه أقرب من حبل الوريد.

⁽١) انظر: لابن القيم، مدارج السالكين، (٢/١٤٣ - ١٤٩).

⁽٢) سورة غافر، آية: ٤٤.

⁽٣) سورة البقرة، آية: ١١٢.

⁽٤) انظر: للبغوي، معالم التنزيل، (١/١٤٠).



ومن هذا تتقرر قاعدة من أخلص ذاته كلها لله، ووجه مشاعره كلها الله، وخلص لله في مقابل خلوص الآخر، فهنا تبرز سمة الإسلام الأولى: إسلام الوجه.

والوجه رمز على الكل، ولفظ أسلم بمعنى الاستسلام والتسليم. الاستسلام المعنوي، والتسليم العملي، ومع هذا فلابد من العقيدة والعمل، بين الإيمان القلبي، والإحسان العملي، وبذلك تستحيل العقيدة منهجا للحياة كلها، وبذلك تتوحد الشخصية الإنسانية بكل نشاطها واتجاهاتها، وبذلك يستحق المؤمن هذا العطاء كله { فَلَهُ وَالْمُرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلا خَوْفُ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ } ويكون الاستسلام كذلك بالفعل الحسن الممدوح لا بالفعل القبيح المذموم (۱).

فكل من أسلم واستسلم لله كان له من الأجر والرحمة الكثير، وفي هذا المعنى قال تعالى: ﴿ وَلَنَبْلُونَكُم بِشَىءٍ مِّنَ ٱلْحَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصِ مِّنَ ٱلْأَمْوَ لِ وَالْتَعْلَى: ﴿ وَلَنَبْلُونَكُم بِشَىءٍ مِّنَ ٱلْحَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصِ مِّنَ ٱلْأَمْوَ لِ وَٱلْأَنفُس وَٱلثَّمَرَاتُ وَبَشِرِ ٱلصَّبِرِينَ ﴿ وَالْجَوْنَ اللَّهِ مَا لَكُ مَا اللَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ وَ اللَّهِ الْوَالَّةِ مِن رَّبِهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَتِهِمْ صَلَوَاتُ مِّن رَّبَهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَتِهِمْ صَلَوَاتُ مِّن رَّبَهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَتِهِمْ صَلَوَاتُ مِن رَّبَهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَتِهِمْ مَلُواتُ مِن رَّبَهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَتِهِمْ مَلُواتُ مِن رَّبَهِمْ مَلُواتُ مِن رَّبَهِمْ مَن رَبِهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَتِهِمْ مَلُواتُ مِن رَّبَهِمْ مَا وَرَحْمَةٌ وَأُولَتُهُمْ وَاللَّهِمْ مَا لَا لَهُ مَا اللَّهُ مَا اللَّهُ وَإِنَّا اللَّهِ وَإِنَّا اللَّهُ مَا اللَّهُ مَا اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ مَا اللَّهُ مَا اللَّهُ وَاللَّهُ مَا اللَّهُ مَا اللَّهُ مَا اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَالْتَهُمْ مَا اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ مَا اللَّهُ مَا اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ مَا اللَّهُ مَا اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ مَا اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللّهُ وَالَالِهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَال

فالآية الكريمة توطين للنفس على احتمال المكاره بعد أن يكون المرء متوكلا على الله في أعماله، وترك كل شيء بعد العمل لتجري الأمور حسب مقادير، ومشيئة الله تعالى، إن في التوكل على الله يأتي معنى الصبر الذي نلمحه في بحر الدنيا ونرى كيف تتلقى الأمواج، والمؤمن يتعلم كيف يصبر على مدافعه الأمواج، والأيام عند نزولها بالبلاء. فمن يعرف كيفية جريان الأقدار يثبت لها، وليتذوق من هنا طعم الصبر، وتظهر ملكة الثبات، وتحمل المشاق ومصارعة الشدائد بالتوكل على الله، فيكسب المرء من ذلك قوة في النفس، ورباطة الجأش، وماهذا إلا دليل

⁽۱) انظر: لمحمد رشید رضا، تفسیر المنار، (۲۲/۱)؛ ولسید قطب، فی ظلل القرآن، (۹۸/۱) .

⁽۲) سورة البقرة، آية: ١٥٥-١٥٧.

على تمكن التوكل من القلب وحب العقيدة، والصبر عليها، وعلى تكاليفها حتى الممات " فكلنا لله ... كل مافينا ... كل كياننا وذاتيتنا ... لله ... وإليه المرجع والمآب في كل أمر، وفي كل مصير، والتسليم المطلق، تسليم الالتجاء الأخير المنبثق من الالتقاء وجها لوجه، بالحقيقة الوحيدة، وبالتصور الصحيح"().

فبالصبر والاستسلام والتواضع ينبثق وينبعث التوكل على الله في المرء المؤمن.

لن يكون المؤمن مؤمنا إلا بعد انقياده وإذعانه باطنا وظاهر الحكم وقضاء الله تعالى.

فمن أخلص في صلاته ونسكه، استازم ذلك إخلاصه الله في سائر أعماله، و أقواله، و هذا ماأمرنا به، وكان حتما علينا الامتثال به، والاستسلام والتسليم لذلك (٣).

فهذا الإخلاص لايأتي إلا بالاستسلام لله تعالى والإذعان لـ هطوعا أو كرها، وبالاستسلام ينال المرء عاقبة أمره الحسنة بما قام به من الطاعة، والإذعان، والامتثال.

⁽١) انظر لسيد قطب، في ظلال القرآن، (١٣٩/١).

⁽٢) سورة الأنعام، آية: ١٦٢-١٦٣.

⁽٣) انظر: للسعدي، تيسير الكريم الرحمن، (٩٧/٢) .



قال تعالى: ﴿ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ وَإِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنُ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ وَإِلَى ٱللَّهِ عَلقِبَهُ ٱلْأُمُورِ ﴾ (١).

فمن يخلص وجهه لله بانقياده لأمره وإتباعه لشرعه، وهو محسن في عمله بانتباع مابه أمر، وترك ماعنه زجر (فَقَد آستَمْسَك) أي تمسك وتعلق (بِٱلْعُرُوةِ اللهُ عُلَى اللهُ مثبتاً أنه لايعذبه.... فمن يفوض أمره إلى الله، ويتوكل عليه، وهو محسن بعمله فإنه متمسك بالعروة الوثقى (٢).

فالمؤمن عليه، وينبغي له الانقياد والاستسلام لأوامر الله وطاعته سبحانه في العسر واليسر؛ لأن جميع الأمور صائرة إلى الله فيجازى عليها فلاسعادة للعبد إلا بخضوعه لربه، وفي هذا عبادة لله تعالى، فكل من سلم نفسه لله خالصا نجا لأن العمل الخالص لوجه الله تعالى سبب للثواب.

فالإقبال والإخلاص لدين الله تعالى هو الطرف الأوثق فلا يخاف بعد ذاك المؤمن انقطاعا، لأنه متمسك بالعهد الأوثق.

"فينبغي أن يكون العبد بين يدى الله كالميت بين يدى الغاسل، يقلبه كيف أراد لايكون له حركة ولاتدبير، وهذا معنى قولهم: التوكل إسقاط التدبير، يعني الاستسلام لتدبير السرب لك، وهذا في غير باب الأمر والنهي، بل فيما يفعله بك، لا فيما أمرك بفعله فالاستسلام كتسليم العبد الذليل نفسه لسيده، وانقياده له، وترك منازعات نفسه، وإرادتها مع سيده، والله سبحانه وتعالى أعلم "(").

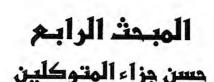
سورة لقمان، آية: ۲۲.

⁽٢) انظر لابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (٧١٧/٣)؛ وانظر: لسعيد حــوى، الأساس فـي التفسير، (٤٣٣/٨).

⁽٣) انظر لابن القيم، مدارج السالكين، (١٢٧/٢) .



وخلاصة القول فإن المستسلم المفوض أموره كلها إلى الله قد تعلق بأوثق الأسباب التي توصل إلى رضوان الله ومحبته، وحسن جزائه على ماقدم من عمل صالح، فيجازي المتوكل عليه أحسن الجزاء ويعاقب المسيء بأنكل عذاب، فالمراد من الاستسلام والانقياد والخضوع هو التوكل عليه سبحانه والتفويض إليه.



إن جميع الصفات التي أمرنا الله بها هي مما يحبها الله ويرضاها لعباده المؤمنين، وهي صفات تميز المؤمنين عن غيرهم لذلك ينبغي أن يحرص عليها المؤمن في كل أمر، ومانحن بصدد ذكره من الصفات هي صفة التوكل على الله. فالتوكل هو أحد الأسباب التي يستحق العبد بها التفضيل ورفع الدرجات.

قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتَ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيتَ عَلَيْهِمْ عَايَلَتُهُمْ وَادَتُهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ (١).

" " فعن عمران بن حصين شقال: قال نبي الله شا: " يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفا بغير حساب" قالوا: ومن هم يارسول الله؟ قال " هم الذين لايكتوون ولايسترقون، وعلى ربهم يتوكلون " فقام عكاشة فقال: ادع الله أن يجعلني منهم. قال "أنت منهم" فقال رجل آخر فقال: ادع الله لي يارسول الله فقال "سبقك بها عكاشة " "(").

فالإخلاص في التحلي بهذه الصفة العظيمة، والخلق الكريم من الأسباب الفاعلة في حصول النتائج الخيرة، فمن حقق التوكل على الله في ذاته، سيحقق وينال جزاءات عظيمة من هذه الجزاءات:

ا - رضوان الله تعالى على العبد المؤمن المتوكل عليه حق توكله ، قال تعلى : ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشُوهُمْ فَرَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُواْ حَسَبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿ فَانْقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ فَرَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُواْ حَسَبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿ فَانْقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ

⁽١) سورة الأنفال، آية: ٢.

⁽٢) صحيح البخاري، كتاب الطب، حديث رقم(٥٧٠٥)، والفتح، كتاب الطب، باب ١٧، الرقاق، باب ٥٠، ومسلم في الإيمان، في الجنة حديث (٣٧١-٣٧٢) وفي الحج حديث ١٦٧.

مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلِ لَّمْ يَمْسَسُهُمْ سُوْءُ وَٱتَّبَعُواْ رِضُوَانَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمِ ﴿ اللَّهُ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴾ (أ).

فكل من استجاب لله وللرسول بعزم، ورجى ثواب الله توكل على الله ورضى به كافيا ومعينا فله الأجر العظيم لايحجبه عنه ماكان منه من نقص، وقد تفضل الله بالتوفيق والرضى إذا مااستجاب لأمره ونهيه (٢).

فالصادقون في الاستجابة لله تعالى ولرسوله في والمتوكلون على الله حق توكله يحصلون على النعيمين الجثماني والروحاني، وذلك هو الفوز البالغ الغاية؛ لأن الفوز هو الظفر بالمطلوب مع النجاة فالرضا من الله غاية السعادة الأبدية، إذ لامطلب للمؤمن أعلى منه حتى تمتد عنقه إليه وتتطلع نفسه لبلوغه (٣). وهذا مانجده في قوله تعالى: ﴿ قَالَ اللّهُ هَاذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصّادقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنّاتُ تَجْرِى مِن تَحْتِها ٱلْأَنهُ لُم خَلِدِينَ فِيها آ أَبُداً رَّضِي الله عَنهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُمْ ذَالِكَ الْفُوزُ الْعَظِيمُ ﴾ (١).

" لقد صدق المؤمن في توكله فصدقه هذا ينفعه يوم القيامة، وذلك النفع هو الثواب، وحقيقة هذا الثواب: أنه منفعة خالصة دائمة مقرونة بالتعظيم منفعة خالصة من الغموم والهموم"(°).

وقال تعالى: ﴿ وَٱلسَّبِقُونَ اللَّهُ وَالْمَالِقُونَ مِنَ ٱلْمُهَاجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَاللَّهُ وَاللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّتٍ وَٱلَّذِينَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّتٍ تَجْرَى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَارُ خَلِدِينَ فِيهَا أَبُدًا ذَالِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ (١).

سورة آل عمران، آیة: ۱۷۳–۱۷٤.

⁽٢) انظر: للرازي، مفاتيح الغيب، (٩-١٠٤/١٠).

⁽٣) انظر: المراغي، تفسير المراغي، (٦٦/٣).

⁽٤) سورة المائدة، آية: ١١٩.

⁽٥) انظر للرازي، مفاتيح الغيب، مج٦، (١١-١١/١٤).

⁽٦) سورة التوبة، آية: ١٠٠ .



إن أعمال السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار لما كانت موافقة لما شرع الله وبين رسوله - على الستحقوا على ذلك رضي الله تعالى عنهم جميعا لصلاح أعمالهم وكثرة طاعاتهم ودلت الآية على أن من اتبعهم إنما يستحقون الرضوان والثواب(1).

إن المؤمن إذا لـزم محبوبات الحق سبحانه ولـزم مايرضي الله من امتثال أو امره و اجتناب نو اهيه فإن الله يرضى عنه لاسيما إذا قام بالإخلاص و الصـدق فيها وبذل الجهد في التقرب إلى الله تعالى ومن محبوباته سبحانه التوكل عليه بصدق وقد بذل السابقون وبايعوا رسول الله - على الصدق و الإخلاص فنالوا بذلك رضوان الله تعالى؛ لأنهم انقادوا و استسلموا لله وللرسول ورضوا بربوبيته و إفراده بالتوكل، و الاستعانة به و الثقة به.

قال تعالى: ﴿ لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثْلَبَهُمْ فَتُحَا قَرِيبًا ﴾ (٢).

" فالله تعالى يخبر عن رضاه عن المؤمنين الذين بايعوا تحت الشجرة بيعة الرضوان، فقد علم مافي قلوبهم من الصدق والطاعة، فأعطاهم جزاء ماوهبوه من الطاعة الرضا والفتح"(").

٢ - ومن الجزاءات حب الله تعالى للمؤمن، قال سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱللَّهُ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ (٤)، هذا والله أعظم باعث للعبد حتى يتوكل على ربه، ويجعله مرتبطا تمام الارتباط بربه فمن ينال محبة الله نال الدنيا والآخرة.

⁽١) أبوبكر الجزائري، أيسر التفاسير، (٢٠/٢).

⁽٢) سورة الفتح، آية: ١٨.

⁽٣) انظر: المراغي، تفسيره، (١٠٢/٩).

⁽٤) سورة آل عمران، آية: ١٥٩.

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله الله تعالى قال: من عاد لي وليا فقد آذنته بالحرب، وماتقرب إلى عبدى بشيء أحب إلى مما افترضته عليه، ومازال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التى يبطش بها، ورجله التى يمشي بها. وإن سألنى لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه، وماترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفسى المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته "(())

إن حب الله تعالى للعبد يجعله في استقرار واطمئنان وسكون، ويجعله منقطعا عن العلائق الدنيوية، وبالتالي يكون المؤمن متصلا بالله وذلك بالعمل بأمره ونهيه ومحبا لله يهب نفسه وإرادته وعزيمته وأفعاله كلها لله تعالى، فمن كان كذلك ارتبطت ذاتيته ونفسه بحبل الله فيحصل له من الرحمة والإحسان والبر أتم نصيب، وقد ذكر في تفسير الآية السابقة أن المتوكلين عليه هم الواثقون به المنقطعون إليه فينصرهم ويرشدهم إلى ماهو خير لهم كما تقتضيه المحبة (٢).

" والغرض من المحبة ترغيب المكلفين في الرجوع إلى الله تعالى والإعراض عن كل ماسوى الله"(").

إن صفتي الرجوع إلى الله، والإعراض عن كل ماسوى الله هي صفات تجعل العبد المتمسك بها داخل فيمن يحبهم الله ويرضاه بدلالة الآيات القرآنية.

فالمحب الصادق لله ينطق بالله، ويسكت لله، ويفعل لله، ويترك لله، ويستعين بالله، ويتوكل على الله، ويعتصم بالله، ويحب في الله، ويبغض لله، وبعد هذا كله يرى البر به والإحسان إليه، والدفاع عنه، وإيصال المنافع ودفع المضار عنه في الدين والدنيا من قبل الجواد الكريم سبحانه.

⁽۱) سبق تخریجه، ص ۱۱۲.

⁽٢) انظر: للمراغي، تفسيره، (١١٦/٢).

⁽٣) انظر: للرازي، مفاتيح الغيب، (٩-١٠/١٠) .



قال تعالى: ﴿ قُلُ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرُ لَكُمْ ذُنُوبَكُمُ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمُ ﴿ قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۚ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَافِرِينَ ﴿ ﴾(١).

الآية الكريمة متضمنة معنى " أن من إمارات محبة الله تعالى للعبد أن يرى العبد مهديا مسددا ذا قبول في الله، فلطف الله بالعبد ورحمته إياه هي ثمرة محبته ((٢)).

فمحبة الله تعالى للعبد تأتي بعد طاعته واتباع رسوله، " والله تعالى يحب كل من أطاعه، لأن المحبة توجب الإقبال بالكلية على المحبوب والإعراض بالكلية من غير المحبوب "(").

فكل من يدخل تحت محبة الله تعالى يكون في ظل ظليل يوم لاظل إلا ظله، وجزاء عظيم كبير، ويكفينا من محبة الله "حسن التدبير للعبد، يربيه تعالى من الطفولة على أحسن نظام، ويكتب الإيمان في قلبه، وينور له عقله، فيتبع كل مايقربه، وينفر عن كل مايبعد عنه، ثم يتولاه بتيسير أموره، من غير ذل للخلق، ويسدد ظاهره وباطنه، ويجعل همه هما واحدا،فإذا زادت المحبة، شغله به عن كل شيء"(3).

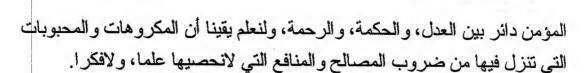
ومتى ظفر المؤمن بحب الله له سكن لأقدار الله وطابت نفسه بها؛ لأنه سبحانه لاينزل بشيء يضر عبده المؤمن، وإذا نزل مايكر هه المؤمن كان خيرا له، فسبحانه تولى تدبير أمور المؤمن بموجب علمه، وحكمته، ورحمته، ومحبته فليرض المؤمن بالله ربا، وبالإسلام دينا، وبمحمد رسولا، فقضاء الله في عبده

سورة آل عمران، آیة: ۳۱-۳۲.

⁽٢) انظر: لابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق، المجلس العلمي (المغرب، فاس بدون تط)، (٣٨٧/٢).

 ⁽٣) انظر: للرازي، مفاتيح الغيب، (٧-٨/١٩).

⁽٤) انظر: للمقدسي، مختصر منهاج القاصدين، ص ٣٤٩.



فانتوكل على الله في أمورنا كلها ونعتصم برب العباد؛ لأن التوكل له مقام جليل القدر، عظيم الأثر، أمر الله عباده به، وحثهم عليه، في مواضع كثيرة من كتابه الكريم، وجعله الله سببا لنيل محبته، وشرطا للإيمان، فأنعم بمقام يحظى صاحبه بمحبة الرحمن، ويتحقق به، كمال الإيمان وضمن سبحانه لمن توكل عليه القيام بأمره، وكفايته همه حيث قال سبحانه: ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلُ عَلَى ٱللّهِ فَهُوَ حَسَّبُهُ وَ ﴿ ().

وقال تعالى: ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلُ عَلَى اللّهِ فَإِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (٢). فأي عزيز هو سبحانه الذي لايذل من استجار به، ولايضيع من لاذ بجنابه. "إن القلب كلما ازداد محبة لله ازداد في العبودية؛ لأن القلب فقير بالذات إلى الله من وجهين: من جهة العبادة وهي العلة الغانية، ومن جهة الاستعانة والتوكل، وهي العلة الفاعلة، فالقلب لايصح، ولايفلح، ولاينعم، ولايسم، ولايسم، ولايلتذ، ولايطيب، ولايسمن، ولايطمئن، إلا بعبادة ربه وحبه والإنابة، ولو حصل له كل مايلتذ به من المخلوقات، لم يطمئن ولم يسكن إذ فيه فقر ذاتي إلى ربه، من حيث هو معبوده ومحبوبه ومطلوبه، وبذلك يحصل له الفرح والسرور، واللذة، والنعمة، والسكون، والطمأنينة "(٢).

فما من عمل ارتبط بالنواحي الأخلاقية أو الاجتماعية أو السياسية ...الخ إلا وله جزاء ذكره الله ورسوله على، وهذا له أثر عظيم في السلوك الأخلاقي فيتكون

⁽١) سورة الطلاق، آية: ٣.

⁽٢) سورة الأنفال، آية: ٤٩.

⁽٣) انظر: لشيخ الإسلام ابن تيمية، العبودية، (بيروت: المكتب الإسلامي، تـط ١٣٩٩هـ)، ص١٠٠٨.

بذلك الدافع القوي إلى الالتزام بتلك الفضيلة من الآخلاق لاسيما إذا كان هذا الخلق هو التوكل على الله فهو كنز ثمين، ومكسب عظيم لايقدره إلا من عرف حقيقته، وعمل بها، قال تعالى: ﴿ وَتَوَكَّلُ عَلَى ٱللَّهِ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴾(١).

" فكل من فوض أمره ووثق بربه كفاه أعداءه فهو قادر على ايقاع الجزاء بهم"(٢).

وقال تعالى: ﴿ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴾ (٣).

فينبغي التوكل على الله في الأمور كلها حتى ننال بذلك الجزاء والثواب؛ لأن التوكل كذلك وظيفة من وظائف القلب، وسلوك نفسي يقتضيه الإيمان الصحيح، قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَا إِلَّهُ إِلَّا هُو ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلَيْتَوَكَّلَ ٱلْمُؤمِّنُونَ ﴾ ('').

فهذا أمر من الله بالتوكل عليه وحده، ومامن عبد توكل على الله إلا ونال مطلبه ومناه إن عاجلا أو آجلا، فها هما رجلا بني إسرائيل آمنا وأدركا أن التوكل على الله يعين على معارك القتال، وأنهما إذا دخلا الأرض المقدسة متوكلين على الله ينصر هم على عدو هم الأمحالة حيث قال تعالى: ﴿ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُواْ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلَتُمُوهُ فَإِنّا مَ عَلَيْهِمُ اللّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُواْ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلَتُمُوهُ فَإِنّا مَ عَلَيْهِمُ اللّهِ فَتَوَكَّلُواْ إِن كُنتُم مُوهًم بِينَ ﴾ (٥).

(فهذان الرجلان قد علماً من سنته تعالى في نصره رسله وماعهدا من صنعه تعالى لموسى عليه السلام من قهر أعدائه، فبعد ترتيب الأسباب، وعدم الاعتماد عليها، فإنها بمعزل من التأثير وإنما التأثير من عند الله العزيز القدير فإن كنتم مؤمنين مصدقين لوعده، فإن ذلك مما يوجب التوكل عليه حتما"(٢).

سورة النساء، آیة: ۱۷۱-۱۸۱.

⁽٢) انظر: للمراغي، تفسيره، (٢/٢).

 ⁽٣) سورة الإسراء، آية: ٦٥.

⁽٤) سورة التغابن، آية: ١٣.

⁽٥) سورة المائدة، آية: ٢٣.

⁽٦) انظر: لأبي حيان، البحر المحيط، (٢٧/٢).

فهذا الموقف العظيم من الرجلين اجتمعت فيه العبرة النفسية إلى الجمال الفني على طريقة القرآن، فهل لنا من ذلك دروس مستفادة من دعوة إلى الالتجاء والاستسلام، ومافيها من المفاصلة، والحسم، والتصميم لذلك، فالقرآن الكريم رتب للتوكل على الله نتائج وجزاءات يقينية من سلكه رشد ورسخ فيه جذور التوكل على الله وتمكن منه، فيثمر بذلك ثمارا يانعة، ويعطي ظلالا باردة، وهذا مافهمه السلف الصالح، وعملوا به رضي الله عنهم وأرضاهم، فأحبهم الله ورضي عنهم فحبه ورضوانه أمر ان عظيمان وفضل جزيل لايقدر على فعله إلا رب رحيم حليم.

الفصل الخامس موانع التوكيل على الله

وفيسه:

نهميد.

المبحث الأول: الجمل بأسماء الله وصفاته سبحانه .

المبحث الثاني: ضعف اليقين بالله تعالى.

المبحث الثالث: التكبر على آيات الله .

المبحث الرابع: الغرور والعجب بالنفس.

المبحث الخامس: الموي والشموات.

الفصل الخامس موانع التوكل على الله

التمعيد:

إن الموانع المذكورة في هذا الفصل، هي حواجز تجعل من العبد سكونا، وكفا وتمنعا. وهي أمور مذمومة شرعا لدرجة أن منها مايؤدي إلى الكفر والشرك بالله تعالى.

واقتضت الحكمة الإلهية أن يجعل للبشرية - خاصة المؤمنة منها - أعداء من شياطين الجن يوسوسون لشياطين الإنس بالضلال والشر والأباطيل؛ ليضلوهم، ويصدوهم عن التوحيد.

قال تعالى: ﴿ وَكَذَا لِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِي عَدُوًا شَيَاطِينَ ٱلْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضِ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُّورًا ﴾(١).

ولهذه الموانع المذكورة مفاسد، وأضرار كثيرة في حياة الفرد والمجتمع أهمها:

- 1- إهانة الإنسان وانحطاط قدره ومنزلته إذا سأل أحدا غير الله تعالى، فسبحانه له مافي السماوات، وما في الأرض.
- ٢- أنها وكر للخرافات والأباطيل؛ لأنه بضعف يقينه وثقته بالله تعالى يعتقد بوجود مؤثر غير الله في الكون من الكواكب أو الجن أو الأرواح فيصبح عقله مستعداً لكل خرافة، وتصديق لكل دجال، وعلى هذا يروج في المجتمع بضاعة الكهنة والدجالين، والعرافين، والسحرة، والمنجمين.
- ظلم الإنسان لنفسه، وهذا من تكبره على آيات الله تعالى فيظلم أعظم الحقائق، حقيقة لا إله إلا الله، ولارب غيره، ولاحكم لسواه، فبغرور الإنسان وعجبه بنفسه يسعى في الأرض فسادا.

⁽١) سورة الأنعام، آية: ١١٢.



عـ يتعطل العمل النافع الصالح؛ لأنه يتبع هو اه وشهو اته.
 فهذه من أهم الأضر ال الناتجة من تلك الحواجز المانعة عن التوكل على الله.

والسلف الصالح من الدعاة إلى الله، والمصلحون شاهدوا وواجهوا حالات خطيرة للضعف الذي أصاب الأمة الإسلامية ، فكان من اللازم تزكيتها، فالقلب قسا وكثرت أمر اضه، وإذا كان من الآثار المباشرة لهذا المرض الجهل بأسماء الله، وضعف اليقين به تعالى، والتكبر على آياته، والغرور والعجب بالنفس، واتباع الهوى والشهوات، فهذه أمور خطيرة للسير قدما للأمام، فأصبح التركيز على هذه المعاني واجبا على الذين يريدون الإصلاح لهذه الحياة الفردية والجماعية(۱).

فَاللهُ تَعَالَى ذَمَ الْجَاهِلِينَ فِي كَتَابِهُ الْعَزِيزِ حَيْثُ قَـالْ: ﴿ إِنَّ شَـرَّ ٱلدَّوَآبِ عِنْدُ اللهُ الصُّمُ ٱلنَّذِيرِ ﴾ [اللهُ الطُّيمُ اللهُ المُحُمُ اللهُ عَلَيْ اللهُ الطُّيمُ اللهُ المُحَمِّمُ اللهُ اللهُ المُحَمِّمُ اللهُ المُحَمِّمُ اللهُ المُحَمِّمُ اللهُ المُحَمِّمُ اللهُ المُحْمِمُ اللهُ المُحَمِّمُ اللهُ المُحَمِّمُ اللهُ المُحَمِّمُ اللهُ المُحَمِّمُ اللهُ المُحْمِمُ اللهُ المُحْمِمُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ المُحْمِمُ اللهُ اللهُ اللهُ المُحْمِمُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ المُحْمِمُ اللهُ اللّهُ اللهُ ا

أخبر تعالى أن هذا الضرب من بني آدم شر الخلق والخليقة الصم عن سماع الحق، البكم عن فهمه، فهم لايعقلون فهؤلاء شر البرية؛ لأن كل دابة مما سواهم مطيعة لله فيما خلقها له وهؤلاء خلقوا للعبادة فكفروا، ولهذا شبههم بالأنعام. فهؤلاء مسلوبو الفهم الصحيح والقصد إلى العمل الصالح(٦).

وضعف اليقين والثقة بالله تعالى تقود العبد إلى ضعف الإيمان فيقترب المرء بذلك من الهاوية. قال تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعُدَ ٱللَّهِ حَقُّ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِى مَا ٱلسَّاعَةُ إِن نَظُنُ إِلَّا ظَنَّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ﴾ (أ). والمعنى أنهم غير متحققين من ذلك الوعد وتلك الساعة (٥).

⁽۱) انظر: لسعيد حوى، المستخلص في تزكية النفس (بيروت: دار عمار)، ص١٣٠.

⁽٢) سورة الأنفال، آية: ٢٢.

⁽٣) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (٢/٢٦٤).

⁽٤) سورة الجاثية، آية: ٣٢.

⁽٥) انظر: لابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (٢٣٣/٤).

والتكبر على الله تعالى خلق يجر صاحبه إلى الهلاك، فهو آفة عظيمة وحجاب دون الجنة، قال تعالى: ﴿ لَا جَرَمَ أَنَّ ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ وَلَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكُبِرِينَ ﴾ (١).

" فالكبر خلق باطن تصدر منه أعمال هي ثمرته، فيظهر على الجوارح، وذلك الخلق هو رؤية النفس على المتكبر عليه يعني يرى نفسه فوق غيره في صفات الكمال، فعند ذلك يكون متكبرا"(٢).

والغرور والعجب بالنفس، واتباع الهوى والشهوات، تفضي إلى تعدي حدود الله والجرأة على عصيانه، ويطمع العبد متبجحا في عفوه مستصغرا للكبائر.

قال تعالى: ﴿ يَكَأَيُّهَا ٱلْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْحَرِيمِ ﴿ اللَّهِ اللَّهُ اللَّا اللَّا اللَّلْمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللّ

وقال تعالى: ﴿ يَادَاوُردُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي ٱلْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَبِعِ ٱلْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللهِ إِنَّ ٱلّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللهِ لَهُمْ عَذَابُ شَدِيدُ إِمَا نَسُواْ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴾('').

فالحذر الحذر من الإعجاب واتباع الهوى فهما من أعظم الآفات والمحبطات للأعمال، فالمؤمن الحق هو من يستحضر عظمة الله في نفسه في كل وقت، وهذا هو السبب الموجب، لخشية الله في السر كما يخشى في العلن، فإن من علم أن الله يراه حيث كان، وأنه سبحانه مطلع على الباطن والظاهر والسر والعلن، واستحضر ذلك دائما في كل وقت وحين فحيننذ يجتهد العبد لتكميل نفسه بالطاعات، ولزومها،

⁽١) سورة النحل، آية: ٢٣.

⁽٢) انظر: المقدسي، مختصر منهاج القاصدين، كتاب ذم الكبر والعجب، ص ٢٢٧.

 ⁽٣) سورة الانفطار، آية: ٦ – ٨.

⁽٤) سورة ص، آية: ٢٦.

والابتعاد عن كل مايغضب الجبار، فالإسلام جاء ليطهر النفس وجاء بعقيدة التوحيد النقية الصافية حتى لاتنحط النفوس وتخرج من ظلمة الضلالة والجهل، ويرفعها من وهذة الشرك، ويطهرها، ويهذب النفس فإذا صحت العقيدة، سلمت النفس، وكمل الإيمان؛ لأن النفوس مرآة لكل حق، وتضيء ماحولها بحيث تنفع كل من دنى منها، والإسلام حريص على النفوس المؤمنة الصادقة، فكره لهم أن ينحطوا في الاعتقاد كما أنحط أعداء الإسلام، وأراد لهم التطهر مما انغمس فيه الكفار فالموانع ذنوب تجعل صاحبها مخالفا للمأمورات، وفاعلا للمحظورات، وبهذا يبعد العبد المؤمن عن نور الإسلام شيئا فشيئا، وينغمس في هذه المحظورات التي تحرم نور العلم، وتحرم الرزق، وتحرم الطاعة، وتوهن القلب، والبدن، وتورث الذل، وتحدث في الأرض

قسال تعسالي: ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْر بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ (١).

وتزيل النعم، وتحل النقم، فلابد من تقوى الله التي تجمع بين خير الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقُواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحُسِنُونَ ﴾ (٢).

⁽١) سورة الروم، آية: ٤١.

⁽٢) سورة النحل، آية: ١٢٨.

المبحث الأول الجمل بأسماء الله وصفاته سبحانه

لقد بين الله سبحانه لعباده حقيقة الإيمان الذي تقبل به الأعمال، ويتحقق به ماوعد الله به المؤمنين.

قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُواْ وَجَلَهَدُواً بِأَمْوَ لِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَلَبِكَ هُمُ ٱلصَّادِقُونَ ﴾ (١).

فالإيمان المقبول هو الاعتقاد الذي لايخالطه ريب ولا شائبة، فالإيمان يزيد وينقص، ولابد أن نفوز بتحقيق الإيمان وأن نقيمه، وهذا يحتاج إلى المزيد من إصلاح القلوب وتنقيتها من الأمراض الصادة عن الهدى، وإذا أراد العبد إيمانا صحيحا فعليه بالعلم والمعرفة.

إن الجهل باسماء الله وصفاته أمر مذموم غير ممدوح، حذر القرآن الكريم منه حيث، قال سبحانه: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأُسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۗ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي قَلْ اللَّهِ مِلْمُ اللَّهِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ (٢).

فالتحريف والميل بأسمائه إلى غير الصواب لهي من الجهل لامن العلم بمكان، فالجهل نقيض العلم (٦)، والجهل اعتقاد بالشيء خلاف ماهو عليه (٤).

إن جهل أسماء الله وصفاته سبحانه قريبة بمن يعطلها عن معانيها، ويجد حقائقها، ومن هؤلاء الغالي، والمتوسط، والمنكوب، ومن يشبهها بصفات خلقه تعالى الله عما يقول المشبهون، فلا ينبغى للعبد تأويل هذه الأسماء والصفات عن

⁽١) سورة الحجرات، آية: ١٥.

⁽٢) سورة الأعراف، آية: ١٨٠

⁽٣) انظر: لابن منظور، لسان العرب، (٢١٣/٢).

⁽٤) انظر: للجرجاني، التعريفات، ص ١٠٨، رقم ٥١٧.



ظاهر الآيات والأحاديث الصحيحة إلى معنى آخر، ولاتعطيلها بأن يجحد تلك الصفات وينفيها عن الله كعلو الله على السماء، فقد زعمت الفرق الضالة أن الله في كل مكان، وليس لنا أن نكيفها بدون علم، فلا يعلم كيفيتها أحد إلا الله، ولاينبغي أن نمثلها بصفات خلقه.

فالجهل علامة من علامات مرض القلوب فإذا جهل العبد أسماء وصفات خالقه تعذر عليه فعل الذي لأجله خلق وهو العلم، والحكمة والمعرفة، وحب الله تعالى، واستعانته، وإنابته، وتوكله "فمن الجهل أن يشكو العبد الله إلى الناس، وهذا غاية الجهل، فإنه لو عرف ربه لما شكاه وفي هذا قيل:

وإذا شكوت إلى ابن آدم إنما ** تشكو الرحيم إلى الذي الإيرحم فلو كان عارفا عالما لشكى إلى الله وحده، فهو بذلك ناظر إلى قولله تعالى: ﴿ وَمَآ أَصَلَبَكُم مِّن مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴾ (١)(٢).

فتوحيد الله بأسمائه وصفاته دعت إليه الرسل جميعا، ودعا إليه القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿ الْمَرْ اللَّهُ لَا إِلَّهُ إِلَّا هُو ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ ﴿ الْمَرْ اللَّهُ لَا إِلَّهُ إِلَّا هُو ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾ (١)، وكذلك شهد الله لنفسه بهذا التوحيد، وشهدت به ملائكته، وأنبياؤه، ورسله.

قال تعالى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُ لِآ إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَيْكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَالِ مَا بِٱلْقِسْطِ لَآ إِلَهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿ إِنَّ ٱللَّهِ عِندَ ٱللَّهِ مَا بِٱلْقِسْطِ لَآ إِلَهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿ إِنَّ ٱللَّهِ عِندَ ٱللَّهِ اللَّهُ مِن اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ الْعَلَيْمُ اللَّهُ اللللللللَّهُ الللللَّلَّةُ اللللللْمُ اللللللللْمُ اللللللْمُ الللللْمُ اللللللْمُ اللللللللْمُ اللللللْمُ اللللللْمُ الللللْمُ الللللللللْمُ اللللللللْمُ الللللللْمُ الللللللْمُ الللللللْمُ اللللللللْمُ اللللللْمُ الللللْمُ الللللللللللْمُ اللللللللْمُ الللللللْمُ اللللللللللللْمُ الللللللْمُ الللللللللللْمُ الللللْمُ الللللْمُ الللللللْمُ الللللْ

" فتضمنت هذه الآية الكريمة معنى إثبات حقيقة التوحيد، والرد على جميع طوائف الضلال، فتضمنت أجل شهادة، وأعظمها، وأعدلها، وأصدقها، من أجل شاهد بأجل مشهود "(°).

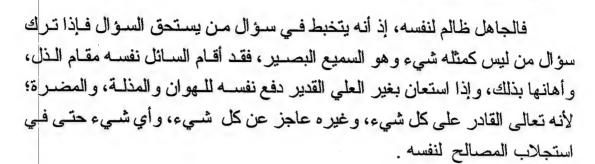
 ⁽۱) سورة الشورى، آية: ۳۰.

⁽٢) انظر: لابن قيم الجوزيه، الفوائد، ص ١١٤.

⁽٣) سورة آل عمر أن، آية: ١-٢.

⁽٤) سورة آل عمران، آية: ١٨-١٩.

⁽o) انظر: لابن أبي العز الحنفي، شرح العقدية الطحاوية، ص ٩٠.



فالمؤمن ينبغي أن يكون متوكلا على الله الحي الذي الايموت في أموره، وشؤونه جميعها دقها، وجلها.

⁽۱) أبوقدامة الرملي عن عبدالعزيز بن قر، مجهول، وأتى بخبر منكر. انظر: ميزان الاعتدال ترجمة رقم (١٠٥٣٠).

⁽٢) سورة الفرقان، آية: ٥٨-٥٩.

⁽٣) سليمان الخواص من العابدين الكبار بالشام؛ انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، (١٧٨/٨) ترجمة ٢٣٥؛ وحلية الأولياء للأصبهاني، (٢٧٦/٨)، ترجمة ٤٠٧.

⁽٤) انظر: لابن أبي الدنيا، التوكل على الله، تحقيق مجدى إبر اهيم، (القاهرة: مكتبة القرآن، بدون تط، ص٤٨.



" والجهال بالله وأسمائه وصفاته المعطلون لحقائقها يبغضون الله الى خلقه، ويقطعون عليهم طريق محبته، والتودد إليه بطاعته من حيث لايعلمون"(١).

فالعبد عليه أن يعرف الله ربه المعرفة الحقة، ويجهد نفسه في ذلك من خلال مطالعة الكتاب والسنة، فمثلا لو أخذ العبد اسم (الرحمن) للاحظ أن الله تعالى رحيم رحمان بعباده أنزل الرسل مبشرين، ومنذرين، معرفين، هاديين مهديين موحدين نزلوا جميعهم وأرسلوا ليعرفوا الناس بالإله الواحد الرحمن الرحيم. قال تعالى: ﴿ وَإِلَا هُو النَّهُ إِلَّا هُو الرَّحْمَلُ . وَالرَّحِيمُ ﴾ (٢).

فالنعم، و الإحسان، كلها من آثار رحمته، وجوده، وخيرات الدنيا والآخرة كلها من آثار رحمته "فسبحانه المنعم بجلائل النعم، ودقائقها، المفيض بتجدد وسعة لامنتهى لهما"(٣).

فالرحمن " اسم دال على أنه تعالى ذو الرحمة الواسعة العظيمة التي وسعت كل شيء، وعمت كل حي، وكتبها للمتقين المتبعين، لأنبيائه ورسله. فهولاء لهم الرحمة المطلقة، ومن عداهم، فله نصيب منها"(³).

فالله تعالى يرحم عباده الغافلين اللاهين فيرشدهم ويلهمهم طريق الرشاد والنصح بافضل طريقه، وأن ينظر سبحانه بعين الرحمة لعباده العصاة، فينور لهم طريق الحق والصواب، ويعين عبده المؤمن لينال الكمالات بأن يعرفه بنفسه وبصفاته وأسمائه وآلائه، ويبين له كل ما يحتاجه إليه من مصالح دينه ودنياه، ويدفع عنه كل نقمة

ومن هنا فإذا علم العبد أن مابه وبالعباد من نعمة، فمن الله، علم أن الله هو المستحق لجميع أنواع العبادة، وأن يفرد بالمحبة والخوف، والرجاء، والتعظيم،

⁽١) انظر: لابن قيم الجوزية، الفوائد، ص٧٠٧.

⁽٢) سورة البقرة، آية: ١٦٣.

⁽٣) انظر: لمحمد رشيد رضا، تفسير المنار، (١/١).

⁽٤) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن..، (٣١/١).

والتوكل، وغير ذلك من أنواع الطاعات، ويعلم بذلك العبد أن الله رحمن رحيم عزيز غالب، ولن يكون بعد هذا مطلب للمؤمن إلا الحصول على رضا الرحمن، والعمل بطاعته، ومايتحقق ذلك إلا بمعرفة العبد أن الأمور كلها بيد الله، ولن يعول على سواه؛ لأنه الإله الخالق ذو العبودية والألوهية.

قال تعالى: ﴿ فَتَعَالَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ لَآ إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ اللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ لَآ إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴾ (١).

فمن يجهل أسماء الله وصفاته كان عبدا لمخلوق مثله " وربما صار معتمدا على غير الله فلايبقى معه حقيقة العبادة لله ولا حقيقة التوكل على غير عليه بل فيه شعبة من العبادة لغير الله، وشعبة من التوكل على غير الله "(٢).

قال تعالى: ﴿ قُلُ هُو آلرَّحْمَانُ ءَامَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَال مُبْيِنٍ ﴾ (٢).

علم المؤمنون برحمته بتوصيله للمنافع، وأنه المتصرف وحده، الذي قصد بالخلق معرفته، وعبادته "ففي ذكر الرحمن هنا إشارة إلى أن أهل الإيمان مرحومون، وفعل الله بالمؤمنين دائما محفوف بالرحمة وذلك أن من أثار رحمته أن جعلهم يتوكلون عليه وأمرهم بالتوكل؛ لأنه سبحانه هو أهل للإيمان به وأهل للتوكل عليه"(3).

ولو نظرنا لحال من جهل مقام القوة وعظيم القدرة والغلبة فإن مصيره مصير من قبله من الأمم.

سورة المؤمنون آية: ١١٦ .

⁽٢) انظر: لابن تيمية، العبودية، ص ١٠٢.

⁽٣) سورة الملك، آية: ٢٩.

⁽٤) انظر: لسعيد حوى، الأساس في التفسير، (١٠/١٠).

قال تعالى: ﴿ قُلُ هُو ٱلْقَادِرُ عَلَىٰ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِن فَوْقِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ فَوْقِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٌ ﴾ (١).

قالله قادر على إنزال العذاب كما أنزله على قوم نوح، والصيحة كما حصب قوم لوط، وكما رمى أصحاب الفيل، وكما زلزل وخسف بقارون فكل شيء دان، وخضع له، وذلت جميع الكائنات فهو الخالق السيد الذي قد كمل في سؤدده.

وأما من جهل افتقاره إلى الله فيحق له عذاب الحريق، قبال تعالى: ﴿ لَّقَدُ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ ٱللَّهُ فَقِيرُ وَنَحْنُ أَغْنِيآ أَ سَنَكُتُ مُا قَالُواْ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنْلِيَآ ءَ بِغَيْرِ حَقِّ وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿ لَكَ اللَّهُ لَيْسَ بِظَلاّمِ لِللَّعَبِيدِ ﴿ لَكَ اللَّهُ لَيْسَ بِظَلاّمِ لِللَّعَبِيدِ ﴿ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ لَيْسَ بِظَلاّمِ لِللَّعَبِيدِ ﴿ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ لَيْسَ بِظَلاّمِ لِللَّهُ اللَّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُولِ الللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ اللّهُ

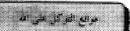
إن جميع الخلق فقراء إلى الله عاجزون، لايملكون لأنفسهم نفعا، ولا ضرا ولاخيرا، ولاشرا، فهو تعالى (الغني) الذي له الغنى التام المطلق من كل الوجوه لايتطرق إليه الفقر أو النقص بوجه من الوجوه، والمخلوقات باسرها لاتستغني عنه في حال من أحوالها، فهي مفتقرة إليه في إيجادها، وفي بقائها، وفي عملها، وفي كل ماتحتاجه أو تضطر إليه، ومن سعة غناه، أنه لم يتخذ صاحبة، ولا ولدا، ولاشريكا في الملك، ولاوليا من الذل، فهو الغني الذي كمل بنعوته وأوصافه، المغني لجميع مخلوقاته ومن كمال غناه وكرمه أنه يامر عباده بالسؤال ويعطيهم.

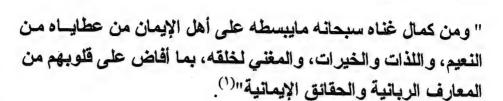
قال تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعُوةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانُ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِى وَلْيُؤْمِنُواْ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ (7).

سورة الأنعام، آية: ٦٥.

⁽٢) سورة آل عمران، آية: ١٨١، ١٨٢.

⁽٣) سورة البقرة، آية: ١٨٦.





إن الله تعالى رزاق كريم رزقه عام لجميع عباده، وله سبحان رزق خاص لخواص خلقه المؤمنين، فكل مايحتاجونه في معاشهم، وقيامهم، مسهل للأبرار والفجار من الأدميين والجن والملائكة، ولكن مايخص المؤمن هو الرزق النافع المستمر نفعه في الدنيا والآخرة وهذا نوعان:

- أ_ رزق القلوب بالعلم والإيمان، فجميع القلوب مفتقرة إلى هذا الرزق، ولن تغنى إلا إذا كانت عالمة بالحق مريدة له.
- ب رزق البدن بالرزق الحلال، فينبغي للمؤمن إذا دعا ربه في حصول الرزق أن يستحضر بقلبه الرزقين رزق الهدى والإيمان، ورزق مايصلح البدن من الحلال النافع، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُو ٱلرَّزَّاقُ ﴾ (٢)، وقال تعالى: ﴿ وَمَا مِن دَآبَةِ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا ﴾ (٢).

فالله تعالى سهل الأرزاق، ودبرها، وساق إلى كل مخلوق صغير وكبير مايحتاجه من القوت، فالله تعالى رزقه لعباده مضمون، وماخلق الخلق إلا لعبادته لا ليرزقوه، فسبحانه ذو القدرة الكاملة، شديد القوة، كثير الرزق(٤).

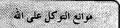
فكل من طلب الرزق، والعون من غير الله، فقد اعتمد على ضعيف ذليل مثله لاينفعه، ولايضره، وإن اعتقد ذلك، فسبحانه لاينبغي أن يدعى سواه، ولايرجى، ولايطلب، ولايتوكل إلا عليه؛ لأن من نرجوه، ونخافه، ونتوكل عليه هو القيم

⁽۱) انظر: لعبدالرحمن السعدي، الحق الواضح المبين في شرح توحيد الأنبياء والمرسلين من الكافية الشافية، ص ٤٧-٤٨.

 ⁽۲) سورة الذاريات، آية: ۵۸.

⁽٣) سورة هود، آية: ٦.

⁽٤) انظر: لسعيد حوى، الأساس في التفسير، مج (١٠/٤/١٥، ٥٥٢٥)؛ وللسعدي، تيسير الكريم الرحمن، (٥/٥).



والمتولي لتدبير خلقه، فمن اتخذه وكيلا كفاه، فهو الإله الحق كيف لانلتجيء إليه سبحانه! فهو الناصر والرازق.

قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ (١). وقال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ نِكَافِ عَبْدَهُ ﴿ (٢).

إن الله تعالى موكول إليه كل شيء له مفاتيح الرزق، والرحمة ويكفى المؤمنين شر من عاداهم (٦)، في هذا المعني يقول صاحب تفسير مفاتيح الغيب: "فالأشياء كلها موكولة إليه تعالى فهو القائم بحفظها وتدبيرها من غير منازع، ولامشارك فهو سبحانه يدفع الآفات، ويزيل البليات، ويوصل كل المرادات (٤)، فسبحانه الكافي عباده جميع مايحتاجونه ويضطرون إليه، الكافي كفاية خاصة، من آمن به، وتوكل عليه، واستمد منه حوائج دينه ودنياه، فهل بعد هذا يجهل العبد الوهية وربوبية الله تعالى باسمانه، وصفاته العلى، فينبغي ويلزم كل مؤمن أن يحصى أسماء وصفات ربه، فإحصاؤها أصل لسائر العلوم فمن أحصاها أحصى سائر العلوم، فأسماؤه وصفاته سبحانه كلها حسنى وأفعاله كلها خيرات.

فإحصاء المؤمن بمعرفة، وفهم معانيها، والإيمان بها، والثقة بمقتضاها والاستسلام، لما دلت عليه رجاء الفوز برضى الله، ودخول الجنة، وعلى هذا فقد كثر الكلام في معرفة أسماء وصفات الله سبحانه من الفرق الضالة الذين عدلوا بها و بحقائقها ومعانيها عن الحق الثابت لها.

ومن هنا "فلايصح التوكل، ولايتصور من فيلسوف ولامن القدرية النفاة القائلين: بأنه يكون في ملكه مالايشاء، ولايستقيم من الجهمية النفاة لصفات الرب جل جلاله، ولايستقيم التوكل إلا من أهل الإثبات، فأي توكل لمن يعتقد أن الله لايعلم جزئيات العالم سفلية وعلويه؟

⁽١) سورة الزمر، آية: ٦٢.

⁽٢) سورة الزمر، آية: ٣٦.

⁽٣) انظر: للبغوي، معالم التنزيل، (٥/١٠-٢٦) .

⁽٤) انظر: للرازي، مفاتيح الغيب، مجلد (١٣–٢٨/١٤).



ولاهو فاعل باختياره؟ ولا له إرادة، ولامشيئة، ولايقوم به صنعه؟ فكل من كان بالله وصفاته أعلم، وأعرف: كان توكله أصبح وأقوى، والله سبحانه وتعالى أعلم"(١).

فالله تعالى شرف الحياة بالإيمان، والحق أنه على قدر ذكاء الشخص واستنارته، واستقامته، وسوية فطرته، ومدى علمه، يكون رسوخ قدمه في الإيمان.

قال تعالى: ﴿ هَاذَا بَلَاغُ لِلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِ وَليَعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَّهُ وَاليَّالُ وَلِيُنذَرُواْ بِهِ وَليَعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَّهُ وَالْحَدُ وَلِيَدَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَبِ ﴾ (٢).

لقد ذم الجهل والجهال فا" لجهل في القلب، كالنز في الأرض يفسد ماحوله"(").

قال تعالى: ﴿ خُد ٱلْعَفْوَ وَأَمْر بِٱلْعُرُف وَأَعْرضَ عَن ٱلْجَلهلينَ ﴾ ('')، فالمعنى أعرض عن السفهاء بَمثل سفهم، فالتكافيء السفهاء بَمثل سفهم، والتمارهم، واحلم عنهم، وأغض مايسوؤك منهم "(°).

فالجهل بأسماء وصفات الرب تعالى آفة توجب المشقة لصاحبها؛ لأنه يجتهد ويهم بالعمل، ولكن لايرقى إلى المقصود، أو يقع في المفسدة وهذا كله ينقص كمال ثمرة الإيمان المنشودة من المؤمن.

والجهال بجهلهم، وعدم معرفتهم وعلمهم، يقررون في أنفسهم أمورا لم يقرها ولم يقلها المصطفى على ، ويفهمون الآثار بفهمهم الباطل المبني على غير علم ولاهدى فيفتون، وينصحون بالباطل فيضلون أناس على ذلك .

" عن عبدالله بن عمرو بن العاص – رضي الله عنهما – قال: قــال رســول الله – عن عبدالله لايقبض العلم انــتزاعا ينــتزعه من العبـاد، ولكن يـقبـض

⁽۱) انظر: لابن القيم، مدارج السالكين، (۱۲۳/۲).

⁽۲) سورة إبراهيم، آية: ۵۲.

⁽٣) انظر اللماوردي، أدب الدنيا و الدين، تحقيق : مصطفى السقا (بيروت: تط، ١٩٧٨ هـ)، ص٠٥٠

⁽٤) سورة الأعراف، آية: ١٩٩.

⁽⁰⁾ القاسمي، محاسن التأويل، $(V-\Lambda/\alpha Y)$.





العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤوسا جمالا فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا" "(').

ولعمر الله العدو العاقل أقل ضررا من الصديق الجاهل؛ لأن العدو معروف بعداوته، أما الصديق الجاهل فلايعرف.

" والجهل بأنواعه ظلمة ووحشة في القلب سواء كان جهل العلم والمعرفة أو جهل العمل والغي"(٢).

والجهل غي خاصة ما إذا كان صاحبه لايعلم بجهله، وشر منه من كان يظن أنه على مافيه عالم، فكل من يحسب أنه على علم وهدى فهو أهل جهل، وضلال، قال تعالى: ﴿ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ أَلا إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَذِبُونَ ﴾(٣).

قال ابن القيم (٤) _ رحمه الله تعالى -:

فإن كنت لاتدرى فتلك مصيبة ** أو كنت تدري فالمصيبة أعظم (٥).

فالجهل بأنواعه مورد للمهالك والمصائب، يفسد على المؤمن الدنيا، ويخرب الآخرة، داء فتاك، وشفاؤه بالعلم والسؤال والتعلم من أصحاب العقول النيرة، بالكتاب والسنة، فالعلم للإيمان، كالحياة للإنسان، ولن يجد هذا الدين مستقراله إلا عند أولو الألباب، قالوا

("ومن لم يحتمل ذل التعلم ساعة ** بقي في ذل الجهل أبدا")(أ).

فالجهال أعمالهم، وعلومهم جميعها بمنزلة السراب الذي يكون صاحبه أحوج ماهو إليه، فكل من أقدم على عمل، وجهل فيه، فلن يكون خالصا ولن يكون بعمله

⁽۱) البخاري، الفتح، ح(۱/۰۰۱)، كتاب العلم، واللفظ له؛ ومسلم (۲۹۷۳)، (٤/٢٠٥٨) كتاب العلم.

⁽٢) السيوطي، الأشباه والنظائر، دار الحديث، بدون تط، ص٢٢٠.

⁽٣) سورة المجادلة، آية: ١٨.

⁽٤) سبقت ترجمته .

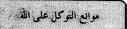
⁽٥) ابن قيم الجوزية، حادى الأرواح إلى بلاد الأفراح (بيروت: دار الكتب العلمية، تبط ١٩٨٣هـ)، ص ٣٣.

⁽٦) ابن عبدالبر، جامع بيان العلم وفضله، دار الفتح، تط ١٩٧٨م، ح(١/٩٩).



هذا صائبا، وبذلك يكون توكله شائبا، وسعيه منثورا؛ لأنه أعرض عن العلم، والحق، والمعرفة، والنور فيتقلب في جنبات الجهل، والظلمة، ويعرض عن أحكم الحاكمين، وأعدل العادلين، فينبغي للمؤمن أن يستعيذ من الجهل، ويدعو الله أن يلهمه العلم والمعرفة بحقه وباسمائه وصفاته، فقد كان النبي على يدعو بهذا الدعاء، "عن أبي موسى — مله قال: كان النبي — بدعو: " رب اغفر لي خطيئتي وجهلي وإسرافي في أمري كله، وماأنت أعلم به مني، اللهم اغفر لي خطاياى وعمدي وجهلي وجدى وكل ذلك عندي، اللهم أغفر لي ماقدمت وماأخرت، وماأسرت وما أعلنت، أنت المقدم وأنت المؤخر، وأنت على كل شيء فدير"().

⁽۱) البخاري، الفتح، ج۱۱، ح(۲۳۹۸) كتاب الدعوات، واللفظ له، ومسلم، (٤/٨٠)، ح(۲۷۱۹)، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار.



الهبحث الثاني ضعف الىقين بالله تعالى

إن المتأمل لأحوال الناس اليوم، يجد أن بعضهم عمدوا إلى محارم الله فارتكبوها ومنهياته فاستباحوها، ومأموراته فاجتنبوها ونبذوها وتركوها، وقطعوا الأسباب بينهم، وبين خالقهم، ورازقهم، وهم بذلك سلكوا مسلكا مؤديا إلى التابس بكل مايقود إليه.

والسلوك يتاثر بالإيمان، وممارسات صاحبه؛ فلذلك يضعف الإيمان واليقين، وينقص إذا وقع صاحبه في المكروهات، والمحظورات؛ "لأن الإيمان لايغني فيه الاعلم اليقين، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ عَلَيْ لَمُ يَرْتَابُواْ وَجَهَدُواْ بِأَمْوَالهُمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ (١) الآ).

ومداخل وأبواب الشيطان كثيرة تضعف يقين وإيمان العباد، والثقة بالله تعالى؛ لذلك كان من الواجب حماية القلب من وساوس الشيطان، وسد مداخله، ونزغاته بتطهير القلب من الصفات المذمومة، وذلك ببذل الجهد في التزكية، وسؤال الله، والإعتماد عليه فيها وفي الحديث "عن عبدالله عليه عن النبي عن النبي عن النبي اللهم إني أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى" "(").

فإخلاص القصد والعمل لله، ومتابعة سنة رسوله على - تجعل من المخلص أن يتذوق حلاوة عبوديته واستسلامه لله " إذ ليس عند القلب السليم أحلى، ولا ألذ، ولا أطيب، ولا أسر، ولا أنعم من حلاوة الإيمان المتضمن عبوديته لله ومحبته له، وإخلاصه الدين له، وذلك يقتضي إنجذاب القلب إلى الله، فيصير القلب منيبا إلى الله قوي العلاقة فيما بينه وبين ربه راغبا راهبا طاردا كل وساوس الشيطان واثقا،

سورة الحجرات، آية: ١٥.

⁽٢) انظر : للحكمي، معارج القبول (بيروت، دار الكتب العلمية، تط ١٤٠٣هــ)، (٣٠٨/١)

⁽٣) مسلم، (٢٠٨٧/٤)، ح(٢٧٢١)، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار.



وموقنا أن الله تعالى إذا حكم، وقدر وقضى أمرا، فلامرد لقضائه، ولامعقب لحكمه"(١).

فمن أكبر عوائق التوكل على الله تعالى هو أن يضعف يقين العبد بالله تعالى؛ لأن قوة اليقين، والثقة بالله تعالى هي من أنواع أغذية القلوب فإذا نقص الغذاء مرض القلب، وانحرف ومال للسماع الشيطاني وبعد العبد عن الله، وغلظ حجابه فيما بينه وبين الله تعالى، وأصبح كالحيوان.

قال تعالى: ﴿ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامُ بَلْ هُمْ أَضَلُ سَبِيلًا ﴾(٢).

فالآية الكريمة في معرض الاستهزاء بعقولهم، وتمثيلهم بالأنعام، فالأنعام فالأنعام ليس لها عقول، وهؤلاء لهم عقول ضيعوها؛ ولأن الأنعام تطلب ماينفعها وتجتنب مايضرها، وهؤلاء يتركون أنفع الأشياء وهو الثواب، ولايخافون أضر الأشياء وهو العقاب (٣).

فمن ضعف يقينه، وثقته بالله تعالى، فان يرضى بحكم وقضاء الله في جميع أمور معاشه، ويترتب على ذلك أنه لايأمن من فوق المقدور له، وذلك راجع لجهله بمعرفة الله تعالى، وأن قضاه سبحانه لامرد له ألبته، ولضعف يقينه " فعلى العبد أن يقف على ماقام بالحق من أسماء وصفات ونعوت كمال وتوحيده، وبهذا يحصل له اليقين "(٤).

فضعف اليقين والثقة بالله يضعفان:

⁽١) انظر: لابن تيمية، العبودية، ص ١٤٠.

⁽٢) سورة الفرقان، آية: ٤٤.

⁽٣) انظر: للكلبي، التسهيل لعلوم التنزيل (بيروت: دار الكتاب العربي، تط الرابعة ١٤٠٣هـ)، (٣) . (٧٩/٣) .

⁽٤) ابن القيم، مدارج السالكين، (٢/٢٠٤).



1- العزم والإرادة على عمل مايرضي الله ورسوله، فكل مافي الكون يدعو العبد الى إزاحة الشك ومعرفة الحق.

قال تعبالى: ﴿ وَكَذَا لِكَ نُرَى إِبْرَاهِ يمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴾ (٢).

" فالله تعالى يبين له وجه الدلالة في نظره إلى خلقهما على وحدانية الله عز وجل ... فالله تعالى جلاله الأمر سره وعلانيته ... وعلم مافي ذلك من الحكم الباهرة، والدلالات القاطعة "(٢). فجميع المخلوقات دالة على وجود صانع خالق لها سبحانه.

ومافعل إبر اهيم عليه السلام من إرادة مخلوقاته سبحانه الكونية السمائية إلا ليؤكد لنفسه أن للعالم صانعا واحدا سبحانه.

١- إن ضعف اليقين والثقة يفضيان إلى عدم الإيمان بالغيب، ويضعفانه.
ا' فالإيمان بالغيب الذي أخبر به الحق سبحانه على لسان رسله من أمور المعاد، وتفصيله، والجنة والنار، وماقبل ذلك من الصراط والميزان، وماقبل ذلك من أمور البرزخ، نعيمه وعذابه من درجات اليقين "(").

قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلُوةَ وَمِمَّا رَزَقُنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلكَ وَبَالْآخرة هُمْ يُوقنُونَ ﴾ (أ).

" قَالَ ابَن عَبَاس : ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْك مِن أَنزِلَ مِن قَبْلك مِن اللهِ وماجاء به مِن قَبْلك من المرسلين

سورة الأنعام، آية: ٧٥.

⁽٢) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (٢/ ٢٤١).

⁽٣) ابن القيم، مدارج السالكين، (٢/٨/٤).

 ⁽٤) سورة البقرة، آية: ٣-٤.



لايفرقون بينهم، ولايجدون ماجاؤهم به من ربهم، وبالآخرة يوقنون أي بالبعث، والقيامة، والجنة، والنار والحساب والميزان"(١).

فكل من حاد عن الحق، واختلف فيه ضعف يقينه، وثقته بالخالق، فالحق هـ و اليقين، قال تعالى: ﴿ فَتَوَكَّلُ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّكَ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّاكَ عَلَى اللَّهِ إِنَّاكَ عَلَى اللَّهُ إِنَّاكَ عَلَى اللَّهُ اللَّهِ إِنَّاكَ عَلَى اللَّهِ إِنَّاكَ عَلَى اللَّهُ إِنَّاكُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ إِنَّاكُ عَلَى اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّالَةُ اللَّهُ اللَّهُ الللّهُ اللَّلْمُ اللّهُ اللّهُ

إن الآيات القر آنية مليئة بالدعوة إلى الإيمان والنظر في ملكوت السموات والأرض، والدعوة إلى الإيمان بالغيب حتى يستقر في قلب كل مؤمن التوحيد واليقين والثقة بالله.

ومن هذه الآيات قوله تعالى: ﴿ رَبِّ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَ ۗ إِن كُنتُم مُّوقنينَ ﴾ (٢).

وقوله تعالى: ﴿ وَفِي ٱلْأَرْضِ ءَايَكُ لِّلْمُوقِنِينَ ﴾ (1).

وقوله تعالى: ﴿ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَةٍ ءَايَكُ لِقَوْمِ يَبُثُ مِن دَآبَةٍ ءَايَكُ لِقَوْمِ يُوقِنُونَ ﴾ (٥).

فالآيات السابقة " يرشد فيها الله تعالى إلى التفكر في آلاته ونعمه، وقدرته العظيمة التى خلق بها السموات والأرض ومافيهما من المخلوقات المختلفة الأجناس، والأنواع من الملائكة، والجن، والإسس، والدواب، والطيور، والوحوش، والسباع، والحشرات، ومافي البحر من الأصناف المتنوعة، واختلاف الليل والنهار، وفي تعاقيهما دانبين لايفتران، هذا بظلامه وهذا بضيائه، وماأنزل الله

⁽۱) انظر: الطبري، جامع البيان..، (۱/۹۰)؛ ولابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (۱/۸۲)؛ ولائلوسي، روح المعاني، (۱/۲۲).

⁽٢) سورة النمل، آية: ٧٩.

⁽٣) سورة الدخان، آية: ٧.

⁽٤) سورة الذاريات، آية: ٢٠.

⁽٥) سورة الجاثية، آية: ٤.



تبارك من السحاب وغيرها ... لآيات لقوم يوقنون"(١)، إيقانا تاما لايخالطه أدنى شك فهي جميعها تدل على قدرة الله تعالى، وقدرة الصانع العظيم، وحكمته التي يعتبر بها أهل اليقين أهل العلم والمعرفة.

إن الريب في قدرة الله تعالى من أسباب المعاصي التي تجعل العبد في ضعف وخور في الإيمان، ويقينه بخالقه، ورازقه، ومدبر أمره، فعدم خشية الله، ومر اقبته تجعل العبد يستخف بوعده سبحانه ووعيده؛ لهذا كان لزاما على كل عبد مؤمن أن يتقي الله ويخشاه حق خشيته، ولن يكون ذلك إلا بالعلم المستقر في القلب الثابت من الأسباب المتعينة له بحيث لايقبل هذا العلم إلا الزيادة لا النقص والهدم.

فقوة اليقين تقوي التوكل على الله؛ لأن بقوة اليقين يزيد المسلم من ربه قربا، وحبا، ورضى بما قسمه له سبحانه، من أمور معاشه وبه يتبع النور فيسلك العبد طريق السلامة.

ومن هنا نرى أنه كلما زاد الإيمان زاد اليقين، وكلما ضعف الإيمان ضعف اليقين؛ لأن اليقين هو لب الدين ومقصوده الأعظم، فينبغي على العبد أن يتقى الله عز وجل، ويصدق في ذلك لسانا ونية وإرادة وعزما، ويكون بين الخوف والرجاء بما عند الله "فالخوف والرجاء جناحان بهما يطير المقربون إلى كل مقام محمود، قال تعالى: ﴿ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمًّا رَزَقُنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ (٢) الأسال.

لذلك فإن من اتقى، وصدق، وخاف، ورجى، فسيسلم من وسوسة الشيطان ومداخله، ومن كان بعيدا عن ذلك، فإنه لايسلم من مداخلات الشيطان، فربما بل حتما سيعتقد فيمن لايستحق الاعتقاد، ويخاف ممن لايستحق الخوف، فينقاد إلى الاعتقاد أن القضاء والرزق والمقدرات من عند غير الله، وبذلك سيقدح توكله، واستعانته؛ لأن الصدق واليقين قرينا التوكل فمن يقن ووشق بوعد الله تعالى، وضمانه لايخاف فوت رزقه، ولا منازعة أحد له في رزقه، ومعاشه.

⁽١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (٢٢٥/٤).

⁽٢) سورة السجدة ، آية: ١٦ .

⁽٣) انظر: لسعيد حوى، المستخلص في تزكية النفوس، ص٣٢٧.



قال تعالى ﴿ وَمَا مِن دَآبَةِ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَقُدَعَهَا كُلُّ فِي كِتَلْبُ مُّبِينِ ﴾ (١).

أخبر تعالى أنه متكفل بارزاق المخلوقات، من سائر دواب الأرض صغيرها، وكبيرها بحريها وبريها، وأنه يعلم مستقرها، ومستودعها أي يعلم أين منتهى سيرها في الأرض، وأين تأوي إليه من وكرها وهو مستودعها، فلتطمئن القلوب إلى كفاية من تكفل بأرزاقها، وأحاط علما بذواتها وصفاتها (٢).

وقال تعالى: ﴿ وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿ فَوَرَبِ ٱلسَّمَآءِ وَأَلْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقُّ مِّ ثَلَ مَآ أَنتَكُمْ تَنطِقُونَ ﴿ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ الل

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴾ (1).

فالآيتان الكريمتان السابقة ينتلج بها الصدر، ويحصل بها اليقين والثقة عند علمه أن الله الكافي عباده الرزق وحصول المنافع، وهذا مما يوجب للعبد المؤمن القيام بتوحيد الله، والاعتماد على ربه في حصول مايحب.

فالمؤمن ينبغي عليه أن يدفع الضعف بمعرفة الله وبالوجوه التي تعرف من خلقه للخلق، وتدبيره للخلق، ومن قدرته على الخلق وتكفله بأرزاق الخلق، وأماتته للخلق، وإحيائه للخلق، آلا له الخلق والأمر، تبارك الله أحسن الخالقين.

لأن ضعف اليقين والثقة بالله إذا استحكم، وغلف القلب، يورث ويقود إلى الخسران المبين، وإلى طول الأمل، ويورث التخبط في الدنيا، وعدم النظر إلى العواقب، ويضعف العلاقة بين المسلم وربه فيضعف التوكل على الله، ويزيد العبد خضوعا، واستكانة لغير الله وما لهذا خلق المؤمن، فقد خلق لعبادة الله، وتوحيده المتضمن أنواع التوحيد الثلاثة (ربوبية – ألوهية – أسماء وصفات).

⁽١) سورة هود، آية: ٦.

⁽٢) انظر: جامع البيان، (٤/٢٥٧)؛ ولابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (٢/٦٧٦)؛ والطبري، وللسعدي تيسير الكريم الرحمن، (٣٦٨/٢).

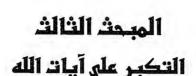
⁽٣) سورة الذاريات، آية: ٢٢-٢٣.

 ⁽٤) سورة الذاريات، آية: ٥٨.



خلق لتدبر آيات القرآن الكريم، والاستفادة من علومه ومعارفه وأحكامه، ومعرفة أحاديث رسول الله على وما تضمنته من علوم الإيمان وأعماله، فهذه جميعها من الأمور التي تقوي الإيمان وتجلبه للنفس حتى تسكن إلى المضمون، وتثق بالله، وينعقد القلب لسيده؛ لأنه إن أعطى لم يقدر أهل الأرض أن يمنعوه، وإن منعه لم يقدر أهل الأرض أن يعطوه؛ لأن سلطان الله عظيم، وبتوكل العبد عليه يكفيه، فالتوكل محض الإيمان والناس يتفاضلون في التوكل، والإيمان على قدر اليقين (۱).

⁽۱) انظر: المحاسبي، آداب النفوس، ص ۱۹۷-۱۹۸.



إن الكبر والتكبر والاستكبار تتقارب معانيها وتصريفاتها، فالكبر الحالة التي يتخصص بها الإنسان من إعجابه بنفسه، وذلك أن يرى الإنسان نفسه أكبر من غيره، وأعظم التكبر التكبر على الله بالامتناع من قبول الحق والإذعان له بالعبادة، وهذا مذموم، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلُنَا لِلْمَلَلَكَة ٱسْجُدُواْ لِلاَدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَ اللّهِ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُلّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللل

فذلك التعاظم، والتعالي، والتكبر رذيله بغيضة تنشأ عن الجهل فتدعو صاحبها إلى المبالغة في تعظيم شخصه، إذ يرى محاسنه بمجهر، ويعمى عن عيوبه ونقصه، فيعتقد بذلك أنه فريد زمانه، وهذا لايجد من الناس، إلا الاحتقار، وقد أراد أن يعظموه، ويكرهوه، وقد أراد أن يحبوه فهو ممقوت من الناس ممقوت من الله، كما قال تعالى: ﴿إنّهُ لا يُحبُ ٱلمُستكبرير . ﴾(٢)، فياعجبا لهذا المخلوق الضعيف الذي يفخر باصله، وهو من تراب، ويباهي بجسمه وهو إلى فناء وهلاك، وسيكون عما قليل عظاما نخرة، فالمتكبر لايعبد ربه حق عبادته، بل يعبد عنجهيته، وهو اه فكم من عبادة أداها كانت هوى وعشقا جارفا، ويوهم نفسه أنه يجاهد في سبيل الله، وهو إنما يجاهد في سبيل رضا هواه .

" والكبر مناف للأمر الذي خلق الله له الخلق، وأمر لأجله بالأمر، فالله تعالى خلق الخلق سبحانه، وأنزل الكتاب لتكون الطاعة له وحده والكبر ينافي ذلك"(٤).

⁽١) سورة البقرة، آية: ٣٤.

⁽٢) انظر: للأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، ص٤٣٨؛ وللفيروز آبدي، القاموس المحيط، ص٦٠٢.

⁽٣) سورة النحل، آية: ٢٣.

⁽٤) ابن القيم، الداء والدواء، ص ١٩٥.



فالقرآن الكريم كله دعوة للنفس الإنسانية إلى السلوك القويم، والعقيدة الصحيحة يتبعها السلوك الصحيح، والقرآن الكريم فيه نماذج للأخلاق الذميمة التي ينهى عنها ويحذر منها صيانة للنفس الإنسانية؛ ولما يترتب على هذه الأخلاق من المفاسد، وارتفاعا بها إلى درجة من السمو الخلقي والأخلاقي، والكمال النفسي.

" فعن ابن مسعود — قال: قال رسول الله — الايدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر، ولايدخل النار من كان في قلبه ذرة من إيمان فقال رجل يارسول الله "الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا، ونعله حسنا فقال: إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق، وغمط الناس " (').

فالحديث الشريف بيان لمعنى الكبر الحقيقي وهو إنكار الحق والترفع عنه والتجبر فيه، واحتقار الناس والاستهانة بهم.

إن هذا السلوك الذميم مانع وحاجز لمفهوم التوكل على الله، فالمتكبر قلبه مريض بعدم الخضوع، والإذعان، والانصياع للحق ولأوامره سبحانه فلا يرى ميزة للآخرين، ولايذكر لغيره فضلا عليه، والمتكبر كنود كفور لايطيق أن يعترف بفضل ذي الفضل عليه، ولايتنازل أن يشكر إحسان من أحسن إليه، والمتكبر حسود حقود يمقت كل عظيم، وينقم على كل كبير، ولايرى إلا نفسه ولايفكر إلا في ذاته، ويتمسك ويتعصب لرأيه الباطل.

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اللَّهُ أَخَذَتُهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ فَحَسَّبُهُ جَهَلَّمُ وَلَيْكُم أَخُذَتُهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ فَحَسَّبُهُ حَهَلَّمُ وَلَيْكُ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهُ اللَّا اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللّهُ اللّه

وعلى ذلك فإن أهل الكبر والإصرار إلى النار صائرون، وأهل الكبر والتجبر مطبوع على قلوبهم.

 ⁽۱) رواه مسلم، (۱/۹۳)، ح(۹۱) كتاب الإيمان.

⁽٢) سورة البقرة، آية: ٢٠٦.



قال تعالى: ﴿ كَذَالِكَ يَطَبَعُ آللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرِ جَبَّارٍ ﴾ (١).

" فكما طبع الله على قلوب المارقين الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم، يطبع على قلوب جميع المتكبرين الجبارين الذين آبوا أن يوحدوا الله ويصدقوا رسله، واستعظموا عن اتباع الحق، فيصدر عنهم أمثال ماذكر من الإسراف والارتياب، والجدل بغير الحق "(٢).

فيتكبر بذلك على الطاعات، والأوامر ويعتقد في نفسه أنه خير من غيره وأنه يجتهد، وبهذا يزهو بما يكون منه حسنا أو قبيحا ويمتنع على ذلك المتكبر للانقياد، والإذعان لمن يعتقد أنه أقل منه علما ودراية، وبهذا يضل ويخزى خاصة إذا عاند وأصر وكابر عن الحق، ويطبع هذا الخالق على قلب كل متكبر عليه، تكبر على توحيد الله متعظم عن اتباع الحق، إن فرعون علا وتكبر في الأرض فساء مصيره إلى نار جهنم، ولمجادلته في آيات الله بالباطل من غير حجة و لابرهان.

" فالكبر والتكبر على آيات الله من المهلكات، ولن يتم وينجع العلاج الا بمعرفة الإنسان مقدار نفسه، ويعلم أنه أذل من كل ذليل، ويكفيه أن ينظر في أصل وجوده بعد العدم من تراب، وليعلم أن الكبر لايليق به، وأنه إذا تكبر صار ممقوتا عند الله تعالى بغيضا عنده"(").

إن صفة التكبر لاتصح إلا لله سبحانه وتعالى فهو سبحانه المتكبر عن السوء، والنقص والعيوب لعظمته، وكبريائه؛ لأنه سبحانه هو الذي له القدرة والفضل الذي ليس لأحد مثله، وهو المتعالي عن صفات الخلق، وعن عتاة خلقه، فسبحانه كامل الذات متكبر وكبير وعظيم، فليس للإنسان أن يتكبر بمال أو جاه أو جمال أو قوة أو كثرة ونحو ذلك فجميعها من عند الله تعالى وهبها لمن شاء وأر ادها لمن شاء (أ).

⁽١) سورة غافر، آية: ٣٥.

 ⁽۲) انظر: للمراغي، تفسيره، (۸/۷).

⁽٣) انظر: لابن قدامة المقدسي، مختصر منهاج القاصدين، ص ٢٣١-٢٣٣.

⁽٤) انظر: لابن منظور، لسان العرب، (٩/٥-١٣٠)؛ للغزالي أبوحامد، المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى، (قبرص، تط ٢٠٧هـ)، ص٧٥؛ مقاييس اللغة، أحمد ابن فارس (٥٤/٥).



أما المتكبر من العباد فهو جاحد طارد للحق، مهلك لنفسه، مغلق لأبواب الجنة " فكل من تكبر عن الانقياد للحق أذله الله، ووضعه، وصغره وحقره، ومن تكبر عن الانقياد للحق فإنما تكبر على الله، فإن الله هو الحق، وكلامه حق، ودينه حق، والحق صفته، ومنه وله فإذا رده العبد تكبر عن قبوله، فإنما رد على الله، وتكبر عليه"(١).

فالإنسان ماخلق إلا لعبادة ربه، والتواضع له، واستصغار نفسه واحتقارها أمام عظمة الله.

فكل من الايرى ذلك فقد يلقى وعيد ووعد ربه، قال تعالى في محكم كتابه: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِيرَ ﴾ يَسُتَكُبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَ خِرِينَ ﴾ (٢).

" فالمتكبر عن آياته الأفقية، والنفسية، والفهم لآيات الكتاب بعدم الاعتبار بها لأنه قدتكبر على عباد الله، وعلى الحق، وعلى من جاء به، ومن كان بهذه الصفة، حرمه الله خيرا كثيرا، وخذله، ولم يفقه من آيات الله، ماينتفع به، بل ربما انقلبت عليه الحقائق، واستحسن القبيح"(").

"فالآية الكريمة شاهد على الوعيد الشديد لمن استكبر عن دعاء الله، وفيه لطف بعباده عظيم، وإحسان إليهم كبير، من حيث توعد من ترك طلب الخير منه، واستدفاع الشر بالدعاء بهذا الوعيد البالغ، وعاقبه بهذه العقوبة الشديدة، فينبغي توجيه الرغبات إليه، والتعويل في كل المطالب على الله، فهو سبحانه أرشد إلى التوكل عليه، وكفل لنا الإجابة، بإعطاء المطالب وحصول الرغبات، فهو كريم جواد يجيب دعوة الداعي إذا دعاه، فسبحانه يغضب على من لم يطلب من فضله العظيم، وملكه الواسع مايحتاج إليه من أمور الدين والدنيا" (أ).

⁽۱) ابن القيم، مدارج السالكين، (۲/٣٤٦).

⁽٢) سورة غافر، آية: ٦٠.

⁽٣) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، (١٥٩/٢).

⁽٤) انظر: للمراغي، تفسيره، ($\Lambda\Lambda/\Lambda$).



فبالكبر ينحط العبد في مطالبه، ويتخبط في مسالكه، وطرقه والنتيجة هي البعد عن الله، والشعور بالضيق والضياع، فينبغي على العبد إذا شعر بأثار وأعراض هذا المرض والخلق الذميم في نفسه وأن يعالج نفسه وذلك بقطع وبتر جذور هذا الخلق من مغرسه في القلب ويدفع العارف منه بالأسباب التي قد يتكبر فيها، وذلك أن يعرف نفسه ويعطيها قدرها وحقها، ويعرف نفسه صفات ربه تبارك وتعالى ويكفيه ذلك في إزالة الكبر على الله تعالى وعلى رسوله وطاعة الله وطاعة رسوله، أما المتكبر بالغنى، والجمال والكثرة، وعلو المناصب فهذا يعالج نفسه بأن يعلم أن هذا كله مما أعطاه الله إياه وتفضل به عليه، وليبادر بشكر الله، والتواضع له.

قال تعالى: ﴿ لَبِن شَكَرْتُمْ لِأَزِيدَنَّكُمْ ﴾(١).

" فالكبر مفتاح الشقاء، والمتكبر هو الذي لم تنفتح بصيرته ليكون بهدايته نفسه كفيلا، وبقي في العمى، فاتخذ الهوى قائدا، والشيطان دليلا، فالكبر يهلك الخواص من الخلق، وقلما ينفك عنه العباد والزهاد والعلماء فضلا عن عوام الخلق"().

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا تُتَلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَئَنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعُهَا كَأَنَّ فِي مُشْتَكِبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعُهَا كَأَنَّ فِي أَذُنَيْهِ وَقُرَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ (٣).

وقال تعالى: ﴿ وَيُلُّ لِّكُلِّ أَفَّاكِ أَثِيمٍ ﴿ يَسْمَعُ ءَايَاتِ ٱللَّهِ تُتَلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكِيرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعُهَا فَبَشِّرُهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿ اللَّهِ اللَّهُ اللَّلْمُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ ا

سورة إبراهيم ، آية: ٧ .

⁽٢) انظر: للغزالي، إحياء علوم الدين، (القاهرة: دار الشعب)، (٣٤٥/٣).

⁽٣) سورة لقمان، آية: ٧.

 ⁽٤) سورة الجاثية، آية: ٧ - ٨.



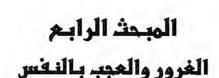
وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِئَايَلِتِنَا وَٱسْتَكَبُرُواْ عَنْهَا لَا تَفْتَحُ لَهُمْ أَبُواْ بُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِي سَمِّر ٱلْخِيَاطِ وَكَذَالِكَ نَجْزى ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ (١).

فالتكبر هو من الأسباب المبعدة عن الخير وأبوابه، وتبعد عن طاعة الله وعن مأمورات الخالق التعبدية، والقلبية، والسلوكية، فالمتكبر منصرف عن الاستعانة بالله، والإنابة إليه، والتوكل عليه وتعمى بذلك بصيرته، ولايرى الحق، ويصر على التعالي، ولايسمع، ولايعى لنصح ناصح، فيهلك، ويغضب الله، ويكرهه الناس وفي هذا "قال رسول الله - على حديث حارثة بن وهب أنه سمع النبي - الله قال: "ألا أخبركم بأهل الجنة؟ قالوا: بلى، قال - كل ضعيف متضعف، لو أقسم على الله لأبره، ثم قال: "ألا أخبركم بأهل النار؟" قالوا: بلى بارسول الله، قال: "كل عتل جواظ متكبر" (٢).

فلينظر العبد إلى مصيره، وليحاول جاهدا نفسه لمرضاة ربه ويعمل على تقواه وخشيته، وليدفع عن نفسه الكبر بالتواضع، وليذكر نفسه بمآله ومرجعه ويحاسب نفسه حتى لايذل، ولايضل، فكلنا من تراب، وسندس في تراب، فلنعمل وننال المثوبة والجزاء الحسن.

⁽١) سورة الأعراف، آية: ٤٠ .

⁽٢) صحيح البخاري، ح(٦٦٥٧) كتاب الإيمان والنذور؛ ومسلم، (١٩٠/٤)، ح(٢٨٥٣)، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها واللفظ له .



إن الغرور والعجب بالنفس يحصل بالاستعظام، ونسيان النعمة دون توقع جزاء عليه فهما مذمومان، وماهما إلا نتيجة للكبر، وهما من أحد أسبابه، قال تعالى في محكم التنزيل ذاما العجب ﴿ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتُكُمْ كَثُرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْن عَنكُمْ شَيْئًا ﴾(١).

فالغرور والعجب بالنفس ثمرتا من شر ثمرات الكبرياء، والغفلة، والجهل يعميان البصيرة عن الحق، ويبعدان عن الصواب، ويسلبان الفضائل ويكسبان الرذائل، ففي وقعة حنين كان معسكر رسول الله - الله علية الكثرة والقوة، فلما أعجبوا بكثرتهم صاروا منهزمين، ومتى اعتمد الإنسان على الدنيا فاته الدين والدنيا، فالعبد عليه أن يسلخ نفسه من الغرور والعجب حتى لايستوليا عليه، فلاينفع بعد ذلك لا إصغاء لنصح ولاقبول لتاديب، كما أنه يزداد بعدا عن الطاعات (٢).

فالإعجاب والغرور بالنفس، وماشابههما ضلال يفضي بصاحبه إلى التعدي والعصيان، وهذا أمر ليس بجديد زماننا بل هو قديم "فمعركة حنين تعرض نتائج الانشغال عن الله، والاعتماد على قوة غير قوته، لتكشف لنا عن حقيقة أخرى ضمنية، حقيقة القوى التي تعتمد عليها كل عقيدة، إن الكثرة العددية ليست بشيء، إنما هي القلة العارفة المتصلة الثابتة المتجردة للعقيدة، وإن الكثرة لتكون أحيانا سببا في الهزيمة؛ لأن بعض الداخلين فيها، التانهين في غمارها، ممن لم يدركوا حقيقة العقيدة، التي ينساقون في تيارها، فتزلزل أقدامهم، وترتجف في ساعة الشدة، فيشيعون الاضطراب والهزيمة في الصفوف، فوق ماتخدع الكثرة أصحابها فتجعلهم يتهاونون في توثيق

⁽١) سورة التوبة، آية: ٢٥.

⁽٢) انظر: للرازي، مفاتيح الغيب، مج ١٦-١٧ (٢١/٨).



صلتهم بالله انشغالا بهذه الكثرة الظاهرة عن اليقظة لسر النصر في الحياة"(١).

فالغرور يلازمه العجب بالنفس، وكلاهما داع إلى بعض لامحالة؛ لأن من خدع في نفسه فسيعجب بها، ويظن أنه وصل للكمال من علم أو عمل؛ لأن المغتر غرته نفسه، وشيطانه، وهواه، وأمله الخائب الكاذب بربه حتى أتبع نفسه هواها، وتمنى على الله الأماني، والغرور ثقتك بمن لايوثق به وسكونك إلى من لايسكن إليه ورجاؤك النفع من المحل الذي لايأتي بخير، كحال المغتر بالسراب.

قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابِ بِقِيعَةٍ يَحْسَلُهُ ٱلطَّمْثَانُ مَآءً حَتَّى إِذَا جَآءَهُ لَمْ يَجِدُهُ شَيْئًا وَوَجَدَ ٱللَّهُ عِندَهُ فَوَقَّلُهُ حِسَابَهُ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾ (٢).

وقال تعالى في وصف المغترين ﴿ قُلُ هَلُ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿ وَاللَّهُ مَا لَا نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿ وَاللَّهُ مَا يَكُمُ مِنَا اللَّهُ مَا يَكُسِنُونَ اللَّهُ مَا يَعْلَمُ اللَّهُ مَا يَعْلُمُ اللَّهُ مَا يَعْلَمُ اللَّهُ عَلَيْ اللَّهُ مَا يُعْلَمُ مِنْ اللَّهُ مَا يَعْلَمُ اللَّهُ مَا يَعْلَمُ مَا يَعْلَمُ اللَّهُ مَا يَعْلَمُ اللَّهُ مَا يَعْلَمُ اللَّهُ مَا يَعْلَمُ مَا يَعْلَمُ مَا يَعْلَمُ مَا يَعْلَمُ اللَّهُ مَا يَعْلَمُ مَالْحَلَّمُ مَا يَعْلَمُ مَا يَعْلَمُ مَا يَعْلَمُ مَا يَعْلَمُ مَا عَلَيْكُمْ مُعْلِمُ اللَّهُ مَا يَعْلَمُ مَا يَعْلَمُ مَا يُعْلِمُ مَا يَعْلَمُ مُعْلَمُ مُعْلِمُ مِنْ مَا يَعْلَمُ مَا يَعْلَمُ مَا يَعْلَمُ اللَّهُ مِنْ مُعْلِمُ مَا يَعْلَمُ مُعْلِمُ مُعْلِمُ عَلَمُ مَا يَعْلَمُ مُعْلِمُ مُعْلِمُ مُعْلِمُ مَا يَعْلَمُ مَا يَعْلَمُ مَا عَلَمُ مَا يَعْلَمُ مَا عَلَمُ مَا عُلُمُ مُعْلِمُ مَا عُلِمُ مُعْلَمُ مَا عَلَمُ مُعْلَمُ مَا عَلَمُ مُعْلَمُ مَا مُعْلَمُ مُعْلِمُ مَا عَلَمُ مَا عَلَمُ مَا عَلَمُ مَا عَلَمُ مَا عَلَمُ مَا عَلَمُ مُعْلَمُ مَا عَلَمُ مُعْلَمُ مُعْلَمُ مُعْلَمُ مُعْلِمُ مُعْلَمُ مُعْلَمُ مُعْلِمُ مَا عَلَمُ مُعْلِمُ مَا عَلَمُ مُعْلَمُ مُعْلِمُ مُعْلِمُ مَا عَلَمُ مُعْلَمُ مُعْلَم

إن غرور العصاة من المؤمنين بأن يرجوا كرم وعفو الله، ويسمون تمنيهم هذا رجاء وأنه محمود في الدين، وأن رحمة الله واسعة للمؤمنين إلا أنه قياس مشوب إذ المؤمن يعمل لما بعد الموت، والجاهل المغرور من تبع هواه وتمنى على الله، فليعلم العبد أن كل نعمة هي من الله من الله بها عليه، فإذا اعتقد العبد أن الله سبحانه وفقه للعبادة أو النعمة فقال: رآني الله أني أهلا لها فهذا هو الإعجاب والغرور بالنفس، ووضع بذلك العبد نفسه في المهلكات والآفات.

قال تعالى: ﴿ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَكُنُ إِلَّا غُرُورًا ﴾(1).

⁽١) سيد قطب، في ظلال القرآن، (١٦١٨/٣).

⁽۲) سورة النور، آية: ۳۹.

⁽٣) سورة الكهف، آية: ١٠٤-١٠٤.

⁽٤) سورة النساء، آية: ١٢٠.



فالآية الكريمة تضمنت طائفة غرهم الشيطان " فعمدة أمر الشيطان إنما هو بإلقاء الأماني في القلب، فهنا نبه تعالى على أن العمدة في دفع الأماني الشيطان، وتلك الأماني لاتفيد إلا الغرور، والغرور هو أن يظن الإنسان بالشيء أنه نافع، ولذيذ ثم يتبين اشتماله على أعظم الآلام والمضار، وجميع أحوال الدنيا كذلك، والعاقل يجب عليه أن يلتفت إلى شيء منها، ومثال هذا أن الشيطان يلقي في قلب الإنسان أنه سيطول عمره وينال من الدنيا أمله ومقصوده، ويستولى على أعدائه، ويقع في قلبه أن الدنيا دول فريما تيسرت له كما تيسرت لغيره، إلا أن كل ذلك غرور، فإنه ربما لم يطل عمره، وإن طال فريما لم يجد مطلوبه، وإن طال عمره ووجد مطلوبه على أحسن الوجوه فإنه لابد أن يكون عند الموت في أعظم أنواع الغم والحسرة، فإن المطلوب كلما كان ألذ وأشهى، وكان الألف معه أدوم وأبقى كانت مفارقته أشد إيلاما، وأعظم تاثيرا في حصول الغم والحسرة"().

" وعلى ذلك فإن الشياطين تغر المغترين بالله ويطمعونهم مع إقامتهم على مايسخط الله، ويغضبه في عفوه، وتجاوزه، ويحدثونهم بالتوبة لتسكن قلوبهم ثم يدافعونهم بالتسويف حتى يهجم الأجل فيؤخذون على أسوأ أحوالهم، وفي ذلك قال تعالى: ﴿ وَغَرَّتُكُمُ ٱلْأَمَانِيُ حَتَى لَكُ مَانِيُ حَتَى لَكُ مَانِيُ حَتَى لَكُ مَا اللهِ وَغَرَّتُكُمُ ٱلْأَمَانِيُ حَتَى لا بَعَالَى عَلَى أَسُوا أَحُوالُهم، وفي ذلك قال تعالى: ﴿ وَغَرَّتُكُمُ ٱلْأَمَانِيُ حَتَى لا لَهُ وَعَرَّتُ كُمُ اللهِ وَغَرَّتُ كُمُ اللهِ وَغَرَّتُ كُم بِٱللهِ الْغَرُورُ ﴾ (٢) الله وغرَّتُ كُم الله وَغَرَّتُ عَلَى الله وَغَرَّتُ عَلَى الله وَعَرَّتُ عَلَى الله وَعَلَى الله وَعَرَّتُ عَلَى الله وَعَمَلَ الله وَعَرَّتُ عَالِ الله وَعَلَى الله وَعَمَرَّتُ عَلَى الله وَعَرَّتُ عَلَى اللهُ وَعَرَّتُ عَلَى الله وَعَرَّتُ عَلَى الله وَعَرَّتُ عَلَى الله وَعَرَّتُ عَلَى الله وَعَرَاتُ عَلَى الله وَعَرَاتُ عَلَى الله وَعَرَاتُ عَلَى الله وَالله وَالله وَعَرَّتُ عَلَى الله وَعَلَى الله وَعَلَى الله وَعَلَى الله وَعَمَلَ عَلَى الله وَعَلَى الله وَعَلَيْكُ وَلَهُ وَلَهُ الله وَعَلَى الله وَعَلَى الله وَعَلَى الله وَالله وَالله وَالله وَالله وَالله وَالله وَالله وَالله وَلَا الله وَالله وَله وَالله وَاله وَالله وا

والمغرور بربه يصر على عصيانه فيسيء إلى نفسه، ويظلمها حيث كان يجب أن ينفع حياته الدنيا لكسب آخرته.

⁽١) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب، مج ٦-٧، (١١/١٥).

⁽٢) سورة الحديد، آية: ١٤.

⁽٣) ابن قيم الجوزية، الروح (الرياض: دار الرشد بدون تط) ص٢٤٥.



قال تعالى: ﴿ يَكَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهُ وَلْتَنظُرْ نَفْسُ مَّا قَدَّمَتُ لِغَدُّ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهُ خَبِيرُ إِمَا تَعْمَلُونَ ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ لَعُمُ ٱلْفَاسِقُونَ ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهُ فَأَنسَلُهُمْ أَنفُسَهُمْ أَوْلَتِكَ هُمُ ٱلْفَاسِقُونَ ﴾ (١).

فالمعنى التى تتضمنه الآية الكريمة هو فلينظر أحدكم أي شيء قدم لنفسه، عملا صالحا ينجيه أم سيئا يوبقه، فلنتق الله من ترك أمره وإلا أنسانا حظوظ أنفسنا، بأن لم نقدم لها خير ا(٢).

لذلك فلينظر المؤمن في خاصة نفسه، ويعمل بطاعة الله، وطاعة رسوله حتى لاينال بمعصية الله ورسوله العاقبة السيئة، ويكون من الفاسقين عن أمر الله تعالى خارجا عن طاعته، فهذا الغرور والعجب بالنفس لهو من سبل الشيطان يزين للعبد أن طاعاته أكثر من معاصيه.

"ومن العصاة من يغتر، فيقول إن الله كريم، وإنما نتكل على عفوه، وربما اغتروا بصلاح آبائهم وقد قال العلماء: من رجا شيئا طلبه، ومن خاف شيئا هرب منه، ومن رجا الغفران مع الإصرار، فهو مغرور، وليعلم أن الله تعالى مع سعة رحمته شديد العقاب، وقد قضى بتخليد الكفار في النار، مع أنه لايضره كفرهم، وقد سلط الأمراض والمحن على خلق من عباده في الدنيا، وهو سبحانه قادر على إز التها، ثم خوفنا من عقابه، فكيف لانخاف؟ فالخوف والرجاء سائقان يبعثان على العمل، ومالا يبعث على العمل فهو غرور يوضح هذا أن رجاء أكثر الخلق يحملهم على البطالة، وإيثار المعاصي "("). العجب يدعو إلى نسيان الذنوب وإهمالها، ويستعظم صاحبه العبادات والأعمال، ويتبجح بها، ويمن على الله بفعلها ثم إذا أعجب بها نسى آفاتها، ومن لم يتفقد آفات الأعمال كان أكثر سعيه ضائعا،

⁽١) سورة الحشر، آية: ١٨-١٩.

 ⁽٢) انظر: للبغوي، معالم التنزيل، (٥/٣٥٦)؛ ابن الجوزي، زاد المسير، (٨/٢٢٤).

⁽٣) ابن قدامة المقدسي، مختصر منهاج القاصدين، ص٢٣٧ .



والمعجب يغتر بنفسه وبرأيه، ويأمن مكر الله وعذابه، ويخرجه العجب إلى أن يثني على نفسه ويحمدها ويزكيها، ويمنعه ذلك من الاستشارة والسؤال، فيستبد برأيه ويكتفي به وبنفسه، وربما أعجب بالرأي الخطأ الذي خطر له، فيفرح بكونه من خواطره، ويصر عليها، وربما أودى به ذلك إلى الهلاك خاصة لو كان هذا الرأي يتعلق بأمر من أمور الدين، ولذلك عد العجب من المهلكات، ومن أعظم آفات العجب فتور سعي المعجب لظنه أنه قد فاز، وأنه قد استغنى، وهذا الهلاك الصريح الذي لاشبهة فيه الهالال.

فالغرور والعجب بالنفس داءان متأصلان في النفس.

قال تعالى: ﴿ يَآ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْاْ يَـوْمًا لاَّ يَجْزِي وَالِدُ عَن وَالِدِهِ مَا شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ ٱللهِ حَقُّ وَالِدُهِ مَن وَلَدِهِ مَا يَعْرَانَ عَن وَالِدِهِ مَا شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ ٱللهِ حَقُّ فَاللهِ عَن وَالِدِهِ مَا شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ ٱللهِ حَقُّ فَاللهِ عَن وَالِدِهِ مَا شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ ٱللهِ حَقُّ فَاللهِ مَا لَهُ وَلَا يَعُرَّنَكُم بِٱللهِ ٱلْغَرُورُ ﴾ (١).

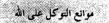
فالغرور من أنواع الجهل؛ لأن الجهل هو أن يعتقد الشيء ويراه على خلاف ماهو به فكل من سكن إلى هواه واعتقد أنه على خير إما في العاجل أو في الآجل عن شبهة فاسدة فهو مغرور.

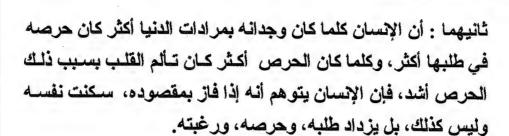
إن الحياة الدنيا غرور لمن أقبل عليها، والعجب زهو العبد بأعماله بما يكون منها حسنا أو قبيحا، والركون والاعتماد على مامنها حسن، ونسيان فضل المتنعم عليه صاحب الفضل والإحسان سبحانه، ولنعلم أنهما يبعدان عن طلب الآخرة لوجوه:

" أحدهما: أنه لو حصل للإنسان جميع مراداته لكان غمه وهمه أزيد من سروره؛ لأجل قصير وقته، وقلة الوثوق به، وعدم علمه بأنه هل ينتفع به أم لا.

⁽١) الغزالي، إحياء علوم الدين، (٣/٠٧٠).

⁽٢) سورة لقمان، آية: ٣٣.





ثالثها: أن الإنسان بقدر ما يجد من الدنيا يبقى محروما عن الآخرة التي هي أعظم السعادات والخيرات، ومتى عرفت هذه الوجوه علمت أن الدنيا متاع الغرور، وأنها كما وصفها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه قال: "لين مسها قاتل سمها" "(1).

لذلك كان الغرور والعجب مذمومين؛ لأنهما يفضيان بالمرء لتفريط ماأمر الله به، ويظن المرء أنه ممن دخل في حب وكفاية الله، وأنه ممن يرزقه الله وينجيه.

كذلك ما لأثار هما من إلحاق الأذى بالعبد بفساد العمل وفساد الثواب للأعمال وما سيؤدي ذلك إلى الطغيان، والجرأة على الله، وفي هذا منافاة لمعنى العبودية الحقة، فليعلم أن التوفيق للنعم وللفضائل هي من الله صاحب الفضل والإكرام.

⁽۱) انظر: للفخر الرازي، مفاتيح الغيب، مسج (٥-٦)، (٩/١٣١-١٣١)- ومسج (١٠-٦)، (٢٣٥/٢٩).



الهبحث الغامس

الموي والشموات

إذا تأملنا أمراض القلوب من الجهل، وضعف اليقين، وضعف الثقة بالله تعالى، والتكبر والغرور، والعجب بالنفس، وكل مايخطر من أمراض تصيب القلب وتوهن العبادة الحقة لله، فإننا نجد أن الدافع لها هو اتباع الهوى؛ لأن الهوى "ماهو إلا ميل النفس إلى ماتستلذه من الشهوات من غير داعية الشرع"(1)، وقيل "هو ميل الطبع إلى مايلانمه"(٢).

قبال تعبالى: ﴿ وَلُو ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهُوَآءَهُمْ لَفَسَدَت ٱلسَّمَاوَ اللَّهُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِر اللَّهُ أَتَيْنَاهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُعْرَضُون ﴾ (٣).

" فالهوى والشهوات متلازمان، ولكن الهوى مختص بالآراء، والاعتقادات، والشهوات مختصة بنيل المستلذات، فصارت الشهوة من نتائج الهوى، وعلى ذلك فإن الهوى أصل وهو أعم"(٤).

إن الهوى والشهوات مرض يصيب القلب، ويوجب الفساد في القصد و الإرادة، وعلى ذلك فقد استخلصت قسمين للناس فيه:

القسم الأول: ظفر الهوى والشهوات بالنفس فملكها وأهلكها وصارت طوعا لها تحت أو امرها.

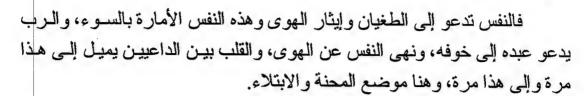
والقسم الثاني: أن تظفر النفوس وترتفع عن الهوى والشهوات وتصير هو اها وشهواتها على مقتضى الكتاب والسنة.

⁽۱) الكفوى، الكليات معجم في المصطلحات والفروق الفردية، قابلة على نسخة خطية، د/عدنان درويش-محمد المصري، (القاهرة: دار الكتاب الإسلامي تط الثانية ۱ ۲۱هـ)، (۲٤٤/٥).

⁽٢) ابن الجوزي، ذم الهوى، تحقيق مصطفى عبدالواحد، مراجعة محمد الغزالي (القاهرة: دار الكتب الحديثة، تط ١٣٨١هـ)، ص١٢.

⁽٣) سورة المؤمنون، آية: ٧١ .

⁽٤) الماوردي، أدب الدنيا والدين، تحقيق مصطفى السقا (بيروت، تط ١٩٧٨م) ص٣٨.



والشهوات تخون العبد وتسبب له المعاصى وتدفع لها، وتخبث بالنفس، " فإن العبد إذا وقع في شدة أو كربة، أو بلية خانه قلبه ولسانه، وجوارحه عما هو أنفع شيء له، فلا ينجذب قلبه للتوكل على الله تعالى، والإنابة إليه، والجمعية عليه، والتضرع، والتذلل، والانكسار بين يديه، ولايطاوعه لسانه لذكره، وإن ذكره بلسانه لم يجمع بين قلبه ولسانه فينحبس القلب على اللسان بحيث يؤثر الذكر، ولاينحبس القلب واللسان على الذكر، بل إن ذكر أودعا ذكر بقلب لاه ساه غافل، ولو أراد من جوارحه أن تعينه بطاعة تدفع عنه لم تنقد له ولم تطاوعه "(۱).

قال تعالى: ﴿ يَادَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي ٱلْأَرْضِ فَاحْكُم بَلْنَ النَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَبِعِ ٱلْهُوعِ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابُ شَدِيدُ أَ بِمَا نَسُواْ يَوْمَ الْحَصَابِ ﴾ (٢).

فمن رعاية الله لعبده داود ولعباده جميعا أنه نبه للنهاية البعيدة التي تترتب على اتباع الهوى ونتائجه من الضلال عن سبيل الله^(۱).

"إن اتباع الهوى قد يكون اختيارا، وقد يكون كرها، والنهي عن اتباعه يقتضي النهي عن جميع أنواعه، فأما الاتباع الاختيارى فالحذر منه ظاهر، وأما الاتباع الاضطراري فالتخلص منه بالانسحاب عما جره إلى الإكراه.... فالهوى كناية عن الباطل، والجور، والظلم لما هو متعارف من الملازمة بين هذه الأمور،

⁽۱) انظر: لابن القيم، الداء والدواء، تقديم محمد غازي، (جده: دار المدني، تـط ١٤٠٣هـ)، ص١٢٣.

⁽۲) سورة ص، آية: ۲٦.

⁽٣) انظر: لسيد قطب، في ظلال القرآن، (٣٠١٨/٥).



وبين هوى النفوس، فإن العدل و الإنصاف ثقيل على النفوس فلاتهواه غالبا، ومن صارت له محبة الحق سجية فقد أوتي العلم و الحكمة وأيد بالحفظ أو العصمة الالكلام.

قال تعالى: ﴿ قُلُ فَأَتُواْ بِكِتَابِ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَآ أَتَّبِعُهُ إِن كُنتُمْ مَنْهُمَآ أَتَّبِعُونَ إِن كُنتُمْ صَدِقِينَ ﴿ فَإِن كَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَبِعُونَ أَهُوَاءَهُمْ أَنَّمَا يَتَبِعُونَ أَهُواَءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَلهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ لا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّلِمِينَ ﴾ (٢).

فالله تعالى أنزل الحق متواصلا بعضه أثر بعض حسبما تقتضيه الحكمة أو متتابعا و عدا وو عيدا، وقصصا، و عبرا، ومواعظ ونصائح لذلك فيجب الاحتراز عن اتباع الهوى والانهماك فيه فمن كان كذلك فهو أضل من كل ضال (٢).

قال تعالى: ﴿ بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا أَهُوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمِ ۖ فَمَن أَضَلَ ٱللَّهُ وَمَا لَهُم مِّن نَّنصِرِينَ ﴾ (٤).

إن اتباع الهوى لظلم للنفس فالله تعالى يرشد للحق، وينبه على أن من اتبع أهواءه الزائفة، فهو واضع للشيء في غير موضعه، وهو بذلك معرض نفسه للعذاب الخالد، فالكل مفتقر إلى الله تعالى فلابد من إنابته، وتوكله ولا نشرك معه أحدا أبدا(٥).

فالحق سبحانه هو الهدى، وغيره ومايدعوه إليه من الآراء والأقوال إنسا هو هوى؛ لأنه قادم من أقوالهم التي لاتمت بالدين المعلوم صحته بالدلائل القاطعة، فكل من لاذ إلى الحق فلقد لجأ إلى المعين سبحانه وتعالى يعصم الناس إذا قاموا بالطاعة.

ويحذر تعالى عن متابعة الهوى والشهوات استعظاما لصدور الذنب من تلك الأهواء الزائفة المضلة، ويؤكد ويبالغ في التحذير سبحانه وقد كانت منه حكمته

⁽١) انظر: لابن عاشور، التحرير والتنوير، (٢٢-٢٣-٢١).

⁽٢) سورة القصص، آية: ٤٩ - ٥٠.

⁽٣) انظر: للألوسي، روح المعاني، مج (١٩- ٩٢/٢٠).

 ⁽٤) سورة الروم، آية: ٢٩.

⁽٥) انظر: المصدر السابق، مج (٢١-٣٨/٢٢).



تعالى في إرسال الرسل بعضهم إثر بعض حتى لايطول الإنذار فتقسو القلوب وتنسى الشرائع، وتقوم الأمم على تحريف، وتأويل تلك الشرائع على حسب أهوائهم، وتبعا لشهواتهم، فقد وعد تعالى اتباع الهوى والشهوات بوعود قاسية لتحقيرهم، وتوبيخهم فلن يكون لهم ولي ولانصير ولا واق يقيهم عذابه، فعلى المؤمن أن يرجع إلى ربه ويثبت على حكمه وشرعه فمن أطاع هواه كان قلبه غافلا عن ذكر الله لسوء استعداده و اتباع شهواته و إسرافه في ذلك غاية الإسراف، وتمادى في اجتراح الآثام، و الأوزار فكانت النهاية الهلاك والعطب والخسران (۱).

⁽۱) انظر: لأبي السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، (۱/۲۰۹)؛ المراغي، تفسيره، مج (۱/۱۳)، مجلد (۱/۳/۱)؛ ولسعيد حوى، الأساس في التفسير، (۷/۲۰).

⁽۲) أبي أمية الشعباني الدمشقي اسمه يحمد، وقيل عبدالله بن أخامر، تهذيب التهذيب، (۲/۱۰).

⁽٣) أبو ثعلبة الخشني، اختلف في اسمه واسم ابيه اختلافا كثيرا، قيل إن اسمه جرثومه، وقيل صلح جرهم؛ انظر: تهذيب التهذيب، (٥٣/١٠).

 ⁽٤) سورة المائدة، آية: ١٠٥.



عبدالله بن المبارك^(۱) وزاد في غير عتبة قيل يارسول الله! أجر خمسين منا أو منهم؟ قال بل أجر خمسين منكم"^(۲).

"فالواجب الذي يلزم العمل به هو أن يكون جميع أفعال المكلف مطابقة لما أمره الله به معبوده جل وعلا، فإذا كانت جميع أفعاله تابعة لما يهواه، فقد صرف جميع مايستحقه عليه خالقه من العبادة والطاعة إلى هواه، فكونه اتخذ إلهه هواه في غاية الوضوح، فمن أضله الله فاتخذ إلهه هواه، فلا يكون أحد عليه وكيلا أي حفيظا يهديه، ويصرف عنه الضلال الذي قدره الله عليه؛ لأن الهدى بيد الله وحده لا بيد أحد".

وهذا ماكان من معنى في قوله تعالى: ﴿ أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَاهَهُ هُوَلَهُ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ اللَّالَّاللَّهُ اللَّهُ اللَّا اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّالِمُ اللَّهُ اللَّا اللَّهُ اللّ

فالهوى والشهوات صادان عن الحق يذهبان نور الإيمان من القلوب، ويسلبان محاسن الوجوه، ويورثان البغضة في قلوب المؤمنين، وهما مصايد هلاك، فالتوكل على الله تعالى من العبادات التي ينبغي أن يكون مبناها على الشرع والاتباع لسنة رسولنا - الله على الهوى والابتداع والشهوات، فالإسلام مبني على أصلين أساسيين:

أولهما: عبادة الله وحده الأشريك له.

ثانيهما: نعبده على ماجاء من شرع رسوله على- .

⁽۱) عبدالله بن المبارك بن واضح الحنظلي التميمي، مولاهم أبوعبدالرحمن المروزي، ولد ١٨ ١هـ، وتوفي ١٥١هـ. انظر: تهذيب التهذيب، (٤٥٧/٤).

⁽٢) النرمذي (٣٠٥٨) واللفظ له، وقال حسن غريب؛ وأبوداود (٤٣٤١) ؛ وابن ماجه (٢) النرمذي (٤٠١٤)؛ والبغوي في شرح السنة (٣٤٨/١٤) وقال محققه للحديث شواهد فيتقوى بها.

⁽٣) انظر: للشنقيطي ، أضواء البيان، (بيروت: عالم الكتب بدون تط) (٦-٣٣٠).

 ⁽٤) سورة الفرقان، آية: ٤٣.



فنعلم من ذلك أن جميع المعاصي تتشا من ترك الأصلين، وتقديم هوى النفس، وتخبط الشيطان، فينبغي على المرء المؤمن اللجوء إلى الله تعالى في دفع ذلك عن القلب، وماسمي الهوى هوى إلا لأنه يهوي بصاحبه إلى قعر جهنم، ولكن التأسي بصفات السابقين الأولين رضي الله عنهم وأرضاهم، ومحاولة تتبع ماحذروا منه، والسير على منهاجهم والتمسك بما جاءوا به، وتمسكوا به من حق، فقد اقتضت سنة الله تعالى في أن يبذل العبد لكل شيء مايناسبه، فللدنيا سعي، وللآخرة سعي وللفضائل سعي، وللرذائل سعي.

إن جميع العوائق، والحواجز السابقة المذكورة وغير المذكورة لايمكن علاجها إلا بمجاهدة النفس والاستعانة بالله تعالى والإنابة إليه، والتعود على تركها فهداية الإنسان ممكنة إذا كفر بعقله وآمن بشهوته وعبد هواه"(١).

⁽۱) انظر: للجزائري، أيسر التفاسير (المدينة: مكتبة العلوم والحكم تـط الثالثـة، ۱۱،۱۱هـ) (۱) انظر: المجزائري، أيسر التفاسير (المدينة: مكتبة العلوم والحكم تـط الثالثـة، ۱۱،۱۱۸هـ)



الفصل السادس

ثمرات التوكل على الله

وفيه:

نهميد.

المبحث الأول: تحقيق الإيمان.

المبحث الثاني: السكينة والثبات.

المبحث الثالث: الأمل والرجاء.

المبحث الرابع: محبة الله تعالى ودغول الجنة بغير حساب.

المبحث الخامس: الرضا والصبر.

الهبحث السادس: العزة والقوة .

المبحث السابع: يـقي من تسلط الشيطان والسمر والمسد والعين.

المبحث الثامن: كشف المم والكرب.

المبحث الناسع: يورث الرزق ويجلب المنافع ويدفع المضار.

المبحث العاشر: الدخول في كنف وكفاية الله.

المبحث الحادي عشر: الفوز والغلبة .

المبحث الثاني عشر: التسليم للقضاء والقدر.



الفصل السادس ثمرات التوكل على الله

التمميد:

إن القرآن الكريم كتاب الله للعالمين لايأتيه الباطل من بين يديه و لامن خلفه تعهده سبحانه بالحفظ إلى يوم القيامة .

كتاب نزل تشريعا، ونزل بليغا، ونزل منهاجا، ونزل لترسيخ عقائد وسلوك، تقوم هذه العقائد بالمرء إلى السمو والتعالي، فالهدف الأسمى منه هو توحيد العبادة لله وإخلاصها له، وسلامة القصد والعمل من الانحراف عن جادة الحق في عبادة الله أو معاملة المخلوقين، وبهذا نصل إلى سعادة الدنيا والآخرة ونيل الثواب والمكرمات.

قال تعسالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَلِحًا مِّن ذَكِر أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنُ فَكُ لَكُ مِنْ عَمِلَ صَلِحًا مِّن ذَكر أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنُ فَكَ فَكَ اللَّهُ مَا كَانُوا فَكَ اللَّهُ مَا كَانُوا فَكَ اللَّهُ مَا كَانُوا فَكَ مَلُونَ ﴾ (١).

فكل عمل أمرنا به الله عز وجل هو تمجيد له سبحانه؛ ولأن العمل يكمل به الإيمان ويدل على وجود الإيمان، يقول الرسول على حديث أبي هريرة على "أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم أخلاقا"(٢).

فالقرآن والإسلام يقيمان أخلاقا على أسس روحية ضرورية لبناء صرح أخلاقي ثابت، فالعمل الصالح، وكذلك الخلق الحسن هو الثمرة المباركة للإيمان، ونور الإيمان يضيء للمؤمن طريقه، وبنور الإيمان يجد المؤمن نفسه في سكينة

سورة النحل، آية: ۹۷.

⁽۲) الترمذي (۱۱۲۲) وقال: هذاحديث حسن صحيح؛ وأبسوداود (۲۸۲۶)؛ وأحمد (۲۷/۲۰)؛ والبيهقي في الشعب (۲۱/۱) وقال مخرجه: إسناده عنده حسن؛ والحساكم في مستدركه (۳/۱)، وسكت عنه، وقال الذهبي: صحيح؛ وذكره الألباني في الصحيحة (۲۸٤).



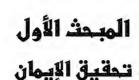
وثبات، وأمل ورجاء، وفي رضا وصبر، لما قدر وكتب الله، ويكون بنور الإيمان في عزة وقوة ومامن مؤمن يُقبل على الإيمان إقبالا صادقا باتباع الأوامر، واجتناب النواهي إلا وكان له من الجزاء الغنبي والكفاية، وكشف النهم والفوز والغلبة فهذه الجزاءات، وهذه الثمرات "مكافأة من الله تعالى على قعل المؤمن"(١) في توكله على ربه، فهذه الثمرات دافع قوي لتقوية الثقة واللجوء والاستعانة والإنابة إلى الله تعالى، والاعتماد عليه في كل أمر من الأمور الدينية، والدنيوية، والرضا بقضائه وقدره خيره وشره.

والتوكل على الله عز وجل يكون في استجلاب المنافع، ودفع المضار في أمور الدنيا والآخرة وقد جعل الله عز وجل لكل عمل من أعمال البر ومقام من مقاماته جزاء معلوما، وجعل كفايته جزاء المتوكل عليه، قال تعالى: ﴿ وَمَن يَتُوَكَّلُ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسَّبُهُ وَ ﴾ (٢).

فلنتأمل هذا الجزاء الذي حصل المتوكل، ولم يجعله الخيره، وماهذا إلا دليل على أن التوكل على الله من أقوى السبل عنده وأحبها إليه فكل شجرة لها ثمار، ومن ثمار التوكل على الله عز وجل مايلي هذا التمهيد الوجيز.

⁽۱) انظر: للكفوي، الكليات، (۱۷۸/۲)؛ والأصفهاني، معجم مفردات ألفساظ القرآن، ص ۱ ۹؛ وللفيروز آبادي، القاموس المحيط، ص ١٦٤٠.

⁽۲) سورة الطلاق، آية: ٣.



إن أول مايجب على الإنسان أن يكون موقنا من قلبه بوجود الله تعالى، ويجب عليه أن يعرف أسماء الله وصفاته سبحانه حتى يمسك نفسه عن الخروج عن أمره سبحانه، ويعمل على طاعته و لايكون ذلك إلا بالعلم المتمكن من أعماق القلب ليأمن قلبه، وحياته من العمل المخالف لله ولرسوله .

والتوكل على الله من أعلى مقامات الإيمان، حيث لا إيمان إلا بالتوكل على الله وقد تقدم سابقا أن من فضل التوكل على الله أن ربطه سبحانه بالتوحيد، فصلة الإيمان بالتوكل كصلة البذرة بالشجرة، قال تعالى: ﴿ إذْ هَمَّت طَّآبِفَتَانِ مِنكُمُ أَن تَفْشَلًا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَ الْوَعَلَى ٱللَّهِ فَلَيْتَوَكَّلُ أَلْمُؤُمِنُونَ ﴾ (أ).

وقال تعالى: ﴿ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنَعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱلْدَعْ مَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَالَتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَلِبُونَ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُواْ إِنَ كُنتُم مُّؤْمِنِينً ﴾ (٢).

فمن هذه الآية ظهر لنا التلازم بين الإيمان والتوكل على الله.

وقال تعالى: ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَاقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَوَكَّلْنَا وَبَّنَا لَا فَتُنَا وَتُنَا لَا قَوْمِ ٱلظَّلِمِينَ ﴿ ﴾ (٣).

وفي هذه الآية كان التوكل على الله شرطا لتحقيق الإسلام.

سورة آل عمران، آیة ۱۲۲.

⁽٢) سورة المائدة، آية ٢٣.

 ⁽٣) سورة يونس، الآية ٨٤-٨٥.

وقال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونِ ﴾ (١). وقال تعالى: ﴿ وَلَا هُوَ ٱلرَّحْمَانُ ءَامَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلُنّا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبْيِنٍ ﴾ (١).

وعلى هذا فالتوكل على الله أصل جامع تتفرع عنه العبادات والأفعال، وهو خلاصة ونهاية تحقيق التوحيد وهو أحد مباني توحيد الألوهية وهو وجه كمال إيمان المؤمنين (٣).

⁽١) سورة التغابن، آية ١٣.

 ⁽۲) سورة الملك، آية ۲۹.

⁽٣) انظر: لسليمان ابن عبدالوهاب، تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد، (المكتب الإسلامي، ط الرابعة) ص ١١٠.

المبحث الثاني السكينة والثبات

إن التوكل على الله من شجر الإيمان الراسخ الذي ترسخ جذوره في قلب المؤمن، ويتمكن منه، ويثمر ثمارا يانعة، ويعطي الظلال الباردة، ومن ثمراته السكينة والطمأنينة والثبات، فصاحبها يتعاهدها باستمرار، ويلاحظ نموها باستمرار، ويجني من ثمارها، مايجني في النفس والحياة الاجتماعية "فالسكينة هي مايجده القلب من الطمأنينة عند تنزل الغيب، وهي نور في القلب يسكن إليه شاهده ويطمئن، وهي زوال للرعب، وهي آمنة تسكن عندها القلوب"(۱).

فالسكينة من خلال تعريفها السابق هي من لطائف صنع الحق، فإذا نزلت على القلب اطمأن بها، وسكنت إليها الجوارح وخشعت، واكتسبت الوقار، وانطقت اللسان بالصواب والحكمة، ويكون صاحبها إلى الله راغبا، ويكون بين يدى الله ربه متجردا من الأهواء، فهذه السكينة متضمنة النور، والقوة والروح، فالروح حياة القلب، وبالنور يميز بين الحق والباطل، وبالقوة توجب له الصدق، وضبط النفس، ويزداد بذلك إيمانا مع إيمانه (٢).

قال تعالى: ﴿ هُو آلَّذِي أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَا أُوَاْ إِيمَانَا مَّعَ إِيمَانِهِمُ ﴾ (٢).

مباشرة السكينة القلب تثبته وتلهمه العزم، والإرادة، والاتباع لكل مايحبه الله ويرضاه من الأعمال، والأقوال، وبهذا يحصل اليقين، والرضى بكل ماقسم الله تعالى له من النصر والظفر.

⁽۱) انظر: للجرجاني، التعريفات، حققه إبراهيم الإبياري، (بيروت: دار الكتاب العربي تلط الرابعة ١٤١٨هـ)، ص١٢٠ وللمناوي، التوقيف على مهمات التعاريف، حققه عبدالحميد حمدان، (القاهرة تط ١٤١٠هـ)، ص١٩٦ وللكفوي، الكليات، (٤٧/٣)؛ وللأصفهاني، معجم مفردات ألفاظ القرآن، ص٢٤٣؛ وللفيروز آبادي، القاموس المحيط، ص١٥٥٦.

⁽٢) انظر: لابن القيم، مدارج السالكين، (٢/٧٢٥-٢٥).

⁽٣) سورة الفتح، آية: ٤.

فالعبد حينما يرضى ويعلم أن ماقسم له من الله خالقه يفوض أمره إلى الله ويطمئن لما قسم له من نصر وظفر فإذا توكل العبد على الله حق توكله أنزل عليه السكينة و الثبات.

قال تعالى: ﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَقُواْ ٱللَّه كَم مِّن فِئَ وَ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَ وَكَالَةً مَعَ ٱلصَّابِرِينَ ﴾ (أ).

فهذا بيان من الله تعالى بأن من استيقن ملاقاته هو من يثبت ويسارع إلى الجهاد، وبقضائه وقدره سبحانه ينصر ويقوي قلوب المؤمنين، فهذه التجربة تكمن في ثناياها العبر ومن العبر أن القلب الذي يتصل بالله في جميع أموره تتغير موازينه وتصوراته لأنه يرى بعين الله تعالى، فالقلب تحقق له الإيمان الصحيح، والاطمئنان والسكينة إلى قدر الله والمضي في حمل التكاليف والواجبات دون هلع ولاجزع فالمقدر كائن والموت والحياة بيد الله في نهاية المطاف (٢).

فلايسكن إنسان بكثرة عداده، وعدته فإن النصر بيده ومن عنده وليس بكثرة العدد وشدة البطش، ولنا في معارك رسول الله عليه الدروس والعبر.

قال تعالى: ﴿ إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنَّعَاسَ أَمَنَهُ مِّنَهُ وَيُنزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِيُطَهِرَكُم بِهِ وَيُدْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطِنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ﴿ إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلْئِكَةَ أَنَّلِى عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ﴿ إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلْئِكَةَ أَنَّلِى مَعَكُمْ فَتُبَتُواْ ٱلنَّيْنَ عَامَنُواْ سَأَلْقِى فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا ٱلرُّعْبَ مَعَكُمْ فَأَوْلًا ٱلرُّعْبَ فَا قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا ٱلرُّعْبَ فَا قَالَوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا ٱلرُّعْبَ فَا قَالَوبِ ٱللَّذِينَ كَفَرُوا ٱلرُّعْبَ فَا قَالَوبِ ٱلنَّذِينَ كَفَرُوا ٱلرَّعْبَ فَا قَالَوبِ اللَّهُ وَالْمَالِوبِ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الْمَالِوبِ اللَّهُ اللِّهُ الللْهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللِّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللْهُ اللَّهُ اللَّ

دارت المعركة بأمر الله ومشيئته، أقبل المؤمنون على المعركة بكل عزم وقوة ولكن في النفس شيء من الخوف فهم قلة مستضعفة ورسول الأمة يستقبل القبلة وعليه ردائه وإزاره يقول: "اللهم أنجز لبي ما وعدتني، اللهم إن تملك هذه العصابة من أهل الإسلام، فلا تعبد

⁽١) سورة البقرة، آية: ٢٤٩.

⁽٢) انظر: للبغوي، معالم التنزيل، (١/٣٤٨-٣٤٩).

 ⁽٣) سورة الأنفال، آية: ١١-١١.



في الأرض أبدا"، فما زال يستغيث ربه ويدعوه حتى سقط رداؤه عن منكبيه، فاتاه أبو بكر فأخذ رداءه فرداه، ثم التزمه من ورائه، ثم قال: يانبي الله، كفاك مناشدتك ربك، فإنه سينجز لك ماوعدك، فأنزل الله عزوجك: ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِي الله عزوجك، فأني ممذّكُم بِأَلْفِ مِن الله عَنْ الله عَنْ وَهُم يرون أنفسهم قلة في مؤاجهة خطر لم يحسبوا حسابه فإذا بالنعاس يغشاهم، ثم يصحون منه والسكينة تغمر نفوسهم والطمأنينة مددا من أمداد الله للعصبة المسلمة يوم بدر، وهكذا مضت الأحداث والنصر لاحت بشائره وتم بحمد الله(٢).

قال تعالى: ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٌ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذَ أَعْجَبَتْكُمْ كَثَرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ إِمَا رَحُبَتُ ثُمَّ وَلَيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿ قُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِ إِمَا رَحُبَتُ ثُمَّ وَلَيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴾ "كَانُ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِ إِمَا وَعَلَى ٱللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِ إِمَا وَعَلَى ٱللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِ إِمَا وَعَلَى ٱللَّهُ سَكِينَتَهُ وَعَلَىٰ رَسُولِ إِمَا وَعَلَى اللَّهُ سَكِينَتَهُ وَعَلَىٰ رَسُولِ إِمَا وَعَلَىٰ اللَّهُ سَكِينَتَهُ وَعَلَىٰ وَسُولِ إِمَا وَعَلَىٰ اللَّهُ سَكِينَتَهُ وَعَلَىٰ وَسُولِ إِمَا وَعَلَىٰ اللَّهُ سَكِينَتَهُ وَعَلَىٰ وَسُولِ إِمَا وَعَلَىٰ اللَّهُ عَلَىٰ وَسُولِ إِمَا وَعَلَىٰ اللَّهُ سَكِينَتَهُ وَعَلَىٰ وَسُولِ إِمَا وَعَلَىٰ اللَّهُ سَكِينَتَهُ وَعَلَىٰ وَسُولِ إِمْ وَعَلَىٰ اللَّهُ سَكِينَتَهُ وَعَلَىٰ وَسُولِ إِمْ وَعَلَى اللَّهُ عَلَىٰ اللَّهُ سَكِينَتَهُ وَعَلَىٰ وَسُولِ إِمْ وَعَلَىٰ اللَّهُ سَكِينَتَهُ وَعَلَىٰ وَاللَّهُ عَلَىٰ وَعَلَىٰ وَسُولِ إِمْ وَعَلَى اللَّهُ عَلَىٰ اللَّهُ عَلَىٰ اللَّهُ عَلَىٰ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْ عَلَىٰ وَاللَّهُ عَلَىٰ وَاللَّهُ عَلَىٰ وَاللَّهُ وَعِلَىٰ وَاللَّهُ عَلَىٰ اللَّهُ عَلَيْهُ وَعَلَىٰ وَاللَّهُ عَلَىٰ اللَّهُ عَلَىٰ اللَّهُ عَلَىٰ وَاللَّهُ اللّهُ عَلَىٰ اللّهُ اللّهُ عَلَىٰ اللّهُ عَلَىٰ اللّهُ عَلَىٰ اللّهُ عَلَيْهُ عَلَىٰ اللّهُ اللّهُ عَلَىٰ اللّهُ عَلَىٰ اللّهُ عَلَىٰ اللّهُ اللّهُ عَلَىٰ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَىٰ اللّهُ عَلَمْ عَلَا عَلَا عَلَا عَلَا عَلَا عَلَا عَلَمْ اللّهُ عَلَمْ اللّهُ عَلَىٰ اللّهُ عَلَى اللّ

إن معركة حنين من المعارك المهمة التي محص الله بها قلوب المؤمنين، اتمهدت الأمور وأسلم عامة أهل مكة، وأطلقهم رسول الله على فبلغه أن هوازن جمعوا له ليقاتلوه، وأن أميرهم مالك بن عوف النضري، ومعه ثقيف بكمالها، وبنو جشم، وبنو سعد بن بكر وأوزاع من بني هلال، وهم قليل وناس من بني عمرو، وعوف بن عامر، وقد أقبلوا ومعهم النساء والولدان والشاء والنعم، جاءوا بقضهم، وقضيضهم فخرج إليهم رسول الله على خييه أني جياء معه للفتح، وهو عشرة آلاف من المهاجرين والانصار، وقبائل العرب ومعه الذين اسلموا من أهل مكة وهم الطلقاء في الفين فسار بهم إلى العدو، فالتقوا بواد بين مكة والطائف يقال له (حنين) فكانت فيه الوقعة في أول النهار في غلس الصبح،

⁽١) سورة الأنفال، آية: ٩.

⁽٢) انظر: للبغوي، معالم التنزيل، (٢/٤٠٤)؛ ولسيد قطب، الظلال، (٣/٤٨٤).

⁽٣) سورة التوبة، آية: ٢٥-٢٦.

انحدروا في الوادي وقد كمنت فيه هوازن فلما توجهوا لم يشعر المسلمون إلا بهم قد بادروهم ورشقوا بالنبال وأصلتوا السيوف وحملوا حملة رجل واحد، كما أمرهم أميرهم، فعند ذلك ولى المسلمون مدبرين وثبت رسول الله وهو راكب بغلته الشهباء يسوقها إلى نحر العدو، والعباس عمه آخذ بركابها الأيمن، وأبو سفيان ابن الحارث بن عبدالمطلب آخذ بركابها الأيسر يثقلانها لئلا تسرع السير وهو ينوه باسمه عليه الصلاة والسلام ويدعو المسلمين إلى الرجعة ويقول إلى عباد الله إلى أنا رسول الله، ويقول في تلك الحال: " أنا النبي لاكذب أنا ابن عبدالمطلب" وثبت معه من أصحابه قريب من مائة، ومنهم من قال ثمانون، فمنهم أبوبكر، وعمر رضى الله عنهما، والعباس، وعلى والفضل بن عباس، وأبوسفيان بن الحارث، وأيمن ابن أم أيمن، وأسامة بن زيد وغيرهم رضى الله عنهم، ثم أمر رسول الله على عمه العباس وكان جهير الصوت أن ينادي بأعلى صوته يا أصحاب الشجرة يعنى شجرة بيعة الرضوان التي بايعه المسلمون من المهاجرين والأنصار تحتها على أن لايفروا عنه فجعل ينادي بهم ياأصحاب السمرة، ويقول تارة يا أصحاب سورة البقرة، فجعلوا يقولون يالبيك يالبيك، وانعطف الناس فتراجعوا إلى رسول الله على حتى أن الرجل منهم إذا لم يطاوعه بعيره على الرجوع لبس درعه، ثم انحدر عنه وأرسله ورجع بنفسه إلى رسول الله على - أن يصدقوا الحملة وأخذ قبضة من تراب بعد مادعا ربه واستنصره وقال: "اللهم أنجز لي ماوعدتني " ثم رمى القوم بها فما بقي إنسان إلا وأصابه منها في عينيه وفمه مااشغله عن القتال، ثم انهزموا فاتبع المسلمون أقفاءهم يقتلون ويأسرون وماتراجع بقية الناس إلا والأسرى مجندلة بين يدي رسول الله - على -"(١).

فهذه المشاهد العظيمة فيها عبر ودروس مستفادة.

" فأولا: نصر الله تعالى المؤمنين، وأنزل عليهم الآمنة والطمأنينة حال النصر وحال الهزيمة.

⁽١) انظر: لابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (٢، ص٥٣٧-٥٣٨).



ثانيا: الإعجاب بالكثرة، والغفلة عن سبب النصر، سببان في الهزيمة في أول المعركة.

ثالثا: حكمة الله تعالى في الهزيمة أولا، ثم الخروج من المعركة بالنصر الحاسم المجلجل.

رابعا: شجاعة الرسول على تجلت في وسط المعركة، وخوضه المعركة مع أصحابه و هو متوكل على ربه يدعوه ويلح في الدعاء " اللهم أنجز لي ماوعدنني"، فهذه مقولة الصادق الصدوق.

خامسا: الرسول الكريم وقد انكشف عنه جيشه وهو على بغلته وينوه باسمه ليعرفه من لم يعرفه وماهذا إلا ثقة في الله وتوكلا عليه، وعلما به أنه سينصره ويتم ماأرسله به ويظهره.

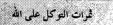
فالله تعالى أنزل السكينة ليثبت القلوب الطائرة القلقة ويهدي الانفعالات الثائرة"(١).

قال تعالى: ﴿ يَآ أَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوۤاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَكَ ۚ فَٱثۡبُتُواْ وَاللّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفُلِحُونَ ﴾ (٢).

المؤمن حريص على لقاء العدو كثيره أو قليله لنيل النصر أو الشهادة، والله تعالى بوعده الذي لايخلفه يمدهم بالثبات، وهذا من عوامل النصر الحقيقية، وهو بدء الطريق إلى النصر، فأثبت الفريقين أغلبهما، ولكن ماترجوه الفئة المؤمنة غير ماترجوه الفئة الأخرى وليعلم من ذلك المؤمنين أن الكثرة لاتنفع وأن الذي أوجب النصر هو الله سبحانه وتعالى، والسكينة المنزلة على قلوب المؤمنين، توجب الأمن

⁽١) انظر: لسيد قطب، في ظلال القرآن، (١٦١٦/٣).

⁽٢) سورة الأنفال، آية: ٤٥.



والطمأنينة، فالإنسان إذا خاف غرو فؤاده تحرك، وإذا آمن سكن، وثبت ، فالآمن موجب للسكون، كناية عن الأمن (١).

فالسكينة الحقيقية مايجعلها الله وقت المفزعات خاصة، وهي من نعم الله العظيمة على العباد حينما تقوى الصلة بين العبد وربه، ويعلم أن غيره لن ينفعه، ولن يضره، فها هي الكثرة لم تغن عنهم شيئا بل أصابتهم بالهم، والغم على رحبها، وسعتها، فيوم حنين هزموا بالكثرة، ونصروا بقوة الله تعالى " فإن التجرد لله، وتوثيق الصلة به هي عدة النصر التي لاتخذل المؤمنين حين تخذلهم الكثرة في العدد والعتاد، وحين يخذلهم المال، والاخوان، والأولاد، فأنزل الله تعالى ذلك الرداء رداء السكينة فألبسها قلوب المؤمنين؛ ليثبت القلوب، ويهدئها، فلايتهاون المرؤ في توثيق صلته بالله تعالى، فمن عجب بنفسه وماله كان له من العقبات الكبيرة في سبيل النجاح، والظفر، وليعلم كل مؤمن فضل الله تعالى عليه وإكرامه"(٢).

قال تعالى: ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِى ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهُ مَعَنَا فَأَنِلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيسَدَهُ بِجُنُودِ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةً وَأَيسَدَهُ بِجُنُودِ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَة ٱللَّهِ هِي ٱلْعُلْيَ وَاللَّهُ عَزِيزُ حَكِيمً ﴿ آلَهُ لِي اللَّهُ عَزِيزُ حَكِيمً ﴾ آلَذي نَ كَفُرُواْ ٱلسُّفْلَى وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِي ٱلْعُلْيَ وَاللَّهُ عَزِيزُ حَكِيمً ﴾ آلَذي نَ كَفُرُواْ ٱلسُّفْلَى وَكِلِمَةُ ٱللَّهِ هِي آلْعُلْيَ الْعُلْيَا وَٱللَّهُ عَزِيزُ حَكِيمً ﴾ آلَذي يَ كُونُونُ اللَّهُ عَزِيزُ حَكِيمً ﴾ آلَهُ الله عَنْ اللَّهُ عَزِيزُ حَكِيمً ﴾ آلَهُ الله عَنْ اللَّهُ عَنْ اللَّهُ عَزِيزُ حَكِيمً ﴾ آلَهُ الله عَنْ اللَّهُ عَنْ اللَّهُ عَنْ اللَّهُ عَزِيزُ حَكِيمً ﴾ آلَهُ اللَّهُ عَلَيْ اللَّهُ عَزِيزُ حَكِيمً ﴾ آلَهُ اللَّهُ عَنْ اللَّهُ عَلَيْ اللَّهُ عَنْ اللَّهُ عَنْ اللَّهُ عَلَيْ اللَّهُ عَلَيْ اللَّهُ عَلَيْ اللَّهُ عَلَيْ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَنْ اللَّهُ عَنْ عَلَيْ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْ اللَّهُ عَلَيْكُ اللَّهُ عَلَيْكُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَنْ اللَّهُ عَلَيْكُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْكُ اللَّهُ عَلَيْكُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْكُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْكُ اللَّهُ عَلَيْكُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَيْكُ عَلَيْكُ عَلَيْكُ اللَّهُ عَلَيْكُ اللَّهُ عَلَيْكُ اللَّهُ عَلَيْكُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْكُ اللَّهُ عَلَيْكُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْكُ اللَّهُ عَلَيْكُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْكُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْكُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ اللللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ

إن خروجه على من بشائر النصر فقد خرج من مكة بأمر من ربه سبحانه فأنزل الله السكينة والطمأنينة عليهما، والتأييد، والصون لرسولنا الكريم على من خلالها يقينا أنه أشد الناس؛ لأنه سيد

⁽۱) انظر: الرازي، مفاتيح الغيب، (٨/١٦-٢٣)؛ ولابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (٢/٥٣٩)؛ ولابن الجوزي، زاد المسير، (٣/٢٤)؛ وللطبري، جامع البيان، (٩٦/٤).

⁽٢) انظر: لسيد قطب، الظلال، (٣/١٦١٩-١٦١٩)؛ للجزائري، أيسر التفاسير، (٢/٥٥٥).

⁽٣) سورة التوبة، آية: ٤٠ .

أولي العزم من الرسل وأشجعهم فحصار بيته في مكة، وخروجه منها بيان من الله لنصرة رسوله وكافيه وصحبه، لنصرة رسوله وكافيه وصحبه، فأنزل السكينة والطمأنينة وبهما سكنت النفس، واطمأنت وذهب الخوف"(١).

وقال تعالى: ﴿ هُو آلَّذِي أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَانَا مَّعَ إِيمَانِهِمُ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ (٢).

وقـال تعالـي : ﴿ لَّقَدُ رَضِي ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَّ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثْنَبَهُمْ فَتُحَا قَرِيبًا ﴾(٢).

وقال تعالى: ﴿إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَهِلَيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ الْجَهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ كَلِمَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيءٍ عَلِيمًا ﴾ (3) عَلَيمًا ﴾ (3) عَلَيمًا ﴾ (4).

وقال تعالى: ﴿ وَقَالَ لَهُم نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايكَ مُلْكِهِ أَن يَأْتِيكُمُ اللّهُ مُلْكِهِ أَن يَأْتِيكُمُ اللّهُ وَاللّهُ مَا تَكْرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَكْرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَارُونَ خَمْ لَهُ الْمَلَيْكَةُ إِنَّ فِي ذَالِكَ لَآيكَ اللّهَ اللّهُ الل

وقال تعالى: ﴿ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِيرِيَ كَفَرُواْ وَذَالِكَ جَزَآءُ ٱلْكَفِرِينَ ﴾ (١).

⁽۱) انظر: لابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (۲/٥٥٩)؛ وللطبري، جامع البيان، ج٤، ص١١؛ ولوهبه الزحيلي، التفسير المنير، (٩-٢١٨/١).

⁽٢) سورة الفتح، آية: ٤.

⁽٣) سورة الفتح، آية: ١٨.

⁽٤) سورة الفتح، آية: ٢٦.

⁽٥) سورة البقرة، آية: ٢٤٨.

⁽٦) سورة التوبة، آية: ٢٦.

وقال تعالى: ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِى ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهُ مَعَنَا فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْه وَأَيْتَدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةً وَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْه وَأَيْتَدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَة ٱللهِ هِي ٱلْعُلْيَ وَكَيْمُ هُوا ٱلسُّفُلَى وَكِيمَهُ ٱللهِ هِي ٱلْعُلْيَ وَٱللَّهُ عَزِيزُ حَكِيمً ﴾ (١).

فهذه الآيات الكريمة السابقة التي ذكرت لفظ (السكينة) قال فيها "ابن القيم (٢) كان شيخ الإسلام ابن تيميه (٣) - رحمه الله تعالى - إذا اشتدت عليه الأمور قرأ آيات السكينة، وسمعته يقول في واقعة عظيمة جرت له في مرضه لما اشتد علي الأمر قلت لأقاربي ومن حولى، اقرأوا آيات السكينة، قال: ثم أقلع عني ذلك الحال وجلست

فمايين قلية "(ث) السكينة هي بيان بمكافأة الله لرسوله والمؤمنين وذلك باليقين والثبات القلوب المتوكلة على ربها وهي تشعر بالأمن والسكينة والثبات إذا إضطرب، وقلقو، ويئسو، وسخطو الناس.

فحالة السكينة والثبات أشبه بعبد هرب إلى مخبأ يأوي إليه مليء بالذخيرة من فقر إلى الله ولجوء، وإنابة، وتوكلا وإستعانة، ويقين يملأ النفس ظاهرا وباطنا.

فهذه السكينة الربانية ماهي إلا تهدئة الفورة، وتخفيف الحمية، واطمئنان القلب لحكم الله، وحكمة رسوله على المهادئة، والملاينة وعن رضى الله عن المبايعين تحت الشجرة، وهذه السكينة ماهي إلا الطمأنينة، والراحة واليقين، والثقة، والوقار، والثبات والاستسلام، والرضى، فهذه جميعها انفعالات تجول في النفس المؤمنة المطمئنة الوقورة الهادئة التي تليق بالمؤمن، وتلازم قلبه المؤمن الموصول

⁽١) سورة التوبة، آية: ٤٠.

⁽٢) سبقت ترجمته، ص ١٥٩.

⁽٣) أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام بن تيميه، تقي الدين، أبو العباس، توفي سنة ٧٢٨هـ. انظر: البدر الطالع، (٦٣/١).

⁽٤) انظر: لابن القيم، مدارج السالكين، (٢٥/٢٥) .



بربه الساكن بهذه الصلة، المطمئن لما فيه من ثقة، المراقب لربه في كل خالجة، وكل حركة، فلايتبطر، ولايطغى، ولايغضب لذاته إنما يغضب لربه ودينه، فإذا أمر أن يسكن ويهدأ خشع وخنع وأطاع في رضى وسكينة (١).

فالله تعالى علم من المؤمنين الصدق، والوفاء، والسمع، والطاعة بعدما الزمهم كلمة لا إله إلا الله فأنزل عليهم الطمأنينة، وأثابهم الفتح الذي أجراه سبحانه على أيديهم من الصلح، وماحصل بعد من الخير الجزيل المستمر المتصل بفتح خيير وفتح مكة، ثم فتح سائر البلاد والأقاليم عليهم، وماحصل لهم من العزة والنصر والرفعة في الدنيا والآخرة (٢).

لقد أوجد الله تعالى وخلق السكينة لتقوية معنويات المؤمنين، فالحرب تظهر عزائم المؤمنين، وقوة إيمانهم، فقد انهزم المسلمون يوم أحد، وقتل من قتل منهم، وتقهقر من تقهقر، وثبت من ثبت، وقد مدح الله تعالى من ثبت، وصابر، وصبر فهؤلاء لم يضعفوا، ولم يستكينوا لما أصابهم فأثابهم الله تعالى بالنصر والظفر والتمكين، وجمع لهم ذلك.

قال تعالى: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِي قَلْتَلَ مَعَهُ وَبِيَّوُنَ كَثِيرُ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسْتَكَانُواْ وَٱللَّهُ يُحِبُ ٱلصَّابِرِينَ فَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَن قَالُواْ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَن قَالُواْ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتُ أَقَدَامَنَا وَأَنصُرُنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَفِرِينَ ﴿ اللَّهُ اللَّلْ

إن طاعة الرحمن تتطلب وتقتضي إيمانا راسخا كالجبال الراسيات فامتثال الأوامر فيه الخير الوفير إن عاجلا أو آجلا في الدنيا والآخرة معا.

⁽١) انظر: لسيد قطب، في ظلال القرآن، (١/٣٣١٩-٣٣١).

⁽٢) انظر: لابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (٢٩٣/٤-٢٩٨)؛ وللرازي مفاتيح الغيب...ب، (١٥-٥٠) ابن الجوزي، زاد المسير، (٢/٤١-٤٤١).

⁽٣) سورة آل عمران، آية: ١٤٦-١٤٧.



فالسكينة والثبات من ثمرات التوكل على الله فهما من علامات اليقين والثقة برب العالمين، ودليل كمال الإيمان وحسن التوكل، ويفضيان إلى الرضا بما قسم الله وهما من صفات العلماء والأولياء ومن كان على أثرهم سيكون في زمرتهم وصحبتهم.

فديدن أصحاب رسول الله على السابق واللاحق وبين الحينة والحين يذكرنا الله تعالى ويذكر المؤمنين، بما أمتن عليهم من فضله في يوم بدر فقد كان النعاس أمانا لهم، آمنهم به من خوفهم الذي حصل لهم فقد ربط تعالى على قلوب المؤمنين بالصبر والإقدام على مجالدة الأعداء وتثبيت الأقدام من الفرار ومعية الله بالإعانة والنصر والتأييد، فهذه القوة الإيمانية، والتعلق بحبل الله، والتوكل عليه فهو سبحانه الرافع المعز الناصر فكل من عمل بأمره سبحانه ورسوله، وترك مانهاه عنه ورسوله سيكافا بما هو أهل له، فكل من زاد إيمانه زاد تصديقه ويقينه، وسكينته وثباته وكان جزاؤه الجنة.

قَال تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَن ٱقْتُلُوٓ أَنفُسَكُمْ أَو ٱخْرُجُواْ مِن دِينرِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمُ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِ عَلَى اللَّهُمْ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِ عَلَى اللَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثَبِيتًا ﴾ (١).

⁽١) سورة النساء، آية: ٦٦ .



المبحث الثالث الأمل والرجاء

المؤمنون ليسوا على درجة واحدة في معرفة أسماء وصفات الله تعالى كما أشرنا إلى ذلك؛ ولهذا تتفاوت درجات إيمانهم؛ ولذلك فإن المؤمنين المهتدين يؤمنون بأسماء الله وصفاته فيدعون الله بأسمائه، ويصفونه بصفاته غير مشبهين صفاته بصفات المخلوقين، والموولين، والمعطلين، مع الاعتقاد الجازم بأن الله ليس كمثله شيء، قال تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثَّلِهِ عَشَى مُ وَهُو السّمِيعُ البّمِيرُ ﴾ (١).

والقرآن العظيم عرض كثيرا من صفات أهل الإيمان، وتحدثت آياته عن أهمها، ودعت المؤمنين للاتصاف بها حتى يعيشوا حياة إيمانية مباركة، والإيمان والعمل بها يكسب صاحبها نفعا عاما مجزيا ويمنحه مكاسب ضخمة، وأرباحا في الدنيا والآخرة.

إن الإيمان والعمل بالتوكل الصحيح ينفع صاحبه نفعا ملحوظا في عالم الفضائل والقيم والأخلاق وفي عالم السعي والحركة والعمل والحياة ... فمن هذه المكاسب والثمر ات الأمل والرجاء، والرجاء المقصود هنا بمعنى " الاستبشار بجود وفضل الرب تبارك وتعالى والارتياح لمطالعة كرمه سبحانه، وقيل هو النظر إلى سعة رحمة الله"(٢).

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِيرَ عَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَلَهَدُواْ فِي سَبِيلِ اللهِ أُوْلَتِيكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللهِ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (١). فالرجاء تغلغل في قلوبهم بعد توكلهم على الله وملاهم الأمل في النجاة.

إن المؤمنين المهاجرين "فارقوا أوطائهم وعشائرهم ويطمعون في تسواب الله فهموا يتوقعونه، ويرجونه، والله تعالى يحقق لهم رجاءهم

⁽١) سورة الشورى، آية: ١١.

⁽٢) انظر: ابن القيم، مدارج السالكين، (٣٧/٢).

⁽٣) سورة البقرة، آية: ٢١٨.

إذا ماتوا على الإيمان والعمل الصالح"(١).

فالمؤمنون المهاجرون المجاهدون صدقوا الله ورسوله، وفارقوا الأهل والأوطان وتركوا مساكنة المشركين في ديارهم، وكرهوا سلطان المشركين، فهاجروا توكلا على الله وخوفا من الفتنة في الدين، والإعلاء كلمة الله ونصرة دينه، فهاجروا في سبيل الله، ولحقوا بالنبي علمه الدين، والإعلاء كلمة الله وأولئك مم الكمل، فالله يجازيهم أحسن الجزاء؛ الأنهم قد استقرغوا مافي وسعهم، وبذلوا غاية جهدهم، ولم يدخروا وسيلة فيها مرضاة لربهم إلا وفعلوها، فحق لهم أن ينالوا الفوز والفلاح والسعادة، والله تعالى واسع المغفرة للتانبين المستغفرين، عظيم بالمؤمنين يحقق لهم رجاءهم إن شاء بعميم فضله وعظيم طوله، قال قتادة (٢٠): "هؤلاء خيار هذه الأمة، قد جعلهم الله أهل رجاء، ومن رجا طلب، ومن خاف هرب (٢٠).

فهذه الهجرة العظيمة في أسبابها العظيمة وفي نتائجها أصحابها رضي الله عنهم منعوتون بنعوت جليلة لهم مايرجونه من الفوز المتفضل به الله تعالى عليهم (٤).

"فكل من هاجر فرارا بدينه لإقامته نال من الله تعالى رجاءه وأمله وذلك؛ لأنه خرج مهاجرا مؤمنا مجاهدا فاجتماع الأوصاف الثلاثة كفيلة بإذن الله تعالى لحصول، وترقب الخير، وكذلك تغليب ظن حصوله، فإن وعد الله وإن كان لايخلف فضلا منه وصدقا، ولكن الخواتم مجهولة ومصادفة العمل المراد لله قد تفوت لموانع لايدريها المكلف ولئلا يتكل في الاعتماد على العمل"(6).

⁽١) انظر: الرازي، مفاتيح الغيب، (١/٦-٤٢).

⁽٢) أبو طالب، قتادة ابن دعامة السدوسي الأكمه، توفي سنة ١١٧هـ انظـر: سير أعـلام النبلاء، للذهبي، (٩/٥).

⁽٣) انظر: للمراغي، تفسيره، (١٣٧/١).

⁽٤) انظر: الأبوالسعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، (١/٥٥١).

⁽٥) انظر: لابن عاشور، التحرير والتنوير، (٢/٣٣٧–٣٣٨).

فالمؤمن دفعه أمله ورجاؤه بالله تعالى إلى خوض المعارك، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَهِنُواْ فِي ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ إِن تَكُونُواْ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلُمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ (١).

فالآية تتضمن معنى واضح ألا وهو" لاتضعفوا في طلب القوم، ولاتتوجعوا فإنكم إن تكونوا تتوجعون فإنهم يتوجعون كما تتوجعون، ويرجون من الأجر والثواب مالايرجون"(٢).

وفي هذه اللحظة تتداخل المشاعر في القلوب ويحتاج القلب إلى زاد فيأتي التوكل على الله فيشع ويعلو القلوب بالأمل والرجاء في الله تعالى فيترقب المؤمنون ويتجهون لله تعالى فينهى الله المؤمنين عن الضعف والتوجع؛ لأن المشركين بالمقابل يتوجعون ويريدون إنزال الهزيمة بالمؤمنين مع تألمهم، ويرجون النصر، والمؤمنون كذلك يرجونه، فالله تعالى هنا يشحذ همم المؤمنين بتشجيعهم على مواصلة الجهاد، والجلد، والصبر على مقاتلة العدو، والله تعالى عليم بالأحوال التي صاروا إليها، والظروف الملابسة، ولكنه سبحانه حكيم في شرعه بالأمر والنهي يطمئنهم على حسن العاقبة لهم بالنصر على أعدائهم.

فمن هنا نرى أن العمل مشترك بين المؤمن، والكافر فالكل يعمل ويرجو ويأمل، ولكن المؤمن يبتغي بعمله والرياء والسمعة.

إن حصول الألم قدر مشترك بين الفئتين، فلما لم يصر خوف الألم مانعا للفئة الباغية الكافرة من قتالكم، فكيف يصير مانعا للفئة المؤمنة عن قتالهم، فالله تعالى يزيد في تقرير الحجة ويعلم المؤمنين بأولويتهم بالمصابرة على القتال من المشركين؛ لأن المؤمنين مقرون بالثواب والعقاب والحشر والنشر، والمشركين لايقرون بذلك، فإذا كانوا مع إنكارهم الحشر والنشر يجدون في القتال، فالمؤمنون

⁽١) سورة النساء، آية: ١٠٤.

⁽٢) انظر: للسيوطي عن قتادة، الدر المنثور، (٦٦٨/٢)... ومابعدها.

مع ذلك أولى بأن يكونوا مجدين في هذا الجهاد الذي في فعلمه الثواب العظيم، وفي تركه العقاب وهذا المراد من قوله: ﴿ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ﴾ والله تعالى لايكلف المؤمنين شيئا، ولايأمرهم ولاينهاهم إلا بما هو سبب لصلاح الدنيا والدين (١).

"بهذا التصوير يفترق طريقان، ويبرز منهجان، ويصغر كل ألم، وتهون كل مشقة، ولايبقى مجال للشعور بالضنى، وبالكلل ... فالآخرون كذلك يالمون، ولكنهم يرجون من الله مالاترجون، ... فالمؤمنون يتحملون الألم وليسوا وحدهم الذين يتحملونه ولكن شئان بين هؤلاء وهؤلاء، فالمؤمنون يتوجهون إلى الله بجهادهم ويرتقبون، ويأملون عنده جزائهم، والكفار ضائعون لايرتقبون، ولايأملون شيئا، وإن مرت على الجماعة المؤمنة فترة من المهاتفات النفسية اليائسة، ولكن القاعدة لاتتغير فالباطل لايكون بعافية أبدا، حتى ولوكان غالبا فإنه يلاقي الآلام من داخله، ولكن العزاء العميق للجماعة المؤمنة هو {وترجون من الله مالايرجون} وهذا هو مفرق الطريق"(۲).

" إن المؤمنين المخلصين يعلمون أن الدنيا مزرعة الآخرة، والقلب كالأرض، والإيمان كالبذر فيه، والطاعات جارية مجرى تنقية الأرض وتطهيرها، ومجرى مفر الأنهار، ومساقي الماء إليها"(").

وقال تعالى: ﴿ مَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَأَتِّ وَهُوَ السَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ (').

 ⁽۱) انظر: للرازي، مفاتيح الغيب، مج (۱۱–۱۲/۱۳–۳۲).

⁽٢) انظر: نسيد قطب، (٢/٣٩٧-٧٥٠).

⁽٣) انظر: المقدسي، مختصر منهاج القاصدين، ص٢٩٧.

 ⁽٤) سورة العنكبوت، آية: ٥.

فالمعنى "من كان يطمع في ثواب الله فإن وعد الله من الثواب والعقاب لكائن، فمن يخشى الله أو يأمله فليستعد له وليعمل لذلك اليوم "(١) الذي يكون فيه الله تعالى غنى عن جميع خلقه، له الملك والخلق والأمر.

" فهذه بشارة من الله تعالى لكل محب مشتاق لقرب ربه، ولقائه، المسارع في مرضاته، ليبشر بقرب لقاء الحبيب، فإنه آت، وكل ماهو آت، قريب. فينبغي التزود للقاء الله، والسير نحوه، مستصحبين الرجاء، ومؤملين الوصول إليه، ولنعلم أن ماكل ماندعوا به سيعطى لنا، ولا كل مانتمناه، ولكن نؤمن أن الله تعالى مع الصادق يعطيه مايرجو، والكاذب لاتنفع دعواه"().

إن المؤمن الحق هو الصادق، وهو من يتأمل الخير، وينتظر وقوعه من شدة قربه بالله وإحساسه بسعة رحمة الله، والاستبشار بجود وفضل الله تعالى.

فيعمل العبد ويقرن أعماله بالتوكل على الله ويسعى لمرضاة ربه ومرضاة رسوله، فعمل الإنسان وعبادته لاتكفي لحصول النتائج بل الله صاحب القدرة والمشيئة في كل الأمور ولكن مع هذا يظل العبد المؤمن يتوكل على الله وحده لتحقيق المراد والمصاير وقبول الأمر بأمل ورجاء في الله تعالى.

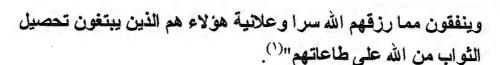
قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتَلُونَ كِتَـٰبَ ٱللَّهَ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مَمَّا رَزَقُننَهُمْ سِرَّا وَعَلَانِيَةَ يِرْجُونَ تِجَارِةً لَّن تَبُورَ ۚ ﴿ لِيُوفِيّهُمْ لَهُ وَنَاهُمُ وَيُزِيدَهُم مِّن فَضَلِهِ ۚ إِنَّهُ وَعَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ (٢).

" الآية خاصة فيمن قرأ القرآن وأقام الصلاة فهي آية القراء العالمين بكتاب الله العاملين بما فيه، الذين يقيمون صلاة الفرض والنفل،

⁽١) انظر: للبغوي، معالم التنزيل، (٣٦٥/٤).

⁽٢) انظر: للسعدي، تيسير الكريم الرحمن...، (٢/٤).

 ⁽٣) سورة فاطر، آية: ٢٩-٣٠.



الأية خاصة ولكنها من الخاص الذي يطلق على العام بمعنى تلاوته عن تدبر وإدر الك وتأثر وإلى عمل وسلوك، فالمؤمن هو من يقيم أعماله جميعها بكمال شرائطها ويطلبون بها وجه الله حتى يوفيهم سبحانه ثواب ماعمله، ويضاعف له بزيادات لم تخطر له، غفور للذنب، شكور للطاعة، وللقليل من الأعمال.

قال تعالى: ﴿ أُمَّنُ هُوَ قَانِتُ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآمِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهُ عَلَ هَلَ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ وَالَّالِينَ لَا يَعْلَمُونَ وَالَّالِينَ لَا يَعْلَمُونَ وَالَّالِينَ لَا يَعْلَمُونَ وَالَّالِينَ لَا يَعْلَمُونَ وَاللَّالِينَ لَا يَعْلَمُونَ وَاللَّهُ وَلَوْلُواْ ٱلْأَلْبِينَ لِا يَعْلَمُونَ وَاللَّالِينَ لَا يَعْلَمُونَ وَاللَّهُ وَلَوْلُواْ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللْعُلِيْ اللْمُلْعُلِمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللْمُلْعُلُولُ اللَّهُ ا

الآية تصف وتصور قلب المؤمن الخائف الوجل الذي يذكر الله و لاينساه في السراء و لا في الضراء، الذي يعيش حياته في الأرض وفي حذر من الآخرة، وفي تطلع إلى رحمة ربه، وفضله فالمؤمن يتقي ويحسن العمل، ويبذل الطاقة في العمل، وبهذا فهو لايستوي مع من لايعمل و لايحسن.

فالآية تدل على المطيع شه ورسوله، وفي نفس الوقت يحذر عذاب الآخرة، ويسأل الله تعالى أن يقيه منه، ويرجو رحمة ربه، ويأتي على محاب الله تقربا إليه، وعلى ترك مكارهه تحسبا إليه فهذا لايستوي مع الذي يعمل مايحب ومايكره فهو يتخبط في الضلال تخبط الجاهل(٣).

والآية مقابلة بين العامل بطاعة الله وغيره، فهذه من الأمور التي تقرر في العقول، تباينها، وعلم يقينا تفاوتها، فالعامل بطاعة الله يؤثر العمل الأعلى على الأدني، ويؤثر العلم على الجهل، وطاعة الله على مخالفته؛ لأن له عقلا يرشده للنظر في العواقب، بخلاف من لا لب له، ولاعقل، فإنه يتخذ إلهه هواه (3).

⁽١) انظر: للبغوي، معالم التنزيل، (٢٥/٤).

 ⁽۲) سورة الزمر، آية: ٩.

⁽٣) انظر: للطبري، جامع البيان، (٣٧٣٦).

⁽٤) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، (٢٩٥/٤).



كذلك الآية تدل على أن المداومة على العمل الصالح والطاعة الخاصة إذا كان بعيدا عن الرياء، وأيا كان العمل، وبأي شكل، وبأي صنف هو المعول عليه وهو الركيزة الأساسية في الأجر والثواب.

كذلك الآية "دالة على أسرار عجيبة، فأولها: أن الآية بدأت بذكر العمل. وثانيها: أن الآية ختمت بذكر العمل، أما العمل فكونه قانتا قائما، والعلم فقوله {هل يستوي الذين يعلمون والذين لايعلمون} فهذا يدل على أن كمال الإسان محصور في هذين المقصودين فالعمل هو البداية والعلم والمكاشفة هي النهاية"(١).

وقال تعالى: ﴿ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمُرًا فَصَبَرُ جَمِيلٌ عَسَى اللهُ أَن يَأْتِينِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ (٢).

فهذا ماكان من أمل ورجاء يعقوب ابن إسحاق عليهما السلام؛ لأنه علم بأن الله حكيم في تدبيره خلقه وماقال كلمته ﴿ إنَّهُ مُو اللَّعْلِيمُ اللَّهِ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْهُ مَو اقع ابنيه المتفرقة، حكيم قادر على الرجانه من الله بأن الله عليم فلا تخفى عليه مواقع ابنيه المتفرقة، حكيم قادر على إيجاد أسباب جمعهم بعد التفرق (٣).

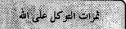
فالمرء مهما طال عليه الحزن والضيق والبلاء، فليعلم أن الله سيجعل له فرجا ومخرجا عن قريب " فهذا يعقوب طال حزنه وبلاؤه، ومحنته فعلم أن الله سيجعل له فرجا ومخرجا فقال ﴿ عَسَى اللّهُ أَن يَأْتِينِي بِهِمْ جَمِيعًا انّهُ وهُو الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾ قال ذلك على سبيل الأمل وحسن الظن برحمة الله) أن فلم يتسرب الياس من رحمة ربه لحظة ولحدة إلى قلبه، ولكن الأبوة الموجعة (وراءها أمل في الله أن يرد عليه ولديه بما فيهم كبيرهم الذي أقسم ألا يبرح حتى يحكم الله وإنه لأمل عجيب في ذلك القلب الوجيع ﴿ قَالَ بَلْ سَوَّلَتُ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا الله وإنه لأمل عجيب في ذلك القلب الوجيع ﴿ قَالَ بَلْ سَوَّلَتُ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا

⁽١) انظر: للرازي، مفاتيح الغيب، مج ١٣-١٤، (٢٥٠/٢٦).

⁽٢) سورة يوسف، آية: ٨٣.

⁽٣) انظر: لابن عاشور، التحرير والتنوير، ح١٣-١٤-١٥، (١/١٣).

⁽٤) انظر: للرازي، مفاتيح الغيب، مج٩، (١٩٦/١٨-١١) .



فَصَبُرُّ جَمِيلٌ فَي كلمته ذاتها يوم فقد يوسف، ولكنه في هذه المرة يضيف إليها هذا الأمل أن يرد الله عليه يوسف وأخاه فيرد ابنه الآخر المتخلف هناك هذا الأمل أن يرد الله عليه يوسف وأخاه فيرد ابنه الآخر المتخلف هناك هناك هنا أعراد من الدي يعلم حاله، ويعلم ماوراء هذه الأحداث، والأمتحانات، ويأتي بكل أمر في وقته المناسب، عندما تتحقق حكمته في ترتيب الأسباب والنتائج، هذا الشعاع من أين جاء إلى قلب هذا الرجل الشيخ؟ إنه الرجاء في الله، والاتصال الوثيق به، والشعور بوجوده ورحمته، ذلك الشعور الذي يتجلى في قلوب الصفوة المختارة، فيصبح عندها أصدق وأعمق من الواقع المحسوس الذي تلمسه الأيدي وتراه الأبصار "(۱).

وقال تعالى: ﴿ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي ٱلسَّمَاوَات وَٱلْأَرْضُ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّنَ عَلَىٰ بَعْضَ وَءَاتَيْنَا دَاوُردَ زَبُورًا ﴿ قُلُ آدْعُواْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّنَ عَلَىٰ بَعْضَ وَءَاتَيْنَا دَاوُردَ زَبُورًا ﴿ قُلُ الْمُعْوِلَ اللَّهُ مِن دُونِهِ عَلَا يَمْلِكُونَ كَشَفَ ٱلضَّرِ عَنكُم وَلَا يَمْلِكُونَ وَعَمْتُهُ مِن دُونِهِ عَنكُم وَلَا يَمْلِكُونَ كَشَفَ ٱلضَّرِ عَنكُم وَلَا يَحْوِيلًا ﴿ فَي أُولَئِكَ ٱلنَّهُ مَ اللَّهُ مِن دُونِهِ وَيَخَافُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ اللَّهُمُ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتُهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ وَإِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ عَذَابَهُ وَلِي عَذَابَهُ وَإِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ عَذَابَهُ وَإِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ عَذَابَهُ وَإِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ عَذُورًا ﴿ فَي مُرَالِكُونَ وَحْمَتُهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ وَإِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ عَذُورًا ﴿ اللَّهُ اللْهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الْمُؤْلِقُ اللَّهُ الْمُعَلِّمُ اللَّهُ اللْهُ اللَّهُ اللَهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَه

كل من يرجو ويأمل في غير الله فان يجديه ذلك نفعا؛ لأن من تدعوه وترجوه إذا امتلك صفات القدرة ودفع الضر فهو أحق بالعبادة، وإذا كان غير ذلك، فهو لايستحق حتى شيئا يسيرا، فالمؤمن يرجو بفعله الطاعة رحمة ربه، ويخاف بمخالفة ربه أمر عذابه.

فالآية حجة على من يعبد غير الله فإن من يعبدونهم يتنافسون على التقرب إلى الله، وعاجزون عن أن يملكوا الضر أو النفع فالواجب توجه القلوب إلى الله ومحض العبادة له(٣).

⁽١) انظر: لسيد قطب، في ظلال القرآن، (٢٠٢٥/٤).

⁽٢) سورة الإسراء، آية: ٥٥-٥٧.

⁽٣) انظر: للرازي، مفاتيح الغيب، مج١٠ (١٩١-٢٣٤/١٠).



فالرجاء ثمرة التوكل على الله لأن في الرجاء طلب الإعانة من الله لأن حقيقة التوكل على الله الياس مما عند غير الله والاعتماد والركون إلى الخالق المعطى سبحانه وتعالى والأعمال كلها سواء كانت قلبية أو عملية يتفرع منها التوكل على الله. فالعبادة لاتتم إلا بالخوف والرجاء، فبالخوف يبتعد الإنسان عن المعاصي، وبالرجاء يكثر من الطاعات، ولنا في يبتعد الإنسان عن المعاصي، وبالرجاء يكثر من الطاعات، ولنا في رسولنا عن المعاصي النسوة الحسنة في تحليه بالأمل والرجاء والخوف من الله تعالى فكان على من الله وأرجاهم إلى الله وأكثرهم أملا بالله.

قال تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسُوةً حَسَنَةً لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾(١).

فالرسول على الطريق العملي التحقق من مدى الكمال الإيماني، والطريق التأسي الكامل به عليه الصلاة والسلام في أقواله، وأفعاله، وأحواله هو الرجاء (٢).

فعلى المحبة الإيمانية بالله تعالى وبقوتها يكون الأمل والرجاء لأنهما من الأسباب التي ينال بها العبد ماير جوه من خالقه بل هما من أقوى الأسباب.

فالراجي علق رجاءه بتصرفه المحبوب والمرضي له، والعبد يسعى لتحصيل وتحقيق مايرغب، والرب تبارك وتعالى يعين ويعطي (٣).

سورة الأحزاب، آية: ٢١.

⁽٢) انظر: لسعيد حوى، الأساس في التفسير، (٨/٦٠٤).

⁽٣) انظر: لابن القيم، مدارج السالكين، (٢/٤٤-٤٦).

" فعن أنس — ان النبي — الله على شاب وهو في الموت فقال: "كيف تجدك؟" قال: والله يارسول الله إنبي أرجو الله وإنبي أذاف ذنوبي، فقال رسول الله — الايجتمعان في قلب عبد في مثل هذا الموطن إلا أعطاه الله مايرجو وآمنــه مما يخاف

فلو تأملنا حالة العبد عند نزول النازلة عليه، فيدعو الله و لايرى أشرا للإجابة فيقارب اليأس إلى قلبه، فإن كان راضيا بالأقدار فالغالب تعجيل الإصابة بالإجابة في فيقارب اليأس إلى قلبه، فإن كان راضيا بالأقدار فالغالب تعجيل الإصابة بالإجابة وأن هذا يهزم الشيطان، وقد أشير إلى هذا في قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُ مَتَىٰ نَصَّرُ ٱللَّهِ ﴾(٢)، فينبغي لكل عاقل أن يلازم باب مولاه وسيده على كل حال، وأن يتعلق بفضله، وليجتهد في العمل و لاينبغي لمخلوق مؤمن أن يتوكل على الله أو يتسبب، أو يتفكر إلا في طاعة الله تعالى، وامتثال لأمره، فإن ذلك سبب لمفتاح الأمل، وفتح كل مرتجى، وينبغي أن يعلم العبد المؤمن أن الله عز وجل كافيه، فلايعلق قلبه على الأسباب ويعول عليها فقط.

"عن ابن عباس رضي الله عنها قال: كنت خلف النبي — الله يوما فقال: "ياغلام إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظ ك، احفظ الله تجمه تجاهك، إذا سألت فسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف "(").

⁽١) الترمذي (٩٨٣) وقال: هذا حديث حسن غريب، وقال النووي إسناد جيد.

⁽٢) سورة البقرة، آية: ٢١٤.

⁽٣) الترمذي (٢٥١٦) واللفظ له، وقال: حديث حسن صحيح ، وأحمد في المسند (٢٨٠٤) وقلل شاكر: إسناده صحيح .

وقال تعالى: ﴿ وَمَن يَتُوَكَّلُ عَلَى ٱللّهِ فَهُوَ حَسّبُهُو ﴾ (١)، فالله كالله الجميع مايهمهم في جميع أمورهم، والله تعالى يريد من عبده المؤمن تكميل مراتب العبودية من الذل، والانكسار، والتوكل، والاستعانة، والرضى، والإنابة له، والأمل والرجاء وفيهما من الانتظار والترقب لفضل الله مايوجب التعلق بذكره والعمل على طاعته، ورضاه فالله يحب من عباده أن يؤملوه ويرجوه ويسألوه من فضله سبحانه بعد توكلهم عليه.

⁽١) سورة الطلاق، آية: ٣.

المبحث الرابع

محية الله تعالى ودخول الجنة بلا حساب

إن تحقيق التوكل على الله يحقق للمتوكل محبته سبحانه فأي منزلة هذه التي يحب الله فيها المتوكلين عليه فيقضي للعبد مايريده ويسبغ عليه نعمه ظاهرة وباطنه فهو إمرؤ يمشي على الأرض ويحبه الله تعالى فحرى بالعبد المؤمن أن يحرص على الله ولايترك هذه الخلة التي يحبها الله ويحب أهلها، وهي الصفة التي تميز المؤمنين عن غيرهم.

قال تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمُّ وَلَوْ كُنتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لِاَ نَفَضُواْ مِنْ حَوْلِكُ فَٱعْفَى عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرُهُمْ فِلَا اللَّهِ إِنَّ ٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ (١). فِي ٱلْأَمْرُ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلِينَ ﴾ (١).

فمحبّ الله تعالى للعبد يتنافس فيها المتنافسون وهي روح الإيمان والأعمال (٢). فإذا حصلت محبة الله للعبد يصير القلب منشغلابه ومسدد الظاهر والباطن ومحبا للقاء الله، فهذه الثمرة لايقطفها إلا من بذلوا نفوسهم للوصول إلى مايرضي محبوبهم وذلك بالإخلاص واللزوم والدوام إلى الميل إلى طاعة الله ورسوله على .

وإذا أحب الله عبدا سخره لعمل الطاعات كما في الحديث القدسي "... ولايزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشى عليها، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيننه"(").

⁽١) سورة آل عمران، آية ١٥٩.

⁽۲) انظر: ابن القیم، مدارج السالکین، (7/7-7).

⁽٣) البخاري، ح(٢٥٠٢) باب في التواضع.

فعرف المؤمن الأولون ذلك فحرصوا على تحقيق هذه المحبة وعملوا في إطار ذلك فأولى بالمؤمن أن يشمر لذلك ليحوز على شرف الدنيا والآخرة.

وفي الآخرة تكون الجائزة العظيمة والفوز الكبير بدخول الجنة. قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشُوهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانَا وَقَالُواْ حَسَّبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿ فَأَنقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِن اللّهِ وَفَضْلِ اللّهِ وَفَضْلِ اللّهِ وَفَضْلِ اللّهِ وَقَصْلِ اللّهِ وَاللّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمِ ﴿ اللّهُ وَاللّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿ اللّهُ وَاللّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿ اللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ ذُو فَضَلٍ عَظِيمٍ ﴿ اللّهُ وَاللّهُ وَقَالُوا وَاللّهُ وَالْمُولِقُولُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَالْمُولُولُولُ وَلَا اللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَلّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَلَا لَهُ وَلّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَلَا لَا اللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَلّهُ وَلّهُ اللّهُ وَلَا لَا الللّهُ وَلَا لَا الللّهُ و

وجعل الرسول الكريم على جزاء المتوكل على ربه الجنة "يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفا بغير حساب قالوا ومن هم يارسول الله قال: "هم الذين لايكتوون ولايسترقون، وعلى ربهم يتوكلون" فقام عكاشة فقال: ادع الله أن يجعلني منهم قال: أنت منهم، فقام رجل فقال: ادع الله لي يارسول الله فقال سبقك بها عكاشة"(٢).

وهذا الجزاء لكمال تحقيق التوكل على الله سبحانه، ولايستحق هذا الجزاء إلا العبد الصادق الكامل في عقيدته، وسعادة المؤمنين المتوكلين لاتعادلها سعادة عندنا يدخلون الجنة بغير حساب لأنهم قد طابت أعمالهم وأقوالهم وعقائدهم.

سورة آل عمران، الآية ١٧٣-١٧٤.

⁽۲) سبق تخریجه، ص۱۸۱.



الهبحث الخامس الرضا والصبر

الرضا والصبر أمران متلازمان، فالرضا ارتفاع الجزع في أي حكم كان وهو طيب نفسي للإنسان بما يصيبه، أو يفوته مع عدم التغير.

والصبر قوة مقاومة الأحوال والآلام الحسية، والعقلية ـ وهو حبس النفس عن الجزع والتسخط وحبس اللسان عن الشكوى، وحبس الجوارح عن التشويش⁽¹⁾.

والرضا والصبر من ثمار التوكل على الله فهما يجنبان المؤمن الأزمات النفسية والجسدية؛ لأن التوكل على الله فيه عدة، وقوة معنوية ونفسية، والإنسان تمر في حياته اليومية الكثير من المصائب، والشدائد، وخذلان المخلوقين له وإن استسلم لها المؤمن لأصبح في كآبة وضعف، وخور، وهوان، ولكن المخرج منها هو التسليم لأمر الله والرضا والصبر بما قدره الله عز وجل، فهما أمران شرعيان من أسس الإسلام، وقواعده، فالمؤمن يعمل ويكد ويلازم عمله الصبر إلى أن يفرغ منه.

قال تعالى: ﴿ نِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَمِلِينَ ﴿ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ اللَّهِمْ اللَّهِمْ اللَّهُ الللَّهُ اللَّا اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ

نعم جزاء العاملين بطاعة الله والصابرين على أذى المشركين في الدنيا، غرف يثويهما الله فيها، على ماكانوا يلقون من أذى المشركين، وعلى العمل بطاعة الله، وما يرضيه، وجهاد أعدائه، {وعلى ربهم يتوكلون} في أرزاقهم، وجهاد أعدائهم، فلا ينكلون عنهم ثقة منهم بأن الله معل كلمته، وموهن كيد الكافرين، وأن ماقسم لهم من الرزق فلن يفوتهم "أ.

⁽١) انظر: للجرجاني، التعريفات، ص ١١١؛ وللمناوي التوقيفات، ص ١٧٨، ٢١٢.

⁽٢) سورة العنكبوت، آية: ٥٨-٥٩.

⁽٣) انظر: الطبري، جامع البيان، (٨٥/٦).



وهناك معنى آخر للآية تدل عليه وهو "أن صبرهم على عبادة الله، يقتضي بذل الجهد والطاقة في ذلك، والمحاربة العظيمة للشيطان، الذي يدعوهم إلى الإخلال بشيء من ذلك، وتوكلهم يقتضي شدة اعتمادهم على الله، وحسن ظنهم به، أن يحقق ماعزموا عليه من الأعمال، ويكملها، ونص على التوكل وإن كان داخلا في الصبر؛ لأنه يحتاج إليه في كل فعل وترك، مأمور به، ولايتم إلا به "(1).

فتبارك الرحمن الذي تكفل بالأرزاق لكل من القوي والعاجز، فالآية دليل على التزام الصبر حتى تمام العمل المراد على أكمل وجه.

قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشُرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهُ وَٱللَّهُ رَءُوفُ إِبَالْعِبَادِ ﴾ (٢).

فيستلزم من الآية ابتغاء مرضاة الله في كل عمل فالمؤمن، يبيع نفسه كلها لله لايرجو من وراء آدائه وبيعه غاية إلا مرضاة الله قال: "أكثر المفسرين: نزلت هذه الآية في صهيب ابن سنان الرومي حين أخذه المشركون في رهط من المؤمنيان فعذبوهم، فقال لهم صهيب: إني شيخ كبير، لايضركم أمنكم كنت أم من غيركم، فهل لكم أن تأخذوا مالي وتذروني وديني، ففعلوا، وكان شرط عليهم راحلة، ونفقة، فأقام بمكة ماشاء الله ثم خرج إلى المدينة فتلقاه أبوبكر وعمر في رجال، فقال له أبوبكر: ربح بيعك ياأبا يحيى، فقال له صهيب: وبيعك، فلاتتحسر، قال صهيب: ماذا لي؟ فقال: قد أنزل الله فيك، وقرأ هذه الآية"()).

السعدي، تيسير الكريم الرحمن...، (٦٨/٤) .

⁽٢) سورة البقرة، آية: ٢٠٧.

⁽٣) البغوي، معالم التنزيل، (٢٦٧/١).



فالآية الكريمة ترسم صورة نموذج من الناس، ومن النفس المؤمنة التي خرجت تاركة كل شيء وراءها طالبة، وجه ربها الكريم متوكلة عليه مستعينة به، وإذا بالشر يدفع، والخير يهبط من السماء العلية، فالمؤمن يرضى ويصبر لما قدره الله تعالى عليه من خير أو شر، فإن قدر له الشر فهو أمر على خلاف مراده ومحبته وهذا كمن يعمل ويظن أنه لم يكسب من عمله شيئا.

وإن قدر له الخير فهو أمر جاء على مراد العبد محبته، وهذا كمن يعمل، ويحصل على مراده ومبتغاه من عمله.

فالرضا ثمرة من شجر التوكل "فمن وكل أموره إلى الله، ورضى بما يقضيه له فقد حقق التوكل، ولذلك كان الحسن (١) والفضيل (٢) وغير هما يفسرون التوكل على الله بالرضا.

قال ابن أبي الدنيا("): بلغني عن بعض الحكماء قال: التوكل على ثلاث درجات: أولها: ترك الشكاية. والثانية: الرضا. والثالثة: المحبة بترك الشكاية.

ودرجة الصبر والرضا سكون القلب بما قسم الله له، وهي أرفع من الأولى، والمحبة أن يكون حبه لما يصنع الله به "(1).

فلايعتقد المؤمن أن عمله في الدنيا هباءا ولو للحظة، ولكن إن أنعمه الله تعالى وشكر وحمد فهو الخير كله وإن قدر عليه رزقه وشكر وحمد فهو الخير كله وهذا مصداق لقول رسولنا الكريم - المساعة عليه الحديث المروي (عن صحيب

⁽۱) الحسن بن أحمد بن أبي شعيب أبومسلم الحراني، مات سنة ٢٥٠هــ؛ أو الحسن بن خلف ابن شاذان الواسطي، مات سنة ٢٤٢هــ، انظر: تهذيب التهذيب، (٢٣٧/٢، ص٢٠٤٢).

⁽۲) فضيل بن عبدالوهاب بن إبراهيم الغطفاني أبومحمد القناد، انظر: تهذيب التهذيب، (۲) فضيل بن عبدالوهاب بن إبراهيم الغطفاني أبومحمد القناد، انظر: تهذيب التهذيب،

⁽٣) عبدالله بن محمد بن عبيد أبوبكر القرشي الأموي، صاحب التصانيف، ولد سنة ٢٠٨هـ...، وتوفي سنة ٢٨١هـ. انظر: تذكرة الحفاظ، (٦٧٧/٢).

⁽٤) ابن رجب الحنبلي، جامع العلوموالحكم، ص ٤٤١.

- قال: قال رسول الله - قال عجبا لأمر المؤمن إن أمره كله خير، وليس ذاكلاً حد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له "(۱).

هذا حال المؤمن الصابر المتوكل أو حال من يقدم صبره على عمله، قال تعالى: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَملُواْ ٱلصَّالِحَاتِ ﴾ (٢)، " فسياق الآية دليل على أن من العبادة الصبر على المحنة، وترك اليأس، والقنوط، وملازمة العمل الصالح في كل حال "(٣).

فينبغي على المؤمن أن يقدم الصبر على العمل، وينقن العمل، ويجتهد فيه، فإن المستكثرين من الطاعات الراجين رضا الرحمن يشمروا جوارحهم راجين أن تقبل أعمالهم – على عيبها ونقصها – خانفين أن ترد عليهم، فهؤلاء هم أحب الناس إلى الله؛ لأنهم ذهبوا ومضوا في تنفيذ او امر الله، وفرغوا قواهم وطاقاتهم، وجوارحهم لذلك، وقد أشرنا سابقا إلى أن المؤمن يعمل وعمله يريد به رضى ربه وإلهه الذي يتضمن الرضا بمحبته وحده، والإنابة إليه والتبتل إليه، والرضا بربوبيته يتضمن الرضا بتدبيره لعبده، ويتضمن إفراده بالتوكل عليه، والاستعانة، والثقة، والاعتماد عليه وأن يكون راضيا بكل مايفعل به من خير أو شر، كذلك الرضا برسول الأمة، وذلك الكمال لايكون إلا بالانقياد له والتسليم بحيث يكون أولى الناس، والرضا بدين الله فلاحكم، ولا أمر ولانهي إلا من خلال شرع الله الذي ملأ الدنيا نورا وعدلا، وهذا لمن يعيه، ويفقهه ويعمل به.

قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَا خَشْوُهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿

⁽١) مسلم، (٢٢٩٥/٤)، (٢٩٩٩)، كتاب الزهد والرقائق.

⁽٢) سورة هود، آية: ١١.

 ⁽٣) سعيد حوى، الأساس في التفسير، (٥/٢٥٣).

فَٱنْقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلِ لَّمْ يَمْسَسُهُمْ سُوَّةُ وَٱتَّبَعُواْ رِضُوَانَ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلَ عَظِيمِ ﴿) .

خرجوا تصديقا، ويقينا، وقوة، وتوكلا على الله فانصر فوا بعافية فلم يلقوا عدوا، ولم يصبهم أذى والمكروه؛ لإتباعهم طاعة الله، وطاعة رسوله، فأعطاهم الله تواب غزو لم يغزوه ورضي عنهم (٢).

لأنهم قد ساروا إلى الغزو يقينا، وتصديقا لوعد الله، ووعد رسوله فأرضوا الله بفعلهم، وإتباعهم رسوله إلى مادعاهم إليه، فصرف الله عدوهم عنهم، وأنعم عليهم بنعمه الجليلة (٣).

وقال تعالى: ﴿ وَٱلسَّابِقُونَ ٱلْأُوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَاجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلْأَنصَانِ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ وَٱلَّذِينَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَارُ خَلِدِينَ فِيهَا أَبَدَا ذَالِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ (١).

فالذين هاجروا قومهم، وعشيرتهم، وفارقوا أوطانهم، ونصروا رسول الله على أعدائه، هم الذين عملوا وسلكوا سبيل الإيمان والعمل الصالح، فكافأهم الله برضاه عنهم، وعنايته بهم، وإكرامه إياهم، ودفاعه أعداءهم، ورضياهم عنه إن رضيت نفوسهم لما أعطاهم ربهم (٥).

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّلِحَاتِ أُوْلَلِكَ هُمُّ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا

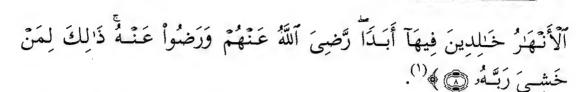
⁽١) سورة آل عمران، آية: ١٧٢-١٧٤.

⁽٢) انظر: للبغوي معالم التنزيل، (١/٥٨٨).

⁽٣) انظر: للطبري، جامع البيان، (٢/٤/٣).

⁽٤) سورة التوبة، آية: ١٠٠ .

⁽٥) انظر : للبغوي ، معالم التـــنزيل ، (٩٩/٣) ؛ ولابــن عاشــور ، التحريــر والتنويــر ، (١٨/١١).



إن رضى الله سبحانه لايتأتى إلا بعد الإيمان، والعمل الصالح، فيقبل العمل جزاءا، ورضى من الله تعالى.

إن الإيمان ليس مجرد كلمات ولكنه الإيمان الذي ينشيء آثاره في واقع الحياة من كل ماأمر الله بفعله من عبادة وخلق، وعمل، وتعامل، فالجزاء هو الرضا وهو أعلى وأندى من كل نعيم، وهذا الرضا في نفوسهم عند ربهم، الرضا عن قدره فيهم، والرضا عن إنعامه عليهم، والرضا بهذه الصلة بينه وبينهم، الرضا الذي يغمر النفس بالهدوء والطمأنينة، والفرح الخالص العميق(٢).

والرضا والصبر على ماقدره الله تعالى من أمور المعاش أو حتى الأمور الأخرى من الأعمال دينية أو دنيوية أمر الله تعالى به في قوله ﴿ تُرْجِى مَن تَشَآءُ مِنْ وَتُوْتِى مِن الْأَعْمَالُ دينية أو دنيوية أمر الله تعالى به في قوله ﴿ تُرْجِى مَن تَشَآءُ مِنْ وَتُوْتِى إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ وَمَنِ آبْتَغَيْتَ مِمَّنَ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُ ذَالِكَ أَدُنَى أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَبُ وَيَرْضَيْنَ بِمَا ءَاتَيْتَهُنَّ عَلَيْهُ وَكَا يَكُونُ الله عَلَيْمًا حَلِيمًا ﴾ (الله عَلَيْمًا حَلِيمًا ﴾ (الله عَلَيمًا حَلِيمًا ﴾ (الله عَلَيمًا حَلِيمًا ﴾ (الله عَليمًا حَليمًا ﴾ (الله عَليمًا حَليمًا ﴿ الله عَليمًا حَلِيمًا ﴿ الله عَلَيْ الله عَليمًا حَلِيمًا ﴿ الله عَلَيْ الله عَليمًا حَلِيمًا ﴾ (الله عَليمًا حَليمًا ﴿ الله عَلَيْمُا حَلِيمًا ﴿ الله عَلَيْ اللهُ عَليمًا حَلِيمًا ﴿ الله عَلَيْمًا حَلِيمًا ﴿ الله عَلَيْمًا حَلِيمًا حَلِيمًا ﴿ الله عَلَيْمًا حَلِيمًا حَلِيمًا ﴿ الله عَلَيمًا حَلِيمًا حَليمًا وَلَيْ الله عَليمًا حَلِيمًا ﴿ الله عَلَيْمُ الله عَليمًا حَليمًا وَلِيمًا حَليمًا ﴿ الله عَلَيْمُ الله عَلَيْمُ الله عَلَيْمًا حَليمًا وَلِيمًا حَليمًا عَلَيْمًا حَليمًا وَلِيمًا حَلَيْمًا وَلِيمًا عَلَيْمًا حَلَيْمًا وَلَيْمًا عَلَيْمُ الله عَلَيْمًا حَلَيْمًا حَلَيْمًا عَلَيْمًا حَلَيْمًا وَلَيْمُ اللهُ عَلَيْمًا حَلَّا عَلَيْمًا حَلَيْمَا وَلَالَهُ وَلَهُ عَلَيْمًا حَلَيْمًا حَلَيْمُ اللهُ عَلَيْمًا حَلَيْمَا عَلَيْمًا حَلَيْمًا حَلَيْمًا حَلَيْمًا حَلَيْمًا حَلَيْمًا حَلَيْمًا حَلْمَا فِي قَلْمُ اللهُ عَلَيْمًا حَلْمُ اللهُ عَلَيْمًا حَلَيْمًا حَلْمُ اللهُ عَلَيْمًا حَلْمُ اللهُ عَلَيْمًا حَلَيْمُ اللهُ عَلَيْمًا حَلَيْمُ اللهُ عَلَيْمًا حَلَيْمُ اللهُ عَلَيْمًا حَلَيْمُ عَلَيْمًا حَلَيْمًا حَلَيْمُ اللهُ عَلَيْمًا حَلْمُ عَلَيْمُ الْعَلَيْمُ اللهُ عَلَيْمًا حَلَيْمُ اللهُ عَلَيْمًا حَلَيْمُ اللهُ عَلَيْمًا حَلَيْمًا حَلَيْمًا حَلَيْمًا حَلْمُ عَلَيْمًا حَلَيْمُ اللهُ عَلَيْمًا حَلَيْمُ اللّهُ عَلَيْمًا حَلَيْمُ عَلَيْمُ عَلَيْمُ عَلَيْمًا عَلَيْمُ اللهُ عَلَيْمًا حَلَيْمُ اللهُ عَلَيْ

فالآية الكريمة تتضمن معنى " الحث على تحسين مافي القلوب، ووعيد لمن لايرضى بما دبر الله، وتقويض المشيئة إليه، والتوافق على رضا رسول الله - على -(1).

فالرضا من ثمرات التوكل على الله ينشرح الصدر لمشيئة الله لأن المؤمن إذا توكل حق التوكل رضي بما يفعله وكيله فيلقي حموله عند باب ربه سبحانه.

سورة البينة، آية: ٧-٨.

⁽٢) انظر: لسيد قطب، في ظلال القرآن، (٢/٢٥٩٣).

⁽٣) سورة الأحزاب، آية: ٥١.

⁽٤) انظر: للمراغي، تفسيره، (Λ/Λ) .

فالقرآن الكريم مليء بالتشريعات والتوجيهات لتنظيم المجتمع المسلم على أساس من مبادئ وقيم الإسلام، فقد أمر الله تعالى المؤمنين أن يصبروا على طاعة دينهم الذي ارتضاه لهم وهو الإسلام، فلا يدعوه لسراء ولا لضراء، ولا لشدة ولا لرخاء حتى يموتوا مسلمين مؤدين ماكلفوا به، فمن أخص صفات المؤمنين أنهم لاييأسوا من رحمة الله ولايعتريهم قنوط ولا وخور إذا تأخر عليهم مايحبوه لحكمة يريدها الله العلي الحكيم، بل من واجبهم أن يداوموا على إصلاح نفوسهم، أن يحسنوا توكلهم على ربهم ويزدادوا ثقة في وعده بالفوز والفلاح، والتأييد لعباده المؤمنين الصالحين، وهذا يدفعهم إلى مزيد من اتخاذ الأسباب الدينية والدنيوية، وإلى الاعتصام بالصبر.

قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي ٱللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي ٱللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي ٱللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُونَ ﴿ اللَّهِ مَا نَكُمُ وَلَا حَسَنَا اللَّهُ وَلَا جُرُ ٱلْاَحِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴾ (١). صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿ اللَّهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ الله

وقال تعالى: ﴿ قَالَتَ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرُ مِّشَلُكُمُ وَلَكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَأْتِيكُم وَلَكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَأْتِيكُم بِسُلُطَن إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهَ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتُوكَّلُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ ﴿ وَمَا لَنَآ بَسُلُنَا فَلَيْتُوكَ لَا اللَّهِ فَلَي اللَّهِ وَقَدْ هَدَلنَا سُبُلنَا وَلَنَصْبِرَتَ عَلَىٰ مَآ أَلاَ نَتُوكً لَ اللهِ فَلَي اللهِ فَلْ اللهُ فَلْ اللهُ فَلُولُونَ اللهُ فَلُولُونَ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ فَلْ اللهُ اللّهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ ال

وقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّالِحَاتِ لَنُهَبِوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ ٱلْجَنَّةِ غُرَفًا فَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿ اللَّهِ مَا اللَّهُ اللَّهِ مَا اللَّهُ اللّ

⁽١) سورة النحل، الآية ٤١-٢٤.

⁽۲) سورة إبراهيم ، الآية ١١-١١.

⁽٣) سورة العنكبوت، الآية ٥٨-٥٩.



ففي هذه الآيات الكريمة قرن سبحانه بين التوكل والصبر لأن مامن عمل إلا ودخل فيه الصبر والتوكل على الله فإذا اجتمعا أثمرا قبول العمل ونال صاحبهما خير الدنيا والآخرة، فالصبر جواد لايكبو وجندا غالبا لايهزم فلابد من الصبر حال العمل وبعد الفراغ من العمل.

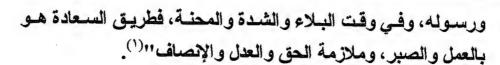
قال تعالى: ﴿ وَلِيَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءً وَٱللَّهُ لَا يُحِبُ ٱلظُّلِمِينَ ﴿ وَلِيمَحِصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَمْحَقَ ٱلْكَفِرِينَ ﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّة وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَلِهَ دُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمُ ٱلصَّابِرِينَ ﴾ (١).

إن الله تعالى يعلم المخلص من غيره ومن سنته سبحانه أن يختبر الذين صدقوا الله ورسوله، فيبتليهم بإدالة المشركين عليهم، حتى يتبين المؤمن المخلص صحيح الإيمان، من المنافق ويتبين الصابرين عند البأس على ماينالهم في ذات الله من جرح وألم ومكروه فيزيد المؤمنين أجرا، وينقص غيرهم ويغنيهم (٢).

اا إن مشيئة الله تسير على نظم ثابتة وسنن حكيمه، ترتبط فيها الأسباب بالمسببات، والمقدمات بالنتائج، وإن كان الله قادرا على كل شيء، وتلك السنة في الماضيين واللاحقين، فكل من سار على منهاج الطائعين المؤمنين الموفقين حظي بالسعادة، والنصر، والفلاح، ومن سار في طريق العصاة المكذبين كانت عاقبته خسرانا ودمارا وهلاكا، فإذا عرف المؤمنون هذه الحقيقة فيجب عليهم ألا يضعفوا عن العمل خاصة الجهاد فهو مجال لكشف وإبراز وتطهير، فيه يتميز المؤمنون الصادقون عن المنافقين العصاة، وبها يعرف صدق الإيمان، وصلابة العزيمة، والثبات عند الابتلاء؛ ولذلك فالصبر مطلوب عند أداء التكاليف الشرعية الدائمة والمؤقتة، وطاعة الله

 ⁽۱) سورة آل عمران، الآية: ۱٤٠-۱٤۲.

⁽٢) انظر: لابن جرير، جامع البيان، (٢/٣٣٥-٣٣٥) .



المؤمن يعمل ويكد في عمله، ولكن سنن الله جارية على عباده فالبلاء حاصل، ولكن لادواء لتحمل المصيبة إلا بالصبر، إذ في الصبر تقوية الإرادة وتحمل المشقة، والثبات على المصاعب، وأن الله مع الصابرين، أي بالعون والنصرة والرعاية، والتأييد.

قال تعالى: ﴿ يَكَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلْوَةَ إِنَّ اللَّهَ مَعَ ٱلصَّابِرِينَ ﴾ (٢).

فالمؤمن إذا استعان بالصبر والصلة التي تملأ القلب خشية، وخشوعا لله ورجاءا فيه فتبعد النفس عن الفواحش والمنكرات، فتهون بذلك المصاعب، ويتحمل كل شدة، ومشقة، ويقاوم كل عناء وكرب، وقد خص الصبر هنا؛ لأنه أشد شيء باطني على النفس، وخصت الصلاة؛ لأنها أشد عمل ظاهري على الإنسان، إذ فيها إنقطاع عن الدنيا واتجاه إلى الله، وقد روي عنه - أنه إذا حزبه أمر – اشتد عليه فزع إلى الصلاة، وتلا هذه الآية – إن الله ناصر الصابرين، ومجيب دعائهم ومفرج كروبهم، والواقع أن الأعمال الفردية، والأعمال الجماعية العظيمة لاتتحقق ثمارها إلا بالثبات والكفاح الدائم، وعدة ذلك كله الصبر (٢).

إن العبد يسؤه مايجري عليه، والميشعر بما لله في طيه من الألطاف فالله تعالى يهون على المؤمنين مايصيبهم، ويرشدهم إلى الإيمان الذي يجعل من صاحبه قوة الاتلين، وعزمة الاتعل، ويعلمهم أن سنة الله في الأمور كلها أن تتداول، وأن العاقبة للمتوكلين على الله الصابرين على الشدائد، والمحن وماتتطلبها من بذل النفس، والغالى، والرخيص، وتضحية بالراحة، والله تعالى يحث على الثبات في

⁽١) انظر: لوهبه الزحيلي، التفسير المنير، (٣-٤٧/٤-١٠٨).

⁽٢) سورة البقرة، آية: ١٥٣.

⁽٣) انظر: لوهبه الزحيلي، التفسير المنير، (١-٢٩/٢-١٤).

صيانة الحقوق، والمعتقدات، والذود عنها، والعمل الصالح هو مراد الله ومبتغاه لننال رضى الرحمن؛ لأن في الرضا إنشراح للصدر وسعته بالقضاء، وترك زوال الألم وإن وجد لكن الرضى يخففه بما يباشر القلب من روح اليقين والمعرفة، فيقوى الرضى، ويظهر الصبر (۱).

فالصبر والرضا جعل الله فيهما راحات نفسية وروحية، وهما دليلان على حسن ظن العبد بربه، والرضا مظهر من مظاهر صلاح العبد وتقواه، والصبر جواد لايكبو وحصنا حصينا لايهزم للمؤمن.

والصبر والرضا آخية المؤمن التي إليها يرجع، والمحن التي نعيشها اليوم تحتاج إلى أن نرجع إلى ديننا ونوحد بذلك صفوفنا، ونعد العدة، ونصبر ونعمل بيد واحدة مخلصين لله متوكلين عليه، والرضا والصبر علامة التوكل على الله وشكر لله، ومحبة لله وطريق إلى التسليم لله بعزة وقوة.

المبحث السادس العزة مالقمة

إن من أعظم ثمار التوكل على الله أنه يورث العزة والقوة والثبات والشجاعة، فالقوة الحقيقية هي قوة الإيمان القوة البدن فقط.

قال تعالى: ﴿ كَتَبَ آللَّهُ لاَ غُلِبَ اللَّهُ لاَ غُلِبَ اللَّهُ قَوِى أَعَزِيزٌ ﴾ (١). فقضاء الله ثابت ووعده نافذ الامحالة .

فقد قضى الله وخط في أم الكتاب غلبته ورسله، فهو سبحانه ذو قوة وقدرة على هلاك كل من حاده ورسله، ذو عزة فلايقدر أحد أن ينتصر منه إذا هو أهلك وليه أو عاقبه، أو أصابه في نفسه بسوء (٢).

فالله تعالى قادر على نصرة أنبيائه غالب لايدفعه أحد عن مراده، وهذا وعد لايخلف ، و لايغير ، فإنه من الصادق القوي العزيز ، الذي لايعجزه شيء يريده لمن آمن به، وبرسله، واتبع ماجاء به المرسلون، من حزب الله المفلحين، الذين لهم الفتح والنصر والغلبة في الدنيا والآخرة بالحجة أو بالسيف أو بهما معا (٣).

فالقوة والعزة متلازمان، ففي العزة معنى يدل على الشدة والقوة (أ)، فالمؤمن إذا أراد أن يكون من أقوى الناس، وأعزهم فما عليه إلا أن يكل أمره إلى العزيز القوي، فأنبياء الله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين كانوا في عزة، وقوة، وتحدي مع أعدائهم، مع قلة الاتباع، ولكن ركنوا وتوكلوا على الذي لايخذل من لاذ بجنابه.

⁽١) سورة المجادلة، آية: ٢١.

⁽٢) انظر: للطبري، جامع البيان، (٧/٢٥٠-٢٥١).

⁽٣) انظر: للرازي، مفاتيح الغيب، مج ١٥ (٢٩-٣٠٠)؛ وللسعدي، تيسير الكريم الرحمن، (٣) (٢٠٠/٥)؛ وللجز ائري، أيسر التفاسير، (٢٩٩/٥).

⁽٤) انظر: لابن منظور، لسان العرب، مادة عزز، ص٢٩٢٤؛ وانظر للأصفهاني، مفردات الفاظ القرآن، ص ٣٣٢.

قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَلِحًا وَٱلَّذِيرِ نَ ءَامَنُواْ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْي يَوْمِيِدُ إِنَّ رَبَّكَ هُو ٱلْقَوِيُّ ٱلْعَزِيزُ ﴾ (١)، " فهو القادر على كُل شيء والغالب عليه الأغيره" (٢).

ولن تكون هذه العزة والقوة إلا بطاعة الله، وطاعة رسوله، وبالتوكل الحقيقي وتفويض الأمر إليه سبحانه، وبهذا تكون الكفالة والتأييد لمن توكل وأناب إليه سبحانه.

فطبيعة الإيمان إذا تغلغلت في نفس المؤمن بتقوية مايقتضيه الإيمان من الثقة بالله، والاستعانة به، وصدق التوكل عليه، وحسن الظن به ومقاومة أهواء النفس، ومخالفتها، وممارسة العبادات، وابتغاء مرضاة الله، وجعل ذلك هدفا، وأن يعلم أن الجائزة العظمي هي الجنة، فهذه الأمور جميعها، تضفي، وتلبس صاحبها القوة التي تنطبع في سلوكه كله، والعزة في شخصيته فإذا تكلم تكلم بقوة ويقين، وإذا عمل كان راسخا متقنا عمله.

والقرآن الكريم مليء بالآيات التي تكلمت عن العزة والقوة الله وللمؤمنين وأسبابها، فمن هذه الآيات:

سورة هود، آية: ٦٦.

⁽٢) انظر: لأبي السعود، إرشاد العقل السليم، (٣/٤٨).

⁽٣) سورة آل عمران، آية: ١٢٦-١٢٦ .



إن الله تعالى أظهر المؤمنين على عدوهم مع كثرة عدد العدو، وقلة عدد المؤمنين، وذلك لصبرهم وتقواهم وطاعتهم لربهم ولرسوله، وتوكلهم عليه سيحانه(١).

فسياق الآيات دليل على أنه بعد توكلهم، وتقواهم شه تعالى رزقهم بالنصر، والعزة، فهو عزيز لايغلبه أحد حكيم في تدبيره أمور المؤمنين وشؤونهم.

وقال تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفِمِّنَ ٱلْمَلَيْكَةِ مُرِّدِفِينَ ﴿ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَكُ وَلِتَطْمَبِنَّ بِهِ عَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَكُ وَلِتَطْمَبِنَّ بِهِ عَلَيْ اللَّهُ عَزَيزُ حَكِيمُ ﴿ اللَّهُ عَزَيزُ حَكِيمُ ﴿ اللَّهُ عَزَيزُ حَكِيمُ ﴾ (٢).

إن الله تعالى أجاب استجارة المؤمنين، ودعاءهم للنصر على أعدائهم، فأمدهم بالملائكة يردف بعضهم بعضا وماهذا الإمداد إلا بشارة يبشر الله بها بالنصر على العدو، ويسكن القلوب، وبذلك توقن بنصر الله، ينصر سبحانه من يشاء من خلقه، لايقهره شيء، و لايغلبه غالب، بل يقهر كل شيء ويغلبه؛ لأنه خلقه، فسبحانه حكيم في تدبيره، ونصره من نصر، وخذلانه من خذل من خلقه، لايدخل تدبيره وهن ولاخلل (٢).

فنصر الله هذا من مننه سبحانه الكثيرة على عباده المؤمنين، ومن هنا نعلم أن لا استجارة، ولا استغاثة، ولا توكل إلا على الله مقدر الأمور والأسباب وميسرها سبحانه.

⁽١) انظر: للطبري، جامع البيان، (٢/٣٢-٣٢٤).

 ⁽۲) سورة الأنفال، آية: ۹-۱۰.

⁽٣) انظر: الطبري، جامع البيان، (٤/٤ ١-١٥).



أَنفَقْتَ مَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ ٱللَّهُ أَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ ٱللَّهُ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزيزُ حَكِيمٌ ﴿ اللهِ اللهِ اللهِ عَزيزُ حَكِيمٌ ﴿ (١).

"الآية الكريمة إيماء إلى أن النصر ينال بالأسباب ومن أهم هذه الأسباب التآلف والاتحاد بفضل مقدر الأسباب ورحمته بالعباد....، وقد دلت التجارب على أن التآلف من أقوى وسائل التعاون وأتجعها، وأجدى وسائل التحاب والتآلف، وقوة الإيمان....، فالله تعالى غالب على أمره الذي لايغلبه خداع الخادعين، ولاكيد الماكرين، الحكيم في أفعاله، ينصر الحق على الباطل"().

كذلك الآية تتضمن معنى عظيم هو "أن الله تعالى يأمر رسوله.... بقبول السلم متى طلبها أعداؤه....، ورغبوا بصدق فيها؛ لأنه - الله ورسول رحمة لا رسول عذاب، وأمره أن يتوكل على الله في ذلك أي يطيعه في قبول السلم، ويفوض أمره إليه، ويعتمد عليه، فإنه تعالى يكفيه شر أعداءه؛ لأنه سميع لأقوالهم عليم بافعالهم، وأحوالهم.... عزيز حكيم في تدبيره شؤون عباده المؤمنين "(").

فجمع القلوب والنفوس على الإيمان بالله مع التوكل عليه يورث النصر للمؤمنين، وبتوحيد القلوب تكون الأهداف، والغايات جميعها في رضاء الرحمن.

قال تعالى: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اللَّهِ مَنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ أَتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿ فَا فَاللَّهُ اللَّهِ مَا تَعْمَلُونَ ﴾ (أ).

سورة الأنفال، آية: ٦١-٦٣.

⁽٢) انظر: للمراغي، تفسيره، (٢٧/٤).

⁽٣) انظر: للجزائري، أيسر التفاسير، (٢/٤/٣)؛ وللسعدي، تيسير الكريم، (٢٢٤/١).

 ⁽٤) سورة الشعراء، آية: ٢١٢ – ٢١٢.



أمر الله تعالى نبيه بالإنذار والدعوة إليه جهرا، والتواضع لمن اتبع الدين أو شارف على إتباعه، وإن عصوا بعد ذلك فالله تعالى يقهر من يعصيه ويعصى رسوله بعزته، وينصر برحمته.

يقول المفسر: وتقديم وصف العزة أوفق بمقام التسلي عن المشاق اللاحقة من القوم للرسول على المصححة للتوكل، والرحمة كالعلة الداعية إليه.

وفسره غير واحد بتفويض الرجل أمره إلى من يملك أمره، ويقدر على أن ينفعه ويضره (١).

فهذه العزة استجلبت ومنحت رسولنا الكريم - العون من الله، وجعلته واثقا راسخا متيقنا تمام اليقين، فنادى بدعوته جهرا لايخاف في الله لومة لائم يردد في قوه " لا إله إلا الله وحده، أعز جنده، ونصر عبده وغلب الأحزاب وحده، فلا في عده " الحديث لأبي هربرة "(٢).

إن المؤمن يستمد قوته، وعزته من الله، فهو المصدر لكل عزة، والعزة عند المؤمن والقوة لاتكون فضيلة إلا إذا استظلت بظل الله، واحتمت بحماه. قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلَّمُ وَمُنينَ ﴾ (٣)، فعزة الله قهره من دونسه وعزة رسولُه إظهار دينه على الأديان كلها، وعزة المؤمنين نصر الله إياهم على أعدائهم.

وقيل المعنى: ولله الغلبة والقوة ولرسوله وللمؤمنين (٤).

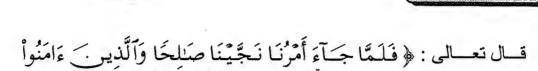
و المتتبع للآيات القرآنية يرى أن لفظي العزة، والقوة قد اقترنا في آيات كثيرة وقد بلغت هذه الآيات سبعة وماهذا إلا علامة على أن العزة ملازمة القوة تماما.

انظر: للألوسي، روح المعاني، ج(١٩-٢٠/١٣٥-١٣٦).

⁽٢) صحيح البخاري، (٥٩/٥) ح٤١١٤ كتاب المغازي؛ ومسلم، (٢٠٨٩/٤) ح٢٧٢٤ كتاب الذكر و الدعاء و التوبة و الاستغفار.

 ⁽٣) سورة المنافقون، آية: ٨.

⁽٤) انظر: للطبري، (٢/٤٥٧)؛ وانظر: للبغوي، معالم التنزيل، (١/٤٩) ؛.



مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْي يَـوْمِ بِدَ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْعَزِيزُ ﴾ (١). وقال تعالى: ﴿ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيْظِهِمْ لَمَ يَنَالُواْ خَيْراً ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَويتًا عَزِيزًا ﴾ (٢).

وقال تعالى: ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْ وَإِنَّ ٱللَّهُ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرُ ﴿ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ عَلَىٰ اللَّهُ عَلَىٰ اللَّهُ عَلَىٰ اللَّهُ وَلَوْلاً لَقَدِيرُ ﴿ اللَّهِ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضِ لَّهُ دَّمَتُ صَوَامِعُ وَبِيعُ وَمَنَا اللَّهُ وَلَوْلاً دَفْعُ ٱللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضِ لَّهُ دَّمَتُ صَوَامِعُ وَبِيعُ وَصَلَواتُ وَمَسَاجِدُ يُذْكِرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللّهِ كَثِيرًا وَلَينصُرَتَ ٱللّهُ مَن وَصَلَواتُ وَمَسَاجِدُ يُذْكِرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللّهِ كَثِيرًا وَلَينصُرَتَ ٱللّهُ مَن يَنصُرُونَ اللّهُ لَقُومَ عَزِيزُ ﴿ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهِ عَلَيْهُ اللّهِ عَلَى اللّهُ اللّهِ عَلَيْهُ اللّهِ عَلَيْهُ اللّهُ مَن يَنصُرُونَ اللّهُ لَقُومَ عَزِيزُ ﴿ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهُ اللّهِ عَلَيْهُ اللّهِ عَلَيْهُ اللّهِ عَلَيْهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللللّهُ اللللللّهُ اللّهُ الللللّهُ اللللّهُ اللّهُ اللللللللللّهُ الللّهُ الللللّهُ الللللّهُ

قالَ تعالى: ﴿ مَا قَدَرُواْ آللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ۗ إِنَّ آللَّهَ لَقُوى ۗ عَزِيزٌ ﴾ (١).

وقـــال تعــالى: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَاتُ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكَتَابَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسُ شَدِيدُ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِٱلْغَيْبِ إِنَّ ٱللَّهُ قَوِى تَعَرِيزُ ﴾ (٥). قوي تَعَرِيزُ ﴾ (٥).

وقال تَعالى: ﴿ كَتَبَ ٱللَّهُ لِأَغَلِّبَ أَنَا وَرُسُلِيٓ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ (١).

⁽١) سورة هود، آية: ٦٦.

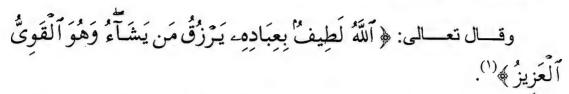
⁽٢) سورة الأحزاب، آية: ٢٥.

⁽٣) سورة الحج، آية: ٣٩-٤٠.

 ⁽٤) سورة الحج، آية: ٧٤.

⁽٥) سورة الحديد، آية: ٢٥.

⁽٦) سورة المجادلة، آية: ٢١.



فالآيات الكريمة السابقة جمعت بين لفظي العزة والقوة. فالإسلام يعطي القوة للمرء المؤمن، وذلك لأنه قوي بإيمانه بربه قوي بطاعة ربه ورسوله، فهذه تدع المؤمن مستقرا شامخا عزيزا، فالعزة والقوة من أبرز الخلال التي نادى بها الإسلام وغرسها، وتعهد نماءها بما شرع من عقائد، وسن من تعاليم، والمؤمن لما أشرنا قوي بإيمانه كذلك عزيز بإيمانه لأنه إذا كلف بعمل أو أمر بأمر فأداه على أصح وجوهه، فهذا أمر يجعل كل امرئ مؤمن يحتفظ بعزة نفسه فلم يهنها بمخالفة ذلك الأمر الرباني، وهذا ما استخلصناه من غزوة أحد، فسبب الهزيمة والخذلان والسقوط في الاهانة هو ما ارتكبه بعضهم من مخالفات لأمر الله وأمر رسوله في ألا يكون مستباحا لكل طامع من جن أو إنس، أو غرضا لكل مهاجم، بل عليه أن يستميت دون نفسه وعرضه، وماله، وأهله.

فتمسك المؤمن بشرع الله في كل المجالات، والجوانب هي قوة وإعزاز فينبغي أن يعلق المسلم حقوقه ويملأ بها يديه ويتشبث بها، فالعزة والقوة في طاعة الله ورسوله، فالمؤمن يعمل على أساس ذلك، وعلى هذا الأساس يأخذ نصيبه كاملا غير منقوص، فإذا اعتدى عليه أحد أو طمع فيه باغ كان انتصابه للدفاع عن نفسه جهادا في سبيل الله، كذلك العزة والقوة في أن يبذل المرء المؤمن قصارى جهده في بلوغ مآربه بعد توفيق الله تعالى له تارك للحظوظ أن تضع شيئا.

فالتوكل الذي يقوي المؤمن ضرب من الثقة بالله، يريح نفس المؤمن عندما تكتنفه ظروف محرجة، ويلتفت حوله فلايرى عونا، ولا أملا! فالمكافح قوي عزيز شديد البأس يشعر عندما يتوكل على الله أنه آوى إلى ركن شديد، ويستمد من هذا التوكل ثباتا ورباطا، وعزة ويظل يقاوم حتى تبرق بشائر النصر خلال الجو الملبد.

١) سورة الشورى، آية: ١٩.



وقد بين الله تبارك وتعالى أن هذا التوكل غذاء الكفاح الطويل الذي قاوم به النبيون وأتباعهم مظالم الطغاة والفاسدين المستبدين .

قــال تعــالى: ﴿ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَتَ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ (١).

" فقد عرفوا ربهم وعلموا أن الأمور كلها بيده سبحانه فلا عذر لنا في أن لانتوكل عليه فقد ثبتوا على مااستحدثوه من توكلهم عليهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين المسبب عن إيمانهم"(٢).

فالإسلام حرم على المؤمن أن يهون أو يستذل أو يستضعف، " فعن حذيفة منه حقال: قال رسول الله - الله على المؤمن أن يبذل نفسه، قالوا: فكيف يذل نفسه؟ قال: "يتعرض من البلاء لما لايطيق "(").

فالإسلام يأمر بإعزاز المسلم نفسه ودينه وربه فهذه أنفة المؤمن، وهذه العزة في نظري فيها شيء من التمرد بقدر مافيها من الاستكانة وفيها من التعالي بقدر مافيها من التواضع، وفيها من الترفع على مغريات الأرض، ومزاعم الناس، فيها الانخفاض إلى التبسط مع المسلمين وإطلال العظمة من أصدق سبلها، فالعزة والإباء والكرامة والقوة من أبرز الصفات والخصال التي نادى بها شرعنا الحكيم.

فالمؤمن عندما يبرز قوته ليرهب عدوه، فمهما بذل عدوه من طاقة في إضعاف المؤمن فلن يمنع شيئا أعطاه الله للمؤمن من تمكين.

فالبشر لو اجتمعوا بأسرهم أذل من أن يمنعوا شيئا أعطاه الله، وأقل من أن يعطوا شيئا منعه الله للمؤمن، ومن ثم ينبغي على المؤمن أن يرد مصائر الأمور إلى مدبرها الأعظم، وأن يجعل فيه الاستعانة، والتوكل وعليه المعول.

⁽١) سورة إبراهيم، آية: ١٢.

⁽٢) انظر: للبيضاوي، أنور التنزيل وأسرار التأويل، ص٣٣٧.

⁽٣) أخرجه الترمذي، (٢٢٥٥) واللفظ له وقال حسن غريب.

قال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْتُرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (١).

والله سبحانه وتعالى "يربى عباده المؤمنين على أصناف البر التي التبلغها الأفهام فيخص كلا من عباده بنوع من البر على مااقتضته حكمته فهو باهر القدرة المنيع الذي الايغلب" (٢)، فبره سبحانه متنوع نصرا أم هداية، رزقا أم توفيقا في وتيسيرا في الأعمال، فالقضاء يصيب العزيز، وله أجره ويصيب الذليل وعليه وزره، والمؤمن بهذا عزيز لعلمه أنه لن يفلت من محتوم القضاء إنسان، والله تعالى من لطفه بعباده، أن هداهم الخير الذي الايخطر على بالهم، بما يسر الله لهم من الأسباب الداعية لذلك، يرزق من يشاء بحسب اقتضاء حكمته، فلاحول والقوة إلا به لا لأحد من المخلوقين سبحانه من دانت له جميع الأشياء، قادر على مايشاء اليقدر أحد أن يمنعه عن شيء يريده (٢)، هذا مايفهم في قوله تعالى: ﴿ الله لَهُ لَطِيفُ بِعِبَادِهِ عَرَدُقُ مَن يَشَاءً وَهُو الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴾ (٤).

فالله تعالى يهب العزة والقوة لعباده المخلصين في بذل الجهد لتخطى الصعاب، والعزة والقوة على فعل العبادات وأشق الطاعات والمسارعة في الخيرات والتحمل والصبر والمثابرة في تعمير هذا الكون الفسيح.

فالقرآن والإسلام أوصيا وهديا إلى القوة والعزة وذلك بتيسير أسبابها ووسائلها.

فالكرامة في التقوى، والسمو في العبادة والعزة والقوة في طاعة الله ورسوله

⁽١) سورة يوسف، آية: ٢١.

⁽٢) للبيضاوي، أنور التنزيل وأسرار التأويل، ص ٦٤١.

⁽٣) انظر: للمراغي، تفسيبره، (٤/٩)؛ للسعدي، تيسير الكريم الرحمن، (٤/٤).

⁽٤) سورة الشورى، آية: ١٩.



الهبحث السابع

يةي من تسلط الشيطان والسحر والمسد والعين

إن من أعظم مايعين العبد على الثبات هي الاستعادة من الشيطان وطرد وساوسه ونجواه.

فالشيطان يخبط العباد ويشغلهم باللذات وبالأعمال الخاسرة فمثلا يحرض على الزهد المنافي لمنهج الإسلام ويخوفهم من طرقات الكسب فيجعلهم ذليلين على الأبواب والطرقات يسألون هذا وذاك .

ففي الآية الكريمة خطاب للرسول في أن يسأل الله الإعادة من الشيطان في جميع الأعمال ليخلص العمل و لايؤثر فيه الشيطان بوسوسته، فالمتوكلون محرسون من تسلط الشيطان، فمن لم يتوكل على الله ينتظم في سلك من يتولى الشيطان من حيث لايحتسب(٢).

" فالإستعادة تمنع تسلط الشيطان على المستعيد لأن الله منعه من التسلط على الذين آمنوا المتوكلين فنفي سلطان الشيطان مشروط بالأمرين: الإيمان، والتوكل... فالمعنى أن الإيمان مبدأ أصيل لتوهين سلطان الشيطان في نفس المؤمن فإذا انضم إليه التوكل على الله اندفع سلطان الشيطان عن المؤمن المتوكل"(").

⁽١) سورة النحل، الآية ٩٨-١٠٠.

⁽٢) انظر: لأبي السعود، إرشاد العقل السليم، (٢٩٢/٣).

⁽٣) ابن عاشور، التحرير والتنوير، (١٣-١٤-١٥/٢٧٩-٢٧٩).

ومن أهم ثمرات التوكل أيضا دفع شر الساحر والحاسد والعائن فالتوكل على الله من أقوى الأسباب في ذلك، ومن كان الله حسبه وواقيه فلايضره أذى من أراد إيذائه وهذا ماشعر به يعقوب عليه السلام لما نهى أبناءه من الدخول من باب واحد، وأمر هم بالدخول من أبواب متفرقة.

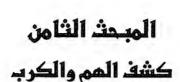
قال تعالى: ﴿ وَقَالَ يَلْبَنِي لَا تَدَخُلُواْ مِنْ بَابِ وَاحِدِ وَآدَخُلُواْ مِنْ اَلِهِ مَنْ مَنْ مَابِ وَاحِدِ وَآدَخُلُواْ مِنْ أَبُوبِ مُتَفَوِّقَةً وَمَآ أُغُنِي عَنكُم مِن اللّهِ مِن شَيْءً إِن ٱلَّحُكُمُ إِلّا لِلّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلُونَ ﴾ (١).

إن الدخول من أبواب متفرقة ماهو إلا احتراز لايرد قدر الله وقضاءه وفي هذا دليل على أن الحسد موجود قديما والاحتراز منه مشروع فلابد من أخذ الأسباب العادية التي لاتؤثر في الواقع شيئا إلا بإذن الله. وعلى المؤمن الإتكال على الله والاعتماد عليه والثقة به؛ لأن حصول كل الخيرات ودفع كل الأفسات من الله تعالى (٢).

وهذا مافعله يعقوب عليه السلام اتخذ أهم الأمور وهي التوكل على الله سبحانه في حفظ ورعاية أبنائه.

⁽١) سورة يوسف، آية ٣٧.

⁽٢) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (٢/٩٤٧).



من ثمر ات التوكل على الله أنه الله يمد المتوكل بعونه، و لايتخلى عنه إذا حلت بساحته الخطوب، و أحاطت به المصائب و الكروب، فهو سبحانه يستجيب الدعاء، ويلبى النداء، ويكشف الهم و الحزن و الكرب الذي يأخذ النفس.

قال تعالى: ﴿ وَنُوحًا إِذْ نَادَكِ مِن قَبَلُ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَهُ وَأَهْلَهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ وَنَصَرُّنَهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ فِأَعْلَىمَ شَوَّءِ فَأَعْرَقَنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿ اللَّهِ مَا لَكُواْ فَوْمَ سَوَّءٍ فَأَعْرَقَنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ (١).

فنوح عليه السلام دعا الله تعالى فاستجاب له ربه فحماه ونصره على عدوه فالله تعالى منجي المؤمنين الصادقين في التجاءهم واستنصارهم بالدعاء وبالتوكل عليه سبحانه، فقد أصيب نوح عليه السلام من أذى قومه الكثير، فأصبح في كرب عظيم، وغم شديد، فخلصه الله مما هو فيه، فأغرق قومه المكذبين والمنهمكين في الشر، وما اجتمعت هاتان الخصلتان في قوم إلا وأهلكهم الله تعالى (٢).

هذا دعاء المخلصين استجاب لهم ومدهم بعونه، فكيف بالخالق العظيم اللطيف وهو يستجيب لدعاء المشركين لا استجابة لهم، بـل لأنـه تعالى أعلـم بحالهم في تلك الساعة المؤلمة من الدعاء فقد أخلصوا بـها الدعاء ولجأوا إلى الله تعالى رغم أنوفهم، قال تعالى يصور تلـك الحالـة: ﴿ قُلُ مَن يُنَجِيكُم مِن طُلُمَت البَرِّ وَالبَحْر تَدْعُونَهُ وَضَرَّعًا وَخُفْية لَينَ أَنجَلنا مِنْ هَاذِه لَنكُونَنَ مِنَ الشَّكُونَ فَي فَلِ اللهُ يُنجِيكُم مِنْهَا وَمِن كُلِّ كَرُبِ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْركُونَ فَي ﴾ (١).

⁽١) سورة الأنبياء، آية: ٧٦-٧٧.

⁽٢) انظر: للبيضاوي، أنور التنزيل وأسرار التأويل، ص٤٣٤.

 ⁽٣) سورة الأنعام، آية: ٣٣-٦٤.

وقال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنتُمْ فِي ٱلْفُلُكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحِ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُواْ بِهَا جَآءَتُهَا رِيحٌ عَاصِفُ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانِ وَظَيَّنُواْ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ذَعَوا ٱللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَيْنَ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَلَدِهِ لَنكُونَنَ مِن ٱلشَّكِرِينَ ﴿ فَلَمَّآ لَكُونَنَ مِن ٱلشَّكِرِينَ ﴿ فَلَمَّآ لَلهَ عَلَيْ اللهَ عَلَيْ اللهُ الله

" فالله تعالى يمتن على عباده، في انجائه المضطرين منهم في ظلمات البر والبحر، الحائرين الواقعين في المهامة البرية، وفي اللجحج البحرية، إذ هاجت الرياح العاصفة، حينئذ انفردوا بالدعاء لله وحده الاشريك لله"(١)، وفرحوا بالريح الطيبة المسيرة لفلكهم، حتى إذا جاءت الريح الشديدة، واغتلم البحر عليهم، وظنوا هلاكهم هنا في هذه الساعة دعوا الله وأفردوه بالدعاء والابتهال، وبعد النجاة رجعوا إلى ماهم عليه من ظلم النفسهم باتخاذ الأصنام والأوثان عباد من دون الله(١).

فالكرب والهم والحزن أمور قد ذمها الشارع الحكيم لما لها من مضار تؤثر على نفس المؤمن؛ لأنها دليل عدم الرضا بالقدر، ولكن المؤمن يدفع هذا بأساليب، دل عليها الإسلام وأمر بالتمسك بها وذكرها.

⁽١) سورة يونس، آية: ٢٢-٢٣.

⁽٢) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (٢٢٢/٢).

⁽٣) انظر: المصدر السابق، (٢/٢٠).

⁽٤) أبوداود، (١٥٢٥) واللفظ له، وابن ماجه (٣٨٨٢)، وأحمد (٢٦٩/٦)، والألباني (٢٨٤/١) وقال صحيح.



"دعوات المكروب: اللهم رحمتك أرجو فلاتكلني إلى نفسي طرفة عين، وأصلم لي شأني كله لا إله إلا أنت")(١).

هذا مع الإخلاص والإقبال على الله، وأن يلبس المؤمن نفسه لباس الذل أمام العلي القادر، فرسولنا الكريم وصحبه الكرام أصابهم الهم والكرب والحزن.

أصابهم الكرب والحزن عندما ضيق عليهم المشركون في مكة الحصار، أصابهم الكرب والحزن عندما هاجروا وتركوا مالهم وأولادهم وذريتهم وأزواجهم في يد أعدائهم وهم من أهلهم.

أصابهم الكرب والحزن عندما آذى المشركون رسولهم الحبيب أصابهم ماأصابهم ولكنهم احتسبوا ذلك على ربهم توكلوا وأنابوا إلى ربهم مقصدهم وهمهم إظهار دين الله وماتوكل أحد على الله جل وعلا من صحة عقيدة وإخلاص حتى كان الله تعالى قد ضمن الكفالة لهم بما حوته يده سبحانه.

قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِي ٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِٱلَّهُدَى وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِهِ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾ (٢).

هذه هي سنة الله للمخلصين ليمحص، ويميز بين أوليائه وأولياء الشيطان ويضع الحد الفاصل للحق والباطل منذ أن خلق الخليقة وأنزل عليهم المرسلين.

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ نَادَلْنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ ﴿ وَلَقَدْ نَادَلْنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ ﴿ وَخَلَّنَا هُو مُ فَلَا اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ وَمَعَلَّنَا ذُرِّيَّتَهُ وَهُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴾ (٣).

وقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ مَنَنَا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿ وَلَقَدْ مَنَنَا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴾ وَنَجَيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ ٱلْحَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿ وَنَصَرَّنَاهُمْ فَكَانُواْ هُمُ ٱلْغَالِبِينَ ﴾

⁽١) أبوداود (٥٠٩٠) وقال الألباني (٩٥٩/٣): حسن صحيح الكلم الطيب (١٢١)، ص٤٩.

 ⁽۲) سورة التوبة، آية: ۳۳.

⁽٣) سورة الصافات، آية: ٧٥-٧٧.

وَءَاتَيْنَاهُمَا ٱلْكِتَابَ ٱلْمُسْتَبِينَ ﴿ وَهَدَيْنَاهُمَا ٱلصِّرَاطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿ وَوَرَحْنَا عَلَيْهُمَا وَلَكِمَ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿ إِنَّا وَتَرَحَنَا عَلَيْهِمَا فِي ٱلْأَخِرِينَ ﴿ سَلَامٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴾ إنَّا كَذَالِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿ إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (أ).

هؤلاء من أنبياء الله أخلصوا اللجوء إلى الله تعالى لمعرفتهم، ويقينهم بالله تعالى أنه هو من يأخذهم، ويدفع عنهم كروبهم، وأحزانهم خاصة إذا لجأوا بقلب وجل تائب، فكم من مضطر فرجت كربته بدعائه.

قال تعالى: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَحُمُ فَكُ السُّوَّءَ وَيَحُمُ فَكُ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ (٢).

" فالآية تنبيه من الله أنه هو المدعو عند الشدائد، المرجو عند النوازل، فهو سبحانه الذي لايلجأ المضطر إلا إليه، الذي لايكشف ضر المضرورين سواه"(").

إن المؤمن حين يصاب بالحزن والغم في دينه أو دنياه فليس له إلا الانكسار بين يدي خالقه، والاعتصام ببابه، وطرقه، وإلتزام عبوديته من الذل، والخضوع، والإنابة، والتوكل، وامتثال أمره، واجتناب نهيه، ودوام الافتقار إليه، واللجوء إليه والاستعانة به والتوكل عليه والعياذ به، وأن لايتعلق قلبه بغيره محبة، وخوفا، ورجاء، فسبحانه عدل في قوله، وفعله، وقضائه، فخبره كله صدق، وقضاؤه كله عدل، وأمره كله مصلحة، فالمؤمن يصيبه هم النصر، وهم الرزق، وهم الأبناء ولكن من سعى وتوكل على الخالق " وصدق في جميع أموره صدق العزيمة، وصدق العزيمة جمعها وعدم التردد فيها، فإذا صدقت عزيمته بقي عليه صدق الفعل، وهو استفراغ الوسع وبذل الجهد فيه، وأن لايتخلف عنه بشيء من ظاهره، وباطنه، فعزيمة القصد والتوكل تمنعه من ضعف الإرادة والهمة،

⁽١) سورة الصافات، آية: ١١٤-١٢٢.

⁽٢) سورة النمل، آية: ٦٢.

⁽٣) انظر: لابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (٩١/٣).



وصدق الفعل يمنعه من الكسل والفتور ومن صدق الله في جميع أموره صنع الله له فوق مايصنع لغيره، وهذا الصدق معنى يلتئم من صحة الإخلاص، وصدق التوكل، فأصدق الناس من صح إخلاصه وتوكله"(۱).

قال تعالى: ﴿ طَاعَةُ وَقَوْلُ مَّعْرُوفُ فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُواْ ٱللَّهُ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴾ (٢).

فحق كل إنسان وحق كل تصرف له أن يكون التوحيد، والعبودية، والإخلاص هم البداية، والوسط، والنهاية لأنهم كالماء للأحياء، وكالهواء للإنسان كالروح للحي، فكلما تغلغلت في الأجزاء والأعضاء وفي المقاصد والأعمال كان الفرج والسرور، وليس منجي المؤمن إلا ذلك التوحيد، والعبودية والإخلاص مع الصدق في القول، والنية والإرادة، والعزم، والعمل، وصدق في تحقيق مقامات الدين كلها(٣).

" فكل قلب يرى الفقر غنى مع الله، والغنى فقرا دون الله، والعز ذلا دونه، والذل عزا معه، والنعيم عذابا دونه، والعذاب نعيما معه، وبالجملة فلا يرى الحياة إلا به ومعه، والموت، والألم، والهم، والغم، والحزن إذا لم يكن معه فهذا له جنتان: جنة في الدنيا معجلة، وجنة يوم القيامة "(1).

فهنينا لذلك القلب، وقريبا سينجلي همه وكربه، وحزنه مع صدق عزمه وتوكله فالمكروب في لحظات كربته، وضيقه لايجد ملجأ إلا الله يدعوه ليكشف عنه الضر والسوء ذلك حين تضيق الحلقة وتشتد الخنقة، وتتخاذل القوى، وتتهاوى الأسناد، وينظر الإنسان حواليه فيجد نفسه مجردا من وسائل النصرة وأسباب الخلاص، لاقوته ولاقوة في الأرض تنجده، وكل ماكان بعده لساعة الشدة قد زاغ

⁽١) انظر: لابن القيم، الفوائد، ص ٢٤٠.

⁽٢) سورة محمد، آية: ٢١.

⁽٣) انظر: لسعيد حوى، المستخلص في تزكية النفوس، ص ٣٠٥-٢١١.

⁽٤) انظر: لابن القيم، الفوائد، ص٢٥٢.

عنه أو تخلى، وكل من كان يرجوه للكربه قد تنكر له أو تولى – في هذه اللحظة تهتز النفس فتلجأ الى القوة الوحيدة التي تملك الغوث والنجدة، ويتجه الإنسان إلى الله فهو وحده دون سواه، يجيبه ويكشف عنه الكروب، ويرده إلى الأمان والراحة؛ لذلك لابد أن لايغفل الإنسان عن هذه الحقيقة ويعلم علم اليقين أن الله هو الذي فطره، وزوده بالطاقات ورزقه فيدفع كل التماس دون الله لتزول الأحزان عن الأنفس وترجع إلى الله بقلوب وجلة للعلى القادر (١).

⁽١) انظر: لسيد قطب ، في ظلال القرآن، (٥/٢٦٥٨) .



الهبحث التاسع

يبورث الرزق ويجلب المنافع ويدفع المضار

إن من أهم الأمور التي تشغل الكثير من الناس هو الرزق وأهمهم هذا الأمر؛ لكن المتوكلين على الله تعالى أيقنوا أن الرزق مقسوم ومقدر من الله تعالى وعلموا أنه لاينقص من أرزاقهم شيئا قد كتبه الله لهم.

قال تعالى: ﴿ وَمَهَا مِن دَآبَةِ فِي ٱلْأَرْضِ اللَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلُّ فِي كَتَلْبِ مُّبِينٍ ﴾ ألاً.

" فما من دابة في الأرض إلا يرزقها الله تعالى حيث كانت أماكنها بسوقها اليه"(٢).

فالله تعالى يكفي العبد مؤونته وحاجته بالشك وبالتوكل على الله تجلب المنافع وتندفع المضار.

قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَا خَشُوهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا أَللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴾ (1).

⁽١) سورة هود، آية ٦.

 ⁽٢) أبي السعود، إرشاد العقل، (٣/٧).

 ⁽٣) سورة الطلاق، الآية ٢-٣.

⁽٤) سورة آل عمران، آية ١٧٣.



فالله تعالى يكلأ ويحفظ ويحمي المؤمنين الصادقين الأنهم "لما توكلوا" على الله كفاهم ماأهمهم ورد عنهم بأس من أراد كيدهم ... مما أضمر لهم عدوهم"(١).

فالتوكل عبادة تورث الرزق وتندفع بها المضار ويسوق الرزق لأن في التوكل سعى في طلب الرزق النافع ودفع الضار وهذا ماكان من سلوك الأنبياء عليهم الصلاة والسلام والسعي في الرزق افتقار إلى الله تعالى دون غيره.

" فالتوكل فعل القلب فلاينافي حركة الجوارح، ولو كان كل كاسب ليس بمتوكل لكان الأنبياء غير متوكلين، فقد كان آدم عليه السلام حراثا، ونوح وزكريا نجارين، وإدريس خياطا، وابر اهيم ولوط زار عين، وصالح تاجرا، وكان سليمان يعمل الخوص، وداود يصنع الدرع ويأكل ثمنه، وكان موسى وشعيب ومحمد رعاة صلوات الله عليهم أجمعين "(٢).

فلنتامل ذلك حتى نكون في إطار قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَتَق ٱللّهَ يَجْعَل لّهُ مَغْرَجًا ﴿ وَيَرْزُقُهُ مِنْ حَبِّثُ لاَ يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَق ٱللّهَ يَجْعَل لَهُ مَهُو حَسَّبُهُ وَإِنَّ ٱللّهَ بَلْغُ أَمْرِهِ عَلَى ٱللّهَ فَهُوَ حَسَّبُهُ وَإِنَّ ٱللّهَ بَلْغُ أَمْرِه عَدْ جَعَلَ ٱللّهُ لِكُلّ يَتَوَكَّلُ عَلَى ٱللّه فَهُو حَسَّبُهُ وَإِنَّ ٱللّهُ بَلْغُ أَمْرِه عَدْرَا ﴿ عَلَى ٱللّهُ لِكُلّ شَيءَ وَيجلب لنا مانحتاجه من لل شيء ويجلب لنا مانحتاجه من المنافع.

⁽١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (٦٤٧/١).

⁽٢) ابن الجوزي، تابيس ابليس، بيروت، دار الكتب العلمية، ص ٢٨١.

⁽٣) سورة الطلاق، الآية ٢-٣.

المبحث العاشر الدخول في كنف وكفاية الله تعالى

تقدم معنا أن التوكل على الله من أعظم الأعمال الخلقية التعبدية وتأتي ثمراته العظيمة ويجنيها المتوكل بعد تحقيقه العمل الرفيع الخالص الصائب.

قال تعالى: ﴿ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ (١).

فإليه سبحانه وتعالى تنتهي القوة، والملك، والعظمة، والجاه، وهو حسب من لاذ به وحسب من والاه، فالمتوحد بالألوهية هو الكافي المعين، وهو مالك كل شيء وخالقه؛ لأنه رب العرش العظيم الذي هو سقف المخلوقات، وجميع الخلائق من السموات والأرضين ومافيهما، ومابينهما مقهورون بقدرة الله، وعلمه محيط بكل شيء، وقدره نافذ في كل شيء وهو على كل شيء وكيل(٢).

فإذا علم المؤمن صفات خالقه تلك، فكيف لايلوذ به، ويدخل في كفايته أحد، ولن تكون الكفاية والحسب إلا لمن آمن، واتقى ، وكلما كان العبد حسن الظن بالله صادق التوكل عليه، فإن الله لايخيب أمله فيه ألبته.

" فالله تعالى شرع في بيان كفايته لنبيه محمد على - في قوله:
﴿ يَكَأَيُّهَا آلنَّبِي حَسَّبُكَ آللّهُ وَمَنِ آتَّبَعَكَ مِنَ آلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (")
في جميع أموره وحده أو مع أمور المؤمنين، أم في الأمور المتعلقة بالكفار كافة "(أ).

⁽١) سورة التوبة، آية: ١٢٩.

⁽٢) انظر: لابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (٢/٢٢)؛ وللألوسي، روح المعاني، (٢) انظر: لابن كثير، تفسير القرآن، (١٧٤٣/٣).

 ⁽٣) سورة الأنفال، آية: ٦٤.

 ⁽٤) انظر: للألوسي، روح المعاني، (٩-١٠/١٠).



فقد قسال تعالى: ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلُ عَلَى ٱللهِ فَهُو حَسَبُهُ ﴿ () وَالْمعنى الكل من يتق الله فيما نابه كفاه ماأهمه الأ الأ والخبر سبحانه أن كفايته لهم مقرونة بتوكلهم عليه، وأنه كاف من توكل عليه وحسبه، وجعل لكل عمل من أعمال البر، ومقام من مقاماته جزاء معلوما، وجعل نفسه جزاء المتوكل عليه. _ فلننظر إلي هذا الجزاء الذي حصل للمتوكل، ولم يجعله لغيره، وماهذا إلا دليل على أن التوكل من أقوى السبل عنده وأحبها إليه سبحانه، وليس كونه وكل الأمور إلى نفسه مناف لتوكل العبد عليه، بل هذا تحقيق كون الأمور كلها موكولة إلى نفسه سبحانه وتعالى "(").

وفي الحديث: " عن أنس بن مالك — قال: قال رسول الله — قاب: " إذا خرج الرجل من بيته فقال: بسم الله توكلت على الله، الاحول والقوة إلا بالله، قال: يقال حينئذ: هديت وكفيت ووقيت فتتنحى له الشياطين، فيقول له شيطان آخر: كيف لك برجل قد هدي وكفي ووقي؟" "(²).

ففي الحديث درس لبداية أي عمل ونهاية أي عمل، فالتسمية بالله فيها الراحة ومن ثم التوكل عليه وتفويض الأمور إليه وتسليمها للخالق؛ لأن المؤمن وكل مخلوق على وجه الأرض وفي الكون ليس له لاحول و لاقوة.

وكذلك في الحديث درس في أن التوكل كما أنه قول باللسان هو اعتقاد وعمل وبهذا يكون التوكل هو هؤلاء جميعا اعتقاد، وعمل، وقول باللسان.

فصدق التوكل أن تثق في الله، وفيما عند الله، فإنه أعظم وأبقى مما لدى العبد في دنياه.

⁽١) سورة الطلاق، آية: ٣.

⁽٢) انظر: للبغوي، معالم التنزيل، (٥/٢٠٤).

⁽٣) انظر: لابن القيم، مدارج السالكين، (١٣٣/-١٣٤).

⁽٤) سبق تخريجه، ص٧٥.



فالآيات القرآنية التي تحدثت عن التوكل وكانت في صدد الكلام عنه تدعو رسول الأمة محمد على وجماعته المؤمنة الموحدة بتفويض الأمور كلها إلى الله وحده. قال تعالى: ﴿ وَتَوَكَّلُ عَلَى ٱللَّهُ وَكَفَىٰ بَاللَّه وَكِيلًا ﴾(١).

يقول الإمام الطبري^(۲) في تفسيره لهذه الآية " وفوض إلى الله أمرك يامحمد، وثق به وحسبك الله قيما بأمرك وكيلا، وحفيظا بك"^(۲)، فالله تعالى عاصم وحسب كل من فوض أحواله وأعماله إليه.

فمن خلال هذه المعاني فالمتوكل داخل في كنف وحماية الله سبحانه وتعالى وذلك بعد أن يقدم الجهد من الأسباب التى أمر بها سبحانه، ويكمل الله تعالى للمتوكل كل مايعجز عنه، فنبي الأمة محمد - وراعي على المكنة وأعد لكل أمر عدته، من الرفيق، ومن الدليل، ومكان الخفاء، ومن يأتي له بالزاد والأخبار، ومن يعفي على آثاره هو ورفيقه الصديق، ومع هذا فقد استطاع قومه أن يقفوا أمام مكانه، ولكن حماية وكفاية الرحمن فوق كل شيء، فالخوف ملك رفيقه حيث قال: " لو أن أحدهم فظر تحت قدميه لأبصرنا" فقال رسول الله: ماظنك باأبا بكر باثنين الله ثالثهما "(٤).

فالرسول الكريم فعل ماأمر به، وترك مالم يامر به لربه، وراعيه، ومالكه وكالئه، وكافيه يدبره بما يشاء لقد فاض على قلب رسولنا من صدق التوجه واستغناء القلب بالله تعالى فشعر على وصاحبه بكفاية وكفالة الله لهما.

سورة الأحزاب، آية: ٣.

⁽٢) محمد بن جرير الطبري، الإمام أبو جعفر ولد سنة ٢٢٤هـ وتوفي سنة ٣١٠هـ؛ طبقات المغسرين للسيوطي، ص٨٢.

⁽٣) انظر: جامع البيان، (٦/١٥٧).

⁽٤) صحيح البخاري (٤/٥٥) ح٣٦٥٣ كتاب فضائل أصحاب النبي؛ ومسلم (٤/٤) ح١٨٥٤/٤) ح٢٣٨١ كتاب فضائل الصحابة، واللفظ للبخاري .

قال تعالى: ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافِ عَبْدَهُ وَ وَيُحَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهُ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مَن هُو مِنْ هَالَّهُ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُضِلَّ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِى ٱنتقامِ ﴿ وَلَيِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَوات مُضِلًا أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِى ٱنتقامِ ﴿ وَلَيِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَوات مُنْ فَاللَّهُ مِن دُونِ ٱللَّهُ إِنْ أَرَادَنِي ٱللَّهُ وَٱلْأَرِّضَ لَيَقُولُ مَن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِي ٱللَّهُ وَٱلْأَرِّضَ لَيَقُولُ مَن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِي ٱللَّهُ عَلَيْهِ مِنْ حُمَةٍ هَلَ هُنَ مُمْسِكَتُ مُمْسِكَتُ مُمْسِكَتُ مُمْسِكَتُ مُرَّةً عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿ وَالْمَن اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿ وَالْمَن اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِلُونَ ﴿ وَالْمِن اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِلُونَ ﴿ وَالْمَن اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِلُونَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِلُونَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوْكِلُونَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوْكِلُونَ اللَّهُ مِن الللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوْكِلُونَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوْكِلُونَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوْكِلُونَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوْكِلُونَ اللَّهُ عَلَيْهِ مِنْ مُنْ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوْكِلُونَ اللَّهُ عَلَيْهُ عَلَيْهِ مِنْ اللللَّهُ عَلَيْهِ عَلَى الللهُ الْمُتُولِةُ اللهُ الللهُ عَلَيْهُ عَلَيْهِ عَلَى اللهُ اللهُ

فالله تعالى كاف عبده ومرشده ومسدده إلى طريق الحق و الإيمان فإليه نفزع في أمورنا دون سواه، فهو الكافي سبحانه (٢).

وهناك معنى في تفسير ابن كثير (") هو " أنه تعالى يكفى من عبده وتوكل عليه، فهو سبحانه منيع الجناب لايضام من استند إليه، ولجأ إلى بابه فإنه العزيز الذي لا أعز منه، ولا أشد انتقاما منه ممن كفر به وأشرك وعائد رسوله عليه -"(أ).

" فعن عبدالله بن عباس – رضي الله عنهما – أنه قال: كنت ذلف رسول الله – هله بوما، فقال: " ياغلام إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجمه تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، وفعت الأقلام وجفت الصحف " "(°)

⁽١) سورة الزمر، آية: ٣٦-٣٨.

⁽٢) انظر: للطبري، جامع البيان، (٢/٣٨٧-٣٨٨).

⁽٣) عماد الدين أبو الفداء، إسماعيل بن عمرو بن كثير، ولد سنة ٧٠٠هـ وتوفي سنة ٧٧٤هـ.؛ انظر: شذرات الذهب، (٢٣١/٦).

⁽٤) انظر: تفسير القرآن العظيم، (٨٢/٤).

⁽٥) الترمذي (٢٥١٦) واللفظ له وقال: هذد حديث حسن صحيح؛ وأحمد (٢٩٣/١-٣٠٣)، وقال الشيخ أحمد شاكر: صحيح (٢٩٣/٤) برقم (٢٧٦٣).



" فالله تعالى يكفي من عبده وتوكل عليه، فيدفع عنه الويلات والمصائب، ويعطيه جميع المرغوبات"(().

هذا لمن اتصف بصفة العبودية الحقة له سبحانه، لأنه قد ثبت أنه تعالى عالم بجميع الأمور، قادر على كل الممكنات، غني عن كل الحاجات فهو تعالى عالم بحاجات العباد، وقادر على توفيرها، فالآية الكريمة من سورة الزمر دليل على أن الله يحمي نبيه على من السوء، ويكفيه وأتباعه الدين والدنيا.

فالمرء المؤمن يشتد عليه الأمر ويتناهى في العظم ويحصل الياس من كشفه من جهة المخلوقين ويتعلق القلب بالله وحده وهذا هو حقيقة التوكل على الله، فإن الله يكفى من توكل عليه في أمره.

فالمؤمن يلتجئ ويلوذ بجناب الله تعالى، وقد علمنا رسولنا الكريم - الله عض كلمات لها وقع عظيم عندما يلهج اللسان بها فقول حسبي الله ونعم الوكيل لها تأثير عظيم، في دفع الشر، وحصول الخير.

" فعن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: حسبنا الله ونهم الوكيل قالها إبراهيم عليه السلام حين ألقي في النار، وقالها محمد - عليه حين قال الله منه ألنّاسُ انّ النّاسَ قد جَمَعُواْ لَكُمْ فَاَخْشُوهُمْ فَرَادَهُمْ إِيمَنْنَا وَقَالُواْ حَسَبُنَا اللّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾ (٢) الله وقالها محمد الوكيل فَرَادَهُمْ إِيمَنْنَا وَقَالُواْ حَسَبُنَا اللّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾ (٢) الله وقاله وقاله الله وقاله وقال

" فالله تعالى يتجلى بصفات الكفاية والحسب، والقيام بمصالح العباد وسوق أرزاقهم إليهم، ودفع المصائب عنهم، ونصره لأوليائه، وحمايته لهم، ومعيته الخاصة لهم، انبعثت من العبد قوة التوكل عليه، والتفويض إليه والرضا به وبكل مايجريه على عبده، ويقيمه فيه مما يرضى به هو سبحانه، والتوكل معنى يلتئم من علم العبد

⁽۱) انظر: لوهبه الزحيلي، التفسير المنير، ج١٢ (٢٣-١٠/٩-١٠)؛ ولسعيد حوي، الأساس في التفسير، (٤٨٧٧/٩).

⁽٢) سورة آل عمران، الآية: ١٧٣.

⁽٣) صحيح البخاري، (٩٤٥) ح ٤٥٦٣.



بكفاية الله وحسن اختياره لعبده وثقته به ورضاه بما يفعله ويختاره له"(١)

فالعبد يقوم بما أمر به سبحانه من إخلاص واجتهاد، وتوكل، والله تعالى يقوم بما ضمنه له من الرزق والكفاية، ومن سعادة المرء أنه إذا توكل على الله كفاه الله سائر الأمور، ولكن إذا توكل العبد على غيره قطع الله عنه سائر الأمور، فالعز كل العز في التوكل على المخلوقين، فينبغي إظهار الفقر إلى الله تعالى بطلب المعونة على مايز اوله من الأمور، ولابد أن يكون هذا حال الخلق من المؤمنين، فما شاء الله كان، ومالم يشأ لم يكن ولو اتفقت عليه الخليقة.

⁽١) انظر: لابن القيم، الفوائد، ص ٩٢.

المبحث الحادي عشر الفوز والغلبة

إن النعم كلها من الله وحده والمتوكل على الله مؤيد من الله، وعلى قدر قوة توكل المرء على ربه وتجرده له، يكون مدد الله تعالى وعونه، والإمداد على قدر الاستعداد.

قال تعالى: ﴿ إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَ لَا غَالِبَ لَكُمُّ وَإِن يَخَذُلُكُمْ فَمَن ذَا اللَّهِ عَالَبَ لَكُمُّ وَإِن يَخَذُلُكُمْ فَمَن ذَا اللَّهِ عَالَى يَنصُرُكُم مِّن بَعْدِهِ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ (١).

" فكل من أخلص، وخص الله بالتوكل عليه يستحق النصر من الله"(٢).

سورة آل عمران، آیة: ۱۲۰.

⁽٢) انظر: للبيضاوي، أنوار التنزيل واسرار التأويل، ص ٩٤.

⁽٣) سورة غافر، آية: ٥١.



نالهم به ال(١). وهنا يرد سؤال كيف كان نصر الله تعالى لرسله قديما؟ هل له أشكال أو أنواع غير النصر المألوف في الدنيا من النصر في الحرب والغلبة على الأعداء وفي هذا أورد صاحب تفسير جامع البيان عن تأويل آي القرآن بعض أشكال وأنواع النصر هذه.

فأولا: إعلائه سبحانه رسله مع من كذب بهم وإظفارهم بهم حتى يقهر وهم غلبة، ويذلوهم بالظفر ذلة، كالذي فعل من ذلك بداود وسليمان فأعطاهما من الملك والسلطان ماقهروا به كل كافر، وكالذي فعل بمحمد على من كذبه من قومه.

ثانیا: إنتقام الله لكل من حاد وشاق وذلك بإهلاكهم، وإنجاء الرسل ممن كذبهم، وعاداهم كالذي فعل تعالى ذكره بنوح وقومه من تفريق قومه وإنجائه منهم، وكالذي فعل بموسى وفر عون وقومه إذاهلكهم غرقا، ونجى موسى ومن آمن به من بنى إسرائيل وغيرهم ونحو ذلك.

ثالثا: إنتقام الله من المكذبين في الحياة الدنيا كالذي فعل بقتلة شعياء أن سلط الله عليهم من سلط لقتلهم، وكفعله سبحانه بقتلة يحيى، بأن سلط على قتلته بختنصر حتى هلكوا به.

فهذه نصرة عظيمة، وهذه سنة الله تعالى في خلقه في قديم الدهر وحديثه أنه ينصر عباده المؤمنين في الدنيا ويقر أعين من آذاهم(Y).

إذا التوكل على الله ينبغي الحرص عليه في جميع الأحوال من نصر، وخذلان، لأن من المعلوم عند المؤمن أن نتائج أعماله هي بيد الله، فهو القوة الفاعلة، وأن قوة الله هي الغالبة بعد اتخاذ العدة و العتاد، ونفض الأيدي من العواقب وتعليقها بقدر الله، وتقبله و الرضا بما يأتي به الله فحال المؤمن إذا ادلهمت الأمور عليه أن يزداد توكلا على الله، و إيمانا به، و الله عند حسن ظن عبده....، فوعد الله قاطع جازم بالنصر قريبا أم بعيدا، و المؤمن عليه أن لايقصر معنى النصر على صورة

⁽١) انظر: لابن جرير، (٣/٥٦)؛ وانظر لابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (١٢٦/٤).

⁽٢) انظر: المصدر نفسه (٦/٥٣٤)؛ ولابن كثير، المصدر نفسه، (٤/٦٦).



معينة حتى لايدخل الشيطان إلى النفس من هذا المدخل، ويفعل بها الأفاعيل، وينبغي أن يعرف أن صور النصر شتى وقد يلتبس بعضها بصور الهزيمة عند النظرة القصيرة فمن هذه الصور أيضا مثلا أنبياء الله، ومنهم إبراهيم عليه السلام عندما القي في النار لم يرجع عن عقيدته ولاعن الدعوة إليها .. أكان هذا موقف نصر أم موقف هزيمة؟، مامن شك – في منطق العقيدة – أنه كان في قمة النصر وهو يلقى في النار ٠٠٠٠، لأنه عليه الصلاة والسلام قد كشف أوهامهم، وضلالهم – كما أنه انتصر مرة أخرى وهو ينجو من النار وأمام أعينهم، فهذه صورة، وتلك صورة، وكم من شهيد ماكان يملك أن ينصر عقيدته، ودعوته لو عاش ألف عام كما نصرها باستشهاده، لقد انتصر رسولنا وفاز وغلب في حياته، ونصره وغلبته ارتبطت بمعنى إقامة هذا الدين، وهذه العقيدة بحقيقتها الكاملة في الأرض إلى يومنا هذا وإلى نقوم الساعة.

فالفوز والغلبة لاتكون إلا باتجاه القلب إلى الله وحده، وبتوكله عليه وحده، وبالاطمئنان إلى قضاء الله فيه، وقدره عليه، وحين يصل إلى هذه الدرجة من الطمأنينة فسيكل الأمر لله، ويلتزم ويتلقى كل مايصيبه على أنه الخير، وذلك معنى من معاني النصر، النصر على الذات وهو نصر داخلي الذي لايتم نصر خارجي بدونه بحال من الأحوال(١).

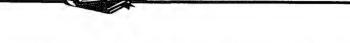
كذلك من صور النصر اختيار الله تعالى لأحد البشر بالرسالة، والنبوة والتمكين في الأرض.

قال تعالى: ﴿ وَكَذَا لِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ اللَّهُ عَالِبُ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (٢).

فالله تعالى نصر يوسف على اخوته وعلى امرأة العزيز بأن كشف سبحانه لأبيه مؤامرة إخوته عليه، وكشف تدبير امرأة العزيز وكيدها له، فالله تعالى غالب على أمره يفعل مايشاء، لايغلبه شيء، ولايرد حكمه راد، فالغلب ليوسف عليه

⁽١) انظر: لسعيد حوى، الأساس في التفسير، (١٩٣٩)، و (٩٩٩١٩-٤٩٧١).

⁽۲) سورة يوسف، آية: ۲۱.



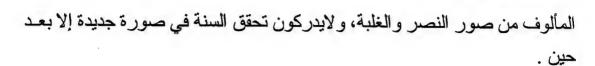
السلام قد تجلى في أن ملك خزائن الملك، وماأنعم الله به عليه بعد معاناته فخصه سبحانه بالنبوة والنجاة (١).

وجمع أبويه واخوته تحت جناحه وأمام ناظره يعولهم ويرعاهم، فوعد الله قاطع، وسنته جارية بنصر وفوز أنبيائه ورسله أئمة المتوكلين فهم حزب الله الغالبون، وإن خسروا بعض المواقف والمشاهد لحكمة يعلمها الله تعالى، ولكن الفوزحاصل، وإنما هو قدر يجريه الله تعالى لمن اتصف أنه من جند الله، ومن كانت أحواله مستقيمة فليبشر بالغلبة والنصر المؤزر العزيز. قال تعالى في هذا المعنى السابق: ﴿ وَلَقَدُ سَبِقَتُ كُلمَتُنَا لِعبَادِنَا ٱلمُرسَلِينَ ﴿ وَلَقَدُ سَبَقَتُ كُلمَتُنَا لِعبَادِنَا ٱلْمُرسَلِينَ ﴿ وَلَقَدُ سَبَقَتُ كُلُمُونَ ﴾ (٢).

فهذه ظاهرة عامة ملحوظة في جميع بقاع الأرض، في جميع العصور، وإن طال الزمان أم قصر، وهي كذلك متحققة في كل دعوة، يخلص فيها الجند، ويتجرد لها الدعاة، إنها غالبة منصورة مهما وضعت في سبيلها العوائق، وقامت في طريقها العراقيل، فها هي أفغانستان ، البوسنة والهرسك، كوسوفا، وستأتي الشيشان في الطريق بالفوز والغلبة والنصر بإذن الله مهما رصد لها الباطل من قوى الحديد والنار والغازات السامة، وقوى الدعاية والافتراء، وقوى الحرب والمقاومة وماهي الإ معارك تختلف نتائجها فيوم الك، ويوم عليك، ولكن ينتهي اليوم الذي لجند الله، وحزبه بالوعد الذي وعده لهم ولرسله الذي لايخلف ولو قامت قوى الأرض كلها في طريقه، الوعد بالنصر والغلبة، والتمكين هذا الوعد وإن طال حدوثه، فهو من سنن طريقه، الوعد بالنصر والغلبة، والتمكين هذا الوعد وإن طال حدوثه، فهو من سنن الله الكونية الماضية، كما تمضي هذه الكواكب والنجوم في دور إنها المنتظمة، وكما للميتة ينزل عليها الماء ولكنها مر هونة بتقدير الله، يحققها حين يشاء، ومتى يشاء ليمتحن ويبتلي حزبه، تبطيء أثار ها الظاهرة بالقياس إلى أعمار البشر المحدودة، ليمتحن ويبتلي عزبه، تبطيء أثار ها الظاهرة بالقياس إلى أعمار البشر المحدودة، ولكنها لاتخلف أبدا ولاتخلف، وقد تتحقق في صورة لايدركها البشر؛ لأنهم يطلبون ولكنها لاتخلف أبدا ولاتخلف، وقد تتحقق في صورة لايدركها البشر؛ لأنهم يطلبون

⁽۱) انظر: لابن الجوزي، زاد المسير، (۱۹۹/۶-۲٤٥).

⁽٢) سورة الصافات، آية: ١٧١-١٧٢-١٧٣.



فما نراه من قوى الحرب ضد المسلمين، وضدمن يقول لا إله إلا الله إلا نصر للمسلمين عامة فهم لايقومون بهذه الحرب إلا من خوفهم من المسلمين والإسلام، ولأنهم يعلمون علما يقينا أنهم منصورون، وأن مايقومون به من محاولات للفتك بالإسلام والمسلمين واستنزاف الأموال والأنفس، ومكرهم لاطائل من ورائه؛ لأن مكر الله الله وأبقى "(۱).

فالمؤمنون جميعهم يريدون صورة معينة من صور النصر والغلبة، ولكن الله تعالى يريد لهم الأكمل والأبقى من النصر والفوز فمثلا أراد المؤمنون في غزوة بدر أن تكون العير لهم، ولكن أراد الله لهم أن تفوتهم تلك العير والقافلة الرابحة الهينة، ويقابلوا النفير ويقاتلوا الطائفة ذات الشوكة فكان ماأراد الله من الخير للإسلام وللمسلمين، فنصر وغلب القلة على الكثرة، والحق على الباطل ، وكان هذا هو النصر الذي بقى لجند الله ولدعوته على مدى الأيام.

قد يقسو البلاء ويعظم ولكن يهيء الله تعالى النصر في مجال أوسع وفي زمن أطول فالمؤمن المتوكل يعلم أن الله حكيم في مايدبره رحيم في أفعاله ولن تكون ثمار التوكل مجدية نافعة إلا باستقامة العبد وصلاحه توحيده وذلك بجمع علم القلب وعمله فالتوكل على الله من أقوى الأسباب في استجلاب المنافع ودفع المضار "فإنه لايستقيم توكل العبد حتى يصح له توحيده، بل حقيقة التوكل توحيد القلب، فما دامت فيه علائق الشرك فتوكله معلول مدخول وعلى قدر تجريد التوحيد تكون صحة التوكل"().

فهذه الثمرة النافعة هي من ثمار شجرة التوكل على الله، فلعلها تكون حافزا قويا للاعتماد والاستعانة، وللجوء للحي القيوم الفرد الأحد الصمد في كل الأمور والأحوال.

⁽١) انظر: اسيد قطب، في ظلال القرآن، (٣٠٠٢/٥).

⁽٢) انظر: لابن القيم، مدراج السالكين، (٢/١٢٠).

المبحث الثاني عشر التسليم للقضاء والقدر

إن من أعظم الثمرات التي يجنيها المتوكل على الله سبحانه هو التسليم للقضاء والقدر، فيجب الإيمان بقضاء الله وقدره، فلايتم إيمان العبد حتى يؤمن بقضاء الله وقدره، فجميع مايجرى في الآفاق وفي الأنفس من خير أو شر فهو مقدر من الله تعالى ومكتوب وبإرادة الله تعالى.

قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِى لَهُ مُلْكُ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذُ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكُ فِي ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكُ فِي ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ وَتَقَدِيرًا ﴾ (١).

فالله تعالى فعال لما يريد وليس شيء يخرج عن تقديره و لايصدر إلا عن تدبيره فخلق الخلق و أفعالهم وقدر أرزاقهم وله حكمة في قضائه سبحانه فعلينا أن نؤمن بذلك.

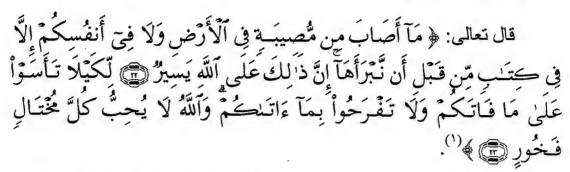
فالدين كله علم بالحق وعمل به، والعمل لابد فيه من اليقين والتوكل والرضا والتسليم للقضاء والقدر ولن يذوق المؤمن طعم الإيمان إلا إذا سلم ورضي بالقضاء والقدر. عن العباس بن عبدالمطلب قال: قال النبي - على النبال عنه الإيمان من رضى بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد نبيا"(٢).

فالتسليم للقضاء والقدر والتوكل مخرجهما واحد ألا وهو القلب ولكن التسليم للقضاء والقدر ثمرة من ثمار التوكل على الله .

فالمؤمن المتوكل على الله يعلم أنه لاحول له ولاقوة إلا بالله تعالى ويسلم بأقدار الله تعالى فلا يقلق بفوات المحبوب أو حصول المكروه فكله بقدر الله.

⁽١) سورة الفرقان، آية ٢.

⁽٢) صحيح مسلم، ٣٤ كتاب الإيمان.



ففي الآية إخبار من الله تعالى عن قدره السابق في خلقه وأردف ذلك بتهوين المصائب على المؤمنين حتى يكون لهم الإطمئنان (٢).

إن عقيدة التسليم بالقضاء والقدر ترتبط ارتباط وثيق بخلق وعقيدة التوكل؛ لأن العقيدة الصحيحة في قضاء الله وقدره المستندة على الأدلة الشرعية تدفع المؤمن للعمل في سبيل مرضاة ربه مجاهدا في سبيله، يقول الحق، ولايبالي باحد، لايخاف في الله لومة لائم لإيمانه الجازم أن ماأصابه لم يكن ليخطئه، وماأخطأه لم يكن ليصيبه، وبهذا الإيمان انطلق سلف الأمة الإسلامية، وشحنت نفوسهم على الإقدام لفتح البلدان، ينشرون الإسلام والقرآن في ربوع الأمم، فكان إيمانهم بالقضاء والقدر دافعا لهم إلى العمل المستمر في نشر دين الله، فلايقلقون لحصول مكروه أو فوات المنشود؛ لأن ذلك بقدر الله الذي له ملك السموات والأرض، وهو سبحانه فعال لما يريد، ولايكون شيء إلا بإرادته، ومشيئته خالق الخلق، وأفعالهم، ومقدر أرزاقهم وآجالهم.

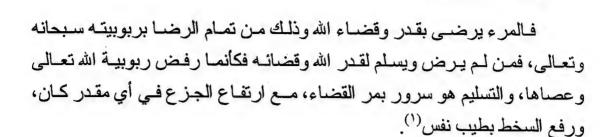
قال تعالى: ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَلِ مِن شَيْءٍ ﴾ (٣). وقوله تعالى: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَلُهُ بِقَدَرٍ ﴾ (٤).

⁽١) سورة الحديد، الآية ٢٢-٢٣.

⁽٢) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (٤٨٩/٤).

 ⁽٣) سورة الأنعام، آية: ٣٨.

⁽٤) سورة القمر، آية: ٤٩.



ففي التوكل على الله استغناء عن الناس بطلب العمل والتسليم لقدرة الله على إنجاز كل مايريد وفوق مايريد (٢).

فالمؤمن يمضي على الحقيقة التي علمها وعرفها من أن الكمال الأعلى شه تعالى، وأن كل عمل لايحدث و لايقدر له إلا وله حكمة إلاهية، وإذا غابت عنه الحكمة الإلهية في أمر من الأمور عرف المؤمن جهله أمام علم الله وترك الاعتراض والتسخط فكل من آمن أن الله خلق كل شيء بقدر نراه حريصا على معرفة أقدار الخير ليدفع بها أقدار الشر، بهمة ويقين وسرعة عمل فهو يدفع قدر الجوع بقدر الطعام، وقدر المرض بقدر الدواء، وقدر الفقر بقدر السعي في طلب الرزق، فهذه الأعمال تؤدي بصاحبها إلى القناعة وعدم الأسى لما يفوته، وإلي التحمل والصبر والتسليم والمثابرة.

⁽۱) انظر: للجرجاني، التعريفات، ص۱۱۱؛ وللمناوي، التوقيف على مهمات التعاريف، ص

⁽٢) ابن مفلح، الآداب الشرعية والمنح المرعية، (القاهرة: مؤسسة قرطبة، تـط ١٩٨٧م)، (٣/٧٠).

⁽٣) سورة الحديد، آية: ٢٢-٣٣.



والقرآن الكريم عرض حقائق جامعه بأدلة واضحة سهلة لاتعقيد فيها ولاغموض من أو امر ونواه، أخلاق، وآداب، وقصص، وغزوات، وأحكام.

فالمؤمن يقف عند كل عرض منها وهو خاشع، متأمل يخرج من هذا التأمل والخشوع بإيمان يشرق على جوانب النفس كلها فتنبت عقيدة تنفذ إلى العقل، وتطمئنه، وإلى القلب فتهزه وإلى الإرادة فتدفعها وتوجهها للعمل طائعة راضية، مستسلمه، متوكلة تشعر بوجود القوة الإلهية معه، ويلجأ إليها عند الشدة تلك القوة التي تنقذه من الأزمات، فالمؤمن يشحن نفسه ويملؤها بالإيمان واليقين والثقة في الله.

قال تعالى: ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلُ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ عَدْ اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ عَدَدًا ﴾ (١).

ولنأخذ مثالا على التسليم بالقضاء والقدر وشحذ الهمم وأثر التوكل عليهما في المؤمن الذي لاحقه الاضطهاد، والتعذيب الجسدي والنفسي وازداد عنفا وشراسة عند وفاة سنديه العاطفي، والاجتماعي، وكأن الله أراد لهذه النفس المؤمنة أن تستعد للفجر القادم، فجر الإسلام الذي وضع خطواته رسولنا على الدرب صوب المدينة، كان يعلم عليه الصلاة والسلام أن عمل الإنسان لايستقيم إلا بصياغة العمل وانسجامه مع قدر الله وقضائه، والتناغم بينهما فبدون هذا التواصل لن تكون هناك حركة ولاعمل جاد، ولامصير عظيم، فالرسول على يخطط، ويضع الضمانات، ويهيء الإمكانات لنجاح العمل بين الأفراد والجماعات، فالرسول هاجر إلى المدينة بعد أن خرج من الطائف، وصد صدا عنيفا، لكنه لم يياس، لأنه يعلم يقينا أن الخاتمة ستكون له، فقط إذا استمر على بذل جهده لتخطيط دولة ستعقب انتصار ا(٢).

خرج ورفيق دربه معا يستكملان الخطة ويضعان الأسباب، ويتنزل وتتوالي الانتصار ات مع بعض من الهزائم، ولكنها غير مؤشرة كثيرا، بل إنها كانت دافعا قويا للسير على النهج والخطة التي رسمها محمد على النهج والخطة التي

سورة الطلاق، آية: ٣.

⁽٢) عبدالسلام هارون، تهذيب سيرة ابن هشام، (القاهرة: المؤسسة العربية الحديثة، ١٩٦٤م)، ص١٢٨...؛ وانظر: لعماد الدين خليل، دراسة في السيرة، (بيروت: مؤسسة الرسالة، دار النفائس، تط التاسعة ١٤٠٤هـــ) ص١٣٤٠.



بين قضاء الله وقدره وإرادة وعمل المؤمن، وبين أن هدى الله وخطوات عباده الأبرار مكنت القادة المؤمنين من استكمال كل الأسباب التي منحهم الله إياها.

ففي تجربة الهجرة يتنزل النصر من الله، مرئيا محسوسا، ثلاث مرات، مرة عند مغادرته داره وقد أحاط أبناء المشركين بداره ليطيحوا برسول الله، ولكن لم تأت هذه اللحظة، فقد راح يقرأ رسول الله آيات من سورة يس وعبر هذا المانع والسد المنيع أغشى به الله أبصار المشركين.

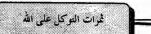
ومرة ثانية عند الغار اقد رأى أبو بكر بأم عينيه نعال المشركين المطاردين تخفق عند أسفل الغار، فارتعد فرقا ليس على نفسه بل على رسوله الكريم ويجيء نصر الله تعالى بأن تطيش ألباب المشركين ﴿ ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إذْ هُمَا فِي ٱلْعَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَلَحِبِهِ لَا تَحُزَنُ إِنَّ ٱللَّهُ مَعَنَا فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ يَقُولُ لِصَلَحِبِهِ لَا تَحُزَنُ إِنَّ ٱللَّهُ مَعَنَا فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيْتَدَهُ وَلَيْهُ وَاللَّهُ مَعَنَا فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيْتَدَهُ وَلَيْهُ وَاللَّهُ عَلَيْهُ وَكَالِهُ اللَّهُ سَكِينَتَهُ وَاللَّهُ عَلَيْهُ وَاللَّهُ عَزيزُ حَكِيمً ﴾ (١) وكلمة ٱللَّذِير كَفُرُوا ٱلسُّفُلَى وَكَلِمَةُ ٱلَّذِير كَعَلَمُهُ ٱللَّهُ هِي ٱلْعُلْيَا وَٱللَّهُ عَزيزُ حَكِيمً ﴾ (١) .

ومرة ثالثة في الطريق إلى المدينة فقد اقتفوا أشره (بسراقة ابن مالك) الذي خلبت لبه الجائزة التي رصدتها قريش لمن يأتي بالرسول حيا أو ميتا، فتعثر سراقه بفرسه وتمرغ بالتراب، كلما اقترب من هدفه مرة أو مرتين فيطلب الأمان من رجلين من جنود الله فأنى له مايريد؟، وقفل عائدا وكلما رأى أحدا يقتفي أثر رسول الله وصحبه رده قائلا: كفيت هذا الوجه، وذلك ماطلبه منه الرسول (٢).

فهجرة الرسول تعلمنا كيف يكون العمل مع القضاء والقدر، وهو المثل الأعلى في ذلك ، كذلك المؤمنون عليهم أن يكونوا كرسولهم على - فأولوا الألباب لايغضون أعينهم ولايصرفون وجوههم عن الأدلة الواضحة ولايغلقون عقولهم عن تدبر آيات الله وأحاديث رسوله والنظر في أحوال الناس قياما وقعودا، وهذا لايتأتى إلا عن عقيدة صحيحة سليمة، وباطن سليم، وظأهر صالح.

⁽١) سورة التوبة، آية: ٤٠ .

⁽٢) انظر: عبدالسلام هارون، تهذیب سیرة ابن هشام، وانظر لعماد الدین خلیا، در استه فی السیرة، ص ۱۳۶–۱٤٤.



فالإيمان بالله والتوكل عليه لهما أثر هما على التسليم بالقضاء والقدر وشحذهم المؤمنين الصادقين فهما محطات تزود بالوقود الإيماني الذي يعين على السير لجميع الاتجاهات والطرق.

فالصحابة رضوان الله عليهم وعوا هذا وأدركوه، وتسابقوا لأجل الفوز بالدرجات العلى والمديح من الله ورسوله على وأن الله يُحبُّ الله يُحبُّ المتوكلين هذا الجزاء للمتوكلين فينبغي التمسك بهذا الحب، ونعمل على أن نكون أهلا لهذا الحب.

فليكن توكلنا مرضيا محبوبا لامسخوطا مبغوضا حتى تكون المصلحة والنفع العام للفرد والمجتمع.

⁽١) سورة آل عمران، آية: ١٥٩.



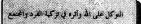
الفصل السابع

التوكل على الله وأثره في تزكية الفرد والمجتمع

وفيه:

نهميد.

المبحث الأول: أثر التوكل على الله في تزكية الفرد. المبحث الثاني: أثر التوكل على الله في تزكية المجتمع.



الفمل السابع

التوكل على الله وأثره في تزكية الفرد والمجتمع

التمميد:

إن التزكية عملية تتمية الخيرات والبركات ... وبزكاء النفس وطهارتها يستحق العبد أوصافا محمودة في الدنيا وفي الآخرة بالأجر والمثوبة^(١).

والتزكية ليست نوعا واحدا، والأشكلا واحدا؛ الأن الناس مختلفون على وجه الأرض، فكان لكل جماعة نوع من التزكية التي تختلف أسسها وأهدافها حسب المقتضيات الدينية، والاجتماعية، والاقتصادية.

قال تعالى: ﴿ هُو ٱلَّذِى بَعَثَ فِي ٱلْأُمِّيِّنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتُلُواْ عَلَيْهِمْ عَلَيْهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَابَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن عَلَيْهِمْ عَلَيْهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَابَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن عَلَيْهِمْ عَلَيْهِمْ عَلَيْهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَابَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن عَبَلُ لَهُ لِينِ ﴾ وَأَلْمُهُمُ اللّهُ لَلْمُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الل

قال تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرِ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكَتَابَ وَٱلْحُكَمَ وَٱلنَّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُواْ عِبَادًا لِي مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَكِن كُونُواْ رَبَّانِيِّنَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُواْ وَبَائِيِّنَ لَي مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَكِن كُونُواْ رَبَّانِيِّنَ ثُمَّ يَقُولُ لِلنَّاسِ كُونُواْ وَبَائِيِّنَ فَي مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَكِن كُونُواْ رَبَّانِيِّنَ فَي مَا كُنتُمْ تَكْرُسُونَ ﴾ (١).

إن من أكرمه الله واصطفاه بالحكم والنبوة هو من يرب الناس ويقوم بإصلاح وإتمام الأمر شيئا فشيئا، أو حكماء وعلماء وفقهاء معلمين (أ)، يأخذ بيدي الأفراد والجماعات إلى التربية الإيمانية الصادقة، ويحرروهم من عبودية الأهواء؛ ليعتصموا بعبودية الله وحده ويطهروا أعمالهم ويزكوا نفوسهم، فهذه هي مهمة الرسل الأساسية التزكية، وتعليم الكتاب والحكمة.

⁽١) انظر: الأصفهاني، معجم مفردات ألفاظ القرآن، ص٢١٨.

⁽٢) سورة الجمعة، آية ٢.

 ⁽٣) سورة آل عمران، آية: ٧٩.

⁽٤) انظر: الطبري، جامع البيان، (٢/ ٢٨٠)؛ البغوي، معالم التنزيل، (١/ ٤٩٨).

قال تعالى: ﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَّ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتُلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَابَ وَالْخَصِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَابَ وَٱلْحَكَمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُثْبِينٍ ﴾ (١).

" نقد تطول الله على المؤمنين حين أرسل فيهم رسولا ... من أهل لسانهم... يقرأ عليهم آي كتابه وتنزيله ... ويطهرهم من ذنوبهم بإتباعهم إياه وطاعتهم له فيما أمرهم ونهاهم ويعلمهم كتاب الله الذي أنزل عليه، ويبين لهم تأويله ومعانيه ويعلمهم السنة التي سنها الله تعالى للمؤمنين على لسان رسوله - على - وبيانه لهم "(٢).

فالتزكية في الإسلام هي تبليغ للشيء وتحديد للهدف يسير بها المربي شيئا فشيئا، وهي مستمرة لبلوغ الهدف الأعلى في حياة الناس جميعاً.

ونعلم يقينا أن الدين الإسلامي بعقائده، وعباداته، وحقائقه، وأخلاقه وكل ماجاء من عند الله هو من أكبر الدلائل القاطعة الضرورية الدالة على أن الله هو الحق ورسوله حق ودينه حق، وماعارض ذلك هو الباطل؛ لأنه يدعو إلى الإيمان الصحيح بالله تعالى، وبأوصافه، وأسمائه، وبكل كتاب أنزله، وبكل رسول أرسله، وبكل حق أخبر الله به ورسوله، وذلك يوجب كمال الإخلاص والقيام بعبوديته، والتبري من الشرك كبيره وصغيره، فإذا نظرنا إلى أخلاق الإسلام رأيناها تحث على كل خلق جميل، وتحذر من كل خلق رذيل وتدعو إلى القيام بحقوق الله، وحقوق عباده، وبالمعاملة الحسنة، ومن تأمل هذا الدين رآه يدعو إلى الصلاح والرشد والفلاح، والتربية السليمة والتزكية السلوكية.

وكتاب الله وسنة رسوله كفيلان ببيان ذلك كفالة تامة، فالآيات والبراهين، والأمثال، والقصص، والحوادث التي تدل على أنه محال أن يحصل صلاح حقيقي إلا بالإسلام، وتطبيق تعاليمه، والسبيل البشر إلى الخير والسعادة إلا بهذا الدين،

⁽١) سورة آل عمران، آية ١٦٤.

⁽٢) الطبري، جامع البيان، (٢/٣٥٨).



يأمر بتوحيد الله، والإيمان به، ويحث على العلم والمعرفة، والإذعان، والتوكل، والإنابة لله تعالى، ويأمر بالعدل والصدق في الأقوال والأعمال والأفعال، ويأمر بالرضا بما قسمه، وأنزله الله، ويأمر بالنصح لله تعالى ولرسوله، ولكتابه، ولأثمة المسلمين وعامتهم، ويأمر بكل معروف وينهى عن كل منكر في الأقوال والأفعال.

وقد أشرنا إلى أن التوكل على الله هو تفويض الأمر إلى الله تعالى وذلك باستيقان قدرته تعالى على قضاء الأمور، مع بذل الأسباب لقضاء هذه الحاجات، والتخلي عن التعلق بهذه الأسباب، والتعلق برب الأرباب، والمؤمن عندما يعيش يمارس هذه الحقائق الكبرى تطمئن نفسه، و لايقلق بكثرة الخوف و الانشغال على رزقه، و الإنسان المؤمن عندما يصل إلى هذا المستوى من الشعور، يدل هذا على مقدار إيمانه بصفة الرزاق، وهو مدخل رئيس لصفة التوكل؛ لأن أكثر مايشغل الناس في معاشهم قضية الرزق.

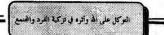
والتوكل على الله في الأعمال الصالحة من أشرف أنواع التوكل على الله إذ أن القائم فيها لايبتغي عرضا من أعراض الدنيا، بل هو يريد وجه الله تعالى، ولايمكن لإنسان أن يتوكل على الله حق توكله حتى يستشعر دوما رقابة الله عليه، مما يجعله يستحي أن يفوض أمره لغيره، وهو يؤمن بقدرته على قضاء حوائجه، فالمؤمن يجاهد نفسه، ويربيها على التحمل، وكسر الهوى، ومغالبة الشبطان.

قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَاهَدُواْ فِينَا لَنَهَدِينَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ اللَّهَ لَمَعَ اللَّهَ اللَّهَ لَمَعَ اللَّهَ اللَّهَ اللَّهَ لَمَعَ اللَّهَ اللَّهَ اللَّهَ لَمَعَ اللَّهَ اللَّهَ اللَّهَ اللَّهَ لَمَعَ اللَّهَ اللَّهُ اللَّهَ اللَّهَ اللَّهَ اللَّهُ اللَّهَ اللَّهُ اللَّالَّالَ اللَّالَّالَا اللَّهُ اللَّا اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّلَّا اللَّهُ اللَّا ا

"علق سبحانه الهداية بالجهاد، فأكمل الناس هداية أعظمهم جهادا، وأفرض الجهاد جهاد النفس، وجهاد الهوى، وجهاد الشيطان وجهاد الدنيا، فمن جاهد هذه الأربعة في الله هداه الله سبل رضاه الموصل إلى جنته، ومن ترك الجهاد فإنه من الهوى بحسب ماعطل من الجهاد"(٢).

سورة العنكبوت، آية: ٦٩.

⁽٢) انظر: لابن القيم، الفوائد، ص٧٨.



الهبحث الأول

أثر التوكل على الله في تزكية الفرد

لقد اهتم القرآن الكريم، والسنة المطهرة بتزكية الإنسان تزكية جسدية عضوية، وعقلية وتزكية سلوكية أخلاقية، وقبل كل شيء تزكية الجانب الروحي في الإنسان.

لأن التزكية الإسلامية تقوم على عقيدة سليمة صحيحة وهي الإيمان بالله خالقا واحدا ومعبودا.

وقد ربط الإسلام بين جانب العقيدة منه، وبين الأخلاق والعبادات التي ارتضاها لأتباعه ربطا وثيقا، وذلك يبدو واضحا من خلال القرآن الكريم، والسنة الشريفة فقد ربط القرآن الكريم بين لفظ الإيمان والعمل الصالح في كثير من آياته نحو قوله تعالى: ﴿ وَبَشِّر ٱلَّذِينَ عَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّلِحَاتِ أَنَّ لَهُمُّ جَنَّاتٍ تَجْرى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَارُ ... ﴾(١).

وقوله تعسالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّلِحَاتِ وَأَقَامُواْ الصَّلِحَاتِ وَأَقَامُواْ الصَّلَوَةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكُوةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفُ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَخْزَنُونَ ﴾ (٢).

وقول عالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّلِحَاتَ سَنُدُ خِلُهُمُ جَنَّتِ تَجْرى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَارُ خَلِدِينَ فِيهَآ أَبَدَا ۗ وَعْدَ ٱللهِ حَقَّا وَمَنْ أَصَّدَقُ مِنَ ٱللهِ حَقَّا وَمَنْ أَصَّدَقُ مِنَ ٱللهِ قِيلًا ﴾ (٣). وغيرها الكثير من الآيات.

كذلك ربط بين الإيمان وبين الأخلاق التعبدية والعملية من ذلك:

⁽١) سورة البقرة، آية: ٢٥.

⁽٢) سورة البقرة، آية: ٢٧٧.

⁽٣) سورة النساء، آية: ١٢٢.



قوله تعالى: ﴿ لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّلِحَاتِ جُنَاحُ فَيمَا طَعِمُواْ إِذَا مَا ٱتَّقَواْ وَءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّلِحَاتِ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَءَامَنُواْ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَاَعَامَنُواْ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَأَحَامَنُواْ ثُمَّ اللهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ (١).

وقوله تعالى: ﴿ يَآأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَتَنظُرُ نَفْسُ مَّا قَدَّمَتُ لِغَدِّ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُا بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (٢).

وقوله تعسالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّلِحَاتَ وَأَقَامُواْ الصَّلِحَاتَ وَأَقَامُواْ الصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلرَّكَوٰةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفُ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَخْزَنُونَ ﴾ (٢).

فجميع العبادات والأخلاق تمتاز بالشمول في علاقة الإنسان بخالف، وعلاقة الإنسان بنفسه، ببني جنسه، بل ويمتد ليشمل علاقة الإنسان بكل عناصر الكون من حوله.

فالإسلام يزكي ويربي الفرد على العناية بالجانب الجسدي منذ القدم ومنذ عهد الرسول الكريم - الله على الله تعالى في وجوب حماية جسمه وعدم التعرض لجسمه للهلاك، وذلك عن طريق الغذاء والرياضة ففيهما قوة للجسم وقد وجه الإسلام لذلك.

" فعن عقبة بن عامر — قال: سمعت رسول الله — موهو على المنبر يقول: " وأعدوا لمم ما استطعتم من قوة ، ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي "(¹⁾.

⁽١) سورة المائدة، آية: ٩٣.

⁽٢) سورة الحشر، آية: ١٨.

 ⁽٣) سورة البقرة، آية: ٢٧٧.

⁽٤) مسلم (١٩٢٧٣)، ح١٩١٧ كتاب الإمارة .



والتوكل على الله يزكي في المسلم القوة والعزيمة على العمل والسير على خطى ثابتة جادة (فعن أبي هريرة - على النبي - عن النبي - قال: " إن الدين يسر، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه، فسددوا، وقاربوا، وأبشروا، واستعينوا بالغدوة والروحة، وشيء من الدلجة")(1).

وفي التوكل على الله تزكية عقلية وهو أنه إذا علم المؤمن أن في أموره كلها سواء منها الخير أو الشر له فيها أجر، سر لذلك وَعَقَلَهُ؛ لأنه يعلم أن المانع والمعطي للخير والشر هو الله فإذا وقر ذلك في القلب تقبل المؤمن كل ماتأتي به الأيام بصبر جميل، قال تعالى: ﴿ وَاصَّبِرُ وَمَا صَبَرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ ﴾(٢).

فالمؤمن لايخاف من المصائب والأقدار، إنما يخاف من الذنوب والسيئات "فعن صعيب - الله على الله - الله الله الله الله الله المؤمن إن أمره كله خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له "(").

والمؤمن بهذا يوجه فكره – في آيات الله – في كل مايحويه الكون ومايضمه ويعلم أن الله خلق مافي الكون له، وسخر مظاهر الكون للإنسان وهذا التسخير ليس معناه مجرد النظر السطحي وإنما يستلزم منه اكتشاف مافي الكون والعمل بجد واستعانة بالله وتوكلا عليه للتنقيب عن معادن وطاقات وخامات تفيد الإنسان في حياته ويسمو المسلم بإيمانه وإنجازاته العلمية والعملية ويرتقى بمجتمعه إلى أفضل وأحسن المراتب الدينية والدنيوية.

والتوكل على الله باعتباره من الآداب التي تميز سلوك الإنسان عن سلوك البهائم سواء كان في تحقيق حاجاته الطبيعية، أو علاقاته مع غيره من الكائنات الأخرى، فجعل الإسلام للتوكل ثوابا، وعقابا.

⁽۱) صحيح البخاري، ص۱۲، ح رقم(٣٩)، كتاب الإيمان، باب الدين يسر.

⁽٢) سورة النحل، آية: ١٢٧.

⁽٣) سبق تخريجه، ص٢٥٥، ص ٢٩٥.



قال تعالى: ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى آللَّهِ فَهُوَ حَسَّبُهُ ۗ ﴾ (١).

فكل من توكل على الله فهو كافيه، ومن لم يتوكل عليه فهو كذلك سيجازيه. فيعاقب الناس لسوء توكلهم، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدَ أَهْلَكُنَا ٱلْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ فَيعاقب الناس لسوء توكلهم، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدَ أَهْلَكُنَا ٱلْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظُلَمُوا لَهُ الفسهم أو لا بكفرهم وشركهم بالله ومايتبعه ذلك من كفر وشرك في الأعمال والأقوال وتخبطهم في توكلهم على ربهم سبحانه بعدم توكلهم على ربهم، ويثيب الأبرار. قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴾ (١)، نعم الأبرار المؤمنين الذين عملوا بما أمروا نهوا عنه، توكلوا على الله وتركوا ماسواه، وأحسنوا ظنهم بالله تعالى.

وللتوكل على الله أثره البناء، وهو أن كل مؤمن يعمل العمل ويتقنه ويراقب الله تعالى فيه.

قال تعالى: ﴿ وَقُلِ آعَمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَ اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَ اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ

فمراقبة الله للعبد وعلمه بذلك يجعله يبذل قصارى جهده ليتم عمله في أتم وأكمل صورة وبالتالي يأتي الكمال.

وقد أخبر الله أنه الصانع المتقن قال تعالى: ﴿ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرًا بِمَا تَفْعَلُونَ ﴾ (٥).

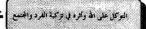
⁽١) سورة الطلق ، آية: ٣.

⁽۲) سورة يونس، آية: ۱۳.

⁽٣) سورة الانفطار، آية: ١٣.

⁽٤) سورة التوبة، آية: ١٠٥.

⁽٥) سورة النمل، آية: ٨٨.



فالله سبحانه أتقن كل ماخلق وأجاد الصنع، وأودع فيه من الحكمة ماأودع، ومع ذلك فهو عليم بما يفعل عباده من خير أو شر، وسيجازيهم عليه أتم الجزاء؛ لأن اتقان الصنع أثر من آثار سعة العلم الذي بعلمه أتقن كل شيء هو خبير بما يفعل الخلق (۱).

والتوكل على الله يزكي في المؤمن السلوك القويم العملي الواقعي، فالتسليم، والرضى، والإنابة والصدق في التوكل كلها أمور عملية وإن كانت قلبية، فهي تجسيد للسمو الروحي والنقاء النفسي والتقوى.

فالتوكل على الله هو خلق إسلامي اتبعية حتمية تلقائية لمحبة الله تعالى.

والتوكل على الله يزكي في المؤمن الالتزام والاستمرارية في العمل حتى ينال المنشود والمطلوب من الفوز والنجاح.

قد يخسر المؤمن ولكن بالاستمرار وبالإيمان النابع من القلب تعود نفس المؤمن للاستمرار في العمل والمنافسة فيه.

والتوكل على الله يزكي في المؤمن الشمولية والعمومية بمعنى أنه يتوكل على الله في أدق الأمور وأكبرها دينية أو دنيوية، اقتصادية، أو اجتماعية.

وقد أشرنا إلى أن التوكل له مجالات متعددة فهو إذا شامل في كل مجال وفي كل اتجاه.

فالتوكل على الله مجالاته متنوعة متعددة كما أشرنا إلى ذلك.

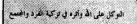
التوكل على الله يزكي العمل المستمر الدائم.

التوكل على الله فيه التنافس.

التوكل على الله فيه العبادة.

التوكل على الله فيه الصلة بين الإنسان وخالقه.

⁽١) انظر: الطبري، جامع البيان، (٥/٥٥)؛ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (٦٠٣/٣).



التوكل على الله وسيلة لغاية نبيلة.

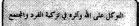
فمن هنا كان للتوكل أهمية عظيمة، فينبغي للفرد والمجتمع أن يتعودوا على فعله، فهو خلق تعبدي يتقرب به العبد المؤمن إلى الله تعالى، فلابد من مجاهدة، ورياضة النفس حتى تستطيع العمل بهذا الخلق العظيم، فالمتوكل على الله لابد له من الإخلاص إذ التوكل يربي كذلك الإخلاص لله تعالى، والاستقامة له، والثقة فيه، وكلة الأمر إليه، والإنابة والخضوع، والتذلل للعلي القدير.

ورسولنا على الأعلى، والقدوة الحسنة وقد ربى أصحابه ومن تبعهم ومن نبعهم ومن نبعهم تربية عظيمة لها أثارها الراسخة إلى يومنا هذا وتمسكنا بكتاب الله وسنة رسوله – عليه السلام – المثل الأعلى، فهو السلوك التطبيقي، وصحبه لهذا المنهج الإسلامي يحس ويشاهد.

"في واقع الأرض يرونه، وهو بشر تتمثل فيه هذه الصفات والطاقات الخيرة كلها، فيصدقون هذه المبادئ الحية، لأنهم يرونها رأي العين، لايقرأونها في كتاب، يرونها في بشر تتحرك لها نفوسهم، وتهفو لها مشاعرهم ويحاولون أن يقتبسوا قبسات من الرسول كل بقدر مايطيق أن يقتبس، وكل بقدر مايحتمل كيانه الصعود، لاييأسون، ولاينصرفون، ولايدعونه حلما مترفا لذيذا يطوف بالأفهام لأنهم يرونه واقعا يتحرك على الأرض، ويرونه سلوكا عمليا لا أماني في الخيال؛ لذلك كان رسول الله - اكبر قدوة للبشرية في تاريخها الطويل كان مربيا هاديا بسلوكه الشخصي قبل أن يكون بالكلام الذي ينطبق به، سواء في ذلك القرآن المنزل، يكون بالكلام الذي ينطبق به، سواء في ذلك القرآن المنزل،

ذلك أن الله قد رباه وأدبه فأحسن نماءه وتزكيته فكان المثل الأعلى في الكمال البشري.

⁽١) انظر: لمحمد قطب، منهج التربية الإسلامية، ص ١٨٣.



فهو أعظم المتوكلين، وسيدهم؛ لأنه على الإخلاص رباه تعالى ﴿ قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلَصًا لَّهُ ديني ﴾ (١).

هكذا كان رسول الأمة متوكلا مخلصا شه تعالى – ترك التوكل فيه معنى الإخلاص شه وحده، و لايطلب لعمله شاهدا سواه سبحانه يتبرى عن كل مادون الش^(۲)، قال تعالى: ﴿ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ... ﴾ (٣)، كذلك المؤمن المتوكل يتلبس التوكل شخصيته وسلوكه ليبلغ أكمل درجة في الإيمان حتى تتكامل النية والفعل.

كذلك ربى التوكل في رسول الأمة محمد عنى الاستعانة، فلم يطلب عنى الاستعانة، فلم يطلب عنى الدين من أحد إلا من ربه فالعبد أيا كان محتاج إلى الله في فعل المأمورات وترك المحظورات فلا معين على مصالح الدين والدنيا جميعا إلا الله عز وجل فهو المعان والمتفرد بالتدبير والضر والنفع والعطاء والمنع فيوجب هذا الاستعانة به وتفويض الأمر إليه طمأنينة به، وثقة به، ويقينا بكفايته (٤).

قال تعالى: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ (٥).

كذلك ربى التوكل في النبي الأمي لزوم الاستقامة ولزوم المنهج القويم، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَامُواْ فَلَا خُوفَّ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ كُونَ اللهُ اللهُ عُمْ اللهُ عُلَمُ اللهُ وَلَا اللهُ عَلَمُواْ فَلا خُوفَ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ كُونَ الله والمعالمة وأحواله ونياته، وبالتالي استقامت جوارحه فلم يلتفت إلى غير الله فصار على معرفة الله وعلى خشيته وإجلاله ومهابته ومحبته وإرادته ودعائه والتوكل عليه والإعراض عما سواه (٧).

⁽١) سورة الزمر، آية: ١٤.

⁽٢) الجرجاني، التعريفات، ص ١-٤١٤ وللراغب، مفردات ألفاظ القرآن، ص ١٥٤.

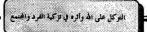
⁽٣) سورة الزمر، آية: ٣.

⁽٤) انظر: لابن رجب، جامع العلوم والحكم، ص١٨٢؛ ولابن القيم ، مدارج السالكين، (١/٩٤).

⁽٥) الفاتحة، آية: ٥

⁽٦) الأحقاف، آية: ١٣.

⁽٧) انظر: لابن رجب، جامع العلوم والحكم، ص ١٩٤-١٩٤.



كذلك زكى في النبي الكريم الاعتصام والتمسك بعهد الله والوقوف بوعده سبحانه الذي لايخلفه ابدا.

فالتمسك بالقيام بما أمر به يفضي إلى حماية الله لعبده من أي سوء يقع به في أمور الدنيا أو الآخرة.

قال تعالى ﴿ وَآعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْ وَانَا وَكُنتُمْ عَلَيْ مُ اللّهُ عَلَيْ مُ اللّهُ اللّهُ لَكُمْ وَكُنتُمْ عَلَيْ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَالِكَ يُبَيِّنُ ٱللّهُ لَكُمْ وَكُنتُمْ عَلَيْ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَالِكَ يُبَيِّنُ ٱللّهُ لَكُمْ وَكُنتُهِ لَا يَعَلَّكُمْ تَعَلَّكُمْ تَعَلَّكُمْ تَعَلَّدُونَ ﴾ (١).

كذلك ينمي التوكل في المؤمن الإنابة ويجعلها خالصة لربه في كل أمر من أموره فالله مرجعه في كل شيء (٢).

قال تعالى: ﴿ وَأُنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ ﴾ (٢).

ويزكي وينمي التوكل المؤمن على التقوى، وحسن الظن بالله فلايحذر إلا الله ولايتوسل و لايدعو إلا ربه المتعال، فيفر إلى الله في سرائه وضرائه.

يرضى بالقليل ويقنع به يعمل ويكد بيقين إنه لن يأخذ من هذه الدنيا البالية إلا ماكتبه الله له .

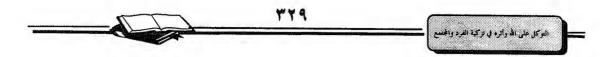
" فعن سمل بن سعد الساعدي — قال: أتى النبي — قا— رجل فقال: يارسول الله، دلني على عمل، إذا أنا عملته، أحبني الله وأحبني الناس، فقال رسول — قا—: " إزهد في الدنيا يحبك الله، وازهد بما في أيدي الناس يحبوك "(²).

⁽١) سورة آل عمران، آية: ١٠٣.

⁽٢) للأصفهاني، المفردات، مادة (نوب)؛ وللجرجاني ، التعريفات، ص ٣٩.

⁽٣) سورة الزمر، آية: ٥٤.

⁽٤) ابن ماجه (٤١٠٢) وصححه الألباني، صحيح ابن ماجه برقم (٣٣١).



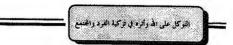
فالتوكل على الله يكبح جماح النفس إلى الشهوات، وعلى الانقطاع إلى الله بالكلية فيتصل القلب به إنابة وحبا وخوفا.

هكذا فالإيمان وحده هو الذي يوصل صاحبه بمصدر القوة الذي يملأ النفس ثقة حتى تفيض، وتنضح بالخير والزاد الكثير النافع دنيا ودين.

فالعقيدة الصحيحة يتبعها السلوك الصحيح ومن هذا الينبوع الدافيء ارتوت الحياة بمفاهيم الأخلاق التعبدية التي رسمها القرآن لتزكية النفس والمجتمع، وأصبحت الحرية الإنسانية، والمسئولية أمام الله، والحب العميق لله كلها معاني لايصدر عنها إلا الخلق القويم والسلوك المستقيم الذي أمر الله به ورسوله الكريم فالإنابة والتضرع، والخضوع والاعتصام، والتوكل على الله عنوان صدق على صدق الإيمان في النفس الإنسانية وسلامة الاعتقاد في الله، وبدون هذا الإيمان تصبح الأخلاق التعبدية والسلوكية لفظا لامفهوم له ولاحقيقة.

وبهذا فالإسلام يزكي في النفس أخلاقا تجعل حياة الفرد أكثر استقامة وتجعل المجتمع أشد تماسكا، وتتحقق الأخلاق الفاضلة في سلوكنا، وتستمر وتنضبط الأعمال.

ويصبح الفرد ذا حضارة متجاوبة مع عقيدته ودينه سليما من كل الأمراض و الانحر افات .



المبحث الثاني أثر التوكل على الله في تزكية المجتمع

إن الإيمان قوة عاصمة عن المحرمات، دافعة إلى المكرمات من الأعمال و الأقوال، وقد وضح صاحب الرسالة على أن الإيمان القوي يلد الخلق القوي في الفرد ومن ثم في المجتمع السوي في سلوكه وأخلاقه.

فبذلك يمضي ذلك المجتمع في غرس البذور ويتعهدها حتى تؤتي ثمارها، معتمدا على صدق الإيمان وتوابعه.

فمن ذلك البذر عقيدة وخلق التوكل على الله تعالى إذا غرس في المجتمع من خلال أفراده فيجب الا يغيب عن أي مجال من مجالات الحياة وعن أي عمل من أعمال المسلم.

فالبواعث التي تعرضنا لذكرها والتي كان لها أثر في تعميق التوكل على الله في نفوس المؤمنين، والموانع التي تضعفه والثمرات اليانعة الجدير بالمجتمع المؤمن أن يحافظ عليها ليسموا إلى الأفق ويكون مجتمعا قويا ملتزما بمنهج الله ورسوله

فانطلق المجتمع المؤمن في عهد رسولنا الكريم - في و أقدم على البلدان، ينشرون الإسلام في ربوع الأمم.

فالصحابة رضوان الله عليهم أدركوا في دواخلهم القلبية ماللتوكل من أثر اجتماعي يربطهم بالإيمان.

قال تعالى: ﴿ إِذْ هَمَّت طَّآبِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَّا وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ (أ).

⁽١) سورة آل عمران، آية ١٢٢.

وقـــال تعــالى: ﴿ إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَ لَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَ لَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَغَدُوكُم مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلَيْتَوَكُّلِ يَغُدُونَ ﴾ (١).

وقال تعالى: ﴿ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنَعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱلْبُونَ وَعَلَى ٱللَّهِ الْدُخُلُواْ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَالَتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَلِبُونَ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُواْ إِنَ كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ (٢).

فبحسب توكل العبد يزيد الإيمان وينقص. قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَلتُهُ وَرَادَتْهُمْ إِينَا وَعَلَيْ وَبِهِمْ يَتَوَكُلُونَ ﴾ (٢).

فيظهر من خلال الآيات إرتباط التوكل بالإيمان ومن لوازمه وشروطه فالمجتمع المؤمن يوقن ويثق بالله تعالى ويتعلق بذلك قلبه فيطمئن ويسكن لقضاء الله وقدره وأحكامه وتدبيره، لأن كل شيء بيد الله من نفع وضر، فيتركون الأمر إليه سبحانه، فيزرع ذلك في نفوسهم القوة والسعادة التي يتغلبون بهما على مايتعرضون له من مصائب ومحن فيعتمدون على خالقهم المتصرف في الملك وحده يرغبون إليه، يلوذون بكنفه، يستنصرون به سبحانه، وبالتوكل على الله تزداد العزيمة وقوة الإرادة.

قال تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحِّمَة مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمُّ وَلَوْ كُنتَ فَظًا عَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لِآنفَضُواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعَفُ عَنَهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرَهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْت فَتَوَكَّلُ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلمُتَوَكِّلِينَ ﴾ (أ).

سورة آل عمران، آیة ۱۲۰.

⁽٢) سورة المائدة، آية ٢٣.

⁽٣) سورة الأنفال، آية ٢.

 ⁽٤) سورة آل عمران، آية ١٥٩.



ويظهر أثر التوكل على الله في المجتمع حين تقوى صلته بربه فيصبح ملتجأ إليه مستعينا به منيبا متسلما معتصما متمسكا بأوامر الله ملتزما بشريعة وسنة الرسول الكريم على-.

وعلى هذا ترعرع وتربى ونمى مجتمع الصحابة ومن تبعهم فكانوا أهلا لحمل لواء الإسلام والدعوة إلى الله فكانت بهم الأمة المسلمة التي حققت صفات سامية و أخلاق عالية.

وبالتوكل على الله تحقق لهم القيادة والريادة ففتحوا مشارق الأرض ومغاربها وكان شعارهم الحسبنا الله ونعم الوكيل" فالإسلام يدعو إلى فضيلة أخلاقية وعقدية هامة في الحياة الاجتماعية ألا وهو التوكل الذي نحن بصدد ذكره فهو يجمع أمورا ذكرناها في تزكية الفرد فمتى ماتمسك بها الأفراد ساد في المجتمع الأمل والرجاء والرضا والصبر والعزيمة والقوة والفوز والغلبة يكونون يدا واحدة ضد أعدائهم.

قال تعالى: ﴿ إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَافِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضَّ غَرَّ هَــَوُلآءِ دِينُهُمُ وَمَن يَتَوكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمُ ﴿(١).

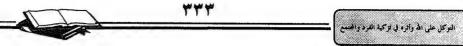
وبهذا لايستطيع المجتمع وقف المحن والمفظعات إلا الإلتفات إلى من له الحول والقوة والنصر.

قال تعالى: ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ۚ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذَّ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْن عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتُ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴾ (٢).

النوكل على الله والره في تتركية الفرد والمجتمع

سورة الأنفال، آية ٤٩. (1)

سورة التوبة، آية ٢٥. (٢)

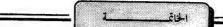


ضاقت عليهم الأرض على سعتها وولوا مدبرين وثبت عليهم الأرض على سعتها وولوا مدبرين وثبت المؤمنين بدروس وعبر من هذه الغزوة(١) أن النصر بيده سبحانه ومشروعية الأخذ بالأسباب في كل الأعمال(٢).

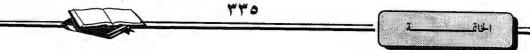
وبهذا ينبغى أن نعي وندرك أن المجتمع يسموا بسموا الفرد بمدى تمسكه بالتزكية الأخلاقية والتنظيم الأخلاقي فمتى ماصلح الفرد صلح المجتمع.

> (1) غزوة حنين .

انظر: الطبري، جامع البيان، (٤/٩٥-٩٨). (٢)







الخانمة

أحمدك اللهم حمدا يليق بجلال وجهك وعظيم سلطانك، الحمد لله عدد خلقه، ورضا نفسه، وزنة عرشه، ومداد كلماته، الحمد لله على نعمه وآلائه التي لاتعد و لاتحصى، الحمد لله حمدا كثير اطيبا مباركا فيه كما يحب ربنا ويرضى، وأشكرك على توفيقك لي لإتمام هذا البحث، هذا مايسر الله تعالى كتابته في هذا الموضوع المهم الواسع، وقد كان في النية أشياء وأشياء ولكن لم يتسع لها الوقت، وربما كان في الإنسان خلق معاجلة المنية بتحقيق الأمنية، ومما يلي أهم نتائج البحث:

- إن التوكل على الله خلق عظيم يجدر بنا الحفاظ عليه والتمسك به في كل مجال من مجالات حياتنا ويكون نبراس طريقنا للمضى في هذه الحياة الدنيا.
- يتضح لنا من خلال هذا البحث أن التوكل على الله عقيدة وخلق في نفس الوقت للمؤمن.
 - ٣ التوكل على الله له فضل عظيم لمن التزم به وتأتى ثمر اته عاجلا أو آجلا.
- أن التوكل على الله فيه بذل وسعى للعمل وفي التواكل تخاذل واهمال وعجز - ٤ عن السعى .
 - أن التوكل على الله خلق نبوي قديم جديد. - ٤
 - ٥ ـ أن التوكل على الله خلق المؤمنين الأخيار.
 - ٦ لابد من الإيمان أن ما اصابنا لم يكن ليخطأنا وما اخطأنا لم يكن ليصيبنا.
- ٧ لابد من الإيمان بالقضاء والقدر والرضى بما يحل علينا من مصائب وويلات.
 - ٨ أن للتوكل على الله بواعث تحثنا عليه وتقربنا له .
 - ١٠ كذلك للتوكل على الله موانع تبعدنا وتفقدنا الوصول إليه .
 - ١١- أن للتوكل على الله ثمرات زاهية تضيء حياتنا باليمن والبركات.
 - ١٢ أن للتوكل على الله آثاره التربوية على الفرد والمجتمع.



هذا وإن كان لي من رجاء أخير فهو التأكيد على موضوعات القرآن الكريم التي لاز الت تفتقر إلى العناية والرعاية فحري بالمربين أن يلتفتوا ويلفتوا نظر طلاب العلم إلى ذلك، وأن مثل هذا الموضوع لاتكفي فيه القراءة العابرة، وإنما يحتاج إلى القراءة المتكررة الجادة بعقل وقلب حاضرين، والله يؤتي الحكمة من يشاء، والله أسأل التوفيق والسداد وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين.



الفهارس

١- فمرس الأبات القرآنية.

٢ – فمرس الأحاديث النبوية.

٣- فمرس الأعلام.

٤- فمرس المصادر والمراجع.

٥- فمرس المحتويات.





	رآنية	فمرس الآيات الق
رقم الصفحة	رقمها	الآبية
	{	إسورة الفاتحة
799-71-15.	٥	﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾
		إسورة البقرة}
7.7	٤	﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ ﴾
٤٤	71	﴿ يَئَأَيُّهَا ٱلنَّاسُ آعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ﴾
797-99	70	﴿ وَبَشِّر ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّالِحَاتِ ﴾
711	74 8	﴿ وَإِذْ قُلُّنَا لِلْمَلَتِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ ﴾
9.1	٤٣	﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوَةَ وَءَاتُواْ ٱلنَّزكَوٰةَ ﴾
9.	٤٤	﴿ أَتَأُمُرُونَ آلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ ﴾
18	٤٥	﴿ وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ ﴾
٤٧	٨٢	﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّلِحَاتِ ﴾
177	117	﴿ بِلَيْ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ و لِلَّهِ ﴾
709-18	100	﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَعِينُواْ ﴾
1 7 7	100	﴿ وَلَنَبْلُونَّكُم بِشَيْءِ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ ﴾
1 7 7	107	﴿ ٱلَّذِينَ إِذَآ أُصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ ﴾
1 7 7	104	﴿ أُوْلَٰتِ إِكَّ عَلَيْهِمْ صَلَّوَاتُ مِّن رَّبِّهِمْ ﴾
197	175	﴿ وَإِلَّا هُكُمْ إِلَّهُ وَاحِدُّ ﴾
99	1 7 7	﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ ﴾
191	١٨٦	﴿ وَإِذَا سَأَلُكَ عِبَادِي عَنِّي ﴾
717	7.7	﴿ وَإِذَا قِيلَ لَـهُۥ آتَّق آللَّهَ أَخَذَتُهُ ٱلَّعِزَّةُ ﴾
T0T-1V	7.7	﴿ وَمِنِ ﴾ آلنَّاس مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ﴾
Y Y	7A7 (%	﴿ وَآتَّقُواْ آللَّهُ ۚ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِي
10.	717	﴿ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلَّحَيَاةِةُ ٱلدُّنْيَا ﴾



رقم الصفعة	رقمما	الآبية
701	712	﴿ أَمْ حَسِبْتُم أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّكَةَ ﴾
7 £ 7 - 1 7	711	﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ ﴾
747	7 & A	﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايكَةَ مُلْكِمِ }
701-777-177	7 2 9	﴿ فَلَمَّا فَ صَلَ طَالُوتُ بِٱلْجُنُودِ ﴾
£9-7VX-79£-79٣- 99	777	﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّلِحَاتِ ﴾
	ران}	إسورة آل عمر
198	1 .1	﴿ الْمَرَ اللَّهُ لَا إِلَهُ ﴾
198-77	١٨	﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُ لِلَّ إِلَنَّهَ إِلَّا هُوَ ﴾
198	19	﴿ إِنَّ أَلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَامُ ﴾
112-79	41	﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ ﴾
112	44	﴿ قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ﴾
171	27	﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنِ ﴾
107	٣٨	﴿ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيًّا رَبُّهُ ﴾
1 7 2	٨٣	﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ ﴾
10	1.1	﴿ وَكَيْفَ تَكُ فُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ ﴾
1 7 2	1.7	﴿ يَكَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ﴾
٣٠٠-١٥	1.4	﴿ وَآعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا ﴾
٣.,	1 . £	﴿ وَلَتَكُن مِّنكُمْ أُمَّـٰةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْحَيْرِ ﴾
110	1 . 9	﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَاوَاتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ﴾
175-1771	171	﴿ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ﴾
77-17-1	177	﴿ إِذْ هَمَّت طَّآبِفَتَانِ مِنكُمْ ﴾
775-1	174	﴿ وَلَقَدْ نَصِرَكُمُ ٱللَّهُ ﴾
775	175	﴿ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾



رقم الصفعة	قهما	الآيـــة
777	170	﴿ بِلَتَى ۚ إِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ ﴾
777	177	﴿ وَمَا جَّعَلَهُ آللَّهُ إِلَّا بُشْرَئ لَكُمْ ﴾
Y 0 A	1 2 .	﴿ إِن يَمْسَسُكُمْ قَرْحُ فَقَدْ مَسَّ ﴾
701	1 2 1	﴿ وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ﴾
Y 0 A	127	﴿ أَمْرُ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ ﴾
7 £ 1	1 27	﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيِّ قَائَلَ مَعَهُ وربّيُّونَ كَثِيرٌ ﴾
7 2 1	١٤٧	﴿ وَمَا كَانَ قَـُوْلَهُمْ ۚ إِلَّا أَن قَالُواْ ﴾
184	107	﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعَدَهُ وَإِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ ﴾
127	104	﴿ إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلُورُنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ ﴾
07-18-177-177-9	109	﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ﴾
-178-177-1.1-87-70-78	١٦.	﴿ إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمَّ ﴾
71-171-175-179-177		,
177-118-1. ٧-٧ 9 - 2 9 - 7 8	۱۷۳	﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ ﴾
-371-771-781-507-187		
191	١٨١	﴿ لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا ﴾
٤٥	119	﴿ وَلِلَّهِ مُلَّكُ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾
	1	إسورة النساء
1 2 2	٤.	﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ﴾
1 4 4 - 1 4 0	70	﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ ﴾
7 2 1	77	﴿ وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ ٱقْـتُلُواْ ﴾
170-900-070	٨١	﴿ وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُواْ مِنْ عِندِكَ ﴾
157-177	1.7	﴿ وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمَّتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوةَ ﴾
71-337	١٠٤	﴿ وَلَا تَهِنُواْ فِي ٱبْتِغَاءِ ٱلْقَوْمِ إِن تَكُونُواْ ﴾
798	171	﴿ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرِ مِّن نَّجُولِهُمْ ﴾



رقم الصفعة	رقمما	الآيــــــــــــــــــــــــــــــــــــ			
14	112	﴿ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجُولِهُمْ ﴾			
128	175	﴿ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ ﴾			
77	1 4 4	﴿ لَّيْسُ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلآ أَمَانِيّ أَهْلِ ٱلْحِتَابُ ﴾			
**	172	﴿ وَمَن يَعْمَلُ مِنَ ٱلصَّالِحَات مِن ذَكَر ﴾			
10	127 ﴿	﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَٱعْتَصَمُواْ بِٱللَّهِ			
1 1 7 - 7 2	171	﴿ يَتَأَهْلُ ٱلْكِتَابِ لَا تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ ﴾			
٤٦	175	﴿ يَنَأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قُدْ جَآءَكُم ﴾			
10	140	﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِيرِ ﴾ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱعْتَصَمُواْ بِهِ ﴾			
إسورة المائدة}					
99	9	﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَكَمِلُواْ ﴾			
178-180-1.1-108-89-1	-V-T0 11	﴿ يَئَأَيُّهَا ٱلَّذِيرِ ۚ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ﴾			
-1.7-47-1-1-1-1-1-1-1-1-1-1-1-1-1-1-1-1-1-1	-77 7 7	﴿ قَالَ رَجُلَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنَّعَمَ ٱللَّهُ ﴾			
124-141-114	•				
798	98	﴿ لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ﴾			
147	119	﴿ قَالَ ٱللَّهُ هَاذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ ﴾			
	م}	إسورة الأنعا			
1 2 .	09	﴿ وَعِندَهُ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَّ ﴾			
191	70	﴿ قُلُ مُو ٱلْقَادِرُ عَلَىٰ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ ﴾			
7.7	٧٥	﴿ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴾			
90	9.	﴿ أُوْلَتِيكَ ٱلَّذِينَ هَدَّى ٱللَّهُ فَبِهُ دَعِهُمُ ٱقْتَدِهُ ﴾			
٧٣	91	﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ۗ ﴾			
١٢٨	1.4	﴿ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴾			
119-125	117	﴿ وَكَذَ لِكَ جَعَلَّنَا لِكُلِّ أَنْسِيِّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ ﴾			
١٧٨	177	﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي ﴾ أَ			

رقم الصفحة	رقمما	الآبية
20	٨٢	﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ ﴾
97	127	﴿ وَلِكُلِّ دَرَجَكُ مِّمًّا عَمِلُواۚ ﴾
	{_	إسورة الأعراف
3	44	﴿ قُلُ مَنْ حَرَّمَ زِينَـةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي ﴾
710	٤.	﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِئَايَلْتِنَا وَٱسْتَكُبَرُواْ ﴾
٧٣	0 8	﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾
77	$\wedge \wedge$	﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِمِ ﴾
175-17-17	٨9	﴿ قَدْ آَفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدُنَا ﴾
١٣	171	﴿ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُواْ بِٱللَّهِ ﴾
٨٨	177	﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَاكِنَّهُ وَأَخْلَدَ ﴾
198	١٨٠	﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ﴾
7.1	199	﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأَمْرُ بِٱلْعُرْفِ ﴾
	{(إسورة الأنفال
-1.٧-17-71-01-6	۲	﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ ﴾
171-111		
377-775	٩	﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ ﴾
775	1.	﴿ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشَّرَى ﴾
777	11	﴿ إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّتُعَاسَ أَمَنَا ۚ مِّنْهُ ﴾
777	17	﴿ أَذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَهِ ﴾
19.	77	﴿ إِنَّ شَـرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ﴾
7 8	7 2	﴿ يَئَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ ﴾
787	20	﴿ يَتَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ ﴾
101	٤٦	﴿ وَأَطِيعُواْ آلِلَّهُ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُواْ ﴾
171-127-11-0.	٤٩	﴿ إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَافِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم ﴾



رقم الصفحة	رقمما	الأيــــــــــــــــــــــــــــــــــــ
124-77	٦.	﴿ وَأَعِـ النُّواْ لَهُم مَّا آسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّة ﴾
770-171-177-9.	71	﴿ وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَآجْنَحْ ﴾
770-177	77	﴿ وَإِن يُرِيدُوٓا أَن يَخۡدَعُوكَ ﴾
770	٦٣	﴿ وَأَلَّفَ بَلِينَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ ﴾
777-177	7 8	﴿ يَآ أَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسَّبُكَ ٱللَّهُ ﴾
	{	إسورة التوبة
775-777	40	﴿ لَقَدَّ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ۗ ﴾
779-772	77	﴿ ثُمَّ أَنزَلَ آللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ ﴾
777	44	﴿ هُوَ ٱلَّذِي ٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُ لِلَّهُ لِٱلَّهُ دَعَكَ ﴾
T.7-779-77V	٤.	﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ ﴾
X7-73-7A7P71-731-77	01	﴿ قُلُ لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ﴾
711-507	1	﴿ وَٱلسَّابِقُونَ آلَّا وَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَاجِرِينَ ﴾
797-101-5.	1.0	﴿ وَقُلِ آعْمَلُواْ فَسَيَرَى آللَّهُ عَمَلَكُمْ ﴾
17-171-171-777	179	﴿ فَإِنَّ تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسَّبِيَ ٱللَّهُ ﴾
	{	إسورة يونس
797	١٣	﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكُنَّا ٱلْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾
777	77	﴿ هُوَ ٱلَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي ٱلْبَرِّ ﴾
7 7 7	22	﴿ فَلَمَّآ أَنجَنهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ ﴾
1 2 .	71	﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنِ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ ﴾
77-70-17-17-17	٧١	﴿ وَٱتَّـلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ ﴾
A7-Y0-11-1Y-FA	٨٤	﴿ وَقَـَالَ مُوسَىٰ يَـٰقَوْمِ إِنَّ كُنتُمْ ﴾
Y1.X7-71-0Y	٨٥	﴿ فَقَالُواْ عَلَى آللَّهِ تَوَحَكَّلْنَا ﴾

-				
1				
_		_	_	
_				
	7	1		\

رقم الصفعة	رقمما	الآيــــــــــــــــــــــــــــــــــــ		
	{	إسورة هود		
7.9-199-129	٦	﴿ وَمَا مِن دَآبُّةِ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا ﴾		
700	11	﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَّرُواْ وَعَمِلُواً ﴾		
44	04	﴿ قَالُواْ يَاهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ ﴾		
۲٦	0 8	﴿ إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ﴾		
77	00	﴿ مِن دُونِهِ ۖ فَكِيدُونِي ﴾		
11-7m-77	٥٦	﴿ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي ﴾		
777-77	77	﴿ فَلَمَّا جَاءَ أُمْرُنَا نَجَّيْنَا صَلِحًا ﴾		
77-17-78-71	$\lambda\lambda$	﴿ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلَّإِصْلَاحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ﴾		
107	117	﴿ فَٱسْتَقِمْ كُمَآ أُمِرْتَ ﴾		
107-977-77-77-77	175	﴿ فَآعْبُدُهُ وَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ ﴾		
	{	(سورة يوسف		
*************************************	71	﴿ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ ﴾		
٨٢	٦٧	﴿ إِنِ ٱلْحُكُمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلُتُ ﴾		
7 £ 1	٨٣	﴿ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبَّرُ ﴾		
178-175	۸٧	﴿ وَلَا تَأْيْتُسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ﴾		
	{-	إسورة الرعد		
٦٨	71	﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَبِنُّ قُلُوبُهُم ﴾		
17-11-77-77-77	۳.	﴿ قُلُ هُوَ رَبِّي لَآ إِلَّهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلَّتُ ﴾		
إسورة إبراهيم}				
710	٧	﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَبِن شَكَرْتُمْ		
1.4-75	11	﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلَيْتُوكُّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾		
77-37-1-001-977	17	﴿ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى آللَّهِ ﴾		
7.1-07	٥٢	﴿ وَلِيَعْلَمُواْ أَنَّمَا هُوَ إِلَّهُ وَاحِدٌ ﴾		

رقم الصفحة	رقمها	الأيـــة
	حل}	إسورة الذ
711-191	7 7	﴿ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكَبِرِينَ ﴾
7 £	٤٢	﴿ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾
197	197	﴿ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي ٱللَّهِ ﴾
7501-51	9 ٧	﴿ مَنْ عَمِلَ صَلِحًا مِّن ذَكِرِ أَوْ أُنثَىٰ ﴾
٦ ٤	99	﴿ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ أَ
790	177	﴿ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ ﴾
	سراء}	إسورة الإس
7 2 9	00	﴿ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾
71-937	٥٧	﴿ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ ﴿
114-75	70	﴿ وَحَفَىٰ بِرَبِّكَ وَحِيلًا ﴾
	وضع	إسورة الك
٣١	نَنَا ﴾ ٢	﴿ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَ
17.	7 2	﴿ إِلَّا أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَٱذْكُر رَّبَّكَ ﴾
٣١	٣.	﴿ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴾
711	1. 5	﴿ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعَيْهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾
	{a_	إسورة ط
٤٤	٧	﴿ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ﴾
9 🗸	49	﴿ أَن آقَدْفِيهِ فِي آلتَّابُوتِ فَآقَدْفِيهِ ﴾
	بياء}	إسورة الأن
97	٧٣	﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أَمِمَّةً يَهَدُونَ بِأَمْرِنَا ﴾
771	٧٦	﴿ فَنَجَّيْنَكُ وَأَهَّلَهُ مِنَ ٱلْكُرْبِ الْعَظِيمِ ﴾
771	YY	﴿ وَنَصَرَّنَاهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ﴾



رقم الصفحة	رقمما	الآبية		
107	٨٩	﴿ وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَئِ رَبُّهُۥ ﴾		
	{₹	إسورة الح		
777	49	﴿ وَإِنَّ ٱللَّهُ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴾		
777	٤٠	﴿ وَلَينصُرَتَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُ ۗ ﴾		
11.	٤٦	﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ ﴾		
149	٧.	﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ ﴾		
	ون}	إسورة المؤمد		
٣.	01	﴿ وَآعْمَلُواْ صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾		
170	٥٧	﴿ مِّنْ خَشَّيَةِ رَبِّهِم مُّشَّفِقُونَ ﴾		
197	117	﴿ فَتَعَلَّى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ لَآ إِلَّهَ ﴾		
	ر}	إسورة النو		
111	49	﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ ﴾		
إسورة الفرقان}				
777	24	﴿ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴾		
7.0	٤٤	﴿ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَامِ ﴾		
9 > > - 7 7	٥A	﴿ وَتَوَكُّلُ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِي ﴾		
101	7 2	﴿ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ ﴾		
إسورة الشعراء}				
1 80	Y9	﴿ وَٱلَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴾		
11.	۸۹ ،۸۸	﴿ يَـوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿ إِلَّا مَنْ ﴾		
077	712	﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾		
770	710	﴿ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ ﴾		
170-1791	717	﴿ وَتَوَكَّلُ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴾		



رقم الصفعة	رقمما	الآيــــــــــــــــــــــــــــــــــــ
·	ل}	إسورة النم
19	٣	﴿ وَهُم بِٱلْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾
772	77	﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ ﴾
7. ٧-91-01-20	Y9	﴿ فَتَوَكَّلُ عَلَى آللَّهِ ﴾
797	٨٨	﴿ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِي أَتْقَنَ ﴾
	ص}	إسورة القصد
140	٧ ﴿	﴿ فَأَلْقِيهِ فِي ٱلْيُمِّرِ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِيٓ ۚ إِنَّا رَآدُوهُ
770	٥.	﴿ وَمَنْ أَضَلُ مِمَّنِ آتَّبَعَ هَوَىلهُ بِغَيْرٍ ﴾
	4	﴿ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي ٱلْقُرَىٰۚ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ
	وت}	إسورة العنكب
7 2 0	٥	﴿ مَن كَانَ يَـرْجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ ﴾
707	٥٨	﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّالِحَاتِ ﴾
707	09	﴿ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾
٤٤	71	﴿ وَلَبِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضَ }
797	79	﴿ وَٱلَّذِينَ جَنْهَدُواْ فِينَا ﴾
	وم}	إسورة الر
770	79	﴿ بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ ﴾
197	ی ﴾ ۱٤	﴿ ظَهَٰ رَ ٱلْفَسَادُ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِ:
١٣٠	٤٧	﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصُرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾
	ان}	إسورة لقم
19	٤	﴿ وَهُم بِٱلْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾
710	٧	﴿ وَإِذَا تُتُلِّىٰ عَلَيْهِ ءَايَئُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكَبِرًا ﴾
70-7	١٨	﴿ وَلَا تُصَعِّرُ خَدَّكَ للِنَّاسِ وَلَا تَمْشِ ﴾
		,

رقم الصفحة	رقمما	الآيــــــــــــــــــــــــــــــــــــ		
٥٢	19	﴿ وَٱقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ ﴾		
1 7 9	44	﴿ وَمَن يُسْلِمْ وَجَّهَهُ ۚ إِلَى ٱللَّهِ ﴾		
771	٣٣	﴿ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيِّوٰةُ ٱلدُّنْيَا ﴾		
	{5.25	إسورة السج		
۲۰۸	١٦	﴿ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾		
	إب}	إسورة الأحز		
79	١	﴿ يَكَأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ ﴾		
Y V 9 - 9 1	٣	﴿ وَتَوَكَّلُ عَلَى ٱللَّهِ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴾		
7090-00	71	﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ ﴾		
1.4	77	﴿ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَانَا وَتَسْلِيمًا ﴾		
777	40	﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيتًا عَزِيزًا ﴾		
٨٩	٤.	﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدُ أَبَآ أُحَدِ ﴾		
91	٤٨	﴿ وَتَوَكَّلُ عَلَى ٱللَّهِ ﴾		
Y - Y - Y A	01	. ﴿ تُرْجِى مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُثُوِىٓ ﴾		
	ر}	إسورة فاط		
110-20	10	﴿ يَآأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلَّهُ قَرَاءُ ﴾		
7 2 7	79	﴿ يَرْجُونَ تِجِئرةً لَّن تَبُورَ ﴾		
7 2 7	٣.	﴿ لِيُوفِينَهُمْ أُجُورَهُمْ ﴾		
(سورة الصافات)				
777	٧٦	﴿ وَخَيَّيْنَكُهُ وَأَهْلُهُ مِنَ ٱلْكُرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴾		
1 2 1	97	﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾		
107	١	﴿ رَبِّ هَبِّ لِي مِنَ ٱلصَّلِحِينَ ﴾		
778	110	﴿ وَنَجُّ يْنَنَهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ ٱلْكُرْبِ ٱلْعَظِيمِ		

	701	فهرس الآيات القرآنية
رقم الصفعة	رقمما	الآبية
FAY	١٧٣	﴿ وَإِنَّ جُندَنا لَهُمُ ٱلْغَلِلُونَ ﴾
	ص}	(سورة
2-191	77	﴿ إِنَّ ٱلَّذِنَ يَضِلُّونِ ﴿ عَن سَيِيلِ ٱللَّهِ ﴾

775-191	77	﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللهِ ﴾
٨٩	٤٧	﴿ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصَّطَفَيْنَ ٱلْأُخْيَارِ ﴾
	ر}	إسورة الزه
111	٣	﴿ أَلَا لِلَّهِ آلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ﴾

		, , , , ,
7 2 7	٩	﴿ أُمَّنْ هُوَ قَانِتُ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا ﴾
799-111	1 2	﴿ قُلُ آللَّهُ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُ وَينِي ﴾
٤٦	77	﴿ أَفَكَ مَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُ ﴿ ﴾
111	44	﴿ مَا أَنَّ مِي مَ آمَ رَآمَ الَّهِ مِنْ مُن اللَّهُ مِن اللَّهُ مِن اللَّهُ مِن اللَّهُ مِن اللَّهُ مِن اللَّ

7.47	٣٦	﴿ أَلَيْسُ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ ﴿ ﴾
۲۸.	27	﴿ أَلَيْسَ آللَّهُ بِعَزِيزِ ذِي آنتقَامِ ﴾

7.	3	﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي ٱنتِقَامِ ﴾
177-98-98-70	٣٨	﴿ قُلْ حَسْبِي ۗ ٱللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكُّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴾

﴿ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ ١٢٠ {سورة غافر}

717	40	﴿ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكِّبِرٍ جَبَّارٍ ﴾
177	٤٤	﴿ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى ٱللَّهِ ۚ ﴾
7.7.	01	﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ﴾
94	٥٧	﴿ لَخَلْقُ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ ﴾
712	٦.	﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسَّتَكُبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي ﴾
	ت}	اسورة فصلا

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ﴾ ٣٠ ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ ﴾ ٣٣

رقم الصفحة	رقمها	الآيــــــــــــــــــــــــــــــــــــ
	وری}	إسورة الش
77-98-78	١.	﴿ ٱللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾
127-109	11	﴿ لَيْسَ كُمِثْلِهِ عَنَى أَوْهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ
Y • - Y ¬ A	19	﴿ وَهُوَ ٱلْقُوكُ ٱلْعَزِيزُ ﴾
192	٣.	﴿ وَمَآ أَصَابَكُم مِّنَ مُصِيبَةٍ ﴾
11-17-170-70	27	﴿ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾
	دخان}	إسورة ال
۲.٧	Y	﴿ إِن كُنتُم مُوقِنِينَ ﴾
	جاثية}	إسورة ال
7.7	£ a	﴿ وَمَا يَبُثُ مِن دَآبَّةِ ءَايَئُتُ لِقَوْمِ يُوقِنُونَ ﴾
710	غبِرًا ﴾ ٨	﴿ يَسْمَعُ ءَايَلَتِ ٱللَّهِ تُتَلَّىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَ
19.	44.	﴿ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنَّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ﴾
		إسورة الأ
799	40	﴿ فَأَصَّبِرُ كُمَا صَبَرَ أُولُواْ ٱلْعَزْمِ ﴾
	حمد}	إسورة ه
£ £	19	﴿ فَأَعْلَمْ أَنَّهُ لِآ إِلَّهَ إِلَّا آللَّهُ ﴾
740	71	﴿ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ ﴾
	الفتح}	إسورة
TTX-7TT	٤	﴿ هُوَ ٱلَّذِي أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ ﴾
TA-1AT	١٨	﴿ لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾
۲۳۸	77	﴿ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ ﴾
	مجرات}	إُسُورة الد
01	١	﴿ يَكَأَيُّهَا آلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ ﴾

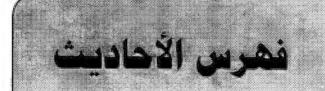
1	1	_	
	-	_	
1	* 11930; WALKE		-

	رقم الصفحة	رقمها	الآيــــــــــــــــــــــــــــــــــــ
	0)	4	﴿ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾
	01	٣	﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصَوَاتَهُمْ عِندَ ﴾
	1.9	لُلْمُنَا ﴾ ١٤	﴿ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا ۚ وَلَكِن قُولُوا أَمْ
1	1.8-194	اه ﴿ حِمِا	﴿ إِنَّمَا ۗ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۗ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُو
			إسورة
	11.	**	﴿ إِنَّ فِي ذَالِكَ لَذِكُّرَعَتْ لِمَن ﴾
		اريات}	إسورة الذ
	7.7	۲.	﴿ وَفِي ٱلْأَرْضِ ءَايَنَتُ لِّلْمُوقِنِينَ ﴾
Y	.9-17.	و ۲۳،۳۲ ﴿	﴿ وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآ
۲	.9-199	٥٨	﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴾
		طور}	أسورة ال
	9 ٧	٤A	﴿ وَآصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ ﴾
		لنجم}	إسورة ا
	1.0	44	﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾
		حديد}	إسورة ا
	719	1 &	﴿ وَغَرَّتُكُمُ ٱلْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَآءَ ﴾
	117	١٦	﴿ أَلَمْ يَأُن لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا أَن ﴾
	1 2 1	77	﴿ مَآ أُصَابُ مِن مُصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾
	4. 8	73	﴿ لِّكَيْلَا تَأْسُواْ عَلَّىٰ مَا فَاتَكُمْ ﴾
	777	عَزِيزٌ ﴾ ٢٥	﴿ وَلِيَعْلَمَ آللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وُرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ
		جادلة}	إسورة ال
	1.0	ض ﴾ ٧	﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ آللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَاوَاتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْ
٤	7-71	1.	﴿ وَعَلَى آللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾
	7.7	نَ ﴾ ۱۸	﴿ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيَّءٍ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَندِبُو

	A THE NAME OF THE PARTY OF THE	س الآيات القرآئية	· • • • • • • • • • • • • • • • • • • •
رقم الصفحة	رقمها		الآيـــة
Y1V-Y1Y	71	قُويٌّ عَزِيزٌ ﴾	﴿ ار ﴿ اللَّهُ
	رة الحشر}	, ,	ر
		ر وَلَةً بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنَكَ كُونَ دُولَةً بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنَ	﴿ كُنَّ لَا يَــُ
0.	٧	ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ ﴾	ءَاتَلكُمُ
1.4	صَّلدِقُونَ ﴾ ٨	نَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُوْلَتِهِكَ هُمُ ٱل	﴿ وَيَنصُرُونَ
798-77.	١٨	نْدِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقَفُّواْ ٱللَّهُ ﴾	﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّ
77.	19	عُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ ﴾	•
2000	ة الممتحنة}	- /	
V9-7 T -YV	ٱلْمُصِيرُ ﴾ ٤	كَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ	﴿﴿ رَّبُّنَا عَلَيْا
	ة الجمعة}		
**	١.	يَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ ﴾	﴿ فَاذًا قُضِ
	ة التغابن}		
1.7	١٢	للَّهُ وَأُطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ ﴾	﴿ وَأَطِيعُواْ آ
117-13-51-71	١٣	فَلَيْتَوَكَّلُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾	•
	ة الطلاق}		
	زُقَّهُ منْ	ٱللَّهَ يَجْعَلِ لَّهُ مَغْرَجًا ﴿ وَيَرْ	﴿ وَمَن يَتَّق
- 1 - 7 - 7 - 7 - 7 - 7 - 7 - 7 - 7 - 7	۳،۲	يُحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلُ ﴾	
177-107-107		,	
	رة الملك}	- ,	
177	لَامْشُواْ ﴾ ١٥	جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَ	﴿ هُوَ ٱلَّذِي
197-177-107-117-1.8-78	عَّلْنَا ﴾ ٢٩ رة القلم}	رَّحْمَلنُ ءَامَنَّا بِهِ، وَعَلَيْهِ تَـوَح	﴿ قُلُ هُوَ ٱل
90	٤	ر . إَجْرًا غَـيْرَ مَمْنُونِ ﴾	﴿ وَإِنَّ لَلُو لِلَّهِ لَلَّهِ لِلَّهِ لِلَّهِ لِلَّهِ لِلَّا
	ة المزمل}	سور (سور	
**	٩	هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴾	﴿ لآ اللهَ الَّا
		· · · / · / · /	; ;



رقم الصفحة	رقمها	الآيــــــــــــــــــــــــــــــــــــ	
·	إسورة المدثر}		
	دِينَ كَفَرُواْ	﴿ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّا لِلَّهِ فِتْنَةً لِلَّا لِلسَّتَنَقِينَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ﴾	
171	71	لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ﴾	
	إسورة التكوير}		
1 £ £	، ٱلْعَلَمِينَ ﴾ ٢٩	﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّا أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ	
	سورة الانفطار}	}	
191	٦	﴿ يَتَأَيُّهَا ٱلْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ ﴾ ﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴾	
797	١٣	﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴾	
	سورة المطففين}	}	
0 7	77	﴿ فَلَّيْتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَافِسُونَ ﴾	
(سورة التين)			
	حَنْتِ فَلَهُمْ	﴿ إِلاَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّلِ	
90	٦	أُجْرُ عَـُيْرُ مَمْنُونِ ﴾	
	إسورة البينة}		
111	ينَ لَـهُ ﴾ ه	﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِ	
Y 0 Y	للِحَاتِ ﴾ ٧	﴿ إِتَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّ	
707	٨	﴿ رُّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ﴾	





فمرس الأهاديث الشريفة

ركم الصكمة	طرف العديــــــــــــــــــــــــــــــــــــ
٣٠١،١٦٤،٧٧،٢٧	- (إذا خرج الرجل من بيته فقال: بسم الله)
90	ـ (أنبئني عن خلق رسول الله)
١٠٨	- (إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق)
117	- (الإيمان بضع وستون شعبة)
٧٩	- (ألا و إن في الجسد مضغة)
197	- (إن الله قال : من عاد لي ولياً)
۲۳۰	- (ألا أخبركم بأهل الجنة)
7 £ £	- (أكمل المؤمنين)
۲٤	- (أن النبي دخل على شاب و هو في الموت)
797	- (ألا أعلمك كلمات تقولينهن)
۲٦	ـ (أن رسول الله ﷺ كان إذا استوى على بعيره)
۲٠	- (إذا أتيت مضجعك)
٣٠	- (أنه لقي ناساً من أهل اليمن)
۱۳۷	- (إن خير الكسب كسب يدى عامل)
١٣٦	ـ (إن النبي نزل منز لا وتفرق الناس)
101	ـ (إن الله عز وجل إذا خلق العبد للجنة)
100	- (أن النبي على كان يبيع نخل بني النضير)
104	- (أنه عِلَيُّ إِذَا اشتكى نفث)
101	- (أن النبي بعث أبي بن كعب طبيباً)
140	- (أنا عند ظن عبدي)
710	- (إن الله لايقبض العلم انتزاعاً)
TTT-1A	 (إن الدين يسر ولن يشاد)
7 .	- (يا) ائتمره ا بالمعره ف، وتناهه ا عن المنكر)



طرف الحدبيث رقم الصف	رقم الصفحة
ـ (سمعت رسول الله و هو على المنبر يقول: وأعدوا لهم) ٢٢	777
- (عجبا لأمر المؤمن)	٣٢٣-٢٧٤
ـ (دعوات المكروه، اللهم رحمتك)	
- (قل لي في الإسلام قو لا)	٥٧
- (قل ربي الله ثم استقم)	
ـ (القلوب أوعية وبعضها أوعى)	۲۸
- (كان إخوان على عهد النبي)	۲۸
- (كان النبي يدعو ربي اغفر خطيئتي)	
- (لو أنكم توكلتم على الله حق توكله)	
- (لايؤمن أحدكم)	117
- (لاإله إلا الله وحده، أعز جنده)	
- (لاينبغي للمؤمن أن يذل نفسه)	
- (لو أن أحدهم نظر تحت قدميه)	
- (لم يكن رسول الله يدعو هؤلاء الدعوات)	
- (لأيدخل الجنة من كان في قلبه)	
- (اللهم أسلمت وجهي)	
ـ (المؤمن القوى خير وأحب)	
- (ماأنزل الله من داء)	
- (ما السماوات السبع في الكرسي)	
- (وما أحب أن أكتوى)	
- (يارسول الله اعقلها)	
- (يامعاذ أتدري ماحق الله على العباد)	
- (يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفا)	
- (یاغلام إني أعلمك كلمات)	



فمرس الأعلام

رقم الصفحة	الغلم
٤٧	١- الإمام أحمد
٤٧	٢ - أبو تراب النخشبي
777	٣- أبو ثعلبة الخشني
٩	٤ - أبو سعيد الخراز
777	٥- ابن أمية الشعباني
708	٦- ابن أبي الدنيا
749-17	٧- ابن تيمية
1 . £	٨- ابن الجوزي
1.7	٩- ابن رجب الحنبلي
7.7. £ Y	١٠ - ابن قيم الجوزية
۲۸.	۱۱ ـ ابن کثیر
1 • £	١٢ - حاتم الأصم
705	١٣- الحسن الحراني
٤٨	٤ ١ - سفيان الثقفي
190	١٥ - سليمان الخواص
٩	١٦ - سهل التستري
1 7 9	١٧ - الإمام الطبري
108	۱۸ - طاووس
777	١٩ ـ عبدالله بن المبارك
108	٢٠ عطاء بن أبي رباح
٤٧	٢١ ـ الإمام الغزالي
705	٢٢ ـ الفضل الغطفاني
7 5 7	۲۳ <u> قتا</u> دة





فمرس المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

(1)

- 1- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين أبي سعيد الشيرازي البيضاوي، دار الجيل، بدون تط.
- ٢- الإيمان وأثره في حياة الإنسان، حسن الترابي، بيروت. دار القلم، تط
 الأولى، ١٣٩٤هـ.
- ٣- الإيمان والحياة، يوسف القرضاوي، القاهرة، مكتبة وهبه، تط الخامسة،
 ١٣٩٧هـ.
 - ٤- إحياء علوم الدين، أبي حامد الغزالي.
 القاهرة، دار الشعب، كتاب الشعب، بدون تط.
 - ٥- اقتضاء العلم العمل، للخطيب البغدادي، تحقيق ناصر الدين الألباني. الكويت، دار الأرقم، بدون تط.
 - آضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، لمحمد الأمين الجكني الشنقيطي.
 بيروت، عالم الكتب، بدون تط.
- ٧- آداب النفوس، لعبدالله الحارث المحاسبي، در اسة وتحقيق عبدالقادر عطا. بيروت، دار الجيل، تط ١٩٨٤م.
 - ٨- الإيمان، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق محمد الزبيدي.
 بيروت، دار الكتاب العربي، تط الأولى، ١٤١٤ه.
 - 9- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود. بيروت، دار الفكر، بدون تط.
- 11- أيسر التفاسير، وبهامشه نهر الخير على أيسر التفاسير، أبوبكر الجزائري، المدينة المنورة، مكتبة العلوم والحكم، تط الثالثة ١٤١٨.
- ١٢- أدب الدنيا والدين، للماوردي، تحقيق مصطفى السقا، بيروت، تط ١٩٧٨م.



- 17- الإمام الشافعي فقه السنة الأكبر، لعبدالغني الدقر، دمشق، دار القلم، تط 1797هـ.
- 11- الآداب الشرعية والمنح المرعية، ابن مفلح، القاهرة، مؤسسة قرطبة، تط ١٩٨٧م.
 - ٥١- الأشباه والنظائر، للسيوطى، دار الحديث، بدون د، ت.
 - ١٦- الأعلام، للزركلي، بيروت، دار العلم للملايين.

(**(**)

- ١٧ البداية والنهاية، لابن كثير، بيروت، مكتبة المعارف، تط ١٩٧٩م.
- 1 / ١٠ بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، للفيروز أبادي، بيروت، المكتبة العلمية المطورة من مطبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي بالقاهرة، تط ١٣٨٣هـ.
 - ١٩ بدائع الفوائد، لابن القيم الجوزية، بيروت، دار الكتاب العربي، بدون تط.
- · ٢- البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي، بيروت، دار الفكر، تبط الثانية ١٣٩٨هـ.
- ۲۱ البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، لمحمد الشوكاني، مصر، مطبعة السعادة، تط الأولى، ۱۳٤۸هـ.

(亡)

- ۲۲ تفسیر القرآن العظیم، لابن کثیر، کتب هو امشه، وضبطه حسین زهران، بیروت، دار الفکر، تط ۱٤۰۸ه.
 - ٢٣ ـ تفسير المراغي، لأحمد مصطفى المراغي، بيروت، دار الفكر، بدون تط
 - ٢٤- تخريج أحاديث إحياء علوم الدين، العراقي، وابن السبكي، والزبيدي. إخراج: أبى عبدالله محمود الحداد، الرياض، دار العاصمة، تط ١٩٨٧م.
- ٢٥ تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، حققه وضبطه وصححه: محمد النجار، بيروت، عالم الكتب، تط الثانية ١٤١٤هـ.
- 77- تهذیب التهذیب، لابن حجر العسقلاني، ضبط ومراجعة صدقي جمیل العطار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزیع، تط الأولى ١٤١٥هـ.
- ٢٧- التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور، تونس، الدار التونسية، تط ١٩٨٤م.



- ٢٨- تفسير المنار، لمحمد رشيد رضا، بيروت، دار الفكر، تط الثانية بدون.
- ٢٩- الترغيب والترهيب من الحديث الشريف، المنذري، تحقيق مصطفى
 عمارة، بيروت، دار الكتب العلمية، تط ٢٠٦هـ.
- ٠٣- التعريفات، للجرجاني، حققه إبراهيم الأبياري، بيروت، دار الكتاب العربي، تط الرابعة، ١٤١٨ه.
- ٣١ ـ تزكية النفوس وتربيتها كما يقررها علماء السلف، ابن رجب الحنبلي، ابن القيم، أبي حامد الغزالي، تحقيق ماجد بن أبي الليل، بيروت، دار القلم، تط الأولى ١٤٠٥هـ.
- ٣٢ تنبيه الغافلين وبهامشه بستان العارفين، لنصر بن محمد السمرقندي، بيروت، دار المعرفة للطباعة بدون تط.
 - ٣٣ التلخيص، للذهبي، بيروت، دار المعرفة بدون تط.
- ٣٤ التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، لوهبه الزحيلي، بيروت، دار
 الفكر المعاصر ؛ ودمشق، دار الفكر، تط الأولى ١٤١١هـ.
- ٣٥ التسهيل لعلوم التنزيل، للكلبي، بيروت، دار الكتاب العربسي، تط الرابعة، ٢٥ ١٤٠٣
- ٣٦- التوكل على الله، لابن أبي الدنيا، تحقيق مجدي إبر اهيم، القاهرة، مكتبة القرآن، بدون تط.
- ٣٧ التوقيف على مهمات التعاريف، للحناوي، حققه عبدالحميد حمدان، القاهرة، تط ١٤١٠هـ، بدون د.
 - ٣٨ تذكرة الحفاظ، للذهبي، بيروت، دار ١ الكتب العلمية، بدون تط، د .
- ٣٩ تهذیب سیرة ابن هشام، لعبدالسلام هارون، القاهرة، المؤسسة العربیة الحدیثة، تط ١٩٦٤م، بدون.
- ٠٤- تيسير العزيز الحميد، شرح كتاب التوحيد، سليمان بن عبدالله ، المكتب الإسلامي، الطبعة الرابعة، بدون ت .

(5)

13- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لابن جرير الطبري، هذبه وحققه وضبطه وعلق عليه الدكتور/بشار معروف - عصام الحرساني، بيروت، مؤسسة الرسالة، تط الأولى ١٤١٥هـ.



- ٢٤- الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير، السيوطي، دار الفكر، بيروت، تط ٢٠١ه.
- 27- جامع الأصول في أحاديث الرسول، لابن الأثير، تحقيق عبدالقادر الأرناؤوط، ويوسف الشيخ، بيروت، دار الفكر، تط ٤٠٣هـ.
- 33- جامع العلوم والحكم، لابن رجب الحنبلي، المدينة المنورة، مكتبة طيبة، تط الأولى، ٢٠٨ه.
 - ٥٥ ـ الجامع الأحكام القرآن، للقرطبي، تحقيق أبو اسحاق، طفيش بدون د، ت.
 - ٤٦ جامع بيان العلم وفضله، لابن عبدالبر، دار الفتح، تط ١٩٧٨م.
 - ٧٤ جمهرة أنساب العرب، لابن حزم، بدون، د، ت.
- ٤٨ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، للحافظ أبي نعيم الأصبهاني، بيروت، دار الكتاب العربي، تط الثانية ١٣٨٧هـ.
- 29 حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، لابن قيم الجوزية، بيروت، دار الكتب العلمية، تط ١٩٨٣م.
- ٥٠ الحق الواضح المبين في شرح توحيد الأنبياء والمرسلين من الكافية الشافية، لعبدالرحمن السعدي.

(7)

- دار دیوان الشافعي، للشافعي، جمعه و علق علیه محمد الزعبي، بیروت، دار الجیل، تط الثالثة ۱۳۹۲هـ.
- ٥٢ الدر المنثور في التفسير المأثور، للسيوطي، بيروت، دار الفكر، تط الثانية، ١٤٠٣هـ.
- ٥٣ الداء والدواء، لابن قيم الجوزية، تقديم محمد غازي، جده، دار المدني، تط ١٤٠٣
- 20- در اسة في السيرة، عماد الدين خليل، بيروت، مؤسسة الرسالة ودار النفائس، تط 12.79هـ.
- ٥٥ دايل الفالحين، شرح رياض الصالحين، محمد الأشعري المالكي، مصر، مطابع مكتبة الحلبي.



(5)

- ٥٦- ذم الهوى، لابن الجوزي، تحقيق مصطفى عبدالواحد، مراجعة محمد الغزالي، القاهرة، دار الكتب الحديثة، تط ١٣٨١هـ.
 - ٥٧- ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب الحنبلي، بيروت، دار المعرفة.

(C)

- ٥٨ الروح، لابن القيم، الرياض، دار الرشد بدون د، ت.
- ٥٩- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، للألوسي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، تط الرابعة ٥٠٥ هـ.
- ٦- رياض الصالحين، للنووي، تحقيق عبدالعزيز رباح، والدقاق، راجعه: شعيب الأرناؤوط، دار المأمون للتراث، بدون تط.

(*i*)

71- زاد المسير في علم التفسير، لابن الجوزي، بيروت، المكتب الإسلامي، تط الثالثة 3 · ٤ · ٤ هـ.

(m)

- 77- سلسلة الأحاديث الصحيحة، للألباني، بيروت، المكتب الإسلامي، تط ٥، ٥٠ هـ.
- 77- سنن أبي داود، مراجعة وضبط وتحقيق وتعليق محمد فؤاد عبدالباقي، بيروت، دار الفكر، بدون ت.
- 37- سنن الترمذي، وهو الجامع الصحيح، لأبي عيسى الترمذي، تحقيق عبدالرحمن عثمان، طثانية، دار الفكر 378م.
- ٦٥ سنن ابن ماجه، أبو عبدالله محمد بن ماجه، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، بيروت، دار إحياء التراث، تط ١٣٩٥هـ.
 - 77- سير أعلام النبلاء، للذهبي، بيروت، مؤسسة الرسالة. (ش)
- 77- شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز الحنفي، تحقيق جماعة من العلماء، خرج أحاديثها محمد ناصر الدين الألباني، ومعه التوضيح بقلم زهير الشاويش، بيروت، المكتب الإسلامي، تط ٤٠٣هـ.



- 7٨- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لابن العماد الحنبلي، بيروت، دار الأفاق الجديدة، بدون د، ت، مطبعة القدسي، تط ١٣٥٠هـ.
- ٩٩- شعب الإيمان للبيهقي، تحقيق البسيوني زغلول، بيروت، دار الكتب العلمية، تط ١٩٩٠م.
- · ٧٠ شرح السنة، للبغوي، تحقيق شعيب الأرناؤوط، وزهير الشاويش، بيروت، المكتب الإسلامي، تط ٠٠٠ ه.

(co)

- ٧١ صفة الصفوة، لأبو الفرج ابن الجوزي، حيدر آباد، الدكن، دائرة المعارف العثمانية، تط ١٣٩٢هـ.
- ٧٧ صيد الخاطر، لابن الجوزي، حققه علي الطنطاوي وناجي طنطاوي، سوريا، دار الفكر، تط ١٤٠٧ه.
- ٧٣- صحيح البخاري، محمد إسماعيل البخاري، طبعة فريدة مصححة مرقمة مرتبة حسب المعجم المفهرس، الرياض، دار السلام، تط ١٤١٧هـ، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، بدون تط.
- ٧٤ صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج، تحقيق وتصحيح وترقيم وأعد وعلق عليه: محمد فؤاد عبدالباقي، بيروت لبنان، دار الكتب العلمية، بدون تط. (ط)
- ٧٥- طريق الهجرتين وباب السعادتين، لابن قيم الجوزية، الرياض، المطابع الإسلامية.
 - ٧٦ طبقات الصوفية، محمد السلمي، مصر، مطبعة دار التأليف.

(ع)

- ٧٧- عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، الحسين الحلبي أحمد بن يوسف، تحقيق: محمد باسل، بيروت، دار الكتب العلمية، تط الأولى ١٤١٧هـ.
 - ٧٨ العبودية ، ابن تيمية، بيروت، المكتب الإسلامي، تط ١٣٩٩هـ.
- ٧٩- علم الأخلاق الإسلامية، مقداد بالحسين، الرياض، دار عالم الكتب، تط الأولى، ١٤١٣هـ.
- . ٨- العبادة في الإسلام، يوسف القرضاوي، بيروت، دار الإرشاد للطباعة، بدون تط.



(**ف**)

- ٨١ في ظل الشريعة الإسلامية، تحقق الأمن والحياة الكريمة، لسماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز، الرياض، دار إمام الدعوة، تط ١٤١هـ.
 - ٨١ في ظلال القرآن، سيد قطب، جدة، دار العلم للطباعة، تط ١٢، ١٤٠٦هـ.
- ۸۳ الفوائد، ابن قیم، تخریج وحواشی أحمد راتب عرموش، بیروت، دار النفانس، تط ۲۰۶ه.
- ٨٤ فتح القدير بين فني الرواية والدراية في علم التفسير، لمحمد بن علي الشوكاني، بيروت، دار الفكر، تط ١٤٠٣هـ.
- ٥٥- فتح الباري، شرح صحيح البخاري، لابن حجر، حققه ابن باز، رقم
 أحاديثه ورتبه محمد فؤاد عبدالباقي، بيروت، دار الكتب العلمية.

(ق)

- ٨٦ القاموس المحيط، للفيروز آبادي، بيروت، مؤسسة الرسالة، تط ١٤١٣هـ. (ك)
- ۸۷- كتاب التوحيد من سلسلة إحياء علوم الدين للغزالي، تحقيق وتهذيب زهير الكلبى، بيروت، دار الفكر.
- ٨٨- كتاب التوحيد وإخلاص العمل لوجه الله مع مقدمة عن قضية الديان والفلسفة، تحقيقو تقديم الدكتور محمد الجلينيد، تط الثانية ١٣٩٩هـ، بدون د.
- ٨٩- كتاب التوحيد، لابن رجب الحنبلي، تحقيق صبري شاهين، الرياض، دار القاسم، تط الأولى، ١٥١ه.
- ٩- الكليات، معجم في المصطلحات والفروق الفردية، للكفوي أبي البقاء، قابله على نسخة خطية، عدنان درويش، ومحمد المصري، بيروت، مؤسسة الرسالة، تط الأولى ١٤١٢هـ.

(J)

- ۹۱ لسان العرب، لابن منظور، بيروت، دار المعارف، بدون تط، بيروت، دار صادر، تط الثالثة، ۱۶۱۶ هـ.
- 97- لباب التأويل في معاني التنزيل، وبهامشه تفسير البغوي، لعلاء الدين علي ابن محمد الخازن، بيروت، دار الفكر، تط ١٣٩٩هـ.

(م)

- 97- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لابن قيم الجوزية، بيروت، دار الكتب العلمية، تط ٤٠٨ه.
- 9.5- مختصر منهاج القاصدين، للمقدسي، علق عليه شعيب و عبد القادر الأرناؤود، دمشق، بيروت، دار البيان، تط ١٣٩٨هـ.
 - ٩٥ مفاتيح الغيب، للإمام الرازي، بيروت، دار الفكر، بدون ت.
- ٩٦ مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر الرازي، بيروت، دار الفكر، بدون تط.
- 97- مجلة الحرس الوطني، أحمد الجنيدل، (التوكل على الله ودعوى القعود والكسب)، عدد ١٢٢، ربيع الأول ١٤١٤هـ.
- ٩٨- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطيه، تحقيق: المجلس العلمي، المغرب، فاس بدون تط.
- 99- موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان، علي الهيثمي، بيروت، دار البشائر الإسلامية، تط ١٤٠٧هـ.
 - ٠٠٠ ـ معجم مفردات ألفاظ القرآن، للأصفهاني.
 - ١٠١- المستدرك على الصحيحين، الحاكم النيسابوري، الهند، حيدر آباد، الدكن.
 - ١٠٢-المستدرك على الصحيحين، الحاكم النيسابوري، بيروت، دار المعرفة.
- ۱۰۳ مفتاح السعادة ومصباح الزيادة في موضوعات العلوم، أحمد مصطفى الشهير بطاش كبرى زاده، بيروت، دار الكتب العلمية، تبط الأولى 1٤٠٥
- ١٠٤ معالم التنزيل في التفسير والتأويل، أبي محمد الحسين البغوي، بيروت، دار الفكر، تط ١٤٠٥هـ.
 - ٥٠١- منهج التربية الإسلامية، محمد قطب، بيروت، دار الشروق، بدون ت.
 - ١٠٦ ـ منهج القرآن في التربية، لمحمد شديد، بيروت، مؤسسة الرسالة بدون ت.
- ۱۰۷ مجموع الفتاوى، لأحمد بن تيمية، جمع وترتيب عبدالرحمن بن قاسم وابله محمد، تط الأولى ١٣٩٨هـ، بدون د
- ۱۰۸ مجلة المختار الإسلامي، سيد قطب، (حديث الشهيد سيد قطب وعلى ابر اهيم يتوكلون)، القاهرة ۲۰۷ (۱۹۷۹م).



- ۱۰۹ محاسن التأويل، لمحمد جمال الدين القاسمي، دقق وخرج وعلق عليه محمد فؤاد عبدالباقي، بيروت، دار الفكر، تط ۱۳۹۸هـ.
 - ١١٠ مسند الإمام أحمد، شرحه ووضع فهارسه، أحمد شاكر، غير مكمل.
 - ١١١- المستخلص في تزكية النفس، سعيد حوى، بيروت، دار عمار، بدون تط.
 - ١١٢ معارج القبول، الحكمي، بيروت، دار الكتب العلمية، تط ٤٠٣ ه.
- ١١٣ المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد الفيومي، بيروت، دار الكتب العلمية، مصر، مطبعة الحلبي.
- ١١٤ المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى، الغزالي أبي حامد، قبرص، تط ٢٠٤هـ، بدون د .
- ١١٥ مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، تحقيق: عبدالسلام هارون، القاهرة، تط ١١٥ م، بدون د .
 - ١١٦ محاسبة النفس، ابن أبي الدنيا، بيروت، دار الكتب العلمية.

(و)

١١٧ - وفيات الأعيان وأنباء أبناء زمان، لابن خلكان، بيروت، بدون د، ت.





فمرس الموضوعات

رقم الصفحة	الموضسوع
1	١- المقدمة
٨	٢- التمهيد:
ن: تعريف التوكل و التواكل لغة و اصطلاحا	- المطلب الأوا
ي: موارد التوكل في القرآن وبيان المراد والمقصود منه. ١٤	- المطلب الثانر
ث: الفرق بين التوكل و التواكل	- المطلب الثالد
ع: فضل التوكل على الله.	- المطلب الراب
مس: التواكل وآثاره السلبية على الفرد والمجتمع ٣٩	- المطلب الخاه
: التوكل على الله و علاقته بالإيمان بالله ٤٤	٣- الفصل الأول
٤٥	التمهيد:
الأول: التوكل على الله جزء من عقيدة المؤمن ٥٣	- المبحث
الثاني: التوكل على الله في أعمال القلوب٧٧	- المبحث
الثالث: أحوال المتوكلين	- المبحث
: التوكل على الله وعلاقته بالجانب الأخلاقي	٤- الفصل الثاني
9 £	- التمهيد
الأول : التوكل على الله من أخلاق الأنبياء	- المبحث
الثاني: التوكل على الله من أخلاق المؤمنين	- المبحث
»: التوكل على الله و علاقته بالأسباب	٥- الفصل الثالث
179	- التمهيد .
الأول: أركان التوكل على الله الله الله الله الله الله الله ال	- المبحث
الثاني: التوكل على الله من أسباب النصر	- المبحث
الثالث: القدرة والمشيئة والأسباب	- المبحث
الرابع: الأعمال التي يعملها العباد في تحقيق التوكل ٥٥١	- المبحث
الخامس: مجال التوكل على الله	



, وقم الصفحة	الموضوء
الرابع: بواعث التوكل على الله تعالى	
المرا	- التم
بحث الأول: رسوخ معانى أسماء الله الحسنى وصفاته في النفس ٦٩	- الم
بحث الثاني: حسن ظن المؤمن بربه واعتماده عليه	۔ الم
بحث الثالث: استسلام العبد وطمأنينته وافتقاره لله سبحانه وتعالى ١٨٧	- الم
بحث الرابع: حسن جزاء المتوكلين	- الم
الخامس: موانع التوكل على الله	٧- الفصل
7.7	- التم
بحث الأول: الجهل بأسماء الله وصفاته سبحانه	۔ الم
بحث الثاني: ضعف اليقين بالله تعالى	- الم
بحث الثالث: التكبر على آيات الله.	۔ الم
بحث الرابع: الغرور والعجب بالنفس	- الم
بحث الخامس: الهوى والشهوات	الم
السادس: ثمر ات التوكل على الله	٨- الفصل
7.16	- التم
بحث الأول: تحقيق الإيمان	ما ۔
بحث الثاني: السكينة والثبات	ما ـ
بحث الثالث: الأمل والرجاء	ما _
بحث الرابع: محبة الله تعالى ودخول الجنة بغير حساب	ما ۔
بحث الخامس : الرضاء والصبر	ما ۔
بحث السادس: العزة و القوة	ما ۔
بحث السابع: يقي من تسلط الشيطان والسحر والحسد والعين ٢٩٠	ما ۔
بحث الثامن : كشف الهم والكرب	ما ۔
بحث التاسع: يورث الرزق ويجلب المنافع ويدفع المضار ٢٩٨	ما ۔



الموضور ج رقم العقد
- المبحث العاشر: الدخول في كنف وكنياية الله تعالى
 المبحث الحادي عشر: الفوز والغلبة
- الثاني عشر : التسليم للقضاء و القدر
ـ الفصل السابع: التوكل على الله وأثره في تزكية الفرد والمجتمع٣١٧
التمهيد
 المبحث الأول: أثر التوكل على الله في تزكية الفرد
- المبحث الثاني: اثر التوكل على الله في تزكية الفرد والمجتمع ٣٣٠
١- الخاتمة.
فهارس:
١ ـ فهرس الآيات القرآنية
٢- فهرس الأحاديث
٣- فهرس الأعلام
٤ - فهرس المصادر والمراجع
٥- فهرس الموضوعات

2011